ازمــــة الحضارة فـــي العـــراق الحديـــث

محـــاولة لدراسة عوامل التأخر في العراق

بقلم

محمد توفيـــق حسين

الجامعـــة الاميركية ــ بيروت

١٩٥١

مقدمـــــة

مضى على العراق منذ ان تخلص من الحكم التركي ، ثلاثون عاما ونيف ، وهو يسير في طريق التقدم والحضارة • ولكن سيره هذا ظل بطيء الخطوات ، محدود النطاق ، اشبه ما يكون بالحرج منه بالسير الدائب المتزن • واريد في هذه الرسالة ان ابحث العوامل التي تعرقل تقدم البلاد ، وتبطيء سير الشعب في سبيل ما يهدف اليه من تقدم ، وحياة كريمة رخية •

ولما كنت اعتقد ان الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والفكرية وحدة متواشجة الاصول والفروع ، دائمة الحركة ، متفاعلة العناصر ، فقد بحثت مختلف وجوه حياة الشعب بحثا مفصلا ، واضعاً النبرة على العوامل التي تكون في رايي اسس المشكلة التي ابحث فيها • ولتسهيل البحث ، وتوضيح الفكرة ، قسمت الموضوع الى ثلاثة اقسام • بحثت في القسم الاول كيان البلاد الاجتماعي ، ورسمت صورة لحالة الشعب جهدت في ان اجعلها تامة ، مطابقة للواقع • وبحثت في القسم الثاني الكيان الاقتصادي ، الاقتصادى ووقفت طويلا عند المشكلة الزراعية ، التي هي من اهم مشاكل البلاد ، ان لم تكن مشكلتها الاولى ، طالما كان اكثر من ثلاثة ارباع السكان فلاحين يزرعون الارض أو يعتمدون على الزراعة اعتمادا مباشرا او غير مباشر •

وبحثت في القسم الثالث الكيان السياسي فتتبعت فيه نشوء مصالح بريطانيا العظمى في العراق ، وتطور علاقتها به ، حتى يظهر مدى مسؤولية هذه الدولة فيما يشكو العراق من تاخر • ثم بحثت اخيرا في نظام الحكم في العراق ، فتتبعت نشوءه وتكونه ، وتكلمت عن دستوره واهم شرائعه ، ووصفت جهازه الادارى ، حتى يستبين مقدار مسؤولية هذا النظام في وجود مشاكل البلاد ، ومدى استعداده لتحقيق الاصلاحات الضرورية •

وحرصت على ان ابحث كل مشكلة بحثا تاريخيا ، فاتتبع جذورها ، واساير نشوءها وتطورها ، لان هذه الطريقة اجدر ان تعيننا على تفهم المشكلة ، وتعيين المسؤولين عن وجودها ، والاطلاع على ما قدم لعلاجها من دواء •

ولا بد لي من ان احدد معنى كلمة حضارة التي جعلتها اساس عنوان هذه الرسالة • ان الشعب المتحضر في رايي ، هو الشعب الذى تكون اغلبية افراده حائزة على الحد الادنى من الثقافة التي تمكن الانسان من فهم الحياة ، والاستمتاع بثمرات العلوم والفنون ، وادراك حقوقه وواجباته كمواطن وانسان •

وهو الشعب الذى تتمتع اغلبية افراده بمستوى عيش يليق بالانسان ويتيح لها التمتع بحياتها ويجنبها التفكير المقلق في المستقبل من هدر كرامتها الانسانية في سبيل الحصول على لقمة ما تكاد تسد الجوع . وتقيم الاود . وهو الشعب الذى تكون اغلبية افراده صحيحة الاجسام تامة العافية وافرة النشاط . واخيرا هو الشعب الذى تدبر اموره حكومة تمثل مصالح اغلبية افراده وتصون حقوقه وتيسر له امكانية التمتع بحرياته الاساسية وتوفر له الوسائل التي تعينه على التقدم والانطلاق في مجال الابداع الواعي .

والحق ان هذا الموضوع واسع الافاق متشعب الاطراف لا يوفيه حقه عدد من المتخصصين بمختلف علوم التجارة والسياسة والاقتصاد وضيق امكانياتي في مجال البحث المركب لتيقني من ان هذا الموضوع وامثاله مما تحتاجه الحياة الفكرية العربية احتياجا شديدا اذ بدون البحث في علل تاخر البلاد العربية بحثا شاملا ، متقصيا لا يمكن التوصل الى وصف العلاج الشافي . ولعلمي ان هذا الموضوع لا يمكن ان يبحث الا بهذه الطريقة من التحليل المركب الشامل . ومما يشفع لي في اقتحام هذا البحث الواسع ، الشامل ، الخطير ، كوني قد عانيته مدى سنوات طوال . فقد درست اكثر مواضيعه اثناء السنوات الست التي قضيتها في التعليم . وقد كتبت في نواح من هذا البحث عشرات المقالات في جريدة الشعب ومجلتي "المجلة" و "الرابطة الثقافية" ايام كنت اساهم في تحريرها بين عامي ١٩٤٤ و ١٩٤٦ . ولقد زرت العراق من اقصاه الى اقصاه في فترات مختلفة باحثا مستطلعا دارسا مفتح العينين ، والفكر ، والضمير ، وكانت هذه المواضيع التي اعالجها الان تحتل تفكيري وتوجه ضميري ، منذ صباى الباكر حتى لقد اصبحت المحور الذى يدور حوله كياني العقلي باسره .

لقد حاولت ، في كتابة هذه الرسالة ان ارجع كل حادثة استشهد بها وكل صورة ارسمها ، وكل فكرة اعرض لها ، الى مرجع امين موثوق بصحته فلم اساير نزوة النفس ولم اعتمد على الذاكرة الا نادرا ليكون البحث موضوعيا ملزم الحجة ، بعيدا عن العاطفة الخادعة ، وهوى النفس المضل . على انني لا ازعم انني اطلعت على جميع المصادر التي تبحث في شوءن العراق فاستقصيتها استقصاءا ، فقد حال اتساع الموضوع وضيق الوقت وفقر مكتبة الجامعة بالكتب دون الاستعانة ببعض المصادر المهمة .

ولما كنت ابحث في اسباب تاخر البلاد ، فقد اكدت على نقاط الضعف والتاخر

واطلت الوقوف عند عوامل الفساد التي تنخر كيان البلاد ، فجاءت لذلك اكثر الصور التي رسمتها قاتمة الالوان ، كئيبة الملامح ، نابضة بالألم . ولم يكن ذلك عن نية سيئة في تمويه حقيقة ما حصل في البلاد من تقدم ، ولا عن قصد خبيث في اغفال جهود القادة المصلحين .

ولا بد لي من ان انوه بالفضل الذي اسبغه علي استاذي الدكتور نبيه امين فارس رئيس دائرة التاريخ في جامعة بيروت الاميركية ، والجهود التي بذلها في مساعدتي في اعداد هذا البحث . فلولا توجيهه القويم وارشاده النير ، وتشجيعه المستمر لما استطعت ان اتم هذا العمل المجهد . فله خالص شكري ، وعظيم تقديري ، وصادق اعترافي بالجميل .

محمد توفيق حسين

القسم الاول : الكيان الاجتماعي

الفصل الاول : عدد السكان

(أ) احصاء النفوس: اثبت الاحصاء الرسمي لسكان العراق، الذي قامت به الحكومة العراقية في ١٩ تشرين الثاني ١٩٤٧، ان المجموع العام للسكان هو ٤،٧٩٩،٥٠٠ نسمة، منهم ٢،٢٥٣،١٧٠ ذكر، و ٢،٥٤٦،٣٣٠ انثى [١]. وبامكاننا ان نقدر نفوس العراق بخمسة ملايين نسمة، اذا علمنا ان بعض سكان الريف وعددا من افراد القبائل البدوية الرحالة لم يشتركوا في تسجيل نفوسهم[٢]. وساعتمد هذا الرقم فيما يلي من الابحاث. وقد قدر عدد القادرين على العمل من الذكور ب ٧٠٠،٠٠٠ شخص في عام ١٩٤٤ [٣].

وتقدر نفوس المدن التي يزيد عدد سكانها عن ٢٥،٠٠٠ نسمة بحوالي ١،١٥٠،٠٠٠ نسمة، اي بنسبة ٢٥ بالمئة من مجموع السكان تقريبا. اما الريفيون من سكان القرى فتتراوح نسبتهم بين ٦٥ بالمئة و ٧٠ بالمئة الى مجموع سكان البلاد [٤]. وقدر دوسن عدد افراد القبائل الرحل، عام ١٩٣٠، ب ٢٣٤،٠٠٠ نسمة، اي نحو ٨ بالمئة من مجموع السكان [٥]، وقدرهم السيد عباس العزاوي بنحو ٣٠٠،٠٠٠ نسمة [٦]، اما السيد جعفر خياط فيقدر عددهم بحوالي ٤٥٠،٠٠٠ نسمة [٧]، اي نحو ٩ بالمئة من مجموع السكان حسب احصاء سنة ١٩٤٧.

---

(١) "المجموعة الاحصائية السنوية العامة" لسنة ١٩٤٧ (مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٤٩)، ص ١٧

(٢) احمد عبد الباقي وعوني بكر صدقي وعبد المطلب الهاشمي، "جغرافية العراق والبلاد العربية" (بغداد، ١٩٤٧)، ص ١٠٧. وساشير الى هذا المصدر فيما بعد بعبد الباقي. وانظر كذلك ساطع الحصري، "حولية الثقافة العربية" (القاهرة، ١٩٤٩)، ص ١٩٠ وساشير الى هذا المصدر فيما بعد بكلمة "حولية"

ولعل الرقم الاخير اقرب الى الواقع ، فهو احدثها زمنا ، كما ان نسبة عدد البدو الى مجموع السكان تقرب من النسبة التي ذكرها دوسن ، مع اخذ زيادة السكان ، خلال هذه المدة ، بنظر الاعتبار .

(ب) كثافة السكان : تبلغ مساحة العراق ٤٥٣،٥٠٠ كيلومترا مربعا . وعلى هذا تكون كثافة السكان في الكيلومتر المربع الواحد ١١ شخصا [٨] وهذا العدد ضئيل اذا ما قارناه بكثافة السكان في البلاد المجاورة ، حيث تبلغ كثافة النفوس في سوريا ١٠،٧٧ شخصا في الكيلومتر المربع ، وفي لبنان ٩٢،٩١ ، وفي فلسطين ٤٦،٦٥ ، وفي تركيا ٢١،٢ ، وفي مصر ١٤،٢ [٩] . على ان ارض العراق ليست جميعها صالحة للسكنى ، ففيها الجبال الباردة الجرداء ، وفيها الصحارى القاحلة ، ولا يسكن الناس الا في الاراضي المزروعة فعلا او الاراضي القابلة للزراعة ، وفي بعض انحاء الجبال والصحراء حيث تتوفر المراعي والمياه . واذا اعتبرنا كثافة السكان بالنسبة للاراضي القابلة للزراعة والتي تقدر مساحتها ب ١٢١،٠٠٠ كيلومتر مربع ، يصيب الكيلومتر المربع الواحد ٤١،٣٢ نسمة ، في الوقت الذى يصيب الكيلومتر المربع الواحد من مثل هذه الاراضي ٥٣ نسمة في سوريا ، و ٤٥٠ في مصر [١٠] . ويصيب الكيلومتر المربع الواحد من الاراضي المزروعة فعلا ، والتي تقدر مساحتها ب ٢٣،٠٠٠ كيلومتر مربع ، ٢٢١ نسمة

---

(٣) «The Middle East : A political And Economic Survey» The Royal Institute of International Affairs (London, 1950), P. 239.

وقد كتب الفصل الخاص بالعراق من هذا الكتاب السيد سيتون لويد مستشار مديرية الاثار القديمة في العراق سابقا . وساشير الى هذا الكتاب بكلمة "الشرق الاوسط "

(٤) جعفر خياط ، "القرية العراقية" : دراسة في احوالها واصلاحها" (بيروت ، ١٩٥٠) ، ص ١٣ وساشير اليه فيما بعد بكلمة "القرية العراقية " . يبلغ عدد سكان المدن التي تضم اكثر من خمسين الف نسمة حسب الاحصاء الاخير كما يلي : بغداد : ٣٦٤،٠٤٩ ، الموصل : ٢٠٣،٢٧٣ ، البصرة : ٩٣،٨٨٩ ، كركوك : ٦٩،٠٣٥ ، الحلة : حوالي ٥٠،٠٠٠ . راجع "الشرق الاوسط" ص ٢٣٨ .

(٥) السير ارنست دوسن ، " بحث في كيفية التصرف بالاراضي والمسائل المتعلقة بذلك " (مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٣٢) ، ص ٩ . وساشير اليه فيما بعد بدوسن .

(٦) عباس العزاوي المحامي ، "عشائر العراق " ج ١ (بغداد ، ١٩٣٧) ص ٤٣٥ ، وساشير اليه فيما بعد بعزاوي .

(٧) "القرية العراقية" ص ١٠٧

(٨) عبد الباقي ص ١٠٧

ثم ان كثافة السكان ليست واحدة في جميع انحاء البلاد ، فهي تتفاوت بالنسبة لوفرة المياه وخصوبة التربة وملائمة المناخ للحياة ، وهي تشتد حيث تزدهر الصناعة والتجارة ، وفي الاماكن المقدسة عند بعض الطوائف الدينية حيث يؤمها الناس للحج والزيارة والاقامة . ففي منطقة الشامية يبلغ معدل كثافة السكان في الميل المربع الواحد (٤٦٤) نسمة (١١) بينما يبلغ معدل كثافة السكان في لواء الدليم (٤٠٧٠) نسمة في الكيلومتر المربع الواحد . وفيما يلي جدول بكثافة النفوس في الالوية حسب احصاء عام ١٩٤٧ (١٢) .

اللواء	مجموع النفوس	كثافة السكان في الكيلومتر المربع	نسبة النفوس المئوية في كل لواء للمجموع .
بغداد	٨٠٥و٢٩٣	٤٠،٢٢٠	١٦،٨
الموصل	٦٠٥و٥٨٩	١١،٩١٨	١٢،٥
البصرة	٣٥٢و٠٣٩	٢٨،٥٧٠	٧،٣
كركوك	٢٨٥و٨٧٨	١٤،٣٨٧	٦،٠
الديوانية	٣٨٣و٧٨٧	٢٥،٧٠٤	٨،٠
العمارة	٣٠٨و١٠٨	١٦،٤١٤	٦،٤
الحلة	٢٦١و٩٠٣	٤٩،٥٤٦	٥،٥
المنتفك	٣٦٩و٨٠٦	٢٦،١٣٧	٧،٧
الكوت	٢٢٤و٧٩٢	١٤،٠٢٥	٤،٧
الدليم	١٩٣و٢٩٤	٤،٢٦٧	٤،٠
اربيل	٢٤٠و٢٧٣	١٤،٥٧٧	٥،٠
السليمانية	٢٢٢و٧٣٢	٢٣،٦٧٣	٤،٦
ديالي	٢٧٣و٣٣٦	١٧،١٥٠	٥،٧
كربلاء	٢٧٦و٦٧٠	٤٦،٩٥٧	٥،٨
المجموع	٤و٧٩٩و٥٠٠		

(٩) سعيد حمادة ، "النظام الاقتصادي في العراق" (بيروت ، ١٩٣٨) ص ١٣ وساشير اليه فيما بعد بحمادة .

(١٠) المصدر السابق ص ١٤

(ج) عوامل قلة السكان : ان عدد نفوس العراق ضئيل جدا بالنسبة لمساحة البلاد الواسعة وبالنسبة لما تستطيع الارض انتاجه من محاصيل زراعية ، وبالنسبة للثروة المعدنية المخبأة في باطنها . وقلة السكان هي احد العوامل المهمة في تاخر البلاد الزراعي ، وفي تاخر الانتعاش الاقتصادي بصورة عامة . فان قلة الايدي العاملة قد ادى الى بقاء مساحات واسعة من الارض القابلة للزراعة بورا عاطلة عن الانتاج ، والى عدم اهتمام الفلاح بالارض ، فاذا ما نضبت خصوبة ارضه ، وظهرت على سطحها الاملاح ، نتيجة لعدم استخدامه الماء استخداما صحيحا ، تحول الى قطعة ارض اخرى .

وقد كان سكان العراق في العصر العباسي اكثر عددا من سكانه اليوم . فكانت المدن المزدهرة بالصناعة والتجارة تغص بالناس ، وكانت القرى تعج بالفلاحين . ولكن الفوضى السياسية التي حلت في البلاد في اواخر العصر العباسي وبلغت ذروتها بعد سقوط الدولة العباسية على ايدي التتر الغزاة ، واختلال الامن ، وتهديم قنوات الري وسدوده ، الذي ادى الى ضياع كثير من الاراضي الزراعية والى فقر الفلاحين ، وانتشار الاوبئة والامراض ، وعبث القبائل البدوية بالسكان وانحطاط الصناعة والتجارة ، وتفشي الجهل ، ادت الى تضاؤل عدد السكان . ومع ان حال البلاد قد تحسنت نوعا ما منذ قيام الحكومة الوطنية ، فقد قضي على الاوبئة وساد الامن في البلاد او كاد ، وانقطعت الغزوات والحروب التي كانت تقوم دون انقطاع في البلاد وتزهق فيها النفوس ، وقامت المؤسسات الصحية ، وخاصة في المدن ، تعنى بشؤون المرضى ، وان كانت هذه العناية محدودة النطاق ، وانشات الحكومة مشاريع اسالة المياه المعقمة في المدن ، وانتشر التعليم ، فان السكان ما زالوا يزيدون زيادة بطيئة ما تكاد تحس ، وما زال النقص في السكان واضحا ملموسا .

واذا اردنا ان نبحث في عوامل نقص السكان وجدناها مسببة عن النظام الاقتصادي والاجتماعي بالدرجة الاولى ، ومن عوامل اخرى سنذكرها في حينها . هنالك عوامل عديدة تزيد في الولادات وتشجع على النسل . فعادة الزواج المبكر مستحبة بين اغلبية الشعب ، والاستكثار من الاولاد ، وخاصة بين الفلاحين ، والقبائل الرحل والفقراء من سكان المدن ، مرغوب فيه مهما ساءت حال الرجل الاقتصادية وقست عليه الفاقة والحرمان ، وتعدد الزوجات كثير الحدوث وخاصة في القرى (١٣) ، وعادة اسقاط الاجنة محرمة شرعا وقانونا ويستنكرها المجتمع اشد الاستنكار ، اما عادة ضبط النسل فدخيلة على الشعب لا يمارسها الا عدد ضئيل من سكان المدن المثقفين . كل هذه العوامل يجب

---

(١١) احمد فهمي "تقرير حول العراق" (بغداد ، ١٩٢٦) ، ص ٢٠ وساشير اليه فيما بعد باحمد فهمي

(١٢) "المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٤٧" ص ١٨ — ٢٠ .

ان تؤدي الى زيادة الولادات . وفي الحق ان الولادات في العراق كثيرة . "ويتراوح معدل الاولاد الذين يولدون لكل ام بين ٥ و ٦ اولاد " (١٤). ولكن الوفيات كثيرة ايضا "فقد دلت بعض التحقيقات على ان ٣٥ بالمئة على الاقل من مجموع الاطفال الذين يولدون كل عام يموتون قبل بلوغهم السنة الواحدة من العمر ، وهكذا تستمر عملية الوفاة في الاعمار الاخرى . كما دلت بعض التحريات المحلية (في بغداد) على ان معدل زيادة السكان تتراوح بين ١ و ١/٢ ١ سنويا . ولا يتجاوز المعدل العام لطول العمر البشرى (٢٥) سنة"(١٥) . وفيما يلي جدول بالولادات والوفيات المسجلة للاطفال دون السنة الواحدة من العمر في المدن الرئيسية الثلاث مع نسبة الوفيات في كل الف ولادة (١٦). مع العلم بان هذه الارقام لا تشمل الا الحوادث المسجلة بينما هنالك حوادث لم تسجل ولم يجر عليها اى تخمين .

---

(١٣) يقول الاستاذ عزاوى ، ج ١ ، ص ٣٣١ "وفي الوقت نفسه يحضون على اخذ النساء (أى افراد القبائل) والاكثار منهن ليكون للمرء اولاد يكيد بهم اعداءه ويقهر منافسيه ، فيقولون : خوذ من النساء وجيد العداء "

(١٤) هاشم جواد ، "مقدمة في كيان العراق الاجتماعي" (بغداد ، ١٩٤٦) ص ٢٤ وساشير اليه فيما بعد بجواد .

(١٥) المصدر السابق ص ٢٥

(١٦) "المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٤٣" نقلا عن جواد ص ٢٥ فيما يختص بارقام السنوات ١٩٣٨ ـ ١٩٤٣ ، و"المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٤٧" ص ٢١ فيما يختص بارقام السنوات ١٩٤٤ ـ ١٩٤٦ .

جدول بالولادات والوفيات للاطفال (دون السنة الواحدة من العمر) في المدن الرئيسية الثلاث .

السنة	بغداد			الموصل			البصرة		
	الولادات	الوفيات	النسبة لكل الف ولادة	الولادات	الوفيات	النسبة لكل الف ولادة	الولادات	الوفيات	النسبة لكل الف ولادة
١٩٣٨	٨٫٨٦٣	٢٫٢٧٩	٢٥٧	٣٫٧٦٥	٦٢٤	١٦٦	١٫٧٧٠	٤٤٣	٢٥٠
١٩٣٩	٩٫١١٩	٢٫١٣١	٢٣٤	٣٫٨٨٨	٧٣٠	١٨٨	١٫٧٩٦	٤١٥	٢٣١
١٩٤٠	٩٫٦٨٢	٢٫٤٣٧	٢٥٢	٣٫٨٤٩	٧٣٣	١٩٠	١٫٦٦٣	٤٩١	١٣٩
١٩٤١	٩٫٠٣٣	٢٫١٤٢	٢٣٧	٤٫٠٦١	٦١١	١٥٠	١٫٤٩٧	٣٠١	٢٠١
١٩٤٢	٩٫٣٥٨	٢٫١٩٣	٢٦٢	٣٫٧٣٦	٥٤٠	١٤٥	١٫٨١٨	٢٤٦	١٣٥
١٩٤٣	١١٫٠٤٩	١٫٦١٦	١٤٦	٣٫٨٧٩	٤٤٩	١١٦	٢٫١٥١	٣٠١	١٣٩
١٩٤٤	١١٫١٦٧	١٫١٣٩	١٠١	٣٫٨١٤	٤٣٢	١١٣	٢٫١٠٦	٣١٩	١٥١
١٩٤٥	١٢٫٤٨٨	١٫٢٠١	٩٦	٥٫١٥٤	٣٥١	٦٨	٢٫٥٧٤	٢٩٧	١١٥
١٩٤٦	١٧٫٠١١	١٫٣٠٢	٧٦	٤٫٨٣٧	٣٩٤	٨١	٣٫٦٠٩	٣٥٥	٩٨

فاذا كان معدل الوفيات مرتفعا الى هذا الحد في المدن الرئيسية حيث ينعم الناس بشي من حضارة ومستوى عيش جيد نسبيا ، فلا شك ان هذا المعدل اكثر ارتفاعا في القرى حيث تعيش اكثرية السكان ، وحيث يسود الفقر والجهل والمرض ، وينعدم وجود المؤسسات الصحية والمياه الصالحة للشرب ، وجميع وسائل الوقاية والعلاج (١٧).

ان نقص السكان ليس مسببا عن ضآلة في النسل وقلة في الولادات بل هو مسبب بالدرجة الاولى عن زيادة في الوفيات . ان المسؤول عن كثرة الوفيات هو هذه الامراض المنتشرة في البلاد انتشارا واسعا واخصها الملاريا والبلهارزيا والانكلستوما والسل والزهري التي تفتك بارواح الشعب وتضعف الام اثناء الحمل ، فاذا ما كتب للطفل ان يرى النور ، جاء عليلا مواهي العظام ، لا يستطيع تحمل الامراض الكثيرة التي تفتك باجسام الاطفال الغضة فتكا . وهذا الفقر الذى ينوء به عامة سكان الريف ومعظم سكان المدن والذى يحول بين الناس وبين تناول الحد الادنى من الاغذية الضرورية لبناء الجسم واعداده اعدادا يمكنه من التغلب على الامراض ، والذى يحول بين الناس وبين المعيشة الصحية النظيفة المريحة ، وهذا الجهل الذى ترزح تحت كابوسه اكثرية الشعب ، فيمنعهم من اتباع الطرق الصحيحة في المعيشة وتربية الاطفال ، ويغريهم باعتناق الخرافات والاباطيل ، ثم انعدام مياه الشرب المعقمة في الريف ، وفقدان المؤسسات الصحية في القرى وقلة جدواها في المدن . وسوف افصل القول في هذه العوامل في الفصل الذى ساخصصه للصحة والمؤسسات الصحية (١٨) .

---

(١٧) قدر مركز تموين الشرق الاوسط في سنة ١٩٤٣ ان ٣٥٠ طفلا من بين كل ١٠٠٠ طفل يموتون قبل ان يبلغوا العام الواحد من عمرهم في العراق . ويموت ٥٠٠ طفل من بين كل ١٠٠٠ قبل ان يبلغوا العام الخامس من عمرهم . راجع "الشرق الاوسط" ص ٢٣٩ .

(١٨) راجع " الشرق الاوسط " ص ٢٣١ .

الفصل الثاني : قوميات السكان

كان العراق منذ فجر التاريخ ملتقى لشعوب مختلفة . جاءه بعضها غازيا فاتحا ، تغريه خصوبة تربته ووفرة حاصلاته ، فاستقر وتحضر . واتاه بعضها من الصحراء او من الجبال لاجئا من عدو يطارده ، او هاربا من مجاعة تهدده ، فنهب وخرب وعاد الى جباله او صحاريه .
جاءه السومريون والعيلاميون من اقصى الجنوب الشرقي ، والاكراد من الشرق ، والاكديون والعموريون والاشوريون والكلدانيون والاراميون الساميون من جزيرة العرب ، وحل فيه الاخمينيون والفرس من هضبات ايران ، وغزاه اليونان يقودهم الاسكندر المقدوني ، واخيرا استقر فيه العرب فاسسوا فيه مدنيتهم وطبعوه بطابعهم الخاص الذي لا يزال واضح المعالم قويا . ثم كان العصر العباسي فنزح الى العراق اقوام عديدون منهم الترك والفرس والزنوج ، وفي اواخر هذا العصر حل فيه التتر والمغول .

كانت هذه الامم تتصارع حينا ، فيفنى الضعيف او يندمج في القوى ، او تتعاون فيما بينها على رعاية المدنية وخدمة البلاد . ولكنهم امتزجوا على كل حال، وخاصة في المدن، وكونوا شعبا متجانس الصفات . على ان بعض هذه الشعوب ظلت محافظة على خصائصها القومية الى الوقت الحاضر ، مستمسكة بتقاليدها ، متكلمة بلغاتها الاصلية . وليس من همي في هذا الفصل ان اتتبع تاريخ كل قومية من القوميات الحاضرة بالتفصيل ، واذكر مآتيها الغابرة ، وانما اريد ان اعرض لها باختصار ، شارحا علاقتها بالمشكلة التي اعالجها ، مشكلة الحضارة ، من حيث هي قوميات .

تعوزنا الاحصاءات الحديثة المضبوطة عن عدد افراد كل قومية من هذه القوميات التي تعيش في العراق ، ونسبتهم العددية الى مجموع السكان ، واحوالهم الاجتماعية والاقتصادية . وقد يعود سبب عدم وجود هذه الاحصاءات المضبوطة الى عدم اهتمام الحكومة بالاحصاءات الحياتية والاجتماعية للسكان الا حديثا ، وقلة خبرة القائمين بالاحصاء ، وعدم مساهمة الناس في الاحصاء وقلة تاييدهم للقائمين به . ويعود عدم وجود احصاءات مضبوطة عن الطوائف الدينية والاقليات القومية الى ان الحكومة العراقية تعتبر جميع ابناء البلاد جنسية واحدة هي الجنسية العراقية ، بصرف النظر عن العناصر الاصلية والدين الذي يدينون به ، والطوائف التي ينتمون اليها . ان ما سأذكره في هذا الفصل والفصول القادمة من ارقام ونسب انما هي تقديرات ارجو ان تكون قريبة من الواقع .

يؤلف العرب اكثرية الشعب العراقي وتبلغ نسبتهم ٧٨ بالمئة الى مجموع السكان ، ثم يليهم الاكراد وتبلغ نسبتهم ١٦ بالمئة ، ويؤلف الاتراك نسبة قليلة من السكان لا تتجاوز ٢ بالمئة [١] . ويؤلف الاقوام الاخرون (وهم الارمن والفرس والاشوريون والكلدان واليهود) ٤ بالمئة من مجموع السكان .

(أ) العرب : يؤلف العرب اغلبية السكان اذ يبلغ عددهم حوالي (٣،٩٠٠،٠٠٠) نسمة تقريبا وهم يسكنون في الالوية الجنوبية والغربية بين حدود العراق الشرقية وبادية نجد في القسم الجنوبي منه ، وبين نهر دجلة وبادية الشام في القسم الشمالي منه ،على ان قسما من العرب يسكنون ضفة دجلة اليسرى في قسمه الاوسط .

ان تاريخ العرب في العراق قديم جدا " فقد كانوا منذ اقدم الازمان يفدون الى تخوم الجزيرة الشرقية حتى اذا ما وصلوا الى وادى الفرات اقاموا في ربوعه " [٢] . على ان هجرة القبائل العربية الى جنوب العراق بلغت اوجها في القرن السادس الميلادى . فلما كان الفتح الاسلامي دخل العراق في حكم العرب ، وتغلب العنصر العربي على البلاد وما يزال . وليس للعرب ، بحكم كونهم اكبر قومية في البلاد ، مشكلة قومية خاصة بهم .

(ب) الاكراد : يسكن الاكراد عامة المنطقة الجبلية الممتدة على ملتقى الحدود الايرانية - التركية - العراقية ، الى الجنوب الغربي من بحر قزوين . اما اكراد العراق فيسكنون في الالوية الشمالية الشرقية بين حدود العراق الشرقية وخط وهمي يمر من زاخو وشرقي اربيل وكركوك في المنطقة الجبلية.وهم قوم آريون لم يتوصل العلماء الى اليقين في حقيقة اصلهم . فمن العلماء من جعلهم من الجنس التوراني ومنهم من نسبهم الى الجنس الارى ، ومنهم من ذهب الى انهم ينتمون الى قبائل غوتو التورانية التي ذكرها الاشوريون باسم (كردو) او (كردو) حيث كانت تسكن الجبال الواقعة في شمال بلاد اشور . فلما سقطت نينوى بيد الكلدانيين والماديين ، وزالت دولة الاشوريين من الوجود ، اختلطت تلك القبائل بالماديين تدريجيا ، واندمجت بهم ، فتغلبت عليهم الاوصاف الارية ،واصبحوا من الشعوب الارية .

---

(١) عبد الباقي ، ص ١٠٩ - ١١٠ .

(٢) فيليب حتي وادوارد جرجي وجبرائيل جبور ، "تاريخ العرب (مطول)" ج ١ (بيروت ، ١٩٤٩) ، ص ١٠٧ .

اما لغتهم فتعتبر فرعا من فروع اللغات الارية ، وهي قريبة الشبه باللغة الفارسية [٣] .

يؤلف الاكراد اكبر قومية في العراق بعد العرب ، ويبلغ عددهم في الوقت الحاضر حوالى (٨٠٠،٠٠٠) نسمة تقريبا [٤]. وهم ينقسمون الى قبائل عديدة ، بعضها ما يزال في حالة بدوية متنقلة ،على ان معظمهم يعيشون في القرى ويشتغلون في الزراعة وتربية المواشي ، وبعضهم يسكنون في المدن ويشتغلون في مختلف الحرف ، ومنهم قسم كبير في مختلف دوائر الحكومة وقواتها المسلحة ، وهم منتشرون في مختلف المدن العراقية .

---

(٣) طه الهاشمي ، "مفصل جغرافية العراق" (بغداد ، ١٩٣٠) ، ص ٩٧ - ٩٨ . وساشير اليه بكلمة الهاشمي . يقول السيد محمد امين زكي "خلاصة تاريخ الكرد وكردستان" نقله عن الكردية محمد علي عوني ،(مصر ، ١٩٣٩) ، ص ٦٣ - ٦٤ ، بعد ان عرض بتفصيل الاراء لنخبة من العلماء في اصل الاكراد وبخاصة اراء فلاديمير مينورسكي والسير سيدني سميث ، : ان كردستان الذي هو الموطن الاول للسلالة البشرية الثانية وموضع انتشارها الى جهات اخرى حسب الحادثات التاريخية ،كان يسكنه في فجر التاريخ شعوب جبال (زاغروس) التي كانت عبارة عن شعوب (لولو) و (كوتي) و (كاسي) و (خالدى) و (سوبارو - هورى) . وكان الشعب العيلامي يقيم في منتهى الشرق الجنوبي منه . ونظرا لبعض المناسبات ومشابهات لغوية ، ذهب بعض المستشرقين الى ان هؤلاء الشعوب من السلالة القوقاسية . فهذه الشعوب كلها ما عدا الشعب العيلامي هي الاصل القديم جدا للشعب الكردى . وقد ابدت نشاطا سياسيا كبيرا في عهد كل من السومريين والاكاديين وفي اوائل عهد الاشوريين ويظهر ان سيول مهاجرات العنصر الارى (هندو - اوربي) الى جبال زاغروس اولا والى شرقيها وغربيها اخيرا - ويظن ان هذه المهاجرات ابتدات من القرن العاشر والتاسع قبل الميلاد - قد اوقعت بقايا السكان الاصليين لمنطقة جبال زاغروس وبلاد كردستان تحت سلطان هؤلاء الوافدين الجدد فجعلتهم اريين . وكان الشعب الميدى اقوى واكبر شعب بين هؤلاء الاريين الوافدين جماعات وشعوبا .....

ان النظام الاقطاعي القبلي الذى يعيش الاكراد في ظله ، والذي يفسح المجال للزعماء والشيوخ والاغاوات ان يسودوا ويتحكموا فيمن تحت سيطرتهم من الناس كما يشاؤون، والجبال المنيعة التي يعيشون في اكنافها ، جعلتهم يميلون الى الاستقلال وينفرون من كل سلطة تفرض عليهم من الخارج . وتاريخهم بطوله سلسلة من الحروب والمعارك ضد الحكومات المركزية التي ينضوون تحت لوائها . "ولم تستطع الحكومة التركية بسط نفوذها على كردستان تماما ، وبقي الاكراد طوال تاريخهم يعيشون مستقلين في بلادهم خاضعين لاوامر رؤسائهم الاغوات والبيكات ، معتصمين عند الحاجة بجبالهم المنيعة . ولم يكن باستطاعة الاتراك اخضاعهم تماما لبعد بلادهم عن المراكز العسكرية وقربها من الحدود الايرانية والروسية ." (٥)

ومنذ نهاية الحرب العالمية الاولى اصبح اكراد العراق "مشكلة" تكلفت الحكومتان البريطانية والعراقية كثيرا من الجهد والمال والضحايا لحلها . ويجدر بنا ، لاجل ان نفهم هذه المشكلة حق الفهم وندرك مدى اعضالها ، ان نتتبع مراحلها ، ونستقصي الاشكال التي ظهرت فيها .

---

(٤) يقول السيد عبد الرزاق الحسني ، "تاريخ العراق السياسي الحديث" ، ج ٣ (صيدا ، ١٩٤٨)، ص ٢٧٨ . (ساشير اليه فيما بعد بالحسني) ، "اما عددهم (يعني الاكراد) في العراق فقد جاء في التقرير الذى رفعته البعثة المؤلفة وفقا لقرار مجلس عصبة الامم "عن مسالة الحدود بين تركيا والعراق انه (٤٩١،٠٥٠) نسمة موزعا كما يلي : في السليمانية (١٨٩،٩٠٠) وفي كركوك (٤٧،٥٠٠) وفي اربيل (١٧٠،٦٥٠) وفي الموصل (٨٣،٠٠٠) ويرى السيد محمد امين زكي انه اكثر من (٦٠٠،٠٠٠) . وللشيخ الملا مصطفى نعمة الله الكردى ابحاث جغرافية عن "كردستان العراقية" نشرها في مجلة كلاوز التي تصدر في بغداد باللغة الكردية ، ادعى فيها ان عددهم لن يقل عن مليون نسمة ، لان الاحصاءات الرسمية لم تتناول القبائل الرحالة . ويقدرهم الهاشمي ، ص ٩٧ ، ب ٤٥٠،٠٠٠ ، ويقدرهم : Ernest Main, "Iraq From Mandate to Independence" (London, 1935), p. 133 (ساشير عليه فيما بعد باسم مين) بحوالى ٥٠٠،٠٠٠ نسمة تقريبا .

ولكنني ارى ان الرقم الذى اوردته هو اقرب للحقيقة : لان نفوس الاكراد قد زادت منذ القيام بالتقديرات المشار اليها اعلاه ، ولان معظم المصادر تجمع على ان نسبتهم الى مجموع سكان العراق تقدر بين ١٦ بالمئة و ١٧ بالمئة ، لان نفوس الوية اربيل وكركوك والسليمانية ، ومعظم سكانها اكراد ، يبلغ ٧٤٨،٨٨٤ (راجع اعلاه ص) ، يضاف اليهم الاكراد الساكنون في اقضية الموصل الكردية الاربعة .

كان الشعور القبلي عند الاكراد ، الى زمن قريب ، من الشعور القومي . ولا زال هذا الشعور القومي ضعيفا في المناطق الريفية البعيدة عن مراكز الحركات السياسية . الا انه استجدت في هذا العصر الحديث عوامل عديدة عملت على توحيد مشاعر الاكراد ، وبعث الوعي القومي فيهم . من هذه تكاثر عدد الاكراد في المدن . فقد درج الاكراد على عدم الاشتغال بالصناعة والتجارة ، ولكن منذ اجيال قليلة ظهرت طبقة بورجوازية كردية تشعر شعورا قوميا قويا . وثاني هذه العوامل ظهور المثقفين الاكراد . كانت ثقافة هؤلاء المثقفين تركية في العهد التركي ، وعربية واوربية في عهد الحكومة العربية . وقد ذاب قسم منهم في الثقافتين العربية والتركية ، الا ان معظمهم ظلوا مستمسكين بثقافتهم القومية ، واخذوا يعملون على انمائها ونشرها . اخذ هؤلاء المثقفون يبعثون الادب الكردى وينمونه ، واخذوا ينشئون الصحف والمجلات الكردية في السليمانية وبغداد ، وهم على اتصال بمراكز الحياة الكردية في تركيا وسوريا وجمهورية ارمينيا السوفيتية . ويقوم هؤلاء المثقفون ، الان ، ببعث الوعي القومي عند الاكراد ، ونشر فكرة الوحدة الكردية بينهم ، وغرس فكرة الاستقلال في عقولهم (٦) .

نشط الاكراد منذ نهاية الحرب العالمية الاولى في المطالبة بتاسيس دولة كردية مستقلة في المناطق الكردية التي كانت خاضعة للدولة العثمانية . فقام "الحزب الوطني الكردى في الاستانة" يطالب الهيأة الدولية التي احتلت الاستانة بتوحيد المناطق الكردية ومنحها حكما ذاتيا كما اتصل رجال الحزب باللجان الاوربية والامريكية التي الفت لاستفتاء الشعوب المنفصلة عن الدولة العثمانية وعرضوا عليها رغبة الاكراد في الاستقلال . وتكونت في مصر ، في كانون الثاني ١٩١٩ ، "جمعية وطنية للكرد" ، طلبت المساعدة البريطانية لتكوين دولة مستقلة . وانتخب رؤساء الجمعيات الكردية كافة الجنرال شريف باشا السليماني ، وكان مقيما في باريس ، ممثلا عاما للقضية الكردية لدى الحلفاء في مؤتمر الصلح .

ولا يقل عددهم فيها عن ١٠٠،٠٠٠ نسمة . وجاء في "الشرق الوسط" ، ص ٥٩ ، ان احدث تقدير للاكراد هو كما يلي : ١،٥٠٠،٠٠٠ في تركيا ، و ٨٠٠،٠٠٠ في العراق ، و ٦٠٠،٠٠٠ في ايران ، و ٢٥٠،٠٠٠ في سوريا ، و ٢٠،٠٠٠ في ارمينيا السوفيتية . وذكرت M. V. Seton-Williams. "Britain and the Arab States" (London, 1948) P. 44 Note 2 ص ٤٩ حاشية ١ ان عددهم يقدر ، عام ١٩٤٣ ، ب ٧٤٠،٠٠٠ . وتقول في موضع اخر من الكتاب نفسه ، ص ٢٨ ، ان عددهم يقدر باكثر من ٨٠٠،٠٠٠ شخص . (وساشير اليه هذا المصدر فيما بعد باسم ولياسن .

فقدم شريف باشا مذكرة الى مجلس الحلفاء الاعلى في اذار سنة ١٩١٩ ، طالب فيها باستقلال كردستان وجعل الكرد امة واحدة . وقد اثمرت هذه المساعي فاقر مجلس الحلفاء الاعلى في باريس حق الاكراد في تكوين دولة مستقلة ، وجاءت معاهدة سيفر ، الموقعة بين تركيا والحلفاء في ١٠ اب سنة ١٩٢٠ ، فاكدت هذا الحق (٧). تقرر المادة الرابعة والستون من هذه المعاهدة حق الاكراد الساكنين في تركيا والعراق ، في تاسيس دولةمستقلة لهم اذا كانت اكثريتهم ترغب في ذلك وهذا نصها (٨): "اذا اقدم في ميعاد سنة ، ابتداء من تاريخ تنفيذ هذه المعاهدة ، الشعب الكردى المقيم في المناطق المعينة بالمادة ٦ ، طلبا الى جمعية الامم مفصحا فيه بان اغلبية سكان هذه المناطق ترغب في ان تكون مستقلة عن تركية ، واذا آنست الجمعية المذكورة ان هذا الشعب قادر على الاستقلال اوصت بذلك ، فتتعهد تركية من الان بان تعمل بهذه الوصية وتتنازل عن جميع حقوقها وامتيازاتها في هذه المناطق . وستكون تفصيلات هذا التنازل موضوع اتفاق خاص يعقد بين اهم دول الحلفاء وبين تركية . ففي حالة حصول التنازل ، وعندما يحصل ، لا ترفع اية معارضة من قبل دول الحلفاء المذكورة نحو اتحاد الاكراد المقيمين فى جزء من اراضي كردستان الداخلة الى اليوم في ولاية الموصل اتحادا بمحض ارادتهم مع حكومة الاكراد المستقلة . "

لقد قبلت الحكومة البريطانية الانتداب على العراق فى شهر ايار سنة ١٩٢٠ ، ولكنها لم تترك نهائيا السياسة الكردية المتضمنة في معاهدة سيفر الا بعد التوقيع على معاهدة لوزان في ٢٤ تموز ١٩٤٣ . وكان نتيجة ذلك ان سياسة الحكومة البريطانية ، وسياسة الحكومة العراقية التي تاسست في ١٠ تشرين الثاني ١٩٢٠ ، صيغت بشكل يفسح المجال لاحتمال تطبيق معاهدة سيفر فيما يختص بالاكراد (٩).

---

(٥) الهاشمي ص ٩٩ . وقابل A. H. Hourani, "Minorities in the Arab World" (London, 1947), PP. 95-6
(وساشير اليه فيما بعد بحوراني)

(٦) راجع حوراني ص ٩٦

(٧) راجع الحسيني ج ٣ ، ص ٢٧٩ - ٨٠

(٨) المصدر السابق ج ٣ ، ص ٢٨١ . وانظر النص الانكليزى في: "The Treaties of Peace: 1919-1923", Carnegie Endowment for International Peace" vol. 2 (New York, 1924), PP. 807-8
(وساشير اليه فيما بعد باسم "معاهدات الصلح" .)

على ان الحلفاء لم يستمسكوا بهذا المبدا ، كما رفضته الحكومة التركية ، فجاءت معاهدة لوزان خالية من اى تعهد بشان استقلال كردستان . وقد عملت الحكومة التركية ، بعد ان تخلصت من مشاكلها الداخلية وتقوى نفوذها بانتصارها على اليونان ، على ان تبقي الاكراد تحت سيطرتها ، وتحول دون تاسيسهم دولة مستقلة تكون خطرا يهددها من الخلف [١٠]. وعلى هذا فقد اصبحت قضية اكراد العراق قضية داخلية تخص العراق وحده . ومهما يكن من عدم تطبيق نصوص معاهدة سيفر فقد تركت اثرها في عقول الاكراد العراقيين الطامحين الى الاستقلال ، وقوت ايمانهم بعدالة قضيتهم .

كانت السليمانية ، ولم تزل ، معقل الحركة الكردية وراسها المفكر . وكان الشيخ محمود اقوى زعيم فيها في بداية حكم الانكليز للعراق . سجنه الاتراك اثناء الحرب ، فلما اوشكت تلك الحرب على الانتهاء ، اطلقوا سراحه ، وفوضوا اليه ادارة منطقة السليمانية ، فحكمها باسم الدولة العثمانية . وامدوه بالمال والسلاح وذلك لكي يوجهوا الاكراد ضد الحلفاء ويعرقلوا حكم الانكليز للعراق . وبعد اعلان الهدنة اقنعه بعض عملاء الانكليز بفائدة الاتفاق مع السلطات البريطانية ، فوافق ، وسلم الحامية التركية للقوات الانكليزية في تشرين الثاني سنة ١٩١٨ . وعينته السلطات الانكليزية حاكما على السليمانية ، كما عينت بعض روساء القبائل المتاخمة لهذه المدينة حكاما على الوحدات الادارية ، واستبدلت بالموظفين العرب والترك موظفين اكرادا .

على ان زعماء القبائل الكردية لم يكونوا متفقين على نوع الحكم الذى ينشدونه للمنطقة الكردية ، ولم تكن اهداف القضية الكردية واضحة لديهم وضوحا تاما . ففي الاجتماع الذى عقده الكولونيل ئي . تي - ولسن الحاكم الملكي في العراق ، في اليوم الاول من كانون الاول سنة ١٩١٨ ، والذى حضره ستون زعيما يمثلون قبائل "سنه" و "ساقس" و "هاورمان" ، اعرب فريق من المجتمعين عن رغبته في قيام حكومة كردية مستقلة ، وطالب غيرهم بالحاق منطقتهم بالعراق ، ورأى اخرون ان تربط المنطقة الكردية بحكومة لندن مباشرة . كما ان هؤلاء الروساء لم يجمعوا على زعامة الشيخ محمود [١١].

وبعد ان رجع الكولونيل ولسن الى بغداد تسلم من الشيخ محمود عريضة وقع عليها اربعون رئيسا هذا نصها [١٢]، " لما كانت الحكومة البريطانية قد اعلنت ، من قبل ، عن رغبتها في تخليص الشعوب الشرقية من ارهاق الترك ، وفي مساعدتها على تكوين استقلالها ، فان الروساء يطلبون منها بصفتهم

---

(٩) راجع Special Report, by His Majesty's government in the United Kingdom of Great Britain and Northern Ireland to the Council of the League of Nations on the Progress of Iraq During the Period 1920-1931 (London, 1931), P. 252. (وساشير اليه بتقرير خاص)

ممثلين عن كردستان ان تضعهم تحت حمايتها ، وان تربطهم بالعراق لكي لا يفقدوا فوائد مثل هذه الرابطة ، وهم يطلبون الى الحاكم المدني العام في العراق ان يرسل اليهم ممثلا عنه لمد يد المساعدة اللازمة لتمكين الشعب الكردي من احراز التقدم بصورة سلمية وعلى اسس مدنية باشراف بريطانيا ، والحكومة اذا ساعدتهم ، وحمتهم ، يتعهدون لها بقبول اوامرها وارشاداتها " وقد ارسل الكولونيل ولسون للشيخ محمود رسالة مآلها[١٣]: " ان الحكومة البريطانية تعضده من الناحية الادبية ، ولا تعارض من يريد الانضمام اليه من القبائل الكردية الممتدة من الزاب الكبير الى ديالي عدا الذين يقطنون الاراضي الايرانية ، وانه ، الشيخ محمود ، انما يحكم هذه المنطقة كممثل للحكومة البريطانية التي يجب ان تنفذ تعليماتها وتحترم . "

ولكن السلطات البريطانية ، بعد ان وطدت نفوذها في السليمانية ، ارادت ان تحد من نفوذ الشيخ محمود . وادرك هو النوايا البريطانية فاعلن العصيان واحتل السليمانية في ٢١ ايار سنة ١٩١٩ . ولكن القوات الانكليزية تغلبت عليه ، بعد خسائر جسيمة ، واسرته . وحكم عليه بالاعدام ، ثم ابدل هذا الحكم بالسجن المؤبد ، ونفي الى الهند حيث اقام عام ١٩١٩ .

وعند تاسيس الحكومة "الموقتة" في العراق في تشرين الثاني سنة ١٩٢٠ ظل المعتمد السامي البريطاني محتفظا بالسيطرة على المنطقة الكردية سيطرة مطلقة . غير ان السلطات البريطانية اخذت تلمس صعوبة انشاء دولة كردية منفصلة تماما عن المناطق التركية من النواحي الجغرافية والاقتصادية والسياسية ، وان فصل المنطقة الكردية في العراق عن العراق معناه فصل منتوجات كردستان من اسواقها الطبيعية في بغداد والموصل ، وهذا ما يهدد مصالح الاكراد انفسهم ، ويعود عليهم بالضرر (١٤) . ولهذا اصدر المعتمد السامي في ٦ ايار سنة ١٩٢١ البيان التالي (١٥):

" ينظر المندوب السامي نظرا فعليا في التدابير الادارية الواجب اتخاذها في المستقبل بحق ادارة المناطق الكردية في العراق وقد بلغه ان هناك مخاوف تساور القلوب من احتمال الحاقهم بحكومة بغداد الامر الذي الجا البعض الى المطالبة بنظام استقلالي ، وبلغه في الوقت نفسه ان قادة الراى الكردي العام يشعرون بالروابط الاقتصادية والصناعية التي تربطهم بالعراق ، ففي هذه الحالة يرغب فخامة المندوب ان يحصل - ان امكن - على ما يشير الى اماني الكرد الحقيقية فان كانوا يفضلون البقاء في كنف الحكومة العراقية فانه مستعد لان يقترح على مجلس الدولة بحل على الوجه الآتي :

---

(١٠) انظر مين ص ١٣٤ .

(١١) الحسني ، ج ٣ ، ص ٢٨٢

(١٢) المصدر نفسه ، ص ٢٨٢

(١٣) [illegible]

١ - فيما يتعلق بالمناطق الكردية الواقعة في لواء الموصل، والداخلة ضمن حدود الانتداب البريطاني يشكل لواء فرعي، يتالف من اقضية زاخو وعقرة ودهوك والعمادية على ان يكون مركزه (دهوك) وان يكون تحت هيمنة معاونة متصرف بريطاني، ويكون القائمقامون بريطانيين، على ان يحل محلهم موظفون من الكرد والعرب، الذين يحسنون اللغة الكردية ويرضى عنهم الاكراد، ويذعن هذا اللواء الفرعي في شؤونه المالية، والقضائية، الى حكومة بغداد الوطنية، ويرسل بالطبع ممثلين عنه الى الجمعية التاسيسية، ولكنه في الامور المتعلقة بالادارة العامة يراجع القائمقامون المتصرف كما ان التعيينات الادارية يقوم بها المندوب السامي بمشاورة الحكومة المحلية.

٢ - سيدبر المندوب امر اشراك الضباط البريطانيين في ادارة اربيل، وكويسنجق، وراوندوز، وينال تعهدا بمراعاة رغبات الاهلين في امر تعيين موظفي الحكومة. اما تفاصيل ذلك فتوضع حالما تسمح الحالة.

٣ - تعامل السليمانية كمتصرفية يحكمها متصرف شورى على، ان يعين من قبل المندوب وان يلحق به مستشار انكليزي، ريثما يتم تعيين المتصرف، يقوم الحاكم السياسي مقامه، ويخول المتصرف من السلطات ما يوافق عليها المندوب، بعد استشارة المتصرف ومجلس الدولة، ويكون القائمقامون في الوقت الحاضر بريطانيين، على ان يحل محلهم اكراد حينما يتوفر رجال اكفاء لهذه الغاية." (١٥)

وقد قبل الاكراد القاطنون في لوائي الموصل واربيل، فاصبحوا من العراقيين، واما اكراد السليمانية فقد رفضوا فكرة الانضمام الى العراق، فظل هذا اللواء تحت السلطة البريطانية يحكمه موظف بريطاني مسؤول امام المندوب السامي، ويعاونه مجلس ملي منتخب (١٦). وعندما شرع بالاستفتاء العام لانتخاب سمو الامير فيصل بن الحسين ملكا على العراق امتنع اكراد السليمانية عن التصويت، وطالب جماعة من اكراد كركوك باقامة دولة كردية الا انهم لم يقبلوا الانضمام الى السليمانية، واما اكراد الموصل واربيل فقد صوتوا الى جانب انتخاب الامير فيصل الا انهم اشترطوا ان تمنحهم الحكومة الحكم اللامركزي، كما اشترطوا كذلك بانه اذا تحقق ما جاء في المادة ٦٤ من معاهدة سيفر فلن يكونوا ملتزمين بانتخابهم هذا (١٧). يقول السيد عبد الرزاق الحسني (١٨): واليه هذا يعزى ان نتيجة الاستفتاء كانت ممثلة في ٩٦ بالمئة بدلا من ١٠٠ بالمئة.

---

(١٣) المصدر نفسه ص ٢٨٢ - ٨٣.

(١٤) انظر تقرير خاص ص ٢٥٣.

وفي هذه الاثناء اعيد الشيخ محمود الى السليمانية فاخذ يستعيد نفوذه ، ويستجمع قواه ، واعلن الثورة في عام ١٩٢٢ ، وسمى نفسه ملك كردستان ، وأُلف وزارة قومية . ولكن القوات البريطانية تمكنت من احتلال السليمانية ، فلاذ الشيخ بالفرار . ولما عقد بروتوكول ٣٠ نيسان ١٩٢٣ ، بين العراق والحكومة البريطانية ، عدل نهائيا عن ابقاء منطقة السليمانية تحت سيطرة المعتمد البريطاني ، وجعلت لواء كبقية الالوية العراقية ، تديره وزارة الداخلية ، وتراعي حسيات الكرد بتعيين موظفين من الشبان الاكراد .

وتوتر الموقف من جديد ، واخذ اهالي السليمانية يجلون عنها ، فعاد اليها الشيخ محمود ، واحتلها في ١١ تموز ١٩٢٣ . ولكن الجيش العراقي تمكن ، بمساندة قوة من السلاح الجوي البريطاني ، من اعادة احتلال السليمانية في تموز ١٩٢٤ ، وعاد الاهلون الى منازلهم . وبقي الشيخ محمود في الجبال المجاورة يجبي الاتاوة من المارة، ويهاجم القبائل بين الفينة والفينة .

وفي اوائل شهر كانون الثاني ١٩٢٥ اوفدت عصبة الامم لجنة للتحقيق في الخلاف التركي العراقي حول منطقة الموصل . وقد ذكرت اللجنة في تقريرها الموضوع الى عصبة الامم ما يلي(١٩) : "يجب مراعاة رغبات الاكراد فيما يخص تعيين موظفين اكراد لادارة مملكتهم ، وترتيب الامور العدلية والتعليم في المدارس، وان تكون اللغة الكردية اللغة الرسمية في هذه الامور ." وعندما قررت عصبة الامم ابقاء المنطقة المتنازع عليها للعراق ، جزء لا يتجزأ منه ، اشترطت على الحكومة البريطانية ما يلي(٢٠) : "تدعى الحكومة البريطانية بصفتها الدولة المنتدبة ، الى ان تعرض على المجلس التدابير التي ستتخذ من اجل ان تؤمن للاكراد من اهل العراق التعهدات المتعلقة بالادارة المحلية التي اوصت بها لجنة الحدود في استنتاجاتها الاخيرة ." وقد قامت الحكومة العراقية بتنفيذ هذه الشروط ، ويستدل على ذلك مما جاء في المذكرة المؤرخة في ٢٤ شباط ١٩٢٦ التي قدمتها الحكومة البريطانية الى مجلس العصبة، وعندما احيلت هذه

---

(١٥) الحسني ج ٣ ، ص ٢٨٣ — ٢٨٤ ، وراجع النص الانكليزي في "تقرير خاص" ، ص ٢٥٣ — ٤

(١٦) انظر "تقرير خاص" ، ص ٢٥٤

(١٧) المصدر السابق ، ص ٢٥٤

هذه المذكرة الى "لجنة الانتدابات الدائمة" ايدت هذه اللجنة قيام العراق بالواجبات التي طلبت العصبة اليه ان يقوم بها . وفيما يلي اهم ما جاء في هذه المذكرة (٢١) :

" ان ثلاثة واربعين، من مجموع سبعة وخمسين ، موظفا المستخدمين من قبل وزارتي المالية والداخلية في المناطق الكردية هم اكراد . بينما هناك تسعة موظفين بصورة تدريجية في عدد الموظفين غير الاكراد المستخدمين في مناطق كردية . وان سياسة استخدام الاكراد فقط، دون غيرهم ، حيثما يوجد من له اهلية ورغبة في الاستخدام ، جارية بكل مواظبة . " "وتستخدم وزارة العدلية ثلاثة عشر موظفا (حكاما وروساء كتبة) في المناطق الكردية ، عشرة منهم اكراد ، وتجرى المرافعة باللغة الكردية . وتحرر محاضر الجلسات في السليمانية وكوى سنجق التابع الى لواء اربيل بالكردية . وتربط بها الترجمة العربية عند احالة الدعوى الى محكمة الاستئناف او محكمة التمييز ، ويستخدم ستة موظفين اكراد في عين الوظائف في مناطق غير كردية ." " ويأخذ الاكراد حصتهم في الاشتراك في ادارة الحكومة المركزية ، فان عينين من مجموع عشرين عينا هما كرديان (لان الاخرين نصف اكراد) واربعة عشر مندوبا من مجموع ٨٨ هم اكراد وان وزير المالية هو كردى . كما ان وزير الاشغال والمواصلات كذلك ." "ويوءلف الكرد نحو ٧ بالمئة من مجموع سكان البلاد ، وان ٢٤ بالمئة من مجموع قوة الشرطة هم اكراد ، وفي الجيش يوءلفون ١٤ بالمئة ، في حين ان ٢٣ بالمئة من مستخدمي السكك الحديدية هم اكراد ، ويبلغ مجموع الافراد المستخدمين في الشرطة ، والجيش ، والسكك الحديدية ، ما ينيف على (٢٠،٠٠٠) منهم اكثر من (٤،٠٠٠) او ٢٠ بالمئة اكراد ." . "ويوجد في المناطق الكردية خمس وعشرون مدرسة ، منها خمسة مختصة بالمسيحيين ، وتستعمل فيها اللغات الكلدانية والعربية . اما لغة التعليم في الستة عشر مدرسة المتباقية ، فهي الكردية . ان اللغة الرئيسية للتعليم في المدارس الاربع الباقية ، حيث تتالف تلامذتها من نصارى واكراد هي العربية . على ان تستعمل الكردية للايضاح بكل حرية ."

....

(١٨) الحسني ج ٣ ، ص ٢٨٤ . يقول : Philip Willard Ireland, "Iraq: A study in Political Development", (London, 1937),

ص ٣٣٤ ، حاشية ٣ : "من الصعب معرفة كيفية الحصول على هذه النسبة ، حيث ان سكان كركوك بحسب احصاء ١٩١٨ ــ ١٩ او بموجب احصاء ١٩٣٠ يكونون ٦ بالمئة من نفوس العراق ما عدا لواء السليمانية ." (وساشير الى هذا المصدر فيما بعد بايرلاند .)

(١٩) الحسني ج ٣ ، ص ٢٨٩ . وانظر كذلك "تقرير خاص" ص ٢٥٩ .

(٢٠) الحسني ج ٣ ، ص ٢٧٩ . وانظر كذلك " تقرير خاص " ، ص ٢٥٩ .

(٢١) الحسني ج ٢ ، ص ١٢٤ ــ ١٢٥ .

وقد تفرغت الحكومة لانهاء امر الشيخ محمود ، فارسلت قوة من الجيش احتلت قريته بنجوين، في ٢٠ نيسان ١٩٢٧ ، واضطرته في حزيران ١٩٢٦ ،على قبول شروط الحكومة التي مؤداها : ان يغادر العراق ولا يعود اليه الا بترخيص من الحكومة ،وان ترجع اليه املاكه ،وتعفو الحكومة عن عدد من اتباعه .(٢٢)

ربما يبدو من هذا العرض السريع لتطور القضية الكردية ان القائمين على ادارة دفتها هم من الشيوخ والاقطاعيين فحسب ،الذين الفوا التفرد بشؤونهم ،ومارسوا التحكم في اتباعهم ،واعتادوا الاستقلال وعدم الخضوع للسلطة المركزية . ولكن القضية تكون مشوهة ناقصة اذا فهمت على هذا الشكل . فالحقيقة ان الشباب الكردي المتعلم الناهض ،المؤمن بالقومية الكردية ،وعلى الاخص في المدن الكردية الكبرى السليمانية واربيل ،اشترك في الحركة اشتراكا فعليا ،وساهم في حمل العامة على المطالبة بالاستقلال . وما كانت القضية لتتوقف على ثورات الشيخ محمود فحسب ،والتي كانت مبنية على دوافع شخصية اكثر مما هي قائمة على المفاهيم القومية ،بل انها امتدت حتى شملت جماعات كبيرة من الاكراد في مختلف المدن الكردية . كان بعض المشتغلين في القضية الكردية مخلصين في مسعاهم ،وكان بعضهم يستغلون الحركة لمصالحهم الخاصة ،وكان بعضهم مؤجرين للانكليز . ففي شهر شباط من عام ١٩٢٩ قدم ستة من نواب الاكراد في المجلس النيابي عريضة الى رئيس الوزراء طالبوا فيها بما يلي :

١- تزييد نفقات المعارف في كردستان .

٢- تاليف وحدة كردية تضم السليمانية واربيل وكركوك ولواء اخر يكون جديدا من الاقضية الكردية في لواء الموصل ،وان يتولى امر هذه الوحدة الادارية مفتش كردي عام ،يكون الصلة الوحيدة بين هذه المنطقة وبين حكومة بغداد .

٣- تزييد نفقات المصالح العامة في كردستان(٢٣)

وقد استنكر رئيس الوزراء والمندوب السامي البريطاني ما جاء في هذه العريضة

---

(٢٢) انظر "تقرير خاص" ، ص ٢٦٠

(٢٣) الحسني ج ٣ ص ٢٩٠ . وراجع كذلك "تقرير خاص" ص ٢٦٢ .

بشان تكوين وحدة كردية من المناطق الكردية · وفي الوقت نفسه اوعزت الحكومة بازالة اسباب الشكوى، ومن ذلك انها شرعت قانونا يجعل اللغة الكردية لغة رسمية في الاقضية التي يكون الكرد فيها الاكثرية الساحقة ·

وهدأت الحالة قليلا · ولكن عندما شرع في المفاوضات التي اسفرت عن عقد المعاهدة العراقية - البريطانية الرابعة في ٣٠ حزيران ١٩٣٠ ، كان الاكراد يأملون ان تحتوى هذه المعاهدة على نص يضمن لهم حقوقهم التي اشارت اليها عصبة الامم في القرار الذى اتخذته عندما قررت ابقاء منطقة الموصل للعراق · فلما نشر نص المعاهدة ، وكانت خالية من كل ما يتعلق بالقضية الكردية ، ثار ثائرهم ، وشرعوا يرسلون العرائض والاحتجاجات الى عصبة الامم والى دوائر المندوب السامي في بغداد · اما لجنة الانتدابات الدائمة في عصبة الامم فقد ردت عرائض الاكراد وخاصة ما يتعلق منها بانشاء دولة كردية تحت اشراف عصبة الامم ، واوصت مجلس العصبة بما يلي : "(١) ان يرد عريضة وجوه الاكراد ، ما يتناول منها غرض تاليف حكومة كردية تحت اشراف عصبة الامم · (٢) ان يطلب الى الدولة المنتدبة ان تلاحظ فيما اذا كانت التدابير التشريعية والادارية التي وضعت لتضمن للاكراد الوضعية التي هم اهل لها ، ينظر اليها بنظر الاعتبار ، وتوضع قيد التنفيذ دون اى نقص او تماهل · (٣) ان ينظر في حكمة اشتراط اتخاذ التدابير التي تضمن للاكراد بقاء مثل هذه الوضعية اذا ما تخلص العراق نهائيا من وصاية الدولة المنتدبة".(٢٤) واما وكيل المندوب السامي فقد اصطحب وكيل رئيس الوزراء وقاما بجولة في المناطق الكردية ، وألقيا الخطب مبينين حسن نوايا الحكومة العراقية تجاه الكرد ، ورغبتها الشديدة في ترقية احوالهم واعمار بلادهم ، فهدات الحالة ردحا من الزمن لتنفجر في السليمانية بشكل عنيف · ففي يوم ٦ ايلول سنة ١٩٣٠ دعي حوالي ٣٠ وجيها من وجوه السليمانية الى الاجتماع في سراى الحكومة لانتخاب الهيأة التفتيشية لانتخاب المجلس النيابي الجديد · فهاجم جمهور من سكان السليمانية المجتمعين ورموهم بالحجارة وحطموا ٥٣ نافذة من نوافذ السراى ، فاستعان المتصرف بالشرطة والجيش · ووقع اصطدام بين المتظاهرين وقوات الحكومة اسفر عن قتل ١٤ شخصا من الاهلين وجندى واحد

---

(٢٤) الحسني ج ٣ ، ص ٢٩١ · وراجع " تقرير خاص" ، ص ٢٦٤

وجرح ٢٣ شخصا من الاهلين ، و ٣ من الجنود ، و ١٠ من الشرطة[٢٥] . واستغل الشيخ محمود هذه الفتنة . فنقض عهده للحكومة ، ودعا القبائل الكردية للانضمام اليه ، وكتب الى المعتمد البريطاني في بغداد يطالب بتخلي الحكومة العراقية عن المنطقة الممتدة من خانقين الى زاخو ، واقامة دولة كردية تحت الانتداب البريطاني الى حين تعطي عصبة الامم قرارها النهائي[٢٦] . وارسلت الحكومة جيشها لاخضاعه . وفي ١٣ ايار سنة ١٩٣١ اضطر الشيخ للاستسلام الى الحكومة العراقية ، فجيء به الى بغداد ، وابعد الى السماوة فالناصرية ، فعنه ، ثم سمح له اخيرا بالاقامة في بغداد . فلبث فيها الى شهر ايار ١٩٤١م[٢٧] ولم يكد يمضي غيرعام على القضاء على ثورة الشيخ محمود في السليمانية حتى ثار الشيخ احمد البارزاني في ربيع عام ١٩٣٢ . ولم تتمكن الحكومة من اخماد ثورته الا بعد تضحيات جسام ، ولكن الشيخ احمد وجماعة من اتباعه هربوا عبرالحدود وسلموا انفسهم للسلطات التركية .

ان هذه الثورات الدموية المتواصلة التي ازهقت فيها ارواح المئات من رجال الحكومة ومن الثوار ، والتي عطلت تقدم كردستان السلمي فتره من الزمن ، وهذه الاحتجاجات والمطالبات بالاستقلال والمساواة ، التي كانت تنهال على الحكومة العراقية ودار الاعتماد في بغداد ، وعلى مجلس عصبة الامم في جنيف ، لم تذهب دون ان تحقق بعض النتائج النافعة لكردستان . وقد كانت الحكومة العراقية امينة الى حد ما على تطبيق ما جاء في الدستور من اعتبار العراقيين جميعا مواطنين متساوين في الحقوق . فانشات المدارس في كردستان حيث يتلقى الطلاب علومهم باللغة الكردية ، وجعلت لغة المرافعات في المحاكم اللغة الكردية ،

---

(٢٥) المصدر السابق ، ص ٢٦٥

(٢٦) المصدر نفسه ، ص ٢٦٦

(٢٧) لم يكن اسكان الشيخ محمود في بغداد نهاية المطاف لهذا الثائر الذي اتخذ الثورة على الحكومة العراقية في بغداد حرفة له ، والذي كانت تهمه الزعامة والسيطرة الشخصية والمنافع الذاتية اكثر مما يهمه استقلال الاكراد ، والذي اتخذه الانكليز "صديقا" يعينهم وقت الحاجة ، وينتفعون به كلما اشتد ضغط الوطنيين العرب عليهم ، وكلما قويت الحركة التحررية في البلاد . تقول السيدة Freya stark في كتابها "East Is west" المطبوع في لندن في ايلول ١٩٤٥ ، ص ١٨٤ "اثناء اضطرابات ايار ١٩٤١ (تقصد ثورة رشيد عالي الكيلاني) هرب (تعني الشيخ محمود) من بغداد وعاد الى جباله ، واخذ يثير قبائله ، ولكن في صالح البريطانيين المحاصرين هذه المرة . وقبل ان يتمكن من عمل اى شيء عادت الى الحكم في العراق حكومة صديقة ، ولكن الشيخ كان عازما على المضي في ثورته ،

بغد تغير

وفتحت ابواب الخدمة في الدوائر الحكومية امام الاكراد ، ويسرت لشبانهم الدخول الى جميع الكليات والمدارس الحكومية في بغداد ، وقامت باصلاحات اقتصادية واجتماعية وادارية تعدل ما قامت به في المناطق العربية من العراق . وان كانت الاصلاحات التي قامت بها الحكومة ، سواء في المناطق العربية او الكردية ، ضئيلة بالنسبة لحاجات السكان ومتطلبات العصر الحاضر . وهدات الحالة في كردستان ، او كانت تبدو هادئة ، فقد حصل النوريون الاوائل على مناصب رفيعة في الدولة فاصبح منهم الوزراء والنواب والاعيان والموظفين الكبار ، واستقر معظمهم في بغداد والفوا حياتها المتحضرة الرخية ، ووالوا الحكومة وايدوها ، واصبح قسم كبير منهم يفضلون ان يكونوا وزراء ونوابا وموظفين كبارا في دولة كبيرة عاصمتها بغداد على ان يكونوا زعماء لدولة محدودة المساحة ، عتيقة المدن ، قليلة الخيرات . وان كان بعض هؤلاء ما زالوا يستغلون القضية الكردية ، ويلوحون بظلامة الاكراد بين حين واخر ، تقوية لنفوذهم عند الاكراد ، وتخويفا للحكومة للحصول على ما يريدون . وقد استطاعت الحكومة ان تستميل الى جانبها قسما كبيرا من الاقطاعيين والشيوخ والاغوات والمتنفذين ، وقوت نفوذهم ، وثبتت سيطرتهم وزادت ثرواتهم ، وهنا أخطات الحكومة ، وما كان لها الا ان تخطيء بحكم طبيعة تكوينها ، فبدلا من ان تصلح احوال الاكراد عامة وتسبغ رعايتها عليهم جميعا ، وتخلق منهم مواطنين راضين باحوالهم مؤيدين لها ، اهتمت بنفر من المتنفذين المحظوظين فافسدت عليها قلوب العامة .

خلال الحرب العالمية الثانية ازدادت الاوضاع الاجتماعية والاقتصادية في كردستان حدة وتناقضا ، كما حصل في مناطق العراق الاخرى . فقد ساءت احوال معظم الناس الاقتصادية ، وضاقت بهم سبل العيش ، فالمناطق الجبلية لا تنتج من الحبوب ما يكفي حاجة السكان ، وقد اصبح استيراد الكميات اللازمة من الحبوب ، في زمن الحرب ، صعب التحقيق لفقر الفلاحين الاكراد ، وعدم وجود منظمة للغذاء ، وعدم تيسر المواصلات . واثر فيهم ما ذاع زمن الحرب من دعايات تدعو الى الاصلاح الاجتماعي ، وانصاف العامة من الناس ، والقضاء على شرور العصور الغابرة . ومما اثر في الراى العام الكردى بصورة خاصة الحركات السياسية التي حدثت في المناطق الكردية الايرانية حيث تخلص الاكراد من السيطرة الايرانية منذ ان

رغم تغير الصفة الجوهرية لهدفه ، لولا ان بذلت محاولات مجهدة لارجاعه عن عزمه ". وهو الان يعيش في السليمانية مكرما . وقد اصبح احد ابنائه (بابا علي) وزيرا ، والاخر نائبا .

احتل الحلفاء ايران في عام ١٩٤١ ،واسسوا جمهورية كردية في ايران على مقربة من المناطق الكردية في العراق . يضاف الى هذا اثر المثقفين الاكراد في بعث الوعي القومي عند جماهير شعبهم ،وتنبيههم الى المساوئ الادارية التي يعانونها ،والظلم الاجتماعي الذي يكابدونه.[٢٨] كل هذه العوامل زادت التفكير السياسي عند الاكراد حدة واتساعا وعمقا . ففي تموز ١٩٤٣ هرب الزعيم البارزاني الملا مصطفى من السليمانية ،حيث كان مقيما فيها اقامة اجبارية بعد عصيانه على الحكومة عام ١٩٣١ ،واعلن الثورة على الحكومة في منطقته بارزان ،وهاجم مخافر الشرطة في منطقة الحدود . وقد تجمع حوله كثير من الاكراد ،ولكن الحكومة توصلت الى اتفاق معه ،ووعدته باصلاح ما يشكو منه سوء الحالة في منطقته . فعندما عدل السيد نوري السعيد وزارته ادخل فيها السيد ماجد مصطفى ،وهو من رجالات الاكراد المعروفين ،وزيرا بلا وزارة ،وعهد اليه بمهمة احلال السلام في المنطقة الكردية ،وازالة ما يشكو منه الاكراد . وكان من نتيجة مساعي السيد ماجد مصطفى ان قدم الملا مصطفى يصحبه جماعة من الزعماء البارزانيين الى بغداد في كانون الثاني وشباط ١٩٤٤ ،ليقدموا ولاءهم لسمو الوصي على العرش . وتنطوى الاتفاقية التي توصلت اليها الحكومة مع الملا مصطفى على ان يسكن هو خارج المنطقة البارزانية ،وان يسمح لاخيه الشيخ احمد ،الذى كان منفيا في الحلة ، بالعودة الى منطقته ،وان يعاد تاسيس مخافر الشرطة في المنطقة البارزانية ،على ان تنسحب منها وحدات الجيش العراقي . على ان ما حققته الحكومة من تعهداته لم يرض التائر البارزاني ،فاعلن ثورته الثانية في ١٥ آب ١٩٤٥[٢٩] ،وحشدت الحكومة معظم قواتها للقضاء على حركته ،والبت عليه القبائل الكردية الموالية لها ،فلم يجد بدا ،امام هذا الضغط المتعاظم ، من الالتجاء الى ايران .

---

(٢٨) يقول السيد حوراني ،ص ٩٨ - ٩٩ "لم يقم الاكراد باية ثورة بين عامي ١٩٣٢ و ١٩٤٣ ، وان ظلوا متذمرين ،غير راضين بتقبل سلطة الحكومة . ويعود هذا التذمر لسببين رئيسين : اولهما نمو الشعور القومي الكردى الذى يعود الى الظهور التدريجي لطبقة من المثقفين الاكراد من جهة موالى رد الفعل الطبيعي ضد الوحدة العربية من جهة اخرى . وقد يكون للتشجيع الذى قدمه الفرنسيون للشعور القومي الكردى في الجزيرة السورية ،والروس للاستقلال الذاتي الكلدى في القفقاس ،بعض التاثيرعلى نمو هذا الشعور القومي ،وان كان هذا التاثير محدودا . اما السبب الثاني ،الذي هو اكثر اهمية ،فيجب ان نبحث عنه فيما كانت تشكو منه القبائل الكردية من حيف ادارى خاص . فلم تقم الحكومة الا باضعف المحاولات لتطبيق القوانين التي صدرت في فترة الانتداب . ودرجت الدوائر الحكومية في بغداد على تجاهل مطاليب المقاطعات النائية عن العاصمة . ولم يكن للاكراد وسيلة

وفي ايران ساعد في اقامة الجمهورية الكردية (٣٠) ، وحارب الحكومة الايرانية دفاعا عنها . فلما انهارت هذه الجمهورية جمع اعوانه واجتاز الحدود العراقية . على ان الحكومة العراقية كانت متاهبة له فاستسلم قسم من جماعته الى الحكومة ، وبينهم اخوه الشيخ احمد وبعض الضباط وكثير من النساء والاطفال والعاجزين . وتراجع هو ومن بقي من اعوانه ، واجتاز الحدود التركية الايرا ـ نية ، والتجا الى اذربيجان السوفيتية ، وما يزالون فيها . وقد اعدمت الحكومة عددا من الضباط المستسلمين ، وسجنت جماعة من المحاربين ، يقدر عددهم بحوالي الالفين ، واعادت الباقين الى قراهم المهدمة ، وحقولهم المحروقة المقفرة ، وبيوتهم التي دمرتها الطائرات ، وخصصت مبلغا من المال لاعاشتهم ، ومساعدتهم على استئناف حياتهم .

هل حلت القضية الكردية حلا نهائيا مرضيا ؟ ان القاء نظرة سريعة على الحركات السياسية في كردستان تساعدنا على اجابة هذا السوال . هنالك حركات سياسية ، مختلفة الغايات والاساليب ، يقوى اثرها على الدوام بين المثقفين ، ويزداد نفوذها على العامة من الشعب الكردى ، وان كانت بعض هذه الحركات تعمل في الخفاء ، ولا تستطيع ان تعلن عن نفسها جهارا . فالشيوعيون الذين قويت حركتهم وازدادوا عددا منذ الحرب العالمية الثانية ينادون بان السبب الرئيسي لما يعانيه الشعب الكردى من اوضاع سيئة ، ومستوى عيش بائس منحط ، وسوء في الادارة ، هو النفوذ البريطاني والرجعية المحلية الموءتمرة بامره ، الموالية له . وان ادراك اماني الاكراد لا يتحقق الا بتوحيد القوى مع المناضلين من عرب العراق ، الذين يشكون من الحالة السيئة ، ويعانون التاخر والفاقة والحرمان ذاته .

لاسماع اصواتهم للحكومة بصورة موءثرة ، وارغامها على الالتفات لحاجاتهم . لقد اخفق الموظفون العرب في المناطق الشمالية على العموم ، في تفهم عقلية الاكراد ومطاليبهم ، (بينما نجح الموظفون الاكراد في المناطق العربية ، غالبا ، نجاحا ممتازا) . وربما كانت الهوة بين الادارة والشعب على اوسع ما تكون في لواء الموصل ، حيث تخضع الادارة ، الى حد كبير ، لنفوذ العرب من سكان الموصل نفسها . ويبدو اهمال الحكومة في كل نواحي الحياة . فالمدارس قليلة ، والموجود منها معد ، بصورة عامة ، للتعليم باللغة العربية ولم تقم الحكومة بعمل اى شيء لتحسين الزراعة ، وتوسيع الاراضي المزروعة ورفع مستوى العيش . "

(٢٩) انظر وليامس ص ٣٣ ـ ٣٤ .

(٣٠) اقيمت هذه الجمهورية الكردية في مهاباد ، وانتخب قاضي محمد رئيسا لها في ٢٢ كانون الثاني سنة ١٩٤٦ . وبعد ان اعادت الحكومة الايرانية احتلالها لاذربيجان ، القت القبض على قاضي محمد ، وحكمت عليه بالاعدام . وقد شنق في ٣١ آذار ١٩٤٧ . انظر "الشرق الاوسط" ص ٥٩ .

وبعد ان يتحرر العراق نهائيا من كل نفوذ خارجي ،ومن كل تسلط للرجعية في الداخل يقرر الشعب الكردى ما اذا كان يبغي الاستقلال التام ،او الاستقلال الذاتي ضمن حدود المملكة العراقية ،او يبقى على وضعه الحالي جزءا غير منفصل من الدولة العراقية . وكانوا يصدرون جريدة سرية بعنوان "آزادى" اى التحرر . ونفوذهم قوى في السليمانية واربيل وكويسنجق وما حولها من قرى . وهنالك جماعة اخرى ،من المتحمسين للقومية الكردية ، يدعون الى الاستقلال ،وينادون بادخال الاساليب الديموقراطية في الادارة ،والقيام بالاصلاحات الاقتصادية والاجتماعية وكانوا يصدرون جريدة سرية بعنوان "رزكارى" اى النجاة . ويلتف حول هذه الجماعة طائفة من الشبان المتعلمين في المدن الكردية ،وقسم من الاقطاعيين الناقمين على الحكومة ،ونفر من الثوريين القدماء .

من هذا يتضح ان جواب السؤال الذى قدمته في اول هذه الفقرة يتوقف على مدى عزم الحكومة على ادخال الاصلاحات الجذرية في كردستان ،والتي تتناول حياة عامة الشعب الكردى الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ،فالقضية اذن ،اذا تجاوزنا الروح القومية عند الاكراد ،هي جزء من المشاكل العديدة التي ساعالجها في الفصول القادمة .

(ج) الاتراك .

يبلغ عدد الاتراك حوالي (١٠٠،٠٠٠) نسمة . وهم يسكنون في الالوية الشمالية ، في المساحة الضيقة بين المنطقة الكردية الواقعة في الشمال والشمال الشرقي والمنطقة العربية الواقعة في الغرب والجنوب الغربي ،وتبدا هذه الساحة من تلعفر الكائنة في شمال غربي الموصل وتمتد نحو القرى الكائنة في الجنوب الشرقي من الموصل وتمر من اربيل والتون كبري وكركوك وخانقين وتنتهي في جوار مندلي . و "هم يتصلون بالقرابة العنصرية بالاتراك العثمانيين ،ولعلهم من بقايا الاتراك الذين اتي بهم الخلفاء العباسيون في القرن الثالث للهجرة لتاييد دولتهم ،وبعضهم من بقايا الاتراك السلاجقة ." (٣١) واغلبية الاتراك فلاحون ، ومنهم من يسكنون المدن ويشتغلون بمختلف الحرف ،ومنهم عدد كبير في مختلف دوائر الحكومة . وليست لهؤلاء الاتراك مشاكل قومية خاصة ،ولا مطامح انفصالية . ولئن كان بعض شبانهم المتعلمين يحملون ميولا تورانية ،ويتغنون بامجاد تركيا الكمالية ،ويقراون صحفها وادابها فان ذلك لا يتعدى الميل العاطفي ،والاعجاب بامة يمتون اليها بقرابة العنصر .

(د) الفرس .

لا علاقة للفرس المقيمين في العراق في الوقت الحاضر بالفرس الذين حكموا العراق قبل الفتح الاسلامي ، او الفرس الذين استعان بهم العباسيون على ادارة البلاد . وكان لهم في الدولة العباسية نفوذ عظيم . وانما هاجر هؤلاء الى العراق منذ عهد قريب . بعضهم جاء ليشتغل في التجارة وفي بعض الحرف الاخرى ، ويسكن معظم هؤلاء في بغداد والكاظمية وبعضهم جاء لبواعث دينية وهم يسكنون في الكاظمية والنجف وكربلاء وسامراء . والفرس جالية صغيرة[٣٢] . وهم كقومية لا يشكلون معضلة قومية او اجتماعية ، وليست لهم مطاليب قومية خاصة . وفي كل سنة يفد الى العراق عشرات الالوف من الزوار الايرانيين ، نساء ورجالا ، لزيارة العتبات المقدسة في كربلاء والنجف والكاظمين وسامراء .

(هـ) الارمن .

كان قسم من الارمن يسكنون في العراق قبل الحرب العالمية الاولى ويشتغلون في التجارة وبعض الحرف الاخرى . ولكن عددهم ازداد منذ اواخر تلك الحرب على اثر المذابح والاضطهاد الذى حل بهم في تركيا . وقد سكن معظمهم في المدن الكبرى وعلى الاخص في الموصل وبغداد والبصرة . ويسكن قسم منهم في شمال الموصل ويشتغلون في الزراعة . ولا يعرف عدد نفوس الارمن الساكنين في العراق بالضبط ، وقد قدر السيد طه الهاشمي عددهم بثلاثين الف شخص[٣٣] . وللارمن عدد من المدارس والنوادى الخاصة تديرها جمعيات اهلية ، كما لهم كنائس في بغداد والموصل . وقد رحل قسم منهم الى ارمينية عام ١٩٤٨ ، وينتظر قسم من الباقين الترخيص لهم بالسفر . وارمن العراق عموما وادعون ، نشطون ، مسالمون .

(و) الكلدان .

من بقايا الاقوام القديمة التي كانت تسكن العراق قبل الفتح الاسلامي . وهم يسكنون الان في بعض القرى الكائنة في شرقي الموصل كالقوش وتلسقف وتلكيف ~~وبطنية~~ باطناية وبرطلة . كما يسكن قسم منهم بعض القرى في اقضية العمادية وزاخو وعقرة .

---

(٣١) حمادة ، ص ٢٧ .

(٣٢) تذكر وليامس ، ص ٤٦ حاشية ٢ ، ان عددهم ٦٥،٠٠٠ شخص .

(٣٣) المصدر نفسه ، ص ٨٥ .

وتوجد في تركيا بعض الجاليات الكلدانية في ديار بكر وسعرد وجزيرة ابن عمر . وهم يؤلفون اكثرية نصارى العراق[٣٤]. يشتغل معظم الكلدان في الزراعة . وقراهم ، ولا تزيد عن العشرة ، كبيرة عامرة ، في بعضها كنائس واسعة حديثة البناء ، وفي كل منها مدرسة ابتدائية واحدة او اكثر . وهم مجدون نشطون . وقد ضاقت حياة القرية عن نشاطهم فهاجر قسم منهم الى امريكا واصبح بعضهم من ذوى الثراء العريض هناك . وهاجر قسم كبير منهم الى مختلف انحاء العراق وخاصة بغداد والموصل والبصرة . كما دخل بعضهم في خدمة الحكومة واشتغل اخرون في التجارة . على ان اغلبيتهم يشتغلون في الفنادق والمطاعم والحانات .

يتكلم الكلدانيون اللغة السريانية وان كانت تختلف عن اللغة المكتوبة بعض الاختلاف بحكم اختلاطهم بالعرب وتاثرهم باللغة العربية . ومستقبل هذه اللغة ، في رايي غير مكين . فنهم جميعا تقريبا ، يتكلمون اللغة العربية الى جانب لغتهم الاصلية ، وذلك نتيجة لطرق المواصلات الحديثة التي زادت من احتكاكهم بالعرب ، وللمدارس التي يتعلم فيها اولادهم وبناتهم دروسهم باللغة العربية وللتجنيد الاجبارى الذى يجعل الشاب منهم يقضي مدة خدمته العسكرية في محيط عربي . وهم لا يتكلمون لغتهم الخاصة الا اذا خلا بعضهم الى بعض ، اما فيما عدا ذلك فهم يتكلمون اللغة العربية كمعظم سكان العراق . وارى انه لن تنقضي غير بضعة اجيال حتى ينسى الكلدانيون لغتهم ويصطنعون اللغة العربية في حديثهم .

<u>(ز) الاثوريون .</u>

يزعم الاثوريون انهم من سلالة الاشوريين القدماء . ولكن العلماء لم يقطعوا براى في اصلهم فقد جوز بعض المؤرخين انتسابهم الى القوم الذين سكنوا الجبال فيما مضى ونشا منهم الاكراد . كما يجوز السيد طه الهاشمي ان يكونوا من نصارى العراق القدماء الذين سكنوا اطراف الموصل ونزحوا الى الجبال في زمن الفتوحات الاسلامية ، وانفردوا عن النصارى الاخرين[٣٥]. ويذهب السيد حوراني الى انهم "يحتمل ان يكونوا من سلالة القبائل التي نزحت من السهول الى الجبال الشمالية اثناء الغزو المغولي ، وبقوا فيها الى عصرنا هذا ."[٣٦]. وهم مسيحيون من اتباع المذهب النسطورى ، ويتكلمون اللغة السريانية الارامية الممزوجة ببعض الالفاظ الاجنبية ، ويبلغ عددهم في العراق حوالي ٢٧٠٠٠ نسمة[٣٧]. كانوا يسكنون ، قبل الحرب العالمية الاولى جبال حكارى الواقعة في القسم الجنوبي الشرقي من تركيا ، وفي السهول الممتدة الى الغرب من بحيرة ارميا في فارس ، وفي الاراضي

---

(٣٤) المصدر نفسه ، ص ١٠٦ . وتعطي ولياس ، ص ٤٦ حاشية ٢ ، الارقام التالية عن عدد المسيحيين : الارثوذكس : ٢٠٫٦٨٨ ، الكاثوليك : ٣٣٫١٩٣ ، الطوائف الاخرى : ٤٧٫٦٠٩ .

(٣٥) الهاشمي ص ١٠٧ — ١٠٩ .

الواطئة الواقعة الى الجنوب من مقاطعة حكاري والتي تكون الان جزءا من العراق • وكانوا يشتغلون في الزراعة ولا يختلفون في حياتهم الاجتماعية عن الاكراد المحيطين بهم • وعندما اندلعت نيران الحرب العالمية الاولى ثار نساطرة حكاري على الاتراك ، واملين معونة روسيا • وعندما اخرجهم الاتراك من ديارهم انضموا الى جماعتهم النساطرة والى الروس في منطقة ارميا • على ان انهيار روسيا حطم مركزهم فاضطروا الى الهرب جنوبا الى همدان ، بعد ان قاوموا الاتراك ردحا من الزمن وهنالك نزع البريطانيون سلاحهم ، وارسلوهم الى مخيمات اللاجئين في بعقوبة ، وانفقوا عليهم طوال عامي ١٩١٨ و ١٩١٩ [٣٨] وقد استفاد منهم الانكليز استفادة عظيمة ، اذ جندوا زهاء الفين

استعانوا بهم على قمع الثورة العراقية في صيف سنة ١٩٢٠،

من شبانهم كما استعانوا بهم على مقاتلة القوات التركية غير النظامية التي كانت تغير على شمالى العراق [٣٩] ونظم الانكليز قوة منهم اطلقوا عليها اسم الليفي [٤٠] • كان هؤلاء الاثوريون يأملون في الرجوع الى موطنهم الاصلي • فلما قررت عصبة الامم ابقاء تلك المنطقة في تركيا ، وعندما اعلنت الحكومة التركية انها لن تسمح للاثوريين بالعودة الى ديارهم ، عزموا على اتخاذ العراق موطنا دائما • وقد ساعدتهم الحكومة العراقية واحسنت معاملتهم • فمنحتهم اراضي خصبة في اقضية العمادية وزاخو ودهوك وراوندوز ، واعترفت بالشاب مارشمعون رئيسا دينيا لهم ، وخصصت له راتبا قدره (٣٠٠٠٠) روبية يدفع له في نهاية كل شهر من خزينة الدولة [٤١] .

كانت قضية الاثوريين سهلة الحل ولكن شاءت سياسة الانكليز ومعونة بعض موظفيهم في العراق ، وبعض المؤسسات الدينية في اوربا ومطامع الاثوريين وهوس المتطرفين ، ووجود بعض المحرضين على الفتنة في صفوفهم ~~وبعض المؤسسات الدينية في اوربا~~ ، ان تخلق منها مشكلة تعقد حلها حتى انتهت في صيف عام ١٩٣٣ ، بذلك الشكل المؤسف المخزي • طالب الاثوريون ، بعضهم لا جميعهم ، بان تخصص لهم منطقة في الشمال يسكنون فيها جميعا ، وان يمنح لهم الحق بتاسيس حكومة ذات استقلال ذاتي داخل المملكة العراقية • وكلا المطلبين مسرف في التعسف مستحيل التحقيق • فما كان بامكان الحكومة ان تجد لهم منطقة صالحة للزراعة تضمهم جميعا الا اذا اجلت الاكراد من بعض قراهم • كما ان سكناهم في منطقة واحدة يزيد في طموحهم ، ويهدد سلامة الدولة وامن الاكراد • وعلى الاخص اذا علمنا ان الانكليز كانوا يمنحون الجندي المسرح عند انهائه الخدمة في الليفي بندقية ومئتي طلقة " حتى اصبح عدد هؤلاء عشرة الاف شخص ليسوا قادرين على حمل السلاح واستعماله فحسب بل ويملكون هذه السلاح بالفعل ، كما انهم اعتادوا النظام العسكري التام [٤٢] وقد اغتروا بمساعدة الانكليز لهم حتى اصبحوا

Harry Charles Luke, "Mosul And Its Minorities" (London, 1925), P. 93.

(٣٦) حوراني ، ص ٩٩ • وقد ذهب هذا المذهب

حيث يقول : "بعد ان سقطت الخلافة العباسية وعاصمتها بغداد على يد هولاكو انتقل البطاركة النسطوريين الى الشمال ووزعوا اوقاتهم بين الموصل وبين عاصمة هولاكو في اذربيجان ، مراغة او مرغة ، الواقعة الى الشرق من بحيرة ارميا ، والباعدة سبعين ميلا الى الجنوب من تبريز • ولكن

يشعرون بانهم الفاتحون الحاكمون للعراق . "وكانوا يكرهون العرب ويحتقرونهم بصورة عامة ويحتقرون الجيش العراقي بصورة خاصة ، وقد شجعهم على هذا ضباطهم من الانكليز ." (٤٣) . ولم يكتفوا بعداوتهم للشعب العراقي من ان يحيشوا معه في وئام . فقد اصطدموا مع اهالي الموصل في يوم ١٥ آب ١٩٢٣ اصطداما مسلحا ادى الى (١٨) اصابة بين قتيل وجريح ، ولو لم يسارع الانكليز بنقلهم الى كركوك لحدثت مذبحة كبرى . واصطدموا مع سكان كركوك في ١٤ ايار من السنة التالية ، فحدثت مجزرة مروعة ذهب ضحيتها نحو مئتي شخص بين قتيل وجريح (٤٤) . فاكتسبوا بذلك، وباعمالهم العدائية الاخرى ، كراهية العرب والاكراد . ولم يكرههم العراقيون لانهم مسيحيون كما تزعم الاوساط الاوربية والاستعمارية ، فقد عاش المسيحيون وما زالوا اخوانا للمسلمين من العراقيين ، ولكن لانهم كانوا غلاظا ، متشامخين ، يريدون بهم شرا ، ولانهم اعوان الانكليز المخلصون . وعندما اعلنت المعاهدة الانكليزية ـ العراقية الرابعة (١٩٣٠) اخذ جماعة مارشمعون يرسلون العرائض الى عصبة الامم يطالبون فيها بترحيلهم من العراق او باستمرار الانتداب البريطاني على العراق (٤٥) . فزاد عملهم هذا من نقمة الحكومة والشعب عليهم . وقد رد مجلس عصبة الامم عرائض الاثوريين ولم يعبروا لقلق الاثوريين من استقلال العراق لان العراق قدم كل الضمانات لحماية حقوق الاقليات . وعلى هذا اتخذ مجلس العصبة القرار التالي في يوم ١٤ كانون الاول من عام ١٩٣٢ (٤٦) .

ان المجلس، وفقا للقرار الذي قدمته اللجنة المكلفة بقراره المؤرخ في ٥ كانون الاول ١٩٣٢ بتحضير مسودة قرار حول قضية الطائفة الاثورية في العراق على ضوء تقرير لجنة الانتدابات الدائمة المؤرخ ١٤ تشرين الثاني ١٩٣٢ يوافق على نظرية لجنة الانتداب الدائمة بانه لا يمكن قبول طلب الاثوريين المتضمن حكم ذاتي اداري داخل العراق ويحيط علما بكل ارتياح بتصريح ممثل العراق عن نية الحكومة باختيار خبير اجنبي من خارج العراق يساعدها لمدة محدودة في اسكان جميع العراقيين غير المستوطنين وفي ضمنهم الاثوريين وفي تنفيذ مشروع اسكان اثوريي العراق في حالات مناسبة وعلى قدر الامكان بوحدات متشابهة على ان لا تمس بضرر الحقوق الموجودة للاهلين الحاليين

بعد المذابح التي اقترفها تيمورلنك هرب من بقي من النسطوريين حيا الى مرتفعات كردستان طلبا للنجاة .

(٣٧) عين ، ص ١٤٠ .

(٣٨) حوراني ، ص ١٠٠ . حيث يقول ان عددهم في هذه المعسكرات بلغ عام ١٩١٩ ، ٢٥٠٠٠٠ شخص . اما وليامس فتذكر ان عددهم كان ٢٠٠٠٠٠ شخص .

(٣٩) الحسني ج ٣ ، ص ٢٩٢

(٤٠) كلمة انكليزية معناها المجندون . ويلفظها العامة الليوي .

(٤١) الحسني ج ٣ ص ٢٩٩ .

وانه من المؤكد ان الحكومة العراقية ستتخذ كل التدابير لتسهيل سكن الاثوريين المذكورين في غير محل اذ ان التدابير المذكورة اعلاه لا تقدم حلا كاملا للمعضلة ويبقى اثوريون غير راغبين او غير قادرين على السكن في العراق . ويلتمس من الحكومة العراقية ان تتفضل وتطلعه في حينه على نتيجة التدابير الطارئ ذكرها ." "ولم يفت مجلس العصبة ان يقرر ايضا : "ان مستقبل الاثوريين يتوقف عليهم في الدرجة الاولى ، متى اظهروا اخلاصهم وولاءهم للحكومة العراقية " كما ان رأى لجنة الانتدابات الدائمية كان كذلك ." (٤٧)

وعندما خيبت عصبة الامم امالهم ، ولم تستطع الحكومة البريطانية مساعدتهم على تحقيق رغباتهم التي اصبحت تتعارض مع التزاماتها للعراق ، عزموا على تحقيق مطاليبهم بالقوة . "لم يوضحوا عن عزمهم على ترك خدمة الحكومة البريطانية فحسب بل انهم كانوا يصرحون سرا بانهم قادمون على الاستيلاء على قطع من الارض في لواء الموصل ليستقروا فيها . كما انهم كانوا يصرحون بجلاء بانهم سيدافعون عن مراكزهم تلك بقوة السلاح ." (٤٨) . وقد قام جماعة مار شمعون باعمال استفزازية في اوائل آب ١٩٣٣ فقابلهم الجيش العراقي بالمثل . وكانت بعض اعمال الجيش بالغة القسوة وعلى الاخص ما حدث في قرية سميل (٤٩) . وقد اثارت حوادث الاثوريين عاصفة من الاستياء في اوربا ، وشوهت سمعة العراق في الاوساط الدولية والشعبية . وقد سافر وفد عراقي برئاسة ياسين الهاشمي وعضوية نوري السعيد الى جنيف في يوم ٢٢ ايلول ١٩٣٣ ، وعرض المسالة امام مجلس عصبة الامم . وقد صرح الوفد "بان الاثوريين في العراق ينقسمون الى فريقين ، بقي احدهما مواليا للحكومة ومطيعا لقوانينها وانظمتها ، فهو يبقى في العراق متمتعا بالحقوق التي يتمتع بها باقي العراقيين ، واعلن الاخر عصيانه على نظم البلاد وقوانينها المشروعة فلا بد من ايجاد ماوى له خارج العراق . وان الحكومة العراقية مستعدة لتقديم المساعدة المالية لتسفير الفريق الثاني الى خارج العراق بقدر ما تسمح به احوالها المالية (٥٠)

---

(٤٢) مين ، ص ١٤٠ .

(٤٣) المصدر السابق ، ص ١٤٦ .

(٤٤) الحسني ج ٣ ، ص ٢٩٥ . ذكر الحسني في الصفحة نفسها ان عدد القتلى والجرحى في بلاغ الحكومة هو ٦٥ قتيلا و ٤٩ جريحا . ولا زال الناس في الموصل يذكرون الاصطدام مع الاثوريين بمرارة ، وهم يسمون هذه الحادثة بـ (دقة التيارية) .

(٤٧) المصدر نفسه ، ج ٣ ، ص ٣٠٢ .

(٤٨) مين ، ص ١٤١ .

ان المذابح التي تعرض لها الاثوريون ، وخوفهم من حدوث امثالها في المستقبل ، حطمت معنوياتهم ، فهاجر ٦٠٠٠ شخص منهم واستقروا في منطقة الخابور الاعلى في سوريا ، واعرب ١٥٠٠ من الباقين عن رغبتهم في ترك العراق . والف مجلس عصبة الامم لجنة خاصة لاسكانهم . وقد قررت اللجنة اخيرا ، بعد ان قدمت عدة اقتراحات لاسكانهم في البرازيل وغيانة البريطانية ومنطقة نهر العاصي في سوريا رفضت جميعا ، ان يسكن المهاجرون الى سوريا في منطقة الجزيرة نهائيا ، بينما يجب على الباقين ان يستقروا في العراق . اما الذين مكثوا في العراق ، والذين عادوا اليه فقد بقي بعضهم في قراهم في منطقة العمادية وراوندوز ، واستقر الاخرون في بعض القرى حول الموصل . وقد قررت لجنة بريطانية عينتها الحكومة العراقية لدراسة احوال الاثوريين عام ١٩٣٨ بان وضع الاثوريين الاقتصادي الساكنين في السهول الشمالية لا ينقص عن اوضاع سائر سكان تلك المنطقة(٥١) . "على ان مشكلة المهاجرين بقيت نحوا من ثماني سنوات معقدة ، فكان يتردد بعضهم بين سوريا والعراق ، ويكافح الاخرون ليتخذوا من اراضي الاحسجة سكنا لهم . فلما كان الاصطدام بين الجيش العراقي والبريطاني الذي ادى الى احتلال العراق في شهر حزيران من عام ١٩٤١ مكن الانكليز معظم الاثوريين من العودة الى العراق ." (٥٢) واعادوا استخدام كثير منهم في قوة الليفي .

والاثوريون اليوم جماعة مسالمة يشتغل بعضهم في القوات البريطانية الجوية في مطاري الشعيبة وسن الذبان ، ويشتغل كثير منهم عمالا في شركات النفط ، ويعمل الباقون في الزراعة . "وقد قدر ان خمسا وسبعين بالمائة منهم يعتمدون اقتصاديا على البريطانيين ." (٥٣) ولا يكونون الان مشكلة قومية الا اذا اراد الانكليز ، وارادوا هم ، ان يعيدوا تمثيل المأساة الماضية ، ولا ارى ان بامكانهم او في رغبتهم ، ان يفعلوا ذلك .

---

(٤٩) نظمت مذبحة في هذه القرية للاثوريين العزل . وقد قتل في هذه القرية وفي غيرها من القرى قرابة ٦٠٠ شخص ، ونهبت ستون قرية . راجع "الشرق الوسط" ، ص ٥٨ . وانظر تفاصيل حادثة قرية سميل في مين ، ص ١٥٠ — ١٥١ الذي يذكر ان الجيش والشرطة ، بمساعدة ابناء القبائل العربية والكردية ، دمروا عشرين قرية تدميرا تاما ، ودمروا عشرين قرية اخرى تدميرا جزئيا .

(٥٠) "تاريخ العراق السياسي الحديث" ج ٣ ، ص ٣٠٥

(٥١) راجع حوراني ، ص ١٠٢

(٥٢) "تاريخ العراق السياسي الحديث" ج ٣ ، ص ٣٠٥ .

(٥٣) حوراني ، ص ١٠٢ .

(ح) اليهود

اليهود من سكان العراق القدماء • ويتحدر قسم منهم من اليهود الذين سباهم نبوخذ نصر الى بابل في اواخر القرن السادس قبل الميلاد .(٥٤) وقد استطاع اليهود خلال اقامتهم هذه الطويلة في العراق ان يجعلوا من انفسهم جزءا من الشعب العراقي ، فتخلقوا باخلاقه ، واكتسبوا عقليته ، واصطنعوا اللغة العربية في حديثهم(٥٥) وان ظلوا محافظين على نقاوتهم العنصرية • وهم منتشرون في معظم المدن العراقية • على ان اغلبيتهم يسكنون في بغداد اذ يقدر عددهم فيها بنحو ٦٠ الفا(٥٦) اما عددهم جميعا فيقدر بحوالي مئة وعشرين الف نسمة.(٥٧)

يتعاطى قسم من اليهود التجارة والصرافة ، ومنهم كبار التجار في العراق • ولكن اغلبهم يشتغلون في مختلف الحرف والاعمال التي لا تدر الا دخلا ضئيلا محدودا ، ولا يختلفون عن باقي السكان من حيث التاخر الاجتماعي والفاقة • ويعمل قسم منهم في دوائر الحكومة •

ما كان يهود العراق معضلة اجتماعية في يوم من الايام • فالحكومة تعتبرهم عراقيين لا فرق بينهم وبين غيرهم من المواطنين في الحقوق • وكنائسهم ومجالسهم الروحية ومحاكمهم الدينية محترمة مصونة ومدارسهم الخاصة ، والمدارس الحكومية الرسمية ، مفتحة الابواب اما شبانهم ، وقد عاشوا في وئام مع سائر السكان • فعلى الرغم من تحمس الشعب لقضية فلسطين ، وتعاظم نقمته على الصهاينة ، الذين يريدون ان يؤسسوا لهم وطنا قوميا في فلسطين على حساب المواطنين الاصليين من العرب ، بقي اليهود بعيدين عن شكوكه ، في مامن من نقمته • ففي اثناء المظاهرات الصاخبة التي اشتركت فيها جماهير الشعب في بغداد ، في شباط ١٩٢٩ ، احتجاجا على زيارة السير الفريد موند الى العراق ، وخلال المظاهرات التي حدثت في شهر آب ١٩٢٩ على اثر حوادث حائط المبكي ، احتجاجا على السياسة البريطانية وعلى نشاط الصهاينة المتزايد في فلسطين ، لم يعتد احد من الناس على اليهود ولم يصبهم باذى(٥٨) . ولكن هذه المعاملة السمحاء لليهود اعتورها بعض التغيير منذ ان تغلغلت الدعاية النازية في العراق في النصف الثاني من العقد الثالث من هذا القرن ، وان كان الذين اعتنقوا مبدأ التعصب العنصري ضد اليهود والكراهية لهم اقلية لا تتعدى القوميين المتاثرين بالعنصرية النازية من مؤيدى نادى المثنى •

---

(٥٤) حمادة ، ص ٢٦ وعين ، ص ٣١

(٥٥) يتكلم اليهود المقيمون في كردستان اللغة الكردية ، ويشتغلون تجارا وحرفيين في المدن ، على ان قسما منهم يقيمون في قرى حوالى العمادية ويشتغلون بالزراعة • انظر حوراني ، ص ١٠٤

(٥٦) ال حمادة ، ص ٢٦

وطرأ على قضية اليهود تغيير آخر بعد المذبحة التي حدثت في اليوم الثاني من حزيران سنة ١٩٤١ ، والتي كانت خاتمة سيئة لحركة رشيد عالي الكيلاني . لقد توقف القتال في صباح اليوم الاول من حزيران ١٩٤١ ، وفر رشيد عالي ووزراؤه وتركوا البلاد دون حكومة . وكان الشعب خلال هذه الفترة خائب الامال ، مرير النفس متحفزا للانتقام . وفي صباح اليوم الثاني من حزيران اغار الجهال واوشاب الناس على الاحياء اليهودية الفقيرة ، (كانت الشرطة تحرس بيوت اغنياء اليهود) ، فنهبوها ، وقتلوا عددا كبيرا لا يعلم مقداره بالضبط ، بينهم كثير من النساء والاطفال . وفي ظهر ذلك اليوم نزل الجيش العراقي الى الشوارع ، وعمل على وضع حد للمذبحة ، وقتل من المشتركين في اعمال النهب والتخريب والتقتيل بين الستين والسبعين شخصا . وفي الساعة الخامسة اعلن منع التجول ، فاقفرت الشوارع من الناس ، وهدات الحال ، وانتهت فتنة ذلك اليوم المخزى المشؤوم[٥٩].

تختلف الروايات في تعيين المسؤول الرئيسي الذى حرض على هذا العمل المشين ، واغرى الناس به . تقول السيدة فريا ستارك ما معناه[٦٠]: "ان الثوار المتقهقرين من جماعة رشيد عالي الكيلاني ارادوا ان يثيروا الشعب ويهجموا على السفارة البريطانية . ولكن هذه الحركة انفجرت قبل ان تنضج ، ثم تحولت الى الاحياء اليهودية ، يحدوا الناس نقمتهم على اليهود بسبب قضية فلسطين ، وتغريهم سهولة النهب والسلب ." ويذهب اخرون الى الى ان الحركة جاءت عفوية لعدم وجود حكومة في البلد ، ولما اعقب فشل الحرب ضد الانكليز من فوضى في المدينة . على ان اخرين يعتقدون ان هذه الحركة اثارها واغرى بها عملاء الانكليز ليحولوا نقمة الشعب ضد الانكليز الى مجار اخرى ، وليخلقوا جوا من القلق والرعب بحيث يكون دخول الجيش الانكليزى الى بغداد امرا مرغوبا فيه . ويستدلون على ذلك بقولهم ان الجيش الانكليزى كان معسكرا باقرب من الكاظمية ، ولو شاءت السلطات

---

(٥٧) الدليل العراقي الرسمي لسنة ١٩٣٦ (بغداد ١٩٣٦) ، ص ٧٢٦ وساشير اليه فيما بعد بالدليل العراقي . اما وليامس ، ص ٤٦ حاشية ٢ ، فتذكران عددهم ٩٠،٩٧٠ شخص .

(٥٨) مين ، ص ٣١ ، وراجع كذلك "الشرق الاوسط" ، ص ٢٤٢ .

(٥٩) ستارك ، ص ١٥٩ — ١٦٠ .

(٦٠) "East is West" ص ١٥٩ .

البريطانية منع هذه المذابح لدخل الجيش في بغداد مبكرا ذلك الصباح • ولقضى على الفتنة في مهدها • اما انا فلا استبعد ان تكون هذه العوامل مجتمعة قد ادت الى هذه الحادثة المؤسفة •

ومهما يكن من شيء فقد وقعت هذه الحادثة التي اسفت لها اغلبية الشعب ، والمهم ان نتتبع آثارها ونتائجها • لم ينس اليهود مرارة الحادثة ، وازداد تخوفهم من الشعب ، وكظم قسم من شبانهم غيضهم في صدورهم ، وفكروا في ايجاد مخرج لهم من هذه الاوضاع فلما قدم الجنود البولنديون العاملون مع الجيش البريطاني الى العراق اثناء الحرب ، كان بينهم عملاء نشطون للحركة السهيونية • فاخذوا يبثون الدعاية الصهيونية بين الشبان اليهود — كانت هنالك دعاية للصهيونية قبل هذا التاريخ ولكنها كانت خافتة الصوت ، ضئيلة التاثير — ويغرونهم بالسفر الى فلسطين ، وقد سفروا نفراً منهم الى فلسطين فعلا • وكانت السلطات البريطانية تمد دعاة الصهيونية هؤلاء بالمعونة ، وكانت الحكومة العراقية ساكتة عن اعمالهم رغم افتضاح امرهم • ولكن اغلبية يهود العراق كانت ترى ان الحركة الصهيونية لا تجدى يهود العراق نفعا ، وانه خير لهم ان يتفاهموا مع الشعب العراقي ، ويأملوا في مستقبل مجهول[٦١] • وعلى الاخص عندما عاد قسم من اليهود الذين هربوا الى فلسطين واخذوا يتحدثون عن صعوبة الحياة هناك ، وعن احتقار اليهود الاوربيين للشرقيين من اليهود ، وخاصة العراقيين منهم • واسس قسم من هذه الجماعة التي لا تدين بالصهيونية "عصبة مكافحة الصهيونية" في اواخر عام ١٩٤٥ ، واصدروا جريدة تتكلم باسمها • وقد استمرت العصبة تبين على صفحات جريدتها ، وفي اجتماعاتها العامة ، حقيقة الحركة الصهيونية العدوانية ، وخطرها على يهود العراق لما تولده بين العرب واليهود من عداء •• ولكن هذه العصبة لم تعمر طويلا اذ حلتها الحكومة ، واغلقت جريدتها ، متهمة القائمين بها باشيوعية •

واحدثت ماساة فلسطين الاخيرة اعنف تغيير في حياة يهود العراق • دخلت الجيوش العربية فلسطين • ونشط خلال هذه الفترة دعاة القومية في دعايتهم ضد يهود العراق • واخذت جرائد حزب الاستقلال "لواء الاستقلال" و "اليقظة" تشن عليهم الحملات متهمة

---

(٦١) يقول حوراني في ص ١٠٤ : "وفي الحق ان يهود العراق ، كسائر اليهود الشرقيين ، ليسوا صهاينة عقيدة على وجه العموم • وان قسما منهم يصرحون بانهم قوميون عرب وانهم معادون للصهيونية •"

اياهم جميعا بالصهيونية ، والتآمر مع الاعداء ، وتدعو الناس الى مقاطعة التجار اليهود وشراء حاجاتهم من التجار المسلمين ، حتى اوغرت صدور الناس ، واثارت حفائظهم . وقاومت الحكومة اليهود فاحالت العشرات منهم الى المجالس العرفية وطردت كثيرا منهم من دوائرها . واستغلت الشرطة الاحكام العرفية ، واخذت تبتز اموال اليهود بالتخويف والتهديد والتلويح لهم بالسجون . وعاش جميع اليهود خلال تلك الفترة في جو من الخوف والقلق والتوجس . ومن كان لا يعطف على الصهيونية من شبانهم اصبح يتمنى ان ينضوي تحت لواء دولتها ليخلص مما هو فيه . واوقف معظم التجار اليهود اعمالهم الا قليلا ، وهرب قسم منهم اموالهم الى الخارج ، حتى اوشكت الحركة التجارية — التي تشكو من ازمة حادة — ان تشل في العراق باسره . وهرب قسم كمنهم الى فلسطين او ايران .

وعندما رات الحكومة كثرة الهاربين استصدرت قانونا في ٩ آذار ١٩٥٠ يسمح لليهود بالسفر الى اسرائيل على ان يتخلوا عن جنسيتهم وياخذوا معهم مقدارا معينا من المال . وقد سافر فعلا مئات منهم الى اسرائيل . وقد بلغ عدد الذين طلبوا اسقاط الجنسية عنهم بعد مضي سنة من صدور هذا القانون . اكثر من مئة الف يهودي . سافر منهم بضعة الاف الى اسرائيل ويستعد الاخرون للسفر . وقد شرعت الحكومة ، في ١٠ آذار ١٩٥١ ، قانونا بتجميد احوال اليهود المسقطة عنهم الجنسية .

الفصل الثالث : اديان السكان

ان اغلبية العراقيين مسلمون اذ تبلغ نسبتهم ٩٤ بالمئة[1] الى مجموع السكان. ويليهم المسيحيون . وهم ينقسمون الى طوائف متعددة ، مختلفة في مذاهبها وطقوسها وعناصرها ولغاتها . ويعيش اكثر من ٦٠ بالمئة منهم في مدينة الموصل وما جاورها من القرى . "وهم ينتمون الى الكنائس المسيحية الشرقية كالروم الاثوذكس، والنساطرة ، والارمن واليعاقبة ، ومنهم من انضموا الى كنيسة رومية واعترفوا بسيادة البابا الروحية وهم الكلدان ، والارمن الكاثوليك، والسريان ، وهنالك عدد من المسيحيين الانجيليين (البروتستانت) وللمسيحيين كنائس في المدن الكبرى[2]" ويليهم اليهود ، ثم ثلاث طوائف دينية اخرى وهم الصابئة او "الصبة" ، واليزيدية ، والشبك . كما ان في البلاد عددا من البهائية والمجوس.

يسكن نحو ثلثي اليزيديين في قضاء سنجار ، ويسكن الباقون في قضاء الشيخان من لواء الموصل . ولا يعلم عن اصلهم شيء موثوق بصحته . ويجوز ان يكونوا من الاكراد الذين هاجروا من الشمال الى الجنوب ، وانفردوا عن بني قومهم ، وظلوا محتفظين بدينهم القديم[3]. اما اصل تسميتهم فمختلف عليها كذلك . فهم يزعمون انها نسبة الى يزيد بن معاوية[4]

---

(١) عبد الباقي ، ص١١١ . وكما قلت انه لاتوجد احصاءات دقيقة لعدد افراد كل قومية في العراق فكذلك اقول بالنسبة لافراد كل ديانة او افراد كل طائفة دينية . والاحصاءات الموجودة كلها مبنية على التقدير والتخمين ، وهذا احدث التقديرات : جاء في "الشرق الاوسط" ص٢٤٠ : ان عدد افراد الطوائف الدينية يقدرون عام ١٩٤٣ كما يلي : المسلمون الشيعة : ٢،٠٠٠،٠٠٠ ، السنة ١،٠٠٠،٠٠٠ ، المسيحيون : الاثوريون النساطرة : ٣٠،٠٠٠ ، ابناء الطوائف المسيحية الاخرى : ٦٠،٠٠٠ ، اليهود : ١٠٠،٠٠٠ ، اليزيديون : ٣٠،٠٠٠ ، الصابئة : ٣٠٠٠ ، الشبك : ١٢،٠٠٠ . على ان الكاتب يناقض نفسه عندما يقول في الصفحة ذاتها ان الشيعيين يفوقون عدد السنيين ، بما فيهم العرب والاكراد ، بحيث تكون نسبتهم اليهم كنسبة ثمانية الى خمسة . وتذكر وليامس، ص ٤٦ حاشية ١ الارقام التالية :
المسلمون السنة : ١،٠٢٩،٨٣٣ ، الشيعة : ١،٦١٢،٥٢٣ ، المسيحيون : الارثوذكس ٢٠،٦٨٨ ، الكاثوليك ٣٣،٠٩٢ ، الطوائف الاخرى ٤٧،٦٠٩ ، اليهود : ٩٠،٩٧٠ ، الصابئة : ٦،٠٠٨ ، اليزيديون ٣٣،٨٢٨ .

(٢) حمادة ، ص ٣٠ .

(٣) الهاشمي ، ص ١٠٩ .

ويقول بعض العلماء انهم ينتسبون الى يزيد بن انيسة الخارجي ، ويذهب غيرهم الى ان الكلمة ماخوذة من "يزد" او "يزدان" الفارسية القديمة ومعناها الله او الكائن الاعلى ، او "يزد" التي تعني خليق بالعبادة ، وتطلق في دين الفرس على الملائكة التي تتوسط بين الله والبشر . "ويظهر ان احد هذين الاشتقاقين هو الاقرب الى الصواب فيكون اصل معنى اليزيدية "اتباع الله" او "اتباع الملائكة"[(٥)].

يؤمن اليزيديون بوجود اله اكبر خالق لهذا الكون ، الا انه قد فوض امر العناية الكون الى الشيطان ، يساعده وينفذ مشيئته . والشيطان — الذى كان الملاك الاعظم — وعصى الله فعاقبه لعصيانه ثم تاب عليه ، وحكمه في الكون قادر على ان ينزل بالبشر جميع انواع العذاب ، والواجب يقضي على الناس ان يسبحوه ، ويمجدوه ، ويستعطفوه[(٦)] وعلى هذا فتسميتهم بمستعطفي الشيطان اصح من دعوتهم بعبدة الشيطان[(٧)]. وقد صنعوا لهذا الشيطان ، او طاووس ملك ، تمثال ديك ، مصنوع من النحاس الاصفر ، واقف على حامل يشبه الشمعدان . ويوجد لطاووس ملك ، تمثال مستقر في معبد الشيخ عادى وتماثيل ستة اخرى تنتقل في القبائل اليزيدية[(٨)] والحق ان ديانتهم مزيج من اكثر ديانات الشرق الادنى . يقول البحاثة ت . منزل ، في دائرة المعارف الاسلامية مجلد ٤ ، ص ١١٦٤ ، "ان اصل وتطور ديانة اليزيدية المركبة لم يوضحا بعد ، غير انه يظهر ان عقيدتهم تشمل عناصر وثنية قديمة (لكنها ليست من قبيل عبادة الشمس والقمر) ، وعناصر ايرانية زرادشتية (بعض ما يشبه الثنوية الفارسية) ، ومانوية (مذهب المعرفة " الفارسي) ، ويهودية (تحريم بعض الاطعمة) ، ونصرانية — خاصة النساطرة — (المعمودية ، العشاء الرباني ، زيارة الكنائس المسيحية في حفلات الزواج ، تحليل شرب الخمر) ، واسلامية (الختان والصوم ، تقديم الضحايا ، الحج ، الكتابات القبرية الاسلامية) ، وصوفية رافضية (كتمان العقيدة ، الوجد ، تعظيم عدد كبير من شيوخ الصوفية) ، وصابئية (التقمص) ، وشامانية (طرق الدفن ، تفسير الرؤى ، الرقص) (٩)

---

(٤) اسماعيل جول ، "اليزيدية قديما وحديثا" (بيروت ، ١٩٣٤) وقد عني بنشره وكتب مقدمته ، الدكتور قسطنطين ذريق . ص٧٧ ، ٩٣ . وانظر كذلك ص "ط" من المقدمة . وساشير الى هذا الكتاب فيما بعد "باليزيدية قديما وحديثا" .

(٥) المصدر السابق ، ص "ط" .

(٦) المصدر السابق ، ص "ي" و "ك" .

(٧) عين ، ص ٢٩ .

(٨) عين ، ص ٣٠ .

ينقسم اليزيديون الى قبائل عديدة رغم قلة عددهم ، ويشتغل معظمهم في الزراعة وتربية المواشي . وهم يخضعون في حياتهم الاجتماعية لنظام طبقات واضح الحدود ، صارم التطبيق . فهم ينقسمون بمجموعهم الى طبقتين : الكهنة والعوام . والكهنة ينقسمون الى عدة طبقات : وهي بحسب اهميتها وعلو منزلتها : الشيخ ، والبير ، والفقير ، والكوچك ، ودون الجميع الفراش والشاويش ، وخادم قبر الشيخ عادي(١٠)

يسكن الصابئة او الصبة على ضفاف الانهار في القسم الجنوبي من العراق وخاصة في الوية العمارة والمنتفك والبصرة وفي نواحي المحمرة والاهواز . وقد نزح قسم منهم الى بغداد والموصل وغيرهما من مدن العراق الكبيرة طلبا للرزق . ويتكلم الصابئة اللغة العربية ، الا ان لهم لغة دينية خاصة بهم تعرف بالمندائية ، وهي لغة سامية تقرب من السريانية وقد تداخلت فيها كلمات فارسية وعربية(١١)

اما اصل الصابئة فغير معروف . وهنالك اراء مختلفة في الموضوع ، يقول كرادي فو : "يطلق هذا الاسم على فرقتين متميزتين عن بعضهما تمام التمييز . (١) المندائيين أو الصبة ، وهم فرقة يهودية – مسيحية ، تمارس العماد في العراق (مسيحيو يوحنا المعمدان) ، (٢) صابئة حران ، وهم فرقة وثنية ، بقيت مدة طويلة في ظل الحكم الاسلامي ، وهذه الفرقة مهمة لعقائدها ولما نبغ فيها من العلماء . والظاهر ان الصابئين الذين ورد ذكرهم في القرآن والذين دعاهم مع اليهود والنصارى ، في ثلاثة مواضع ، باهل الكتاب ، اى اصحاب الكتب المنزلة ، هم المندائيون . يجب ان يكون الاسم قد اشتق من الجذر العبراني ص – ب – ع ، " غطس ، انغمس " بسقوط العين ، ويجب ان يعني "المتعمدون " اى الذين يمارسون العماد بطريقة الغطس في الماء . ويحتمل ان يكون الصابئة الوثنيون ، الذين لم يعرفوا هذه الشعيرة اطلاقا ، وقد اصطنعوا هذا الاسم ليحضوا بالتساهل الذى اسبغه الاسلام على المسيحيين واليهود ." والصابئة يتعمدون ، ولكن ليس العماد المعروف عند المسيحيين ، بل الانغماس في الماء والاغتسال فيه ولهذا تجدهم يعيشون على ضفاف الانهار . وعلى كل واحد منهم ان يغتسل بالماء الجارى بعد كل خطيئة يرتكبها مهما كانت بسيطة . ويزاول الصبة اليوم من المهن الصياغة والنجارة والحدادة والزراعة ، الا انهم اشتهروا بصياغة الميناء اى نقش الفضة وحفرها وتلبيسها بالميناء ، وهم طائفة وديعة مسالمة ، نشيطة .

---

(٩) اليزيدية قديما وحديثا ، ص "ى" من المقدمة .

(١٠) الدليل العراقي ، ص ٧٥٠ والمصدر السابق ، ص "ل" و "م" من المقدمة .

(١١) الدليل العراقي ، ص ٧٣٩ .

(١٢) B. Carra De vaux, art. Sabia. Encyclopoedia of Islam, (London, 1934), P. 21.

اما الشبك فيسكنون القرى الواقعة في جنوب الموصل على ضفة نهر دجلة اليسرى . وهم يتكلمون اللغة التركية المشوبة بكثير من الكلمات العربية . ولا يستبعد ان يكونوا من اصل تركماني . وديانتهم مزيج من الاسلام والنصرانية واليهودية (١٣) . وهم يشتغلون جميعا في الزراعة .

لا اريد ان اسهب القول في الطوائف الدينية في العراق ، فاتحدث عن تاريخها وعقائدها ، وشعائرها ، واحقق في صحة ما تقوم عليه من ايمان ، فذلك من اختصاص الفلسفة واللاهوتيين ومؤرخي الاديان . ولم اطل القول في احوال الصابئة واليزيديين والشبك الا لان مذاهبهم غريبة بحاجة الى ايضاح . ان ما يهمنا من امر الطوائف الدينية في العراق هو علاقتها بالمشكلة التي نعالجها ، مشكلة الحضارة . هل بين هذه الطوائف الدينية اصطدام ظاهر او خفي يبلبل المجتمع ، ويقسمه على ذاته ، ويبدد قواه ؟ هل تقف هذه الطوائف عائقا يسد على الشعب طريق التقدم ، والتحضر ، والانطلاق في مجالات جديدة للخلق والابداع ؟ هل تستبد الطوائف الكبرى بالطوائف الصغيرة القليلة العدد فتوقف نشاطها ، وتحد من حريتها ، وتفرض عليها ارادتها وايمانها فرضا ؟

ينص الدستور ، او القانون الاساسي العراقي كما يسمى رسميا ، على ان العراقيين كلهم متساوون في الحقوق والواجبات ، وان اختلفوا في القومية والدين واللغة (١٤) ومع ان الاسلام هو الدين الرسمي للدولة فان الدستور يكفل حقوق الاقليات الدينية . فلها كامل حريتها في اقامة شعائرها الدينية ، وكنائسها ومعابدها محترمة مصونة (١٥) وللطوائف المختلفة حق تاسيس المدارس لتعليم افرادها بلغاتها الخاصة ، والاحتفاظ بها ، على ان يكون ذلك موافقا للمناهج العامة التي تعين قانونا (١٦) وللاقليتين الدينيتين الكبيرتين في البلاد : المسيحية والموسوية مجالس روحانية طائفية تنظر في المواد المتعلقة بالنكاح والصداق والطلاق والتفريق والنفقة الزوجية وتصديق الوصيات ،

---

(١٣) انظر الهاشمي ، ص ١١٠ . يقول السيد حوراني ص ٩ : "الشبك جماعة من اصل كردي ، يسكنون في المنطقة التي يسكنها اليزيديون ، ولا يوجد ما يميزهم عنهم تمييزا واضحا ، وديانتهم مكونة من عناصر يزيدية وشيعية مغالية ." اما ان في عقائد الشبك عناصر شيعية مغالية فحق ، والمسلمون في الموصل يدعونهم الروافض . ويقول الدكتور زريق في مقدمة "اليزيدية قديما وحديثا" "ان هذه الفرقة (يعني الشيعة) جماعة الشبك ذات التقاليد والعادات الخاصة ." واما انهم يسكنون في مناطق اليزيديين ، وانهم لا يميزون عنهم تمييزا واضحا ، وانهم من اصل كردي ، فشيء اراه بعيدا عن الواقع .

(١٤) "القانون الاساسي العراقي ، مع تعديلاته" (مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٤٤) ، المادة السادسة . وساشير اليه فيما بعد بالقانون الاساسي .

(١٦) المصدر السابق ، المادة الثالثة عشرة .

اى بجميع الامور الشخصية خلا تلك الداخلة ضمن اختصاص المحاكم المدنية(١٧) كما ضمنت القوانين للاقليات حقوقها السياسية فمنحتها حق ارسال ممثلين عنها الى المجلس النيابي . فلكل من الموسويين والمسيحيين اربعة نواب . ولا يعترف القانون بالطائفة المذهبية الا فيما يختص بالاحوال الشخصية . فلا يسال المرء عند دخوله المدارس الرسمية ، او عند توظفه في الدوائر الحكومية ، امسلم هو ام مسيحي ؟ اكاثوليكي ام بروتستانتي ؟ اسني ام شيعي ؟ كل ما يسال المرء عنه ان يكون عراقيا . وشعار الحكومة في هذا الكلمة التي تعزى الى الملك فيصل الاول : "الدين لله والوطن للجميع" .

قد تقول : كل هذا حق لا شك فيه . وهو مسجل في دستور البلاد ، ومكتوب في القوانين ، ولكن امطبق هو حقا في الواقع ام لا يزال حبرا على ورق مصقول الصفحات كهذه الحرية الفردية التي تقرا عنها في الدستور ولا تقع لها على اثر في الحياة ؟ اما ان حقوق الطوائف الدينية التي نصت عليها القوانين محترمة مصونة فحق لا شك فيه . ولكن يبقى افراد الطوائف الدينية ، بصفتهم اشخاصا مفردين ، هل هم جميعا متساوون في الحقوق بغض النظر عن الدين الذى يعتنقونه ؟ ابادر فاجيب عن هذا السؤال بالايجاب مع بعض التحفظ . فالحكومة تستهدف المساواة التامة في الحقوق بين العراقيين جميعا . ولكن من هي الحكومة ؟ انها مجموعة افراد من الشعب ، يحمل كل منهم في ذهنه تقاليد الوسط الذى نشا فيه ، والناس الذين يعتمد عليهم في ادامة منصبه . ومن هنا كان بعض المتعصبين لطوائفهم الدينية يستغلون مراكزهم الحكومية ويقربون بعض ابناء طوائفهم ويفضلونهم على غيرهم من ابناء الشعب في المعاملة . وهذا جزء من "المحسوبية" التي تشيع في جهاز الدولة ، والتي مبعثها عدم تطبيق الديموقراطية الصحيحة في الحكم ، وفقدان رقابة الشعب الفعالة على جهاز الدولة بواسطة مجالسه المنتخبة ، وضعف سيطرة الراى العام المتمثل في الاحزاب والجمعيات والصحافة الحرة . وليست تقاليد الشعب العراقي واحدة في جميع البلاد . فما زالت اثار الماضي البغيض حية تعمل ، وان اصبح عملها اخف وطاة واقل شرا . فقد كانت الطائفية في العهد العثماني حقيقة واقعة ، تفرق الناس وتعيق نمو البلاد . وقد وجدت تلك النزعات تربة خصبة في جهل الناس ، كما نمتها الحكومة الصفوية الشيعية ، والحكومة العثمانية السنية ، اللتان كانتا تختصمان على حكم البلاد . وجاء المستعمرون الانكليز فعملوا جهدهم على اذكاء هذه النزعة الضارة لتفريق الشعب واضعافه ، والهائه عن مشاكله السياسية .

---

(١٧) المصدر السابق ، المادتان الثامنة والسبعون والتاسعة والسبعون .

ليسهل عليهم حكمه [١٨] ولكن المواصلات الحديثة التي ربطت اطراف البلاد وقربت المسافات ونشطت التجارة ، عملت على تقارب الشعب وتوحيد افكاره ، وازالت كثيرا من الاراء الخاطئة التي تحملها الجماعات العراقية المختلفة بعضها عن بعض . ثم قامت الكليات العراقية وعلى الاخص دور المعلمين ، التي يتعلم فيها الشباب من مختلف الاديان والمدن العراقية ويعيشون فيها سوية مدة من الزمن ، فوحدت مشاعر هؤلاء الشبان ، والفت بين النزعات الطائفية ، وقد اثروا هم بدورهم في الاوساط التي اتصلوا بها ، وعملوا على خلق جو من التفاهم والتسامح . كما ان التجنيد الاجباري ادى خدمة ممتازة في هذه الناحية ، حيث عمل على حشد الاف الشبان من مختلف اطراف العراق في ثكنات واحدة ، فاختلطوا وتعارفوا ، وتوحدت مشاعرهم وميولهم ، وزال من نفوسهم ما يحدثه البعاد والانزواء من جهل بالاخرين ، وسوء فهم لهم . واخيرا يجب ان نذكر ما قام به رجال الفكر والمصلحون السياسيون المخلصون منذ ايام الثورة العراقية الاولى عام ١٩٢٠ ، من محاربة لهذه العقلية الضيقة ، وافهام الناس حقيقة امرها .

ان الحوادث السياسية العديدة التي انتابت البلاد منذ الاحتلال الانكليزي الى وقتنا هذا ، وهذه المشاكل الاجتماعية والاقتصادية التي اخذ يحس بها الشعب احساسا عميقا ، ويعمل على اصلاحها وازالة شرورها ، قربت السكان ، ووحدت بينهم ، ووسعت من آفاق افكارهم الدينية .

على ان الطائفية ، وان تضاءل شانها وضاق نطاقها ، لا زالت اداة بيد جماعة من المتنفذين الحكوميين ، والمعممين ، وانصار الاستعمار ، وبعض الانتهازيين من المثقفين ، يتوصلون بها الى تحقيق غاياتهم ، ونيل ما يبغون من منصب وسلطة وثروة وجاه [١٩]

---

(١٨) قرات قبل ثلاث سنوات مقالة للاستاذ ساطع الحصري نشرها في جريدة الزمان البغدادية ذكر فيها ان الملك فيصل الاول ، في مفتتح عهده في العراق ، كلفه البحث في شؤون المعارف . فوجد ان المستشار الانكليزي في وزارة المعارف قد اقنع وزير المعارف الشيعي بان تؤسس ثلاثة دور للمعلمين : دار معلمين مسيحية في الموصل ، واخرى شيعية في الفرات الاوسط ، وثالثة سنية في بغداد . وذكر الاستاذ الحصري انه لم ينجح في احباط هذا التنظيم الذي يسعى الى تحقيقه المستشار الانكليزي ، وتاسيس دار معلمين واحدة للعراق باسره في بغداد ، الا بعد جهود جبارة ، وكفاح طويل .

عندما اشتد الضغط على وزارة صالح جبر ، ووقف الشعب بوجه معاهدة بورتسموث ،عمل هو وانصاره ومن يحركه من وراء الستار ،على نشر التفرقة الطائفية ،وبعث الشقاق بين السنة والشيعة . "فارسل نفرا منهم السيد ضياء جعفر وزير المواصلات والاشغال يبثون سموم التفرقة ويوزعون المناشير الضارة ،مشفوعة بالبذل السخي ، ليصدعوا الجبهة المتماسكة . " (٢٠) ولكن الشعب فهم حقيقة هذه المؤامرة على وحدة صفوفه ،فلم يولها اهتماما ،وخرجت المظاهرات الشعبية من الكاظمية ،فاثبتت عمليا فشل المفرقين . كما فهم الشعب غايات تلك الجماعات التي يحمل افرادها على اذرعهم شارات "شباب محمد" والتي نظمتها الحكومة والاحزاب الموالية لها ،لتفريق المظاهرات ،والاعتداء على المواكب ،فاحبط اعمالها وقابلها بالاحتقار .

ويجب ان لا اهمل ذكر المحاولات التي قامت وتقوم ، بها فئات من اعداء التقدم والاصلاح لاقحام الدين في السياسة ،ودعوة الناس الى التخلي عن بعض الجماعات السياسية بحجة ان مبادئها مخالفة للدين ،معادية لمبادئه . على ان هذه المحاولات المضللة لم تلق نجاحا الا في اوساط معينة ،وقد استنكرها المثقفون ، وعابوا على القائمين بها استغلالهم هذا المشين للدين . وفي هذا الصدد يقول السيد عبد الرزاق الظاهر من زعماء حزب الاحرار (٢١) : "ولقد تبدى في الافق القريب ،وفي ايامنا هذه ،اسلوب جديد في مظهره ، عتيق في طرائقه ، وصرنا نسمع اقحام الدين والالحاد في المنازعات السياسية ،حول المبادئ السياسية اليسارية او اليمينية .... ولو ان الذى عمد الى هذا السلاح كان من عامة الناس ((جهلائهم لهان الامر ،ولكنه رجل له مكانة في البلد ،ودكتور في اختصاصه ، هو الدكتور سامي شوكة . وعلى هذا فارى لزاما علي ان اتقدم بكل احترام ناصحا ومرشدا .

---

(١٩) ان هؤلاء الطائفيين،مثل جميع الطائفيين في جميع الاقطار ، لا يعتنقون التعصب الطائفي عن عقيدة وايمان ، وانما يصدر عملهم عن مصلحة ذاتية ومنافع دنيوية او عن تفكير ضيق الافاق ، ونفوس بدائية الشعور ، قبلية الاحساس . اذكران «مديرا عاما» متقاعدا كلفني منذ خمس سنوات ان اقرا له مسودة كتاب الفه عن الدين . حلل الرجل في كتابه هذا نشوء الاديان وبرهن بالادلة العلمية والتاريخية على ان فكرة الله انما هي من اختراع الانسان ، وان الاديان جميعا ليست سماوية منزلة وانما هي في وضع الانبياء انفسهم . ولكنه عندما عرض للخلاف بين السنة والشيعة ، اندفع يفضل السنة على الشيعة ، اذ كان سنيا ، ويتعصب لهم ، ويسخف عقائد الشيعة ، مع انه نفى حقيقة الدين باسره في الفصول الاولى من كتابه .

واحسبني اعبر عن راى الطبقة المثقفة اذا صارحته بان اسلوبه لا يلقى القبول ، وانه يتناول شؤون الدين وهي ليست موضع بحث او جدل . وكان الاجدر بالدكتور ان يعالج موضوع النزاع من اساسه ، فيدلي بالادلة التي تؤيد المذهب اليميني الذى له وجهته واساليبه في طرق معالجة الاصلاح . وان يحارب العلم بالعلم والمنطق بالمنطق . اما الالتجاء الى الدين ، او ادعياء الدين ، فهو اسلوب لا يخيب عن فطنة العراقيين وما هو معروف عنهم من الذكاء الفطرى . "

يزعم بعض الباحثين في الشؤون الاسلامية من الاوربيين ، ويجاريهم في زعمهم هذا بعض المشككين من الشبان المسلمين المثقفين ، ان الدين الاسلامي بطبيعته يعارض الحضارة العصرية ، ولا يحتمل العلم الحديث ، وما على المسلمين اذا ارادوا ان يتحضروا ويصبحوا امة ذات كيان عصرى ، الا ان ينبذوا دينهم هذا نبذا ، او يعتاضوا عنه بدين غيره يلائم الحضارة ويساير العلم ، ولا يحول بين معتنقيه وبين هذه الحياة الجديدة المتحضرة التي تتهافت عليها الامم في عصرنا هذا . قد يكون هذا الزعم الحق كله ، وقد لا يكون على شيء من الحق . اما انا فادع المؤمنين من المسلمين يدافعون عن دينهم الحنيف بما يلهمهم دينهم من براهين وحجج مقنعات ، واترك الباحثين من الاوربيين والمشككين من شبان العرب يؤيدون زعمهم بادلة العلم وبراهين التاريخ ، وابحث القضية من طريق اخر ارجو ان يغنينا عن هذا الجدل المرهق العنيف . لقد هداني تفكيرى المستمر في احوال المسلمين من العراقيين الى ان الشعب العراقي باغلبيته ، غير متدين ، وان ما يمارسه من شعائر لا تمت الى الدين الصحيح بصلة ، وان الدين لم يتغلغل في قلوب ابناء الشعب ولم ينفذ الى عقولهم . ان اساس الدين الصحيح ، كل دين صحيح ، هو الشعور الدائم بوجود الله والخوف منه ، هو تقوى الله والخشوع له وتوقيره ، واحترام كل ما خلق وما اوصى به خلقه . هذه الخصائص المهمة للدين تجهلها اغلبية الشعب . يحدثنا السيد احمد فهمي : "في السنين الاخيرة ارتجل احد المجتمعين تحت الطيارة في جهة "الرميثة" الهوسة التالية ، واخذت تنشدها الجموع المحتشدة : "متعجب خالق له بعيره"

---

(٢٠) صدر الدين شرف الدين ، سحابة بورت سماوث (بيروت ١٩٤٨) ، ص ١٥٢ . والشائع ان من الذين قاموا باعداد تلك المناشير ، في مطابع مديرية السكة الحديدية ، وتوزيعها صباح بن نورى السعيد ، والصحافي عادل عوني ، وكلاهما سنيان .

(٢١) عبد الرزاق الظاهر ، "صور من العراق" (القاهرة ، ١٩٤٧) ، ص ٣ – ٤ .

فيها اشارة الى الاية الكريمة (افلا ينظرون الى الابل كيف خلقت) [٢٢] .
هذا شاعر شعبي يسخر من الله ، ويتهكم على قرانه ، والجموع المحتشدة حوله تردد هذا السخر مؤيدة له ، معلنة ابتهاجها به . نظم الشاعر هذه الهوسة (الاهزوجة) عام ١٩٢٠ اثناء الثورة العراقية ، عندما راى لاول مرة طيارة بريطانية ، وقد سمعت في السنوات الاخيرة اثناء تجوالي في جنوب العراق اناسا عديدين يروون هذه الهوسة ويرددونها ، ولم ار بينهم مستاء منها ، ناقما على الشاعر ، او منكرا اياه . وما هكذا يكون توقير الله واحترامه . وما عليك اذا اردت ان تتاكد من صدق هذه الملاحظة الا ان تتجول في اسواق اية مدينة عراقية وتسمع كيف يتلفظ الناس اسم الله والدين في شتائمهم ولعناتهم . او اقصد اى بائع تشاء وحاول ان تساومه وتشتط في المساومة معه ، ثم سجل الايمان المغلظة بالله والدين والكتب والانبياء جميعا التي يؤكد لك فيها انه مصرخك القول ، مريد بك خيرا ، وهو يعلم انه يكذب عليك ويحاول غشك . وما هكذا يكون احترام الله والخوف منه . يحدثنا القرآن" انما المؤمنون الذين اذا ذكر الله وجلت قلوبهم واذا قرات عليهم آياته زادتهم ايمانا " . فالخشوع عند ذكر اسم الله والخوف منه من الخصائص المهمة للمؤمن . واين عامة العراقيين من هذا كله . انهم يستمعون الى القرآن يتلى عليهم من المذياع ، والى ذكر الله تردده على اسماعهم المنائر والمآذن الكثيرة المنتشرة في كل مكان ، وهم جالسون في المقاهي ، وكانهم لا يسمعون شيئا ، واذا سمعوا فلا يفقهون ما يسمعون شيئا ، فهم مشغولون باحاديثهم او لعبهم . وما هكذا يكون الخشوع لله ، والخوف منه ، والاطمئنان بذكره . وهل ادل على ان الشعب العراقي غير متدين اصلا من ان اكثرية الشبان المتعلمين ملاحدة لا يؤمنون بدين ؟ وهذه ظاهرة قد لا يوجد لها نظيرا في سائر البلاد العربية ، وهي ان دلت على شيء فعلى ان ايمان الشعب العراقي بدينه ايمان سطحي وانما ما يعتنقه من عقائد ليس الا خرافات مشوشة تنهزم امام اقل حقائق العلم ، فقد تزول الخرافات والاعتقادات الباطلة المبنية على الجهل وتبقى العقول نظيفة متفتحة للمعرفة ، اما الايمان الصحيح المتغرس عميقا في النفس فقد يبقى مع المعرفة والثقافة ، وقد يكافح العلم زمنا طويلا .

---

(٢٢) احمد فهمي ، ص ٤٧ . معنى هذه الشطرة ان الله يتعجب بان خلق البعير ويفخر بعمله هذا . ثم يلتفت الشاعر مخاطبا الله في الشطرة الثانية "يا ..... سوّى طيارة" قائلا ويلك اصنع طيارة اذا كنت قديرا .

فاذا تعدينا هذه الامور التي تتصل بجوهر الايمان ، الى العبادات والفروض ، راينا اغلبية العراقيين بعيدة من اداء فروض الدين بتمامها ، والتي لا يكون المسلم مسلما بدونها . فعلى الرغم من تشديد الحكومة النكير على المفطرين علنا وغلقها المطاعم والمقاهي في ايام رمضان ، نرى اكثرية الشعب لا تقيم وزنا لهذا الفرض الاساسي من فروض الاسلام ولا لاوامر الحكومة ثم الا يدل هذا التشديد من قبل الحكومة ، وان كان مبعثه النفاق والتملق لعواطف رجال الدين على ضعف ايمان الناس وعدم انقيادهم لاوامر الدين ؟ واين هم المصلون ؟ اسال الجوامع الخالية .

وما ابعد الشقة بين المسلمين وبين الاسلام الصحيح في ناحية المعاملات . ان اغلبية الشعب فلاحون ، بعضهم مستقرون استقرارا دائما وبعضهم شبه مستقرين ، ولكنهم جميعهم ينتمون الى قبائل وما زالوا متمسكين بعاداتهم القبلية التي هي اقرب الى عادات الجاهلية الاولى ، التي جاء الاسلام لتغييرها واصلاحها ، منها الى الاسلام . فالاخذ بالثار ، والانتقام من القاتل نفسه او من اقاربه او ابناء عشيرته كان شائعا في القبائل العراقية ، ولا يزال ، رغم انتشار مؤسسات حفظ الامن الحكومية في اطراف البلاد . وهو عادة منافية لاحكام الاسلام .
وكانت القبائل العراقية تغزو بعضها بعضا الى وقت قريب . والغزو غير مقبول في الشريعة الاسلامية باي وجه من الوجوه " لانه نهب صريح ، وغارة على اموال الغير ، والحكم به مما ينافي الشرع " .[٢٣] والوسقة شائعة في العرف العشائري . ومعنى الوسقة انه اذا سرق لاحد الاشخاص مال ولم يستطع استرجاعه من السارق فبامكانه ان يغرم اقارب الناهب او ما يسمى بلزمته . "وهذا لا يقبله الشرع بوجه . فقد اعلن القرآن (ولا تزر وازرة وزر اخرى) وان العقل والشرع لا يقبلان ان يلزم غير المعتدى ، وان يؤاخذ غير الجارم ." [٢٤] وقل مثل هذا في كثير من العرف العشائري .

وقد تسالني : اذا كان معظم العراقيين غير متدينين كما تزعم ، وغير متقيدين باحكام الاسلام ولا مراعين لفروض الدين ، فهل تحسبهم ملاحدة كفارا ، بنوا الحادهم على هدي المنطق ، وتوصلوا الى الكفر بالدليل ؟ وهل خلت عقولهم من دين ، اي دين كان ؟

---

(٢٣) عزاوي ج ١ ، ص ٤٠٨ .

(٢٤) المصدر نفسه ، ج ١ ص ٤١٣ .

لا شك في ان قسطا من العراقيين متدينون ، عميقو الشعور بايمانهم ، مخلصون فيما يمارسون من عبادات وشعائر . وتجد هؤلاء بين الاقليات الدينية ، التي تحس بوجدانها الديني بحكم كونها اقليات . كما تجد هؤلاء في المدن وخاصة بين افراد الطبقة الوسطى ، التي ينتمي اليها معظم رجال الدين . وهؤلاء المتدينون ، على قلة عددهم بالنسبة لمجموع السكان ، يخلقون هذا الانطباع الذي يجعل العراقيين يبدون وكانهم متمسكون باهداب الدين ، حريصون على صيانة حرماته ، بحكم اتصالهم بالحركة الفكرية ، ونفوذهم على الحكومة . ولكن هذه الاقلية المتدينة لا يمكن ان تؤخذ مقياسا ونموذجا لجميع العراقيين . فالحق ان معظم العراقيين غير متدينين او هم لا يعرفون من الدين الا قضايا مشوشة هي اقرب للخرافات منها الى أصول الدين الصحيح . اما البدو فلا تختلف عقليتهم الدينية عن عقلية اجدادهم في الجاهلية الا قليلا ، وهم ما زالوا يعيشون كما عاشوا ، وايمانهم سطحي ، ولم تدخل الشريعة في قلوبهم ، او لم تنفذ فيهم نفوذا صحيحا" [٢٥] واما سكان القرى والارياف وكثير من سكان المدن فدينهم مزيج من اعتقادات دينية مشوشة منحلة ، وخرافات متعددة الاصول والاشكال ، قد تغلغلت عميقا في نفوسهم . واما الاكراد لقد اضافوا الى هذا كله تمسكهم الشديد بالطرق الصوفية التي عملت على تشويه ايمانهم واغراقهم بعبادات وشعائر بعيدة عن روح الدين الاسلامي ، خارجة على تعاليمه الصحيحة . " ومن المؤسف ان تزيا بالتصوف غير اهله ، ودخل المشعوذون من هذه الطرق المرغوب فيها ، وصاروا يصطادون العوام لما لهم من كسوة الصلاح . فاذا كان اصل وجود الطرق مصروفا الى الاصلاح فقد دخل في دورة المراسيم ايضا . ويلاحظ منهم اعمال اشبه باداء المفروضات دون تفهم غايتها ، وانها تنهي من الفحشاء والمنكر ، نساءت الحالة ، وعظم المصاب ، من هذه حتى صارت التلقينات باطنية ، موجهة نحو طلب (اصلاح السريرة) ظاهرا وعدم الاهتمام بالفروض المقررة شرعا فصارت واسطة اهمال الامور ، وصادت اعظم آلة مخربة للدين ، واقسى عامل لهدم العقيدة ، وتباعد من السلوك المرضي ." [٢٦]

---

(٢٥) المصدر السابق ج ١ ، ص ٤٢٤

(٢٦) المصدر السابق ج ٢ ، ص ٢٢٤ — ٢٥ .

والخلاصة ان الشعب العراقي غير متدين ، بالمعنى الصحيح لكلمة تدين ، وان معظم اعتقاداته خرافات وعادات تحدرت اليه من عصور الجهل الخوالي ، او تحرفت عن عقائد اسلامية سليمة ، وانه انما يتمسك برجال الدين ، احيانا ، ويوليهم احترامه ، بحكم الجهل ، او بحكم العادة [٢٧] ، او بحكم هذا الوضع الاقطاعي الذى يحيا في ظله ، والذى يجعل الناس تتساق مدفوعة بدافع الرهبة او الرجاء ، وراء مدعي الاصلاح ، والمتسلطين من رجال الدنيا والدين . وانا موقن اليقين كله ان هذا الشعب ، الذى تحمل ارواح ابنائه طاقة كامنة على الخلق والابداع لا تحد ، اذا ما اتيح له ان يتعلم العلوم الحديثة ، فسرعان ما سيتخلى عن عقائده هذه ، وتصبح عقول ابنائه ، عندذاك ، نظيفة ، خالية من كل دين ، مستعدة الاستعداد كله لتقبل الحضارة الغربية ، وهضمها ، والمشاركة الخلاقة فيها . وعلى هذا فانا لا اعتقد ان الدين في العراق يكون مشكلة اساسية ، تحول بين الشعب وبين ما ينشده من تقدم حضاري . على انني لا انكر ان عقائد الشعب هذه ، مهما كانت سطحية مرتبكة ، قد تكوّن في الوقت الحاضر خطرا موقتا على تقدم البلاد ، بحكم كونها عرضة لان يستغلها النفعيون ، والمتزعمون ، والمفرقون واعداء التقدم ، ويتخذوا منها وسيلة لتفرقة الامة ، ومحاربة الافكار الاصلاحية الحرة . وهذا الخطر الموقت لاستغلال عقائد الشعب في غير صالح البلاد يزول نهائيا اذا تحقق امران : تثقيف الشعب بالعلوم الحديثة التي تريه الحق من الباطل ، واقامة الحكم الديموقراطي الصحيح الذى يسد الطريق على المتزعمين ، والنفعيين ، والمفرقين ، والمدجلين .

---

(٢٧) يقول احمد فهمي ص ٤٩ : "يجل القوم السادة والعلماء غاية الاجلال ، وتارة يكون هذا بدافع العادة ، لانهم اعتادوا ان يحترموا اولئك السادة والعلماء على الوجه المذكور وعدوا اخلافه امرا شائنا ."

الفصل الرابع

احوال السكان الاجتماعيه

يقسم سكان العراق حسب احوالهم الاجتماعية و اساليب معيشتهم الى ثلاثة اصناف: القبائل الرحل، و سكان الارياف المستقرين وشبه المستقرين، و سكان المدن . وهذا التقسيم غير نهائي فليس بالامكان تصنيف السكان تصنيفا مضبوطا في الظروف الحاضرة ، بحيث توضع حدود ثابتة بين جماعة واخرى . فالعشائر المستقرة ما زالت تحتفظ بعقليتها القبلية و بكثير من عادات البدو و نظمهم الاجتماعية، وما زالت العشائر شبه المستقرة تمارس الرعي ، و تتنقل من محل الى آخر ، و تحتفظ بكثير من اوضاعها القبلية ، رغم استقرارها في الارض، و اتخاذها الزراعة اسلوبا في الحصول على القوت . كما ان هجرة الريفيين الى المدن مستمرة . والحقيقة ان المجتمع العراقي يمر الان في طور انتقال . فقد اخذ اساسه الاقتصادي يتغير . وهذا التغير استتبع تغيرات في العلاقات الاجتماعية وفي التكوين العقلي للسكان . فالقبائل الرحالة مقبلة على التوطن و الاستقرار و ان عارض كثير من افرادها هذه الحركة ، لان حياة الرعي و التنقل اصبحت لا تلائم العصر الحاضر ، ولا تعين على العيش . واخذ شيوخ القبائل و رؤساؤها يتحولون الى ملاكين واقطاعيين ثابتي الحقوق . واصبح كثير من الفلاحين مستاجرين للارض او عمالا زراعيين بعد ان كانوا يشاركون في الارض التي تمتلكها القبيلة باسرها .

واخذ كثير من الحرفيين و الصناع يفقدون اعمالهم و يصبحون عمالا ماجورين نتيجة لمزاحمة البضائع الاجنبية لمنتوجاتهم ولتاسيس المعامل الكبيرة في البلاد . ثم ان اتصال سكان الريف بالمدن الذى يسرته طرق المواصلات الحديثة ، و تاثرهم بعقلية سكان المدن بواسطة المدارس التي تنشأ في الريف ، وبواسطة الجنود الذين انهوا خدمتهم العسكرية مما ترك اثرا ، وان كان سطحيا ، في عقول الريفيين ، وجعلهم اسرع فهما لما في مجتمعهم هذا المتاخر من متناقضات و مساوئ .

(١) القبائل البدوية الرحالة

اشهر القبائل البدوية في العراق ثلاث : شمر ، و عنزة ، و الضفير . اما شمر فتنقسم الى قسمين كبيرين شمر طوقة وقد استقرت في الاقسام الوسطى و الجنوبية ومارست الزراعة ، و شمر جربة و تسكن في القسم الشمالي من العراق ، في الجزيرة بين دجلة و الفرات . والساحة التي تنقل فيها هذه القبيلة تمتد شرقا . وقد استقر قسم من شمر جربة في جنوب الموصل الا ان معظم افرادها ما يزالون بدوا رحلا يتنقلون في البقعة الخصبة التي مر ذكرها فيما تقدم . وقد كانت هذه القبيلة وما زالت في نزاع مستمر مع قبائل الدليم والبقارة وعشائر ملي الكردية واليزيدية الساكنين في اطراف سنجار .

من شرقا دير الزور شمالا الى هور عقرقوف جنوبا و من الفرات غربا الى جوار الموصل

حدث قبل ثلاثة اعوام صدام بين شمر الجربة وعشيرة البومتيوت قرب تلعفر ازهقت فيهما عشرات الارواح ٠ الا ان القبيلة التي يكن لها الشمريون العداء هي قبيلة عنزة ، وكثيرا ما يغزو بعضهما بعضا ٠ وينشب بينهما صراع مسلح عنيف ٠

اما القبائل عنزة فهي من اكبر القبائل البدوية التي تتجول في بادية الشام ٠ وهي تنقسم الى عدة قبائل كبيرة اهمها : الرولة ، والسبعة ، وولد علي ، والفدعان ، والعمارات ٠ وهذه القبائل هاجرت من جزيرة العرب في اوائل القرن الثامن عشر ٠ وقبائل عنزة يسكن معظمها ضمن الحدود السورية ٠ اما التي تسكن العراق منها فهي العمارات وهي تسكن في المساحة الواقعة بين هور الحمار وكربلاء ، الى ما يقرب من دير الزور ٠ وهي تقيم في الخريف بين كربلاء وشثاثة ٠ واما مركز اقامتها الاعتيادي فقرية الرحالية ٠ وهي مؤلفة من فرقتين العمارات والدهامشة وتسكن عشيرة الفدعان في سوريا غير انها تتجول في ارض العراق ٠ وهي تسكن عادة على ضفاف الفرات في غرب دير الزور وحوالي نهر الخابور ٠

واما الضفير فهي اصغر القبائل البدوية ٠ وهي تسكن الشامية وتتجول في السهول الواسعة الممتدة من السماوة الى الزبير ٠ وهنالك قبائل عديدة موطنها الاصلي نجد الا انها تتجول في الاقسام الجنوبية الغربية من العراق في بعض فصول السنة واهمها عبدة ، والعجمان والمطير ٠

يسكن البدو بيوت الشعر ، ويحترفون رعي الخيل والجمال والاغنام ، ويعنون بتربيتها ٠ وهي تكون كل ثروتهم والاساس الذي يقوم عليه اقتصادهم ٠ وهم يتنقلون من محل الى اخر سعيا وراء العشب والماء ، وبحسب ما تمليه عليهم الفصول والمناخ ٠ واما اسلوب معيشتهم فغاية في البساطة ٠ فطعام البدو يتكون من الخبز والتمر واللبن غالبا ، ومن الرز واللحم في فترات متباعدة ٠ كما ان البدو وقد اعتاد حديثا على القهوة والشاي ، واصبح هذان الشرابان يؤلفان عنصرا اساسيا في حياتهم اليومية ٠" ومصروف الاسرة البدوية في السنة يقل كثيرا عن نفقات الفلاح في البلاد الشرقية اذ يكفي العائلة البدوية الفقيرة مبلغ يتراوح بين ١٠ جنيهات و ١٥ جنيها (بمعايير ما قبل الحرب) وهي تحصل على هذا الايراد في الظروف العادية من بيع راسين او ثلاثة من الابل يمكن تعويضها عن طريق الزيادة الطبيعية في عدد القطيع ٠ وعلاوة على ذلك اعتاد البدوي عن طريق الزيارات النادرة التي يقوم بها للمدينة ان يبيع بعض الصوف وعددا قليلا من الاغنام ومقدارا من الزبد ثم يشتري من الثمن الذي يحصل عليه الارز والدقيق والسكر والبن والتمر ٠ فاذا كان على قدر من الثراء اشترى جلبابا لنفسه واخر لزوجه الى جانب سرج وبساط جديد"(١)

د حدث قبل ثلاثة اعوام صدام بين شمر الجربة وعشيرة البومتيوت قرب تلعفر ازهقت فيها عشرات الارواح . الا ان القبيلة التي يكن لها الشمريون العداء هي قبيلة عنزة ،وكثيرا ما يغزو بعضهما بعضا . وينشب بينهما صراع مسلح عنيف .

اما القبائل عنزة فهي من اكبر القبائل البدوية التي تتجول في بادية الشام . وهي تنقسم الى عدة قبائل كبيرة اهمها : الرولة ،والسبعة ،وولد علي ،والفدعان ،والعمارات . وهذه القبائل هاجرت من جزيرة العرب في اوائل القرن الثامن عشر . وقبائل عنزة يسكن معظمها ضمن الحدود السورية . اما التي تسكن العراق منها فهي العمارات وهي تسكن في الساحة الواقعة بين هور الحمار وكربلاء ،الى ما يقرب من دير الزور . وهي تقيم في الخريف بين كربلاء وشثاثة . واما مركز اقامتها الاعتيادي فقرية الرحالية . وهي مولفة من فرقتين العمارات والدهامشة وتسكن عشيرة الفدعان في سوريا غير انها تتجول في ارض العراق . وهي تسكن عادة على ضفاف الفرات في غرب دير الزور وحوالي نهر الخابور .

واما الضغير فهي اصغر القبائل البدوية . وهي تسكن الشامية وتتجول في السهول الواسعة الممتدة من السماوة الى الزبير . وهنالك قبائل عديدة موطنها الاصلي نجد الا انها تتجول في الاقسام الجنوبية الغربية من العراق في بعض فصول السنة واهمها عبدة ،والعجمان والمطير .

يسكن البدو بيوت الشعر ،ويحترفون رعي الخيل والجمال والاغنام ، ويعنون بتربيتها . وهي تكون كل ثروتهم والاساس الذي يقوم عليه اقتصادهم . وهم يتنقلون من محل الى اخر سعيا وراء العشب والماء ،وبحسب ما تمليه عليهم الفصول والمناخ . واما اسلوب معيشتهم فغاية في البساطة . فطعام البدو يتكون من الخبز والتمر واللبن غالبا ،ومن الرز واللحم في فترات متباعدة . كما ان البدو وقد اعتاد حديثا على القهوة والشاي ،واصبح هذان الشرابان يولفان عنصرا اسسيا في حياتهم اليومية . ومصروف الاسرة البدوية في السنة يقل كثيرا عن نفقات الفلاح في البلاد الشرقية اذ يكفي العائلة البدوية الفقيرة مبلغ يتراوح بين ١٠ جنيهات و١٥ جنيها (بمعايير ما قبل الحرب) وهي تحصل على هذا الايراد في الظروف العادية من بيع راسين او ثلاثة من الابل يمكن تعويضها عن طريق الزيادة الطبيعية في عدد القطيع . وعلاوة على ذلك اعتاد البدوي عن طريق الزيارات النادرة التي يقوم بها للمدينة ان يبيع بعض الصوف وعددا قليلا من الاغنام ومقدارا من الزبد ثم يشتري من الثمن الذي يحصل عليه الارز والدقيق والسكر والبن والتمر . فاذا كان على قدر من الثراء اشترى جلبابا لنفسه واخر لزوجه الى جانب سرج وبساط جديد "(١)

يكون البدو احدى المشاكل الاساسية التي تعانيها البلاد ،والتي لا بد من حلها حلا صحيحا اذا اريد لهذه البلاد ان تنعم بشيء من رفاهية وحضارةواستقرار . فالبدو يكونون احدى العوائق التي تعرقل نمو اقتصاديات البلاد . فهم كمنتجين لا يقومون الا بدور ضئيل في الاقتصاد الوطني . وحتى هذه الحيوانات التي يعنون بتربيتها لا تستوفي الشروط المطلوبة في المواشي في الوقت الحاضر من حيث النوعية والعدد ،نتيجة لعدم اتباع الطرق العلمية في التربية والتغذية والانتاج . وهم كمستهلكين لا يفيدون اقتصاديات البلاد الا افادة ضئيلة جدا ،نتيجة لضآلة مواردهم وبساطة حياتهم التي يمكن سد حاجاتها باقل البضائع وابخسها ثمنا .

والبدوي يعيش خاضعا لاحكام الطبيعة ، مستعبدا لقواها العمياء . وهو مهما بذل من جهد لا يستطيع ان يغير شيئا من طبيعة هذا النظام الاقتصادي البدائي الذي يعيش في ظله ومن هنا كان استسلامه للاقدار وتكاسله .«والبدوي لا يعرف شيئا عن الغد او التفكير في المستقبل والاستعداد لما ينتظر ان يقع من الاحداث . فهو متاثر بالتجارب التي مرت عليه خلال القرون والتي جعلته يرى ان الله سيهيىء له دائما ضروريات الحياة . فالعالم الذي يعيش فيه ليس فيه مجال للافكار الخاصة بالواجب والعمل . ولا ريب ان حياة القصد التي يحياها والتي لا مثيل لها شرط من الشروط الاولية لهذا النظام الذي يعيش في ظله . ولكننا لا ننتظر في مثل هذا الجو انتاج شيء له صفة الدوام او عمل يتطلب الاناة والابداع الواعي» . (٢) ان هذه الحياة الموحشة القاسية التي يحياها وهذا النظام الاقتصادي البدائي الذي يعيش في ظله ،طبعا عقليته بطابع غريب لا يلائم الحياة العصرية التي تهدف البلاد الى تحقيقها . فهو لا يشعر بولاء الا نحو اسرته وافراد عشيرته . ومهما اتسع افقه الاجتماعي فلن يتجاوز القبيلة التي ينتمي اليها . وهو قد تعود ان يطيع شيخه ويحترمه وياتمر بامره ويمنحه ولاءه خالصا .

---

(١) وسأشير الى هذا المصدر فيما بعد بـ "بونيه" . وهذه الفقرة منقولة عن الترجمة العربية Alfred Bonne, '' State And Economics in the Middle East'' (London,1948) .366.

آ. بونيه "الدولة والتنظيم الاقتصادي في الشرق الاوسط" ترجمة دكتور راشد البراوي (القاهرة ، ١٩٥٠) ص، ٣٧٨.

(٢) بونيه ص ٣٦٧ من الاصل وص ٣٧٩ ـ ٣٨٠ من الترجمة العربية .

اما فكرة الوطن والدولة فبعيدة عن فهمه ان لم تقل بغيضة عنده منافية لطبعه. وهو يريد ان ان يعيش حرا يتنقل من محل الى اخر، ويضع يده على كل شي يستطيع ان يناله سواء كان ذلك الشيء ملكاً لافراد خارج القبيلة او ملكا للدولة. "وهو يسعى الى ان يتجاهل ما وسعه الجهد كل ما يتصل بوظيفة الدولة في الشرق كالاعتراف بالسلطة المركزية الادارية وفروعها في الاقاليم والالتزام باداء الضرائب واطاعة القوانين". (٣)

انه لمما يبعث على الالم ان يعيش عشر سكان البلاد على هامش الحياة هذه العيشة الخبيثة الشقية بعيدين عن المشاركة بابسط مظاهر الحضارة. على ان مشكلة البدو لا تقتصر عليهم انفسهم فحسب بل انها لتمتد حتى تشمل جماعات كبيرة من سكان البلاد. فعقليتهم هذه الضيقة وحياتهم القاسية الخشنة وعدم شعورهم بواجب تقديم ولائهم للدولة جعلهم ينظرون الى الاغراب عن قبيلتهم نظرة العداء. لقد انقطع الغزو وخلص الناس من الخاوة (الاتاوة) التي كان البدو يفرضونها على الفلاحين وقوافل المسافرين بعد ان قوي نفوذ الحكومة في البادية وانتشرت قوة الشرطة السيارة في اطرافها مستعينة بوسائط النقل الحديثة السريعة. ولكن الخصومات ما زالت قائمة بين البدو والمتحضرين من السكان (٤). ويدور محور القتال حول المراعي والمياه. فالبدو يرون ان اراضي الرعي هذه ملك لله ومن حق الناس جميعا ان ينتفعوا بها ويرعوا دوابهم فيها انى شاؤا. اما الفلاحون فيزعمون محقين بان هذه المراعي الداخلة في نطاق قراهم ملك خاص لهم وان مراعيهم هذه اذا نضب ما فيها من عشب فليس بامكانهم الانتقال بدوابهم الى مراع اخرى بعيدة كما يفعل البدو الرحل.

---

(٣) بونيه ص ٢٦٧ وص ٣٨٠ من الترجمة العربية.

(٤) (ذكر الاستاذ علي الشرقي عند تقديمه كتاب البادية لمؤلفه عبد الجبار الراوي "ذكر بعض الباحثين عن اقدم عصور التاريخ في العراق ان نزاعا تاريخيا كان ولا يزال على حدود العراق المتصلة بالبادية بين الفلاح والراعي على مياه الفرات وحاجته الزراعية. فالفلاح العراقي يريد تنظيم الري وترتيب السقي والراعي العربي يريد ان تتكسر السدود وتخور متون الانهر ليفلت الماء فيكثر العشب في البادية العراقية") راجع محمود الجندي، "المشكلة الزراعية في العراق" (بغداد ١٩٥٠)، ص ٤٨. وساشير اليه فيما بعد بالجندي.

للقد اصبح اسكان البدو في الوقت الحاضر حاجة قومية ملحة ، تقتضيها مصلحة البدو انفسهم ومصلحة الفلاحين الذين يريدون ان يخلصوا من مضايقات البدو واعتداءاتهم على مزارعهم ومراعيهم ويامنوا شرهم .كما ان وجود البدو خطر يهدد كيان الدولة وكل نهضة قومية واجتماعية . فالبدو كما قلت ، لا يشعرون بالولاء للوطن ،ولا يرون في وجود الدولة الا شرا عليهم ،وتقييدا لحريتهم . وهم لا يخضعون الا لروسائهم وشيوخهم . وهولاء الروساء والشيوخ مستعدون لتقديم ولائهم ووضع انفسهم في خدمة كل من يقدم لهم احسن العطاء . وقد اتخذت الحكومة الانكليزية المتنفذين من روساء شمر الجربة اصدقاء اوفياء لها ،وقوت نفوذهم ليحرسوا لها شركة انماء النفط البريطانية وانابيب شركة النفط العراقية وليكونوا لها عونا في توطيد نفوذها في البلاد . (٥)

وقد اصبحت حياة البدو انفسهم تستوجب توطنهم وتعودهم على ممارسة الزراعة . فقد انقطع الغزو والاتاوة وبذلك فقدوا موردين من اهم موارد رزقهم ،كما انهم فقدوا ما كانوا يحصلون عليه من اجر لقاء نقلهم البضائع على جمالهم بعد ان شاع استخدام السيارة والقطار في النقل . والمراعي التي يعتمد عليها البدو في رعي مواشيهم اخذت تتقلص وتضيق مساحتها شيئا فشيئا نتيجة لانتشار الزراعة . وقد قامت الحكومة باسكان طائفة من البدو فمنحتهم الاراضي الخصبة وشجعتهم على الزراعة والاستقرار في الارض على ان الحكومة اتبعت طريقا خاطئة في تطبيق هذه السياسة فجاءت النتيجة معكوسة مما كان يدعو اليه المصلحون ،وعكس ما تتطلبه مصلحة البدو والبلاد . اعطت الحكومة الاراضي لشيوخ البدو فاضافت الى نفوذهم ،كروساء للقبائل ،نفوذا جديدا يستمدونه من تملكهم الارض ومن ازدياد ثرواتهم من المحاصيل الزراعية . واصبح البدوي الحر فلاحا ماجورا او مستاجرا للارض فقيرا . وقد حافظ هذا الفلاح الجديد على تقاليده البدوية وخضوعه للشيخ وولائه له «ان ارتباط البدوي برئيس قبيلته واطاعته اياه اطاعة عمياء جعل منه — حتى بعد انصرافه للزراعة — عبدا او قناً» (٦) واحسن مثال نقدمه لهذه السياسة الخاطئة هو اسكان قسم من عشيرة شمر الجربة في اطراف الموصل . فقد استولى الشيوخ على الاراضي الخصبة وتملكوها ،واخذوا يستغلون جهود افراد عشائرهم الذين لم ينتفعوا من توطنهم ولم يشعروا بمصلحة اساسية تربطهم بالارض وتحببها اليهم . يقول الاستاذ عبد الرزاق الظاهر بصدد هذه القضية ،«وتظل في لواء الموصل صفحة من الاقطاع حديثة الظهور ،وهي من مبتكرات الاحتلال ومنقمات العهد الوطني في دور الحرج والتهلهل .

---

(٥) تحتل قبيلة شمر الارض المتموجة تموجا لطيفا بين دجلة والفرات . هذه الارض التي تضم مدن اشور القديمة ،والتي تكون خضراء في الربيع وتنقلب الى صحراء في الصيف . وتحرس شمر مخازن شركة انماء النفط البريطانية ومحطاتها ومستودعاتها ،وهم ،الى حد ما ،وكلاء ومعتمدون لشركة النفط هذه في الصحراء . وقد ساعدوا ،اثناء اضطرابات ايار ١٩٤١ ،في قطع خط سكة الحديد

فقد اقتضت السياسة — وهو اقتضاء معقول — ان تهتم الحكومة بقبائل شمر الساكنين في اطراف الموصل ، وتقرر اعطاءهم مساحات واسعة من الاراضي لهذا الغرض . وعشيرة شمر من القبائل العربية الاصلية والمهمة ولكن الايدي لعبت بهذا المشروع النبيل ونفذته على انه اعطاء واقطاع لبيوت المشيخة من تلك العشيرة ، وبقيت عشيرة شمر " بخير لا يعوزها الا الخبز والطعام " كما يقول المثل المشهور ويقول المطلعون ان مساحة تلك الاقطاعات بلغت ارقاما خيالية وتجاوزت النصف مليون من الدونمات . وهكذا تتحول الاعمال التي يقصد منها النفع العام الى مغانم فردية ومنافع شخصية . (٧)

ان الخطة الصحيحة لاسكان البدو والرحل تتحقق بمنح الارض ملكية خاصة تسجل باسماء افراد القبيلة انفسهم ، وبالحد من نفوذ المشايخ والرؤساء ، وذلك بنشر الامن في القرى الجديدة ونشر التعليم بين الفلاحين ، وغرس روح المواطنة الصحيحة في نفوسهم . وبذلك نخلق من البدو المشبعين بالروح الفردية ، المعادين للدولة والنظام والسكان المتحضرين ، مواطنين نافعين يقدمون ولاءهم للوطن ولا يشعرون بسلطة غير سلطة الدولة والقانون ، ويشاركون بقية الشعب فيما يسعون اليه من تمدن ورقي وحياة راضية .

تتمة (٥) الذي يمر في منطقتهم اثناء زحف الجيش الانكليزي على بغداد " مكارك ص ١٨٨

(٦) جواد ص ١٩

(٧) عبد الرزاق الظاهر ، " الاقطاع والديوان في العراق " (القاهرة ١٩٤٦) ص ٧٣ — ٧٤

(٢) سكان القرى والارياف من العشائر المستقرة وشبه المستقرة .

استقر كثير من القبائل في الارض وتركت التنقل والاعتماد على الرعي واخذت تمارس الزراعة . وتبلغ نسبتهم الى مجموع سكان البلاد حوالي ٢٢ ٪ .(٨) وهم يسكنون في قرى صغيرة ، بعضها لا يزيد عدد نفوسها من ٥٠ شخصا وبعضها قد يزيد عدد سكانها من ٥٠٠٠ شخص .

اما سكان القرى والارياف من العشائر شبه المستقرة فهم وسط بين البدو والعشائر المستقرين استقرارا تاما . فقد استقر هؤلاء وبدأوا يتحضرون واستبدلوا بيوت الشعر اكواخا من الطين او صرائف من القصب والبردي . الا انهم يتخلوا عن حياة الرعي تماما . فمنهم من يعمل في الزراعة جزءا من السنة ويصرف ما بقي من السنة في رعي الماشية . وقد ينتقلون من ارضهم التي استقروا عليها الى ارض اخرى اذا ما بارت ارضهم او لم تعد تصلح للرعي . وتبلغ نسبتهم الى مجموع سكان البلاد نحو ٤٨ ٪ . (٩) .

وتسكن بعض القبائل العربية المتحضرة نصف تحضر داخل الاهوار وفي اطرافها . وبيوتهم عبارة عن صرائف بسيطة يشيدونها بالقش والقصب والبردي . وتقوم هذه الصرائف على الجزر الرملية التي تنتشر داخل الاهوار . فاذا ما لم توجد هذه الجزر واضطر الناس لسكنى منطقة من المناطق اقاموا لهم جزيرة اصطناعية بان يضعوا طبقات من الطين بعضها فوق بعض يتخللها الحصر والقصب والقش لتصلب وتتماسك . وقد يشيدون بيوتهم على اعمدة منصوبة في الماء . وينتقلون من جزيرة الى اخرى داخل الاهوار بقوارب مستطيلة ، مستدقة الحيزوم ، تسمى المشاحيف (مفردها مشحوف) وهم يزرعون الرز ويُعنون بتربية البقر والجاموس . على ان كثيرا منهم يعتمد على صيد الاسماك وطيور الماء . وهؤلاء الناس الذين يطلق عليهم اسم " المعدان " هم اكثر العراقيين فقراء وجهلا وسوء صحة ، وتاخرا اجتماعيا . ولا اعدو الحقيقة اذا قلت ان احوالهم الاجتماعية والفكرية والاقتصادية ليست احسن من احوال سكان الاهوار قبل قيام الحضارة السومرية الاكدية .(١٠)

والحقيقة انه ليصعب التمييز بين هذين الصنفين من السكان من حيث المعيشة والاحوال الاجتماعية ، وان كان شبه المستقرين اقرب الى البداوة ، واكثر محافظة على التقاليد والعادات القبلية من العشائر المستقرين استقرارا تاما . وعلى هذا فلا ارى ضرورة لبحث احوال كل طائفة على انفراد الا حيث تقتضي طبيعة البحث التمييز .

---

(٨) حمادة ص ٢١ ـ ٢٢

(٩) المصدر السابق ص ٢٠

(١٠)

الشيخ

ما زال افراد العشائر يتبعون ، بعد تحضرهم واستقرارهم في الارض، الانظمة والعادات التي كانوا يتبعونها وهم بدو رحل. فهم ينقسمون الى قبائل . والقبيلة تنقسم الى عشائر وبطون وافخاذ . ولكل عشيرة او فخذ شيخ او رئيس تاتمر بامره وتدين له بالولاء .
وقد كان الشيخ يؤدي وظيفة اجتماعية مهمة، ويحتل مركزا اساسيا في كيان القبيلة او العشيرة . فهو الذي كان يدير امور الافراد ، ويعنى بالدفاع عن القبيلة ويفض المنازعات والخصومات ويرشد القبيلة اثناء اقامتها وضعنها ، ويقودها في الحروب. وهو الذي يقري الضيوف وبكلمة مختصرة كان الشيخ يقوم بوظيفة الحكومة عندما كانت سلطة الحكومة لا تمتد الى البادية ولا تطل على الريف. فلما اخذت العشائر تستقر في الارض وتمارس الزراعة كانت الاراضي الزراعية والمراعي تعتبر ملكا مشاعا بين افراد القبيلة جميعا . وكان الشيخ يعين لكل فرد حصته من الارض ويفض المنازعات التي تنشأ حول حقوق الملكية او التصرف في المياه. كان الشيخ يملك ارضا واسعة كبيرة، كما كان افراد القبيلة يقدمون له شيئا من ايراداتهم وذلك لكي يقوم بالاعباء الملقاة على عاتقه بحكم كونه الرئيس الاعلى للقبيلة كما اسلفت.
كانت علاقة الشيخ بافراد قبيلته متينة الاواصر. فهو مقيم بينهم، متصل بهم، وعلم باحوالهم . وهو كان يحيا حياة تشبه حياة سائر افراد القبيلة في شكلها وان كانت تختلف عنها في فخامتها وابهتها وما يشيع فيها من اسباب الترف الذي لا يستطيع ان يتمتع بة الفلاحون الكادحون الفقراء. فمنازل الشيوخ رحبة واسعة، وطعامهم متنوع الالوان، والبستهم مصنوعة من القماش الجيد الغالي الثمن، واثاث بيوتهم وثيرة مريحة .
على ان هذه الحال قد تغيرت تغييرا جوهريا منذ ان اتصلت المدن العراقية المختلفة بخطوط السكك الحديد والسيارات، ومنذ ان اتصلت البلاد بالعالم الخارجي اتصالا تجاريا محكما منظما . فراجت التجارة وازداد الطلب على المحاصيل الزراعية للاستهلاك المحلي وللتصدير الى خارج القطر. وقد انتبه الشيوخ الى اهمية الزراعة وفائدة الاستكثار من الاراضي فبعد ان كان اقتصادهم الزراعي مبنيا على سد حاجاتهم من المحاصيل الزراعية اصبحوا الان ينتجون للبيع وللحصول على اعظم ما يستطيعون من الارباح . وزاد اتصالهم بالمدينة ، وتذوقوا مترف الحياة العصرية فازداد تطلبهم للمال . واخذوا يمتلكون الاراضي الزراعية الخصبة و يسجلونها باسمائهم حتى لقد اصبح فيهم من يملك نصف مليون مشارة ومن يملك مليون مشارة .
واخذوا يشتطون على الفلاحين في الايجار، وياخذون من محاصيلهم ما يستطيعون فلا يتركون لهم من ثمرات كدحهم الا ما يكاد يسد رمقهم ويقيم اود اسرهم ، ويقيهم من الموت جوعا، لا حبا بهم وعطفا عليهم وانما ليستطيعوا ان يشتغلوا ويعطوهم ما ينفقونه على حياتهم هذه الرخية المترفة .

لقد استبدل معظمهم الصرائف الواسعة التي كانوا يبنونها بالقصب ويسقفونها بالحصر، وبيوت الشعر، بقصور فخمة عصرية مضاء اغلبها بالكهرباء موثثة بالاثاث الاوربي الفخم، مجهزة بوسائل الراحة الحضرية حيث يستقبلون فيها اصدقاءهم من كبار الموظفين والشيوخ والرؤساء ويقدمون لهم اشهى الاطعمة واغلى المشروبات الاوربية، بعيدين عن ابناء قبيلتهم. "ولمشايخ الفرات الاوسط والاسفل ابراج يشيدونها الى جنب قصورهم يحتمون بها في القتال. وهي مبنية عادة في سهل واسع، اما على شكل مستدير وتسمى مفتولا او شكل المنشور المربع ويسمى برجا اوحصنا." (١١) تنتصب هذه القصور وسط اكواخ الفلاحين البائسة، او صرائفهم المعتمة الكئيبة مشيرة الى هذه الفروق العظيمة التي اصبحت تميز الشيخ من افراد قبيلته. وقد الف الشيوخ حياة المدن فاعتادوا شرب الخمور، وكثر تردد معظمهم على صالات الرقص والمقامرة وحلبات سباق الخيل، كما ابتنى كثير منهم القصور الفخمة في المدن الكبرى وخاصة في بغداد واكثروا من التغيب عن قبائلهم ومقاطعاتهم، واعتاد اكثرهم قضاء اشهر الصيف في مصائف لبنان حيث ينفقون فيها الاف الدنانير على مترفهم ولهوهم. "ان التطورات التي حدثت في الايام الاخيرة احدثت تغييرا بالغ القدر في مركز الشيخ اذ اصبح من كبار ملاك الاراضي فلم يعد واحدا بين زملاء يساوونه في المكانة او زعيما يرعى القوم وانما صار سيدا لا تباعه الذين فقدوا بذلك استقلالهم وما لهم من حقوق في الارض داخل صفوف الجماعة." (١٢)

وقد عظم نفوذ الشيوخ ورؤساء القبائل منذ الاحتلال البريطاني للعراق. فقد ثبت "قانون حقوق وواجبات الزراع" حقوقهم في ملكية الارض وزاد من استعبادهم للفلاحين، وقوى "قانون دعاوى العشائر" سيطرتهم واعلى كلمتهم. كما زاد اشتراك معظمهم في البرلمان واتصالهم برجال الحكومة من سيطرتهم حتى لقد اصبحوا الحاكمين بامرهم في مزارعهم وقراهم، ينفذ امرهم رجال الحكومة، الذين يخضعون لهم خوفا من نفوذهم او استجابة لما يقدمونه لهم من رشى. ولكل شيخ عدد من "انزلم" المسلحين معظمهم من اشقياء القبيلة ومن العبيد ويدعون في جنوب العراق باسم "الحوشية" يتخذهم حرساً وشرطة له، وينعم عليهم بفتات مائدته، ويسلطهم على الفلاحين زبانية لا يرحمون. بهذه القوة المسلحة الى جانب شرطة الحكومة واجهزتها الادارية، يسيطر الشيوخ على الفلاحين. ومن يجرؤ على الشكوى، او يحاول ان يصد الشيخ عن نهب ثمرات جهوده، او يمتنع عن العمل في ارضه فجزاؤه الحبس والتعذيب والتجويع والتشريد. فعند بعض هؤلاء الشيوخ سجون موحشة ملاى بالحشرات يلقون فيها ضحاياهم، ويشوون جلودهم بسياط حوشيتهم، ويسومونهم سوء العذاب، حتى يستغفروا ويفعلوا ما يريده الشيخ ان يفعلوه والا كانوا من الهالكين.

---

(١١) الهاشمي ص٨ — ٩ . راجع كذلك احمد فهمي ص ٢١ وعبد الجبار فارس، "عامان في الفرات الاوسط" (النجف ١٣٥٣) ص ٩٢. وساشير اليه فيما بعد بفارس

(١٢) بونيه ص ٢٦٣ من الاصل وص ٢٧٥ من الترجمة العربية.

«اعتاد الشيوخ ان يفتشوا مزارعهم بين آنٍ وآخر فصادف ان حل احدهم في الكفل، دار احد فلاحيه ونازع فلاحه على امر زراعي فرفع الفلاح صوته على الشيخ فاغاظ الزعيم هذا التجاسر وعاد غضبان فالتجأ الفلاح الى احد اصدقاء الشيخ ووسطه. وبعد اللتيا والتي اقنع الشيخ على ان يرضى عن فلاحه لقاء تحمل "قدره سبعة دنانير ونصف يدفعها الفلاح، وهي ضعف عائده السنوي» (١٣) لا عجب ان يترك الاف من الفلاحين مزارع الشيوخ ويهربوا الى بغداد وغيرها من المدن الكبرى ليشتغلوا بمختلف الاعمال مهما كانت مجهدة، قليلة الاجور.

السركال

اقتضت مشاغل الشيوخ وملاكي الاراضي، واتساع اراضيهم، ان يستخدموا وكلاء لهم، يكونون وسطاء بينهم وبين الفلاحين، فيؤجرون الاراضي للفلاحين، ويوجدون الفلاحين للعمل في اراضي الشيوخ ويراقبون اعمالهم، ويوجهون جهودهم. ويدعى هؤلاء الوكلاء بالسراكيل (١٤) وقد قوى نفوذ السراكيل وازدادت اهميتهم، واتسعت سيطرتهم في السنوات الاخيرة، عندما اخذ الشيوخ يتغيبون عن اراضيهم عندما شاع استملاك الاغنياء المتنفذين من سكان المدن اراضي في الريف وكل من الشيوخ المتغيب والحضري الملاك بحاجة الى من يرعى اراضيه ويدير له مزارعه ويراقب فلاحيه. والسركال مثل الشيخ لا يمارس الزراعة بنفسه وانما يتقاضى جزءاً من الغلة ياخذه من الفلاح والملاك لقاء خدماته التي يؤديها للشيخ، الا ان ما ياخذه من الفلاح اكثر مما ياخذه من الشيخ «وتتراوح حصته بين سدس الغلة وعشرها ويمنح في بعض المناطق بدل حصته من الغلة قطعة ارض تسمى "الطليعة" يعطيه اياها صاحب الارض ويجهزه بالبذور فيصبح من واجب الفلاح زرعها وتصفيتها حاصلا له من دون اي مقابل» (١٥) وللسركلة حقوق وخدمات حددها "قانون حقوق وواجبات الزراع". ان السركال وان كان في الاصل من الفلاحين الا ان حالته احسن من حالة الفلاح كثيرا بل انه يحيا حياة هي اقرب الى حياة الشيوخ والملاكين المترفة منها الى حياة الفلاحين المتعبة الشقية. فهو اوسع من الفلاحين دارا واهناهم طعاما واكثرهم راحة. والحق ان السركال يقوم بوظيفة الشيخ ويتمتع بمثل نفوذه في القرى التي لا يعيش فيها شيخ او ملاك.

الفلاح

الى جانب هاتين الطبقتين القليلتي العدد المتشعبتين في الريف تقوم طبقة ثالثة ضخمة هي طبقة الفلاحين ويكون افرادها معظم سكان الريف اي اكثرية الشعب العراقي، وتختلف حالة الفلاح في شمال العراق عن حالة الفلاح في وسط العراق وجنوبه.

---

(١٣) فارس ص ١٢٢

(١٤) سركال وجمعها سراكيل تحريف كلمة سركار الفارسية ومعناها الوكيل او رئيس العمال

(١٥) خياط ص ٣٣

ففي شمال العراق تشيع الملكية الفردية الصغيرة ، حيث يملك قسم من الفلاحين قطعا صغيرة من الارض يزرعونها بانفسهم ، اما في الاقسام الاخرى فالفلاحون محرومون من الارض وعليهم ان يؤجروها من الملاكين والشيوخ والسراكيل ويدفعون لهم نصف محصولهم او اكثر ايجارا لها ، او يشتغلون عند هم عمالا ماجورين يتقاضون على اتعابهم جزءا من الغلة او مبلغا من المال . او يشاركونهم في الزراعة ويقبضون نتيجة لهذه المشاركة التي يقدمون فيها قوة عملهم وجهدهم/الشيوخ والملاكون الارض والبذار والحيوانات حصة المغبون .

والفلاح العراقي مخلوق شقي بائس يعيش عيشة بدائية محروما من وسائل الرفاهية بعيدا عن الحضارة . يسكن معظم فلاحي اوساط العراق وجنوبه اكواخا معتمة تصنع من القصب والبردي او سعف النخل تدعى بالصرائف . وتتكون الصريفة من اعمدة من القصب تسمى "حنايا" وتربط باربع جدران من نوعها بشكل اسطواني وتغطى بالحصر والبواري . ويتراوح مساحة الصريفة الواحدة بين ٦ و٧ مترات طولا و ٢ او ٣ مترات عرضا . وللصريفة باب من الامام صغير ضيق لا يستطيع الشخص اجتيازه الا بعد ان ينحني . وهي خالية من النوافذ والشبابيك ولذا لا يفارق الظلام الدامس داخلها . ويعني الفلاحون بتشييد اكواخهم هذه على ارض مرتفعة خوفا من الغرق ولذا يعمدون الى حفر الارض المجاورة ليرفعوا بالتراب ارض اكواخهم . فتتالف من هذه الحفر بعد الفيضان مستنقعات يستوطنها البعوض الذي ينقل الملاريا للفلاحين اما في شمال العراق وفي بعض المناطق الوسطى حيث يقل وجود القصب والبردي او ينعدم فان الفلاح يسكن اكواخا مبنية باللبن اي الطين المجفف بالشمس . وهي عبارة عن غرف خالية من النوافذ ، او ذات نوافذ ضيقة صغيرة ولذا فانها معتمة ، لا ينفذ فيها الهواء الا قليلا . وكثيرا ما يشارك الفلاح حيواناته سكنى الصرائف والاكواخ . وطعام الفلاحين بسيط مفتقر الى العناصر المغذية ، المقومة لبنيان الجسم . وهو يتكون في الغالب من خبز الشعير او خبز الذرة ، او الرز ، الذي يطبخونه دون سمن ، وقليل من التمر والحليب . ويتكون غذاء معظم الريفيين في اوساط العراق وجنوبه من خبز يجعل كالعجين اللزج ويوضع على اجرة كبيرة على شكل الطبق تسمى "طابق" وتحمى بالنار حتى ينضج العجين . اما الذين يتمكنون من ان يضعوا الى هذا الغذاء صحنا من طبيخ الرز لا سمن فيه ، وتارة مقدارا من اللبن ، او قليلا من البصل فانهم يعدون غذاءهم ذلك اليوم من انفس الاغذية ، لان نصيبهم مما تجود به مزارع الرز الواسعة لا يضمن لهم غذاء احسن في الحال الحاضر . ولا يتذوق الافراد اللحم او حلاوة اللبن الا عند ما ياتي مضيف الشيخ والرؤساء ضيف من الشيوخ المامورين او حينما يموت احد هم . ويتمثل لمن يرى تهافت اولئك الفقراء على المضايف في مثل تلك الايام مثال اليم من امثلة البوس والشقاء (١٦)

---

(١٦) احمد فهمي ص٢٣ـ٢٤

والارقام التالية (١٧) ترينا بوضوح ان الفلاحين لا يتناولون في العام الواحد الا ما يقرب من نصف الاطعمة الضرورية فقط . وقد بنى الاستاذ بونيه الذي استخرج هذه الارقام احصاءه هذا على عدد سكان الريف العراقي في عام ١٩٣٩ البالغ ٢،١٠٠،٠٠٠ شخص .

نوع الغذاء	ما يجب ان يتناوله الفلاحون في العام الواحد (بالاف الاطنان)	ما يتناولونه منها في العام الواحد فعلا (بالاف الاطنان)
اللحوم والاسماك	٤٦	٢٤
الخضروات	٢٦٨	١٦٩
الفواكه	١٥٣	١١٠
الخبز	٣٢٣	٢٦٠
الحليب ومنتجاته	٤٦٠	١٩٢
البيض (بالعدد)	٣٨٨،٥٠٠،٠٠٠	١٢٦،٠٠٠،٠٠٠
السمن والزيت	٣١	٦١
السكر	٦١	٣٨
الجبن	٣١	١٥

اما لباس الفلاحين فغاية في البساطة . وكل ما يرتدونه في الشتاء والصيف رداء من الخام وعباءة صوف وكوفية وعقال . وهذه الملابس لا تفارق جسم لابسها الا بعد ان تخلق وتبلى وتصبح ارتداؤها غير ممكن . ويندر ان نجد بين افراد العشائر من يرتدي حذاء في الصيف وفي الشتاء ويرجع ذلك الى ضعف حالتهم الاقتصادية (١٨) واثاث المنزل بسيط كذلك فهو يتالف في الغالب من طنجرة لطبخ الرز ومرجل لغلي الشاي وبعض الصحون النحاسية واقداح الشاي وبساط غليظ من النسيج المحلي ، وصندوق خشبي للثياب .

لاكثر الشيوخ والاغوات والسراكيل مضائف مبنية بالقصب او البردي او من بيوت الشعر وتختلف اتساعها بحسب ثراء صاحبها واتساع اراضيه وكثرة فلاحيه . وهي تشاد على ارض مرتفعة . وامام المضيف بهو واسع يسمى "الدكة" وهو مجمع كل الفلاحين والضيوف فيها في المضيف هو نادي الفلاحين يجتمعون فيه في العشية وفي اوقات فراغهم حيث يسمرون ويروون القصص ويخوضون في احاديث تتخطى هذا الضيق الافاق . ((وللاجتماعات في المضائف انظمة وقواعد خاصة . فالفلاح يجلس الى اسفل محل يلي كانون القهوة الواقع في وسط المحل مما يعد منتوف المضيف واما الجانب الاعلى فهو للسراكيل من الدرجة الثانية ووعاظ الدين (مؤمن) وفي الصدر المجلس اماكن مفروشة لما موري الحكومة واعيان الشيوخ والسادة .)) (١٩) .

(١٧) احمد فهمي ص ٢٤

Alfred Bonne, "The Economic Development of the Middle East" (Jerusalem, 1943), P. 46.

تشبه حالة الفلاحين الاكراد في جوهرها حالة الفلاحين العرب • فلكل قبيلة او لكل عدة قبائل رئيس يطيعه الافراد ويدينون له بالولاء والاحترام ويتمتع بما يقدمونه له من ثمرات اتعابهم • ولكل قرية رئيس يقال له "كتخدا" او "تيمال" او كوخة بحسب المواطن ومصطلحاتها • وهؤلاء يشبهون السراكيل اذ يقومون بالوساطة بين الملاكين والفلاحين وبين هؤلاء والحكومة • وهم مختارو القرية وهم ياخذون حصتهم من الملاكين راسا • اذ يستاجرون الارض من الملاكين ويزرعونها لحسابهم الخاص فينالون بذلك حقوق السراكيل والملاك • ولهم كل السلطة على القرية وحق ادارتها فلا يخرج الافراد عن طاعتهم ولا يتجاوزون رغباتهم ولا يخالفون عن امرهم • (٢٠) •

ان الفلاح العراقي بصورة عامة جاهل مريض منهوك القوى معزول • وهو قد اعتاد حالته هذه والف ما يحيط به من شقاء فلم يعد يجد في حياته هذه الشقية شرا ولا ينكر منها هذا الظلم الذى يستفز ضمير الانسان • لقد اعتاد الخضوع لشيوخه ورؤسائه والطاعة اوامرهم وتنفيذ مشيئاتهم وبذل جهود في سبيلهم • حتى لقد اصبح من الطبيعي في نظره ان يسود اولئك ويتحكموا ويعيشوا على ثمرات جهوده منعمين رافهين، وان يعيش هو خاضعا لاوامرهم، شقيا بكدحه عاكفا على الامة • هذه النفسية القانعة بمصيرها، الراضية بشقائها، المستسلمة لظلم اسيادها، هي احدى العلل المهمة التى تؤخر الريف العراقي، وتسمح لهذا النفر القليل من الشيوخ المتفسخين الكسالى ان يستعبدوا ملايين الفلاحين العراقيين • ولو كان الفلاح العراقي حظ من الوعي السياسي والاجتماعي عارفا بقدر نفسه مقدرا لجهوده لما صبر على الظلم، ولكانت الحال في الريف غير الحال الشقية الحاضرة • "ولولا ان الفلاح العراقي من طبعه الصبر وتلقي الضيق باعتباره الاصل، وان الرفاه عارض وليس بدائم — لولا هذه النفسية المتاصلة فيه، لكان تذمره شديدا، وشكواه عالية • ولكنه وقد تعود الظلم والحرمان، لا يرى في ذلك الا الاصل الذى يقاس عليه ... فينطوي على نفسه كئيبا مكبوت العاطفة، يكل أمره على الله، وبه يستعين في احتمال البلوى • " (٢١)

حللت وجماعة من اصحابي ضيوفا على احد شيوخ الناصرية المثرين، وعند ما اردنا العود الى المدينة امر لنا الشيخ بخيول ركبناها، ثم اشار الى جماعة من الفلاحين الملتفين حوله ان يسيروا معنا، ويوصلونا الى المدينة، كي يعودوا بالخيول الى القرية • كانت الخيول تخب بنا في اراضي الشيخ الخصبة الواسعة، والفلاحون المساكين يركضون وراءها ركضا • لقد اذكرني منظرهم المؤلم انذاك بعبيد الرومان الاذلاء البائسين •

---

(٢٠) انظر عزاوى ص ١٥ ــ ١٦

(٢١) الظاهر، اقطاع ص ١٠٩

(١٨) فارس ص ٩٢

(١٩) احمد فهمي ص ٤٢ وانظر كذلك الطاهر ج ٢ ص ٩٢

والقيت اليهم بعلبة دخان فتلقفوها شاكرين ، حامدين ، كاني اقطعتهم ارضا . استغرقت رحلتنا ثلاث ساعات قطعها الفلاحون ركضا ، وما رأيتهم يتذمرون او يتأففون وان كانت جباههم تنضح عرقا ، وصدورهم ترتفع وتنخفض بلهاث موجع ، والتعب الانساني يطل من عيونهم الوديعة الحزينة ، ويجعلني استخزى من نفسي ، واثور على هذا الظلم البغيض المخجل الذى يجعل من الفلاحين الكادحين الاحرار عبيدا اذلاء بائسين .

وقد يهدهد الفلاح آلامه ، ويسكب اوجاع قلبه ، في قصائد شعبية حزينة ، واغان نائحة كئيبة ، وقد يعبر الفلاح الجنوبي عن ثورة نفسه بهذه الدموع التي يسكبها على شهداء كربلاء في عشرة ايام عاشوراء ، وهذا الحب العميق للحسين بن علي سيد الثائرين على الظلم . وقد ينفس عن ثورته الكامنة في اعماق روحه باشتراكه في المعارك والخصومات التي تشجر بين الفلاحين لاتفه الاسباب والتي تبدد ثوريتهم وتضيع جهودهم ، وتمزق وحدتهم . وقد تاخذ ثورة الفلاح ، احيانا ، طابعا ايجابيا صريحا ، كهذه الصدامات المسلحة التي تحدث بين الفلاحين والشيوخ المتنفذين واتباعهم ، او بين الفلاحين والحكومة ، وتكون مستورة في اكثر الاحيان بشعارات غامضة ، واماني بعيدة ، كهذه الانتفاضات التي تنفجر بين حين واخر في المناطق الكردية (٢٢)

---

(٢٢) راجع ايرلاند ص ٩٢ ـ ٩٣ عن الصدامات بين الفلاحين وبين شيوخهم السعدونيين في لواء الكوت

قانون دعاوى العشائر لن تكمل الصورة التي اريد ان ارسمها للريف العراقي الا اذا تحدثت من "قانون دعاوى العشائر".

وقبل ان اتحدث عن هذا القانون ، وابين ما يلحقه من ضرر في تقدم البلاد ووحدة الشعب وتمدنه ، اريد ان اذكر بعض العادات القبلية والاحكام العرفية التي يدعمها هذا القانون ويسبغ عليها صفة ا شريعة ، حتى يكون فهمنا له اتم واوفى .

تفصل الخصومات والمنازعات طبق القواعد والتقاليد التي تستمسك بها القبيلة ، وتعتز بالمحافظة عليها ، والتي تحدرت اليها من ابائها الغابرين على مر الزمن . ولهذه القواعد التي تبنى عليها الاحكام ، والتي تسمى في عرف العشائر "سواني" اساس واحد عند جميع العشائر وان اختلفت في الفروع والتفاصيل بين عشيرة واخرى . (٢٣) تعرض الخصومات على احد المتخصصين بعادات القبيلة ، العارفين بتقاليدها واحكامها ، ويسمى ب (العارفة) او تقدم الى مجلس تحكيم مكون من بعض الرؤساء والشيوخ والسادة يعينه رئيس الوحدة الادارية ويرضى باعضائه الطرفان المتنازعان .

فقبائل الفرات الاوسط ، مثلا ، لا تتبع احكام الشريعة الاسلامية ، ولا قواعد القوانين المدنية العراقية ، في قضية الارث . فالعادة المتبعة في الغالب ، ان تحرم المرأة من الميراث . كما ان اكبر الاخوة ، اذا كان قويا حازما ، يختص بما تركه ابوه ، ويقوم بالانفاق على حاجات اخوته ونساء ابيه . وقد يقتسم الاخوة الميراث ولكن على شرط ان يتنازلوا لاكبرهم عن ثلثه ، وتسمى هذه الحصة بحق (الكبرة) ، ثم تجرى القسمة بينهم بالتساوى . فان مات الاكبر ورث هذا الثلث اكبر الباقين . وقد يقتسم بعض الاخوة المتكافئين او الذين هم من ام واحدة التركة بكاملها ولا يتركون للصغار شيئا . (٢٤)

"اذكر انني التقيت صدفة بنفر من كبار الشيوخ ، والمتنفذين منهم ، وسمعتهم يتقدمون من صدور حكم في حق امرأة بالنسبة لتركة زوجها المتوفي ، وفرض حصتها القانونية في الطابو العائد لزوجها ، واتفقوا على ان ذلك باطل ، لانه يخالف العرف العشائري". (٢٥)

ولننظر الان في احكام قبائل الفرات الاوسط في القتل . ان قتل احد افراد قبيلته شخصا لا ينتسب الى قبيلته فلآل المقتول ولكل فرد من عشيرته الحق في ان يقتل القاتل او اى شخص يصادفه من عشيرته . وقد تسوى القضية بالحسنى ، وذلك بان تقدم اسرة القاتل لاسرة المقتول مبلغا من المال ، وهذا ما يسمى ب "الفصل" ويجمع الفصل من افراد العشيرة بكاملها .

---

٢٣ احمد فهمي ص ٣٤ وانظر كذلك عزاوى ج ١ ص ٤٠١ وفارس ص ١٠٩

٢٤ فارس ص ١٠٨

٢٥ الطاهر ، اقطاع ص ١٣٩ .

فيدفع القاتل منه مثل ما يدفعه غيره وهذا هو السبب الذى يشجع على كثرة حدوث جرائم القتل . وقد يكون الفصل بالنساء وذلك ان تقدم عشيرة المقتول بعض بناتها لذوى القاتل . وقد يكون الفصل بالمال والبنات معا . وان ولدت المرأة المقدمة كفصل للجريمة ولدا ذكرا ، او بنتين ، تعد فاصلة ، ويحق لها ان ترجع الى اهلها اذا شاءت . وان كانت عاقرا ، او ماتت قبل الولادة فلاسرة المقتول المفصول حق المطالبة بغيرها . وان قتل احد افراد عشيرة المقتول المفصول شخصا من عشيرة القاتل فيجب ان يدفع اربعة امثال الفصل المتعارف ، اى يجب ان يدفع مقدارا معينا من المال مع اربعة نساء ، وذلك لعدم احترامه عهد الامان الذى اعطته عشيرته يوم قبلت بالفصل وارتضت بحل الخصومة صلحا . (٢٦) وهذه الاحكام لا تنطبق على جميع افراد العشيرة بالتساوى . فللشيوخ والرؤساء امتيازات خاصة ، ويتكلف من يعتدى على حياة احدهم ما لا يتكلفه المعتدى على حياة احد من عامة افراد القبيلة .

"حدث عام ١٩٢٣ في الفصيلية ، ان قتل جماعة من رؤساء الغزالات رئيسا آخر فاحيلة القضية على مجلس المحكمين فحكم بما ياتي : بسجن القتلة لمدة سبع سنوات ويغادروا اقاربهم اراضيهم الزراعية ، ولا يدخلون الفصيلية لمدة ثلاث سنوات ، على ان يتصرف ذوو المقتول بممتلكاتهم طيلة سني التبعيد وبعد هذا يدفع لآل المقتول اربعة امثال الفصل على ان يكون من خالص حلال القتلة" (٢٧)

اما دية الفصل في الحادثات التي تقع بين افراد العشيرة نفسها فهي اربعة اضعاف الدية المقررة للفصل في حوادث القتل التي تقع بين افراد عشيرتين .
واذا كان القاتل ممن يملكون ارضا ويشتغلون بالزراعة حكم عليهم بالجلاء من ارض عشيرته سبع سنوات يزرع ارضه خلالها اقرباء المقتول ويتصرفون بريعها ، وتوزع دية الفصل على عشيرة المقتول بعد ان ياخذ شيخ العشيرة ثلث المبلغ وتكون حصة اهل المقتول اكثر من غيرهم . » (٢٨)

---

(٢٦) فارس ص ١٠٩ — ١١١ ولحمد فهمي ص ٣٦٤
(٢٧) فارس ص ١١١ — ١١٢
(٢٨) المصدر السابق ص ١١٥

اذا ثبت ان احد الاشخاص حاول الاعتداء على شرف امرأة يحكم عليه باعطاء مبلغ من المال ، وتقديم امرأة من قريباته يتزوجها احد اقرباء المرأة المتجاوز عليها . وان لم يكن لها قريب من ارحامها فيتزوجها احد افراد عشيرتها . واذا ثبت ان الزناء قد تم بالفعل ، فان الفصل ، في كثير من الاحيان لا يقبل . وتحل المشكلة بقتل المعتدي والمعتدى عليها وقد تقتل المزني بها وحدها . ويلزم المتجاوز عليها بالفصل . والفصل في هذه الحالة يكون في كثير من الاحيان ، بان يقدم المعتدي اخته ، فان لم تكن له اخت فيقدم ثلاثة نساء او اربعة من قريباته الى اقرباء المرأة المتجاوز عليها (٢٩)

ان الافتراء على احد ابناء العشائر بالعبودية ، كان يتهم بانه متحدر من عبيد ، او ان احد اعمامه ، او اخواله عبد ، جريمة تستحق الفصل . وان لم يستطع المفترى عليه بالعبودية رد التهمة واثبات اصالة محتده اصبح عبدا لا تصاهره العشيرة ، ولا تعترف له بحقوق الاحرار وحرمتهم . اما اذا تمكن من نفي تهمة العبودية فيحق له الفصل . فاذا امتنع المفتري عن تادية الفصل يحق للمفترى عليه قتله ، على ان يدفع فصله لاله ويدفع ذوو القتيل فصل التهمة والافتراء بالعبودية له . وقد حدث ان اتهم احد رؤساء جليحة في قضاء الهندية احد الرؤساء بالعبودية . وقد حكم له المحكمون ، بعد ان اثبت بطلان التهمة ، بان ياخذ من المفترى بنتين و ١٦٠ ليرة . وقد قبض المبلغ واستمتع بالبنتين بدلا عما اصابه من عار نتيجة لاسناد هذه التهمة اليه (٣٠)

اذا اعتدى شخص على شخص آخر من ابناء العشائر بالكلام ، او اهانه ، او قذفه ، او حقر دخيله او نزيله ، او رماه بسرقة ، او سرقه ، او تزوج من قريبة له نهاه عن التزوج بها ولم يلتفت الى نهيه ، او فعل به كل ما من شانه ان يجعله ذليلا عند قومه ، محترا في مجتمعه ، فله ان يرفع على الشخص المعتدي دعوى شرف ، مطالبا بتعويضه عما ناله من اهانة وهذا الحق يدعى بـ (الحشم) واذا حكم على المعتدى بتادية (الفصل) ولم يؤده عرض نفسه لخطر (المعقر) . والعقر يحدث غالبا اذا كان الشخص مهتاجا ، ثائر الاعصاب لما لحقه من اهانه ، اي يكون في اصطلاح القوم في حالة (فورة الدم) . فاذا اهين شخص بما يستدعي الحشم ، او انتهك شرف احدى قريباته ، او قتل احد اقربائه وكان في حالة (فورة الدم) فمن حقه ان يعقر حيوان خصمه وذلك بان يقتل الحيوانات قتلا او يقطع قوائمها .

---

(٢٩) المصدر السابق ص ١١٥

(٣٠) فارس ص ١١٤ ـ ١١٥

او ان يقطع قوائم البيت ويخربه • ويسوغ له في حالة فورة الدم القتل ايضا• "والحشم لا ينتهي الا بثلاث هويات ، اى ثلاث هجمات ، على اموال عدوه وحيواناته وبيته ، على حين فوة ، وله في شمر طوقة سبع هويات ، ثم يفصل بامرأة ٠٠٠٠" (٣١)

تفصل جرائم السرقة في باعادة المال المسروق فقط • وقد يضاف الى ذلك شيء اخر اذا كان السارق والمسروق من عشيرة واحدة • ولا فصل في السرقات التي تقع بين عشيرتين • واذا لم يستطع المسروق ماله ان يسترد امواله من السارق نفسه فله الحق في ان ياخذ مقدار هذا المال من اى من اقارب السارق ، اومن يدعى بلزمته ، الى خمسة اظهر ، وهذا ما يسمى بالوسقة "الوسگة" (٣٢)

هذا نموذج لبعض العادات والاحكام العرفية التي تمارسها العشائر • وهي تبدو ، لاول وهلة ، مخالفة لاحكام الشريعة الاسلامية والقوانين العراقية والجزائية والمدنية ، مخالفة لاسس المدنية الحديثة التي تقرر احترام الشخصية الانسانية وتسعى لمساواة الافراد جميعا • هذه التقاليد والعادات البالية هي احد العوامل التي تعوق تقدم الشعب العراقي وتحول دون تحضره • وان المصلحين ليسعون للقضاء عليها وتخليص الناس من شرورها ولكن قانون دعاوى العشائر يدعمها ويسبغ عليها صبغة شرعية • فلنلق على هذا القانون نظرة فاحصة ناقدة •

---

(٣١) عزاوى ج ١ ، ص ٤١٥ — ٤١٦

(٣٢) المصدر السابق ص ٤١٣ •

(٣٣) ((ولقد استبان بسرعة ان القانون العراقي لا يمكن تطبيقه تماما في المناطق العشائرية التي تؤلف جميع المناطق المحتلة في خارج المدن كما اتضح ان الحكام السياسيين كانت بهم حاجة الى صلاحيات خاصة يبتون بواسطتها في القضايا الحقوقية والجزائية في ضمن مناطقهم • ولتلافي هذا الوضع قام المستر هـ• ر• ك• دوبس بوضع نظام دعاوى العشائر المدنية والجزائية" على نمط "نظام جرائم الحدود الهندى" فاصدر (هذا النظام — في شباط ١٩١٦ ٠٠٠٠ وقد اثبت النظام في تطبيقه بانه متفق مع رغبات القبائل لانه يسر لهم حسم المنازعات بالطرق المألوفة عندهم منذ مدة طويلة • وكذلك ساعد في توطين القبائل وتهدئتها لاعطائها الاهمية للاراء العشائرية التي تحصل بالتحكيم ، كما رفع من اهمية الشيوخ بمنحهم المكان المعترف بها في النظام السياسي والقضائي • فوجد الحكام السياسيون من جهتهم بان حملا ثقيلا قد رفع عن كاهلهم بذلك •))

ايرلند ص ٨٥ — ٨٦ • وقد نقلت هذه الفقرة من ترجمة الكتاب في العربية "العراق: دراسة في تطوره السياسي" ترجمة جعفر خياط (بيروت ١٩٤٩) ص ٥٣ — ٥٤

حلت الشريعة الاسلامية محل العرف القبلي والتقاليد الجاهلية، ولكن الشريعة الاسلامية لم تتغلغل عميقا في روح العرب الذين ظلوا محافظين على بداوتهم، متمسكين بتقاليدهم القبلية. فلما انهارت الدولة العباسية، وتوالت على العراق حكومات لم تعن باقرار السلام واستتباب الامن والنظام في البلاد بقدر عنايتها بجمع الضرائب وابتزاز اموال الناس قوى التنظيم القبلي وابتعد الناس عن المدنية الاسلامية، واستعادت التقاليد القبلية نفوذها وقوتها. وكانت السلطة الدولة العثمانية على الريف العراقي وقبائله ضعيفة فظلت القبائل تحل مشاكلها وخصوماتها حسب تقاليدها وعرفها ولم تتدخل الحكومة الا في القضايا الكبرى بين القبائل. فكانت تتوسل بقوتها وتستعين بالحكمين على حل الخلافات واقرار السلام. فلما احتل الانكليز البصرة واخذوا يتقدمون شمالا اصدروا عام ١٩١٦ "بيان العشائر" والزموا حكامهم بالسير بموجبه. (٣٣)

وبعد استيلائهم على بغداد وسعوا نظام العشائر هذا وعمموا مفعوله على المناطق المحتلة من العراق جميعا. فقد صدر نظام دعاوى العشائر بتاريخ ٢٧ — ٧ — ١٩١٨. ثم عدل هذا النظام بقانون صدر في ٢٨ — ٨ — ١٩٢٤. ثم عدل تعديلا طفيفا في ١ — ٦ — ١٩٣٣. واستمر العمل بموجبه الى اليوم (٣٤)

وضع هذا القانون الذي يسمى "بقانون دعاوى العشائر المدنية والجزائية لسنة ١٩٢٢" لحسم المنازعات من مدنية او جزائية التي تقع بين افراد العشائر حسما سريعا وفقا للعادات الراجحة بينهم. (٣٥) ويقصد بالفرد من العشائر من كان منتسبا الى عشيرة معلومة او نخذ من عشيرة معلومة من العشائر التي جرت على حسم منازعاتها بواسطة محكمين من اختيارها او شيوخها بدلا من المحاكم النظامية. (٣٦) ولا يشترط ان يكون الطرفان المتنازعان من ابناء العشائر لتحل قضيتهم بحسب احكام هذا القانون اذ يجوز للمتصرف اذا ظهر له ان احد الخصمين في احدى الدعاوى فرد من العشائر وتراءى له ان حسم الدعوى وفق العادات البدوية اقرب الى رضى الطرفين ورفع النزاع رفعا تاما مما لو حسمتها المحاكم النظامية المدنية او الجزائية، ان يقوم بفصل النزاع حسب احكام هذا القانون سواء اقيمت الدعوى في المحاكم المدنية او الجزائية او لم تقم (٣٧). وتقوم السلطة الادارية بتطبيق هذا القانون. فيعين وزير الداخلية المتصرف ليرى امور اية عشيرة من العشائر التي هي داخل لوائه كلها او بعضها ويكون للمتصرف الحق في ان ينظر في جميع المنازعات التي تخص العشيرة المذكورة. وقد تفوض سلطة المتصرف هذه للقائمقام او المدير الناحية. (٣٨)

للمتصرف الحق في ان ينظر في اية دعوة عشائرية . فاذا كانت الدعوة قد عرضت على المحاكم المدنية او الجزائية ولم تصدر المحكمة فيها حكما فللمتصرف اذا شاء ان يسحب الدعوة من المحكمة وينظر فيها بنفسه حسب احكام هذا القانون . (٣٩) وليس للمحاكم المدنية او الجزائية ان تسمع الدعوى التي كان المتصرف قد اعطى بها قرارا (٤٠) . واذا راى المتصرف ان ينظر في اية دعوى عشائرية فانه يعين مجلسا للتحكيم مؤلفا من رؤساء العشائر وذوى الخبرة فيها . ويقوم هذا المجلس بدرس القضية وسماع افادات طرفين المتنازعين ثم يصدر قراره . ويراعي المتصرف القرار ويصدر حكما على المدعى عليه باداء التعويضات التي قدرت في القرار فيما اذا كانت الدعوى مدنية او يحكم بثبوت الجرم المسند الى المتهم او المتهمين كلهم او بعضهم في قرار المجلس اذا كانت الدعوى جزائية (٤١) وللمتصرف ، عند ورود قرار المجلس ، اما ان يعيد الدعوى الى المجلس ليصدر فيها قرارا اخر ، او يحيل الدعوى الى مجلس اخر او يرد الدعوى ان كانت مدنية او يبرئ المتهم او المتهمين كلهم او بعضهم ان كانت الدعوى جزائية ، او يقرر عدم لزوم السير على مقتضى هذا القانون . (٤٢) وقد جوز هذا القانون معاقبة افراد العشيرة جميعا لجرائم ومخالفات يرتكبها فرد منهم او جملة افراد . فيجوز للمتصرف ، متى حكم على احد افراد العشائر بمقتضى هذا القانون بدفع غرامة او تعويض بناء على توصية المجلس الذي نظر في الدعوى ، ان يامر بان تحصل الغرامة او التعويض اما لاقرباء المحكوم او لافراد عشيرته الذين يعينون في ذلك الامر من المال المنقول او غير المنقول (٤٣) وللمتصرف ان يغرم اهالي احدى القرى او نازلي احد المخيمات اذا حصل له ما يدعو الى الاعتقاد بان اهالي تلك القرية او نازلي ذلك المخيم قد تواطأوا كلهم او بعضهم على ارتكاب جريمة ما او حرضوا عليها بوجه من الوجوه ، او تقاعدوا عن تقديم ما يستطيعون من المساعدة لاستقصاء خبر المجرمين او القبض عليهم . (٤٤) ان القرارات والاحكام والاوامر الصادرة بموجب هذا القانون لا تقبل الاستئناف . ولا يجوز الاعتراض عليها في المحاكم المدنية او الجزائية (٤٥)

---

(٣٤) عزاوي ج ١، ص ٤٢٦ (٣٥) "قانون تعديل نظام دعاوى العشائر" بغداد، ١٩٢٤، المادة الاولى، الفقرة الاولى . (٣٦) المصدر السابق ـ المادة الثانية الفقرة (٢)

(٣٧) المصدر السابق المادة السابعة .

(٣٨) المصدر السابق المادة الثالثة الفقرة الثالثة .

(٣٩) المصدر السابق المادة الثامنة الفقرة الثانية .

(٤٠) المصدر السابق المادة الحادية عشرة

على ان هذا القانون قد خول وزير الداخلية سلطة استثنائية . فللوزير الحق في ان يجلب اية معاملة جرت بمقتضى هذا القانون وله ان ينقض القرار او الحكم او الاوامر الصادرة فيها ويجوز ذلك ايضا لمن عينه وزير الداخلية لهذا الشان خاصة (٤٦) .

ان هذا القانون يؤلف خطرا اساسيا على وحدة الامة العراقية ، ويحول دون تحقيق العدالة الشاملة بين افراد الشعب جميعا . ويزيد من خطره ان القسم الغالب من السكان من ابناء العشائر "وحتى في المدن العريقة في التحضر نجد القسم الاكبر يرجع بنسبه — ويعتز به — الى القبائل العربية المعروفة " (٤٧) . وان المجتمع العشائري في طور انتقال ولهذا تكثر فيه الخلافات والمنازعات المدنية والجزائية وخاصة الخلافات التي تدور حول ملكية الاراضي وحقوق التصرف في المراعي والمياه . هذا القانون خطر على وحدة الامة لانه يقسم الشعب الى قسمين يخضع كل منهما لاحكام قانون خاص ، يختلف عن الاخر في اسسه واحكامه اختلافا كبيرا . وهو يعيق تحضر الشعب لانه يمنح ابناء العشائر امتيازات خاصة لا يتمتع بها ابناء المدن ، ولانه يحافظ على العادات والعرف القبلي التى لا تلائم المجتمعات المتحضرة ، والتي يسعى المصلحون لازالتها وغرس روح المواطنة الصحيحة والعادات الاجتماعية المهذبة مكانها . ولعل الى هذا قصد الحكام الانكليز حين سنوا هذا النظام . فقد كان من همهم ان تبقى كلمة الامة متفرقة وان يبتعد سكان المدن عن ابناء العشائر ، وان يسود التطاحن بين الرؤساء والسيوخ ، وان يبقى الشعب متاخرا جاهلا عاكفا على تقاليده البدوية وعرفه الهمجي ، ليسهل عليهم السيطرة على البلاد واستغلالها كما يشاؤون . (٤٨) وهو يحول دون استتباب الامن في البلاد وتطبيق العدالة على المواطنين جميعا لانه يقوى نفوذ رؤساء القبائل ومشايخها ، الذين تتكون منهم مجالس التحكيم في الغالب . وهؤلاء يراعون دائما مصالحهم الشخصية ومصالح اصدقائهم من الشيوخ والمتنفذين . ويكون المستضعفون والفقراء ومن لا تسندهم الحكومة هم الاخسرين دائما .

---

(٤١) المصدر السابق المادة الثامنة الفقرة التاسعة .

(٤٢) المصدر السابق المادة الثامنة الفقرات (١٠) ا — ب — ج — هـ

(٤٣) المصدر السابق المادة الخامسة عشرة .

(٤٤) المصدر السابق المادة الثامنة والعشرون

(٤٥) المصدر الملحق المادتان الخمسون والتاسعة والخمسون

(٤٦) المصدر السابق المادة الواحدة والخمسون .

(٤٧) راجع عزاوي المصدر السابق ص ٤٣٢ والظاهر، اقطاع، ص ١٣٦

(٤٨) الظاهر، اقطاع، ص ١٣٧

ولما كان المتصرف هو الذى يصدر الاحكام النهائية، سهل على المتنفذين من الشيوخ والرؤساء توجيه هذه الاحكام لصالحهم الخاصة بحكم اتصالهم برجال الادارة وبحكم الرشوة التى يتفننون في اصطناعها ، وبحكم نفوذهم القوى في اوساط الحاكمين في بغداد . التقيت قبل ثلاثة اعوام في ناحية المنصورية في لواء "ديالي" بمدير الناحية . وهو شاب مثقف يحمل شهادة المعلمين العليا وشهادة المحاماة ويحمل روحا وطنية اصلاحية عالية . اخذ هذا المدير الشاب يبث لي همومه ويشكو من نفوذ الشيخ المتنفذ في الناحية، وهو شيخ مقامر متلاف قوى النفوذ وعضو في مجلس النواب وصديق للسلطات الانكليزية . قال: يريدني الشيخ على ان اخضع لمشيئته، واحمى نهبه للناس اى ان اعمل وكانى موظف عنده . وانا ان فعلت ما يشاء خنت واجبى، ودست على ضميرى، وسحقت حقوق المستضعفين . وان لم افعل اقام على قيامة رؤسائي . وقد انتقل المدير من ادارة هذه الناحية الى ناحية اخرى . ولا ارى حظه في مقره الجديد سيكون احسن من حظه في منصبه الذى هرب منه . ففي كل ناحية وفي كل لواء وفي كل قضاء، شيوخ ورؤساء واقطاعيون متنفذون ، يريدون ان تسير الحكومة حسب اهوائهم وتحمي امتيازاتهم ونهبهم لحقوق الناس الضعاف.

ان كثيرا من الاحكام التي يصدرها المتصرفون، والتي قد لا تستند الى ادلة، تخالف الشرع الاسلامي والقوانين العصرية المتبعة في العراق، وروح العدالة . "بلغني ان احد المتصرفين ، جهلا منه، حكم وفقا للعرف العشائرى بتفريق وقسمة ثروة الشيخ المتوفي على اخوانه واعمامه، وجعل الحصة القليلة لاولاده، وحرم النساء بل زاد على ذلك فحكم بقسمة اولاد المتوفي القاصرين من ذكور واناث واعطى لكل من اخوة المتوفى ولدا او بنتا وكانهم جزء من التركة . حمله على هذا الجهل المركب وكون بعض الورثة الشرعيين هم في سن الطفولة، وهم قاصرون فجعلهم جزءا من الميراث فقسمهم" (٤٩) كانت عشيرة البومتيوت تسكن منذ ازمان بعيدة اراضي زراعية قرب تلعفر في لواء الموصل . وافراد هذه العشيرة فلاحون نشيطون مسالمون . وقد حصل شيخ شمر عجيل الياور على حق الطابو في هذه الارض وكان ياخذ حصة الطابو من فلاحيها . ولما توفي الشيخ عجيل اراد ورثته اجلاء البومتيوت عن اراضيهم . فلم يرضوا . واستمر الخصام بين الطرفين والحكومة عاجزة عن حله، او لم تشاء ان تحله، حتى تطور الى حرب طاحنة في صيف ١٩٤٦ " مشت جموع شمر تريد طرد المزارعين، وصمد الفلاحون يريدون البقاء حيث ولدوا ووجدوا قبل ان يخلق الطابو، وقبل ان تاتي قبائل شمر الى هذه الديار. وقد بلغ عدد القتلى من الطرفين حوالي ٦٠٠ بينهم بضعة عشر قتيلا من قوات الشرطة " (٥٠) ثم عقد مجلس للتحكيم فاصدر قرارا من جملة احكامه اجلاء عشيرة البومتيوت عن اراضيهم وتسليمها لعشيرة شمر، صديقة الحكومة والانكليز .

يقول الاستاذ عباس العزاوي ،وهو من نشاهير المحامين في العراق ، ((هذا النظام غريب في وضعه جديد في موضوعه وشكله ، لا ياتلف وحالة الامة التي تتطلب النظام وحسن الادارة والسيرة الفاضلة في الحياة .... احيا في اصل وضعه سنة جاهلية ، وادارة خاصة وتعاملا محليا . فهو عودة الى ما قبل حمورابي في العراق ، وقبل ظهور الاسلامية في جزيرة العرب)) (٥١)

---

(٤٩) المصدر السابق ص ١٤٠

(٥٠) الظاهر ، صور من العراق ، ص ١٥٢ ـ ١٥٣

(٥١) عزاوي ج ١ ص ٤٣٨

(٣) سكان المـــدن

اول ما يستوقف النظر في المدن العراقية سوء تنسيقها ، او انعدام التنسيق فيها اذا اردنا التدقيق . فشوارعها ضيقة ، معوجة ، قذرة ، غير مبلطة في الغالب ، تمتلئ في الشتاء اوحالا تغوص فيها الاقدام ، وتمتلئ في الصيف غبارا يقذى العيون . وبيوتها ، ذات الطابق الواحد في الغالب ، عتيقة ، قبيحة المظهر ، غير صحية . وقد تلقى في المدن الكبرى ، في بغداد والموصل والبصرة بخاصة ، بيوتا عصرية الهندسة ، جميلة التنسيق ، تحيط بها الاشجار وحدائق الازهار والرياحين وقد تلقى فيها عمارات شاهقة ضخمة ، وشوارع متسعة ، مستقيمة ، جيدة التبليط ، تنتشر على حفافيها اشجار اليوكاليبتوس والنخيل . ولكن هذه المباني الجميلة الضخمة ، وهذه الشوارع المشجرة الوسيعة لا تحتل الاجزاء صغيرا من مساحات المدن ، ويظهر وجودها قبح سائر اقسام المدن العراقية وتفتها بجلاء مؤلم . وما يكاد المرء يبتعد عن ضواحي بغداد الجميلة حتى تتغير امام ناظريه المشاهد ويجتاز مدنا هي اشبه ما تكون بالقرى الكبيرة ، وحتى يحس بانه قد انتقل الى قطر آخر غريب ، بدائي ، موحش .

يسكن هذه المدن خمس سكان البلاد ، او يزيدون قليلا . والمجتمع العراقي في المدينة يجتاز طور انتقال . فلم يتخذ الوضع الطبقي بعد شكلا مستقرا ، واضح المعالم . وارتفاع المرء من طبقة اجتماعية الى اخرى سهل اذا ما اتيح له ان يثرى ، او يصاهر المثرين ، او يرفعه "نبوغه" و "اخلاصه" الى مصاف كبار الموظفين . دخلت الصناعة الالية الى البلاد منذ نهاية الحرب العالمية الاولى ، ونشأت في المدن الكبرى طبقة من الصناعيين والرأسماليين . جاءت هذه الطبقة من الحرفيين الاغنياء ، والتجار الكبار ، وبعض الملاكين العقاريين والاقطاعيين الذين انتبهوا الى ما تدره الصناعة الالية الحديثة من ربح وفير . والى جانب هذه الفئة من الصناعيين يعيش في المدن جماعات من الاقطاعيين والملاكين العقاريين ، يقيمون فيها اقامة دائمة ، او يقضون فيها بعض اشهر السنة . كما يسكن فيها جماعات من التجار الكبار ، وهؤلاء ليسو في الحقيقة الا وكلاء وعملاء للشركات الاجنبية ، والشركات الانكليزية بخاصة . هذه الطبقة من الصناعيين الكبار ، والتجار المثرين ، والاقطاعيين والملاكين العقاريين تكون الارستقراطية العراقية ، وتعيش في المدن عيشة منعمة راضية ، وتسكن هذه البيوت الحديثة ، والقصور الفخمة ، التي تزين المدن ، وتنعم بكل ما توفره الحضارة المادية الحديثة للمثرين من متع وملذات . ولم تكتف هذه الطبقة بما احرزت من مال ونالت من جاه ونفوذ ، بل ان ابناءها يحتلون المناصب الرفيعة في الدولة .

تاتي بعد هذه الطبقة في السلم الاجتماعي طبقة الحرفيين والصناعيين والتجار الصغار . ويكون افراد هذه الطبقة جزءا مهما من سكان المدن .

وقد كانوا يحيون حياة رخية بالنسبة لباقي السكان ، قبل الحرب العالمية الاولى ، ولكن تدفق المنتوجات الاجنبية وتاسيس المعامل الالية الحديثة ، وازدياد سيطرة الرأسماليين والتجار الكبار على الحياة الاقتصادية ، اخذت تفقدهم مكانتهم الاقتصادية. فقد تحول قسم من الحرفيين الى عمال ماجورين وبقي الاخرون يكافحون للمحافظة على حرفهم وتجارتهم وصنائعهم ، ولكن تمسكهم باعمالهم يتحقق على حساب انخفاض مستوى معيشتهم ، وتدني احوالهم المالية. على ان قسما قليلا من ابناء هذه الطبقة قد اثروا في الحرب العالمية الثانية ، ولكن حال الاكثرية منهم ساءت الى حد كبير.

اما اكثرية سكان المدن فتتكون من العمال وصغار الباعة والبقالين ، ومن مختلف اصناف المتكسبين باعمالهم والذين تعبر عنهم كلمة الكادحين اصدق تعبير. والعمال الفنيون اقلية ضئيلة وهم يشتغلون في السكك الحديد ، والميناء ، والمعامل الكبيرة ، كما يشتغل كثير منهم في المؤسسات الحرفية الصغيرة. وقد اسست مختلف اصناف العمال نقابات عمالية. وقامت هذه النقابات بمجهودات محسوسة للدفاع عن حقوق العمال ، ورفع مستواهم الاقتصادي والاجتماعي والثقافي ، الا انها لم تستطع الاستمرار في نشاطها. فقد قاومتها الحكومة واغلقت كثيرا منها ، وسجنت قادتها كما قاومها اصحاب المعامل والمشاريع الصناعية ولم يتعاونوا معها.

ومعيشة هؤلاء العمال الكادحين مضطربة غير مضمونة ، واحوال عملهم شاقة مضنية، ومكاسبهم ضئيلة لا تكاد تكفي لسد نفقاتهم الضرورية. واكثريتهم يعيشون في حالة اجتماعية متاخرة ، وجهل وحرمان من نعم الحياة العصرية. وهم معرضون للبطالة الكلية او البطالة الفصلية في اكثر الاحيان، وعلى الاخص منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وما تجلب عليهم البطالة من جوع ، وبؤس ، وقلق.

وفي السنوات الاخيرة نشطت الهجرة من الريف الى المدن ، وخاصة من المناطق الجنوبية الى بغداد والبصرة والمدن الجنوبية الاخرى. هجر هؤلاء الفلاحون الريف لسوء احوالهم الاقتصادية ، وتعسف الاقطاعيين ، وظلمهم ، ولما في المدن من مجالات للعمل. واكثرية هؤلاء المهاجرين الريفيين يسكنون في ضواحي المدن ، في صرائف. ويشتغل بعضهم عمالا مأجورين ، او يربون البقر والجاموس ويبيعون منتوجاتها. وقد دخل قسم منهم في الجيش والشرطة متطوعين. وهم في احوالهم الاجتماعية ، وسكناهم ، وتغذيتهم ، لا يختلفون عن سكان الصرائف الريفيين. وقد ادى وجودهم في المدن الى مزاحمتهم للعمال والكادحين ، وادت هذه المزاحمة الى انخفاض اجور العمال ، وبطالة الكثيرين منهم.

ويؤلف الموظفون فئة كبيرة من سكان المدن. اما الموظفون الصغار فاحوالهم الاقتصادية سيئة ، وهم يعانون كثيرا من ارتفاع الاسعار ، وخاصة منذ نشوب الحرب العالمية الثانية.

واما الموظفون الكبار فينعمون بمستوى عيش مرتفع. وقد اثرى بعضهم ، فامتلكوا الاراضي الزراعية الواسعة ، وساهموا في الصناعات القائمة ، وابتنوا القصور الفخمة. واصبح هم الموظف الجديد ان يسلك سبيل من تقدمه في تجميع الثروة ، والحيازة على بيت مريح ، وهذا هو احد العوامل المشجعة على الرشوة ، المنتشرة بين الموظفين انتشارا واسعا .

ويكاد ينحصر وجود المثقفين في المدن. وهؤلاء ينتمون ، في الغالب الى طبقة الارستقراطية والطبقات الوسطى ، اذ ليس بامكان الفلاحين والعمال او الكادحين ان ينفقوا على تعليم ابنائهم.

الفصــــل الخامــــس

المرأة العراقيــــة

المرأة الريفية

ان حياة المرأة الريفية اتعس من حياة المرأة الحضرية ، وان كانت تتمتع بحظ من حرية لا تعرفه اختها التي تعيش في المدينة . وهي تتحمل من المشقات ما قد يفوق ما يتحمله الرجل . فهي تعاون رجال الاسرة في بذر الحبوب ، وحصد السنابل ، ودياستها ، ونقلها الى البيت . وتطهر الارض من الاشواك والنباتات الطفيلية . وهي تنهض مبكرة لتحلب البقرة والاغنام ، ان كان ثمة بقرة واغنام ، وتعلفها ، وتنظف الزريبة . ثم تغادر كوخها لتجلب ما تحتاجه الاسرة من حطب وشوك ، وكثيرا ما تصحب طفلها معها ، ان كانت مرضعا ، فليس في البيت من يعنى بالطفل لان نساء الاسرة جميعا ينطلقن الى اعمالهن مبكرات . فاذا عادت الى كوخها تحمل طفلها على كتفها ، وعلى راسها حزمة من الحطب ثقيلة ، شرعت في اعداد الخبز والطعام للاسرة . ولا تاوى الى فراشها الرث الا بعد ان تقوم بجرش الحبوب وتهيئتها لطعام الغد . وقد يشتغل بعض النسوة في المجارش العمومية ليلا ، لقاء اجرة زهيدة يقدمنها لرب الاسرة . واذا اصغيت الى اولئك الشقيات يغنين وقد انطوينا على المجاريش تدور بها ايديهن المتعبة ، ورؤوسهن تهوم من النعاس ، سمعت اغاني كئيبة تذيب القلب حزنا ، تصور حياة العبودية التي يحيينها . وقد تسمع احيانا اغاني ثائرة ، تريد تحطيم القيد ، ولا تعرف طريق الخلاص . وقد تذهب الفلاحة الى سوق المدينة او القرية المجاورة لتبيع ما جمعته من حطب او حشيش او بيض او ما اعدته من لبن ، فتشترى بثمن ما باعته بعض حاجاتها ، وتصرف الباقي على حاجات زوجها . وعلى المرأة الريفية ، الى كل هذه الاعمال المرهقة ، ان تقوم بجلب القصب والبردى لاصلاح المنزل قبل حلول فصل الشتاء ، وفي الاقسام الوسطى والجنوبية من البلاد تعاون زوجها في انشاء الصرائف ، هذه الاكواخ السريعة العطب ، المتنقلة على الدوام . (١)

وبالرغم من كل ما تقوم به الريفية من الاعمال وما تتحمله من اعباء ومشقات فانها لا تحظى بتقدير زوجها واحترامه . فهي ليست بنظر زوجها انسانة تشاركه حياته ، وتقاسمه اتعابه ولكنها مخلوقة منحطة ، وظيفتها انجاب الاولاد ، واعداد الطعام ، والعمل في الحقل ، والاعتناء بالمواشي ، والخضوع لسلطته المطلقة .

---

(١) تجد وصفا مفصلا لحياة المرأة الريفية اليومية في كتاب احمد فهمي ، ص ٣٢ ، وفي القرية العراقية لجعفر خياط ص ٤٣ وفي عامان في الفرات الاوسط لعبد الجبار فهمي ص ١١٨

وكثيرا ما يغضب الزوج على زوجته لاتفه الامور ، فيسبها ويهينها ويضربها ضربا قاسيا موجعا قد يترك في جسمها جراحا ، اويطردها من كوخه ، اويطلقها ويبعث بها الى دار ابيها لتعاني فيها حياة متعبة ، منغصة . وهل اذل للمرأة الريفية ، وادل على حياة العبودية التي تحياها ، من تسليم اهلها او اقاربها اياها لتكون جزءا من "الفصل" او "الدية" فتذهب الى اناس اغراب معادين لاهلها ، وتتزوج بمن لا تعرفه ، ومن لا تحبه ، وقد يكون شيخا عجوزا ، او قبيحا ، او مريضا ، او شرسا مشاكسا؟ وهي تحتمل كل هذا الظلم صابرة مستسلمة لا ترفع صوتها بشكوى ، ولا تحتج على ما ينزل بها من ظلم ، لانها الفت هذه الحياة ، واعتادت ان ترى اختها وامها وجاراتها مستسلمات الى هذا الشقاء المقيم ، قانعات بنصيبهن من الحياة .

المرأة عند الرجل الريفي آلة لانتاج الاولاد ، والقيام بادارة البيت ، ووسيلة للمتعة الجنسية . ولهذا يستكثر من النساء ما اتاحت له حالته المادية الاستكثار منهن . فقد اباح الشرع للمسلم الزواج باربعة نساء . ولكن الشيعة حللوا الزواج باكثر من اربعة . فان زاد عدد نساء الشيعي على الاربعة يكون ما زاد على هذا العدد من نساء خاضعا لقواعد العقد القصير ، ولو لمدة خمسين سنة ، ويسمى هذا العقد القصير ب "المتعة" (٢) يقول السيد احمد فهمي : "يسكن هذه المنطقة -- يعني الشامية -- اقوام فيهم من له من الازواج عشرون او خمس وعشرون ، مع ٢٠ و ٥٠ ولدا ، وشيوخ يتزوجون ابكارا وقد ناهزوا الستين والسبعين ، واناس جاوزوا الثمانين والتسعين ." (٣) على ان الاستكثار من النساء الى هذا الحد المفرط لا يمارسه الا الرؤساء والشيوخ والسادة ، حبا بالمتعة والاستزادة من الاولاد ، والاستفادة من خدمات المرأة في المنزل ، لما يتطلبه ذلك من نفقات باهظة ينوء بها دخل الفلاح الفقير .

المرأة الريفية سافرة لا تعرف الحجاب ، وتكتفي بان ترتدي عباءة من الصوف ، وتستر شعرها ورقبتها بقناع اسود ضاف يسمى "الفوطه" . وهي تسير حافية القدمين في اغلب الاحيان . وهي تختلط بالرجل بحكم عملها في الحقل ، وذهابها الى السوق لبيع منتوجات الحقل وشراء لوازم البيت . ولكن سفورها هذا ، وتمتعها بهذه الحرية التي تبيح لها مواجهة الرجال ومكالمتهم ، لا تنفعها الا قليلا . فهي معزولة عن مجالس الرجال ، بعيدة عن مجتمعاتهم ، محدودة الحرية في الحقيقة . وهي خاضعة لارادة اهلها خضوعا تاما ، فليس بامكانها ان تتزوج بمن تحبه وتختاره ، وانما عليها ان تتزوج بمن يريدها ابوها او اخوها على ان تتزوج منه .

---

(٢) فارس ص ١٢١

(٣) ص ١٧

البنت هي خطيبة ابن عمها شاءت ذلك ام لم تشأ . وليس لاحد ان يخطبها الا اذا سمح بذلك ابن عمها . وليس للفتاة ان تتزوج من غير عشيرتها الا اذا تنازل ابناء العشيرة عن حقهم في التزوج بها . واذا اقدم شخص غريب على تزوج فتاة ، فلابن عمها ان يمنعه من التزوج بها ، وينذره بالعقوبة التي سينزلها به ان اصر على طلبه . وقد اصطلحت العشائر على تسمية هذا المنع بـ "النهوة".

"ان خطبت البنت لاي شخص كان فلابن عمها الحق في النهوة حتى وان اريد زواجها من ابناء عشيرتها . وان اريد زواجها من غير عشيرتها فلكل من افراد العشيرة الحق في النهوة . واذا كان لاحد بنات اعمام عدة فله الحق عليهن جميعا ، وله ان يتزوج بهن كافة على ان لا يجمع بين الاختين الا ما قد سبق . وله حق النهوة على بنات العم ولو كان متزوجا . كما للعم حق النهوة على ابنة اخيه ليحفظها لولده حتى ولو لم يكن له اولاد ، فانه يدعي انه سيحتفظ بابنة اخيه فلربما رزق ولدا ." (٤) وقد تحل مشكلة النهوة بمقدار من المال يقدمه الخاطب لاقارب الفتاة . اما اذا لم يرض اقارب الفتاة بهذا الحل ، واصر الخاطب على الزواج بها ، "فقتله امر مؤكد . وعند ذلك يدفع القاتل فصل القتيل ويطالب بفصل النهوة . وهي اما ان تقدم له امرأة واما ان يخصص مبلغ محدود من فصل القتيل ." (٥)

اما زواج "الصداق" فهو شر ما تتعرض له الفتاة الريفية . لا بد للخاطب ان يقدم مهرا لخطيبته حتى وان كانت ابنة عمه . وكثيرا ما يشق تقديم المهر على اكثر الفلاحين لفقرهم العظيم ، ولهذا يعمد الفلاح الى زواج "الصداق" ، وهو اشبه ما يكون بالبيع بطريقة المقايضة . فمن لم يستطع اعداد المهر لزواجه ، وكانت عنده بنت او اخت ، فانه يتفق مع شخص آخر عنده بنت من ارحامه ، ويزوج كل منهما قريبته من الاخر . ويدفع كل منهما مبلغا ضئيلا من المال للفتاة بصفة مهر ، محافظة على شكليات العقد الشرعي . ان شر هذا النوع من الزواج لا يقتصر على كون الفتاة كثيرا ما ترغم على الزواج بمن لا تحبه ولا تطيق العيش معه ، بل ان حياتها الزوجية غالبا ما تكون منغصة ، خاضعة لمؤثرات لا تستطيع التغلب عليها ، "فان لم يتفق احد الطرفين مع زوجته فله ان يطلقها ويأخذ قريبته التي "صادق" بها ويرغم زوجها على ان يطلقها ايضا حتى وان كانت ملتئمة معه ، ولها ذرية منه ، وراضية ببقائها عند زوجها . وقد يضطر من طلقت قريبته ان يزوج المطلق بزوجة اخرى ان كان راضيا هو بزوجته . وان لم يقتنع المطلق بذلك فله الحق في ان يصر على طلاق قريبته واخذها وان صادف ان غضبت احدى المرأتين المصادق بهما مع زوجها ورجعت الى اهلها فللاخرى ان ترجع الى اهلها ايضا ولا تعود الا بعد عودة الاولى ." (٦)

---

(٤) فارس ص ١٢٥ — ١٢٦

(٥) المصدر السابق ص ١٢٦ راجع بحث "النهوة" كذلك في كتاب احمد فهمي ص ٣٣ وعشائر العراق لعباس العزاوي ج ١ ص ٤١٤

(٦) فارس ص ١٢٢

وقد تتمرد بعض الفتيات ، فيرفضن الزواج بمن ترغمهن اسرهن على الزواج بهم ، وقد تهرب فتاة مع من تحب . وتسمى جريمة الشخص الذى يهرب مع بنت رغم ارادة اسرتها "نهبة". على ان اقرباء الفتاة ، وابناء عشيرتها عامة ، لا يسكتون من هذا العمل الذى يلحق العار بالعشيرة كلها ويظلون يبحثون من محل الفتاة ، فان وجدوها ، قتلوها ، وفي غالب الاحيان يقتلون الشخص الذى هربت معه كذلك. (٧) "وقد صادفت عدة حوادث مؤثرة من هذا القبيل وآخرها عام ١٩٣٤ ، يوم كنت في الدغارة وملخصها : حاول احد الفتيان الزواج من فتاة. غير ان اهل البنت لم يوافقوا على ذلك . وبعد ايام فقدوا البنت. وبعد التحقق ظهر ان الفتى هو الذى فربها والتجأ "داخلا" على احد الزعماء فاجاره هذا دون ان يعلم جرمه. فتجمع اهلها وسار ما يقرب من الاربعين رجلا منهم مدججين بالسلاح ليلا الى مكمن البنت وعينوا المنزل الذى تسكنه الفتاة. فدخل اثنان منهم وظل الباقون خارج البيت ليقابلوا من يحاول ممانعتهم. وصادف ان الفتى كان غائبا ، فقتلوا البنت وعادوا الى قريتهم ومعهم كفها التي اقتطعوها ، فعلقوها على المضيف برهانا لغسلهم العار الذى لحقهم من جراء فعلتها ، وراحوا بعد ذلك يطالبون المغرى بالفصل والحشم." (٨)

وتتحمل المرأة الريفية ، الى جانب ما تعانيه من وضعها الاجتماعي هذا المهين ، من اعباء الحياة الريفية وشرورها مثلى يتحمله الرجل. فهي مثله تعاني الفقر والحرمان ، وهي مثله عرضة لهذة الامراض الوبيلة التي تفتك بالفلاحين البائسين فتكا والتي لا يجدون للتغلب عليها سبيلا . وهي مثله جاهلة خاملة العقل والروح ، لا تمتد افاقها العقلية الى ابعد من بيتها وقريتها ، ولا تعرف من شؤون الحياة الا ما تعلمته من امها وجاراتها الجاهلات ، من عقائد باطلة ، وخرافات عقيمة وايمان بالاولياء والسحرة والمنجمين .

الام ، كما يقول علماء التربية والاجتماع ، هي اول مدرسة يتلقى فيها الطفل معارفه عن الحياة ويتشكل فيها ذوقه وعاداته واخلاقه. فاذا كانت المرأة الريفية على ما وصفت من جهل ، وتأخر ، وخضوع لهذه العبودية التي تفرضها عليها الاسرة والعشيرة فرضا ، لا جرم ان ينشأ الشبان والشابات في الريف العراقي على غرارها ، جهلاء عاكفين على الخرافات والاباطيل ، عبيدا للتقاليد القبلية البالية ، خانعين لظلم الاباء واستبداد الرؤساء والشيوخ . وان شعبا يريد الحياة الحرة السعيدة ويسعى للمشاركة في الحضارة البشرية لا يمكن ان ينهض ويتقدم وهذه حال الاكثرية الساحقة من ابنائه وبناته .

المرأة الحضرية

اما حياة المرأة الحضرية فلا تختلف من حياة اختها الريفية الا قليلا. فنساء الكادحين والطبقات الوسطى يعشن حياة بائسة مضنية. يكدحن طول النهار وشطرا من الليل في اعمال البيت.

---

(٧) يقول السيد عبد الجبار فارس ص ١٢٤ "ان كان للمرأة المنهوبة زوج من غير عشيرتها فللزوج

(يتبع على الصفحة التالية)

ولا يغادرن الدار الا لزيارة الجارات حيث ينفقن الوقت في ثرثرة عقيمة ، او للعمل خارج الدار ، حيث يشتغل قسم من نساء الطبقات الفقيرة في المعامل ، والخدمة في البيوت ، وبيع ما ينتجنه في الدار من الحليب والجبن وبعض المنسوجات اليدوية البسيطة . والمرأة في المدينة ، كالريفية ايضا ، خاضعة لزوجها ، لا تخالف من امره ، ولا تتدخل في اعماله . وهي جاهلة لا تمتد آفاقها العقلية الى ابعد من دارها وحيها ، قد امتلأ فكرها بالخرافات والاساطير ، وحفلت نفسها بكرامات الشيوخ والاولياء ، وخوارق السحرة والمعزمين والمنجمين .

عندما انشأت الحكومة مدارس للبنات لم يقبل عليها غير فتيات الطبقات العليا والموظفين اما الطبقات الوسطى والكادحون فقد ابتعدوا عنها ، ولم يرضوا بتعليم بناتهم ، اذ كان تعليم البنات ، في رأيهم ، مخالفا لطبيعة المرأة ، مفسدا لاخلاقها ، منافيا لوظيفتها التي تقوم على انجاب الاولاد ، والعمل في المطبخ . على ان هذا الرأى الخاطيء لم يستطع ان يقاوم تيار التطور الذى طرأ على حياة المجتمع عامة . فقد اقبل الموظفون والمثقفون من سكان المدن على ارسال بناتهم الى المدارس ، وعندما رأى كثير من ابناء الطبقات الوسطى ان بامكان الفتاة المتعلمة ان تتوظف عند الحكومة ، وتربح راتبا جيدا ، ادركوا قيمة تعليم الفتاة الاقتصادية ، فتنازلوا عن ارائهم القديمة الباطلة ، واقبلوا على ارسال بناتهم للمدارس . وعندما ازداد عدد المثقفين في المدن ارتفع "سعر" الفتاة المتعلمة في "سوق الزواج" ، وهذا ما شجع اقبال الفتيات على المدارس تشجيعا عظيما .

دخل قسم من الفتيات في الكليات العراقية المختلفة كالمعلمين العالية ، ومعهد الملكة عالية ، والطب ، والصيدلة ، والحقوق ، ومدرسة الممرضات ، واختلطن بالشبان ، وهذه الحركة مستمرة ، تبشر بمستقبل مشجع . اظهرت الفتاة المتعلمة انها جديرة بكل احترام وتقدير . فقد اثبتت ، عمليا وبوضوح تام ، انها لا تقل عن الشبان ذكاء ، ومهارة ،

حق المطالبة بالصداق الذى دفعه لاهلها ، ولاهلها وذويها حق المطالبة بالفصل والحشم من الناهب . واكثر العشائر لا يرضون ان يقبلوا الفصل فيقتلون الناهب ويدفعون فصله لاهله ويأخذون من اهله فصل النهبة ."

(٨) المصدر نفسه ص ١٢٣ - ١٢٤

واستقامة في العمل ، سواء كان ذلك في المدرسة ، ام في حقل الخدمات الاجتماعية والانسانية . تشترك الفتاة المتعلمة في كثير من الجمعيات الخيرية والنسائية كالهلال الاحمر ، وحماية الاطفال ، ونادى الاتحاد النسائي . وقد اصدرن مجلات عديدة كمجلة "تحرير المرأة" ومجلة "الاتحاد النسائي" ، تعبر عن راى المثقفات في مشاكل المرأة العراقية الخاصة ومشاكل البلاد عموما . وكانت مجلة تحرير المرأة التي صدرت عام ١٩٤٦ نموذجا جيدا لادب الفتاة العراقية المثقفة ، واطلاعها الواسع وروحها الوطني العميق . الا انها لم تعمر طويلا ، فقد اغلقتها الحكومة .

اما مجلة الاتحاد النسائي فلا تزال تصدر ، ويكتب فيها نخبة من الكاتبات والشاعرات العراقيات . واشتراك جماعة من المثقفات في السياسة وقمن باعمال مجيدة اثناء الانتفاضة الوطنية التي قام بها الشعب احتجاجا على معاهدة بورتسموث . وتضم السجون الان نخبة من الفتيات المناضلات في سبيل تحرير الوطن واصلاح المجتمع . الا ان الفتيات المثقفات ، والمثقفات ثقافة عميقة جيدة منهن خاصة ، اقلية ضئيلة بالنسبة لمجموع النساء في المدن .

واحدى المشاكل العديدة التي تعانيها المرأة الحضرية هي مشكلة الحجاب . ذكرت في بداية هذا الفصل ان المرأة الريفية سافرة . وهنالك جماعات من النساء في المدن سافرات كجميع المسيحيات واليهوديات ، ومعظم نساء الطبقة العاملة والكادحين وخاصة نساء المهاجرين حديثا من الريف والذين يسكنون عادة ضواحي المدن وفي الاحياء الفقيرة منها . وفي السنوات الاخيرة اسفر قسم من الفتيات المتعلمات ونساء الطبقات العليا في المجتمع ، وحركة السفور هذه مستمرة في بغداد ، وان كانت ضعيفة الاثر او معدومة في المدن الاخرى . ويبقى ، بعد كل من ذكرنا من النساء السافرات في المدن ، قسم كبير من النساء المسلمات في المدن محجبات . واضح ان للحجاب نتائج سيئة ، اذ هو قد ادى بالرجل والمرأة ان يعيشا في عالمين منفصلين ، وجعل لكل منهما عاداته وعقليته الخاصة . لقد ادى انفصال المرأة عن الرجل الى تاخر عقليتها ، وانخفاض مستواها الاجتماعي فكما جعل الرجل يعيش حياته الخاصة ، وينفق اوقات فراغه خارج البيت ، بعيدا عن اسرته ، في المقاهي ، والملاهي ، والحانات التي يضيع فيها وقته ، وماله ، واحيانا صحته .

وقد زاد انفصال المرأة عن الرجل وعدم اختلاطهما مشكلة الزواج في المدن وخاصة بين المثقفين والمثقفات ، حدة وتعقيدا . فالفتاة في المدينة مثل اختها في الريف ، لا تملك زمام مصيرها ، ولا تستطيع ان تبدى رايها في اخطر امر في حياتها الا وهو الزواج . ويتم الزواج عادة عن طريق الخاطبات من اقارب الفتى اللاتي يدرن البيوت بحثا عن العروس المطلوبة . فاذا وجدنها ، وتراضين مع اهلها على المهر ، وسائر الشروط الاخرى تم العقد ، وزفت "المحروسة" الى "المحروس" دون ان يرى احدهما الاخر . وهذا برايي احد اسباب تقلقل العائلة المسلمة في المدن ، واضطراب حياتها ، وكثرة ما يشجر فيها من مشاكل وخصومات . فالاسرة عادة ، ترغم فتاتها على الزواج بارفع الخاطبين منصبا ، واكثرهم مالا ، واعلاهم جاها ، ومن باستطاعته ان يدفع اعظم مهر ممكن ، وان كان طاعن السن ، قبيح المنظر ، سيء الاخلاق ، غير محمود السيرة . اما الفتاة المتعلمة التي تحس بشخصيتها احساسا قويا ، وتدرك قيمة استقلالها ، وتفهم من الزواج معنى اعمق واوسع مما يفهمه المجتمع ، وخاصة اذا كانت مستقلة اقتصاديا عن اسرتها ، فتابى ان تتزوج الا بمن تعرفه ، وتختبره ، وتشعر نحوه بميل واطمئنان . واما الشاب المثقف فيفضل ان يظل اعزب على ان يتزوج بفتاة لم يرها . وهذا من اهم اسباب ضعف اقبال المتعلمين والمتعلمات على الزواج ، الى جانب ارتفاع "المهور" وغلاء المعيشة .

ان هذا الجو العائلي المضطرب في المدينة والريف ، والفقر الذى ينوء تحت وطأته الثقيلة معظم السكان ، وارتفاع مهور الزواج ، وارغام معظم الاسر فتياتها على الزواج بمن لا يرغبن فيهم ، وجهل كثير من الرجال وسوء معاملتهم لازواجهم ، من الاسباب المهمة لانتشار البغاء العلني والسرى انتشارا عظيما . والبغاء الذى يذل الساقطة التعيسة ، ويحطم كرامتها كانسان ، ويجعلها تحيا حياة منغصة ، شقية ، محفوفة بالقلق والمخاوف ، ويحملها الى قبرها شابة ، في اغلب الاحيان محطمة الجسم والروح ، يهدد صحة الالاف من الشبان بما ينشره من امراضه الوبيلة القتالة ، مهما اتخذت الحكومة من احتياطات صحية ، ويقوض اخلاقهم ، ويكون احد الاسباب التي تزيد ازمة الزواج تعقيدا . اليس من المرعب حقا ان يعد المصابون بالسفلس والتعقيبة وغيرها من الامراض الزهرية ، الحادة والمزمنة والوراثية ، بعشرات الالاف في المدن والقرى رجالا ونساءا ؟ ان صيحات المصلحين لترتفع بين حين وآخر منادية بالقضاء على البغاء ، وتنشط الحكومة بين الفينة والفينة لمكافحة البغاء اطلاقا ، سريا وعلنيا ، تحريما تاما .

(السري) وهي تفكر الآن باستصدار قانون يحرم البغاء

ولكن البغاء سيزداد شره تفاقما مهما نادى المصلحون ، ومهما استصدرت الحكومة من قوانين ، ما دام الفقر مخيما على المجتمع يحول بين الشبان وبين الزواج ، وما دامت المرأة مستعبدة لاسرتها ، جاهلة ، لا تستطيع ان تعول نفسها ، ولا تجد المجال الى ذلك ان استطاعت ، وما دام في المجتمع اناس قد اقاموا حياتهم المترفة الرخية على الاتجار باجسام الساقطات الضائعات.

ان المجتمع العراقي ، هذا المجتمع الاقطاعي الذى تسيطر عليه الروح القبلية والعرف العشائرى ، يحتقر المرأة ولا يقيم لها وزنا . والقوانين العراقية تؤكد هذا الاحتقار ، وتؤيد هذه القيود الظالمة التي تنوء تحت وطأتها . « تقول المادة ٢٤١ من قانون العقوبات البغدادى (كل زوج زنى غير مرة في منزل الزوجية ، وثبت عليه هذا الامر بدعوى زوجته ، يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن سنتين ، او بغرامة لا تتجاوز مائة ليرة.) اية كرامة ابقت هذه المادة للمرأة ؟ انها اباحت للرجل ان يزني في دار الزوجية مرة واحدة دون عقاب ولا جزاء . فاذا اراد ان يزني مرة اخرى فلا باس ، ولكن في غير دار الزوجية ! وهناك امر آخر لا يقل فظاعة وهو ان المادة ٢١٦ من القانون المذكور قد نصت على ان (كل من فاجأ زوجته او احدى محارمه في فراش واحد مع عشيقها وقتلها في الحال يعاقب بالحبس مدة لا تزيد عن ثلاث سنين.) ان المشرع يحابي الرجل في هذه المادة فيخفف عنه العقاب من الاعدام الى الحبس ولكنه لا يعامل المراة نفس المعاملة ، اذا كانت في نفس الموقف. وقد قيل في تعليل تخفيف العقاب عن الرجل القاتل في هذا الظرف ان القانون يفترض ان له كرامة ونخوة تستلزم التخفيف عنه ، كان ليس للمرأة كرامة ولا نخوة.» (٩)

والمرأة العراقية محرومة حرمانا تاما من حقوقها السياسية. (١٠) فليس بامكانها ان تنتخب ، اى ليس بامكانها ان تبدى رايا في مشاكل البلاد التي تتحمل من اعبائها مثلما يتحمله الرجل . ومن الطبيعي ان تحرم المرأة من حقوقها السياسية في هذا المجتمع الذى لا يسمح لها بان تكون سيدة نفسها ، القابضة على زمام مصيرها ، هذا المجتمع الذى يعتبرها نصف انسان ، ديتها اذا قتلت ، نصف دية الرجل ، اذا استطاعت ان تحصل على شيء ، وشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل واحد .

اي مثل دية العبد ، وحقها من الميراث نصف حق الرجل

---

(٩) الحقوق السياسية للمرأة العراقية ، جريدة صدى الاهالي . عدد ٢٨٥ ١ ايلول ١٩٥٠

(١٠) اذاعت لجنة حقوق المرأة ، التابعة لمنظمة الامم المتحدة ، في احصاء لها ان النساء يتمتعن بحقوقهن السياسية كاملة في خمسين دولة ، وفي ثماني دول فقط يتمتعن بحقوق سياسية غير كاملة ، وفي ثلاث عشرة دولة متأخرة لم يحظ المرأة بحقوقها ومن هذه الدول العراق" المصدر السابق

على ان حرمان المرأة من حقوقها السياسية ، ومن حق الانتخاب بصورة خاصة ، ظلم صارخ ، ومخالفة صريحة لروح نظام الحكم في البلاد ، ولابسط القواعد في الشريعة الانسانية . فالحقوق مرتبطة بالواجبات ، كما يقول المشرعون محقين . ولكن المرأة العراقية تؤدى الواجبات الضخمة الملقاة على عاتقها ولا تتمتع مقابل ذلك بما يناسبها من حقوق . فهي تدفع الضريبة ولاتشرف على الميزانية ، وهي تتحمل من جراء هذه الفتن والثورات التي تحدث في البلاد بين حين وآخر ، اعباءا ثقالا ، فهي ملتاعة مضطربة ، مؤرقة ما كان ابناؤها او اقرباؤها في الحرب ، فاذا ما نجحت باحدهم عاشت عمرها اليفة اللوعة والاحزان ، او الفقر المترب في اكثر الاحيان ، ومع كل ذلك لا يحق لها ان تقول كلمتها في هذه الفتن والثورات ، وهي تخضع للقوانين ، وكثير منها جائر بالنسبة لها ، ولكنها لا تشترك في تشريعها . ونظام الحكم في العراق نظام ديمقراطي ، والنظام الديمقراطي يقوم على حكم الاغلبية ، والمساواة في منح الحقوق السياسية بين المواطنين جميعا . وماذا يبقى من هذا النظام اذا ما حرمت المرأة وهي تؤلف نصف المجتمع ، من حقها في الانتخابات ؟ وقد انضم العراق الى منظمة الامم المتحدة ، ورضي بتحمل مسؤولية كل ما تصدره هذه المنظمة العالمية من انظمة وقوانين . وقد نصت المادة الاولى من ميثاق هيئة الامم المتحدة على ضرورة اعلان المساواة بين الرجل والمرأة في جميع الحقوق والواجبات ، وقد ايدت وثيقة حقوق الانسان هذه المساواة واكدت عليها . وقد اصبح ميثاق منظمة الامم المتحدة بعد ان وافقت عليه الحكومة العراقية ، قانونا داخليا ، لا يقل شرعية ونفوذا من القوانين العراقية المرعية التنفيذ . وعلى هذا فحرمان المرأة من حق الانتخاب مخالفة صريحة لقوانين اعترفت الحكومة العراقية بشرعيتها . يقول المتعصبون : ولكن المرأة العراقية جاهلة لا تدرك من امر السياسة شيئا ، فنقول : ان اغلبية الرجال في العراق جهلا ، فهل حال جهلهم هذا دون تمتعهم بحقهم في الانتخاب ؟ وقد يقولون : ان اشتراك المرأة في السياسة يفسد عليها حياتها ، وينسيها واجباتها المنزلية ، فنقول : وهل افسدت السياسة الرجل ؟ وهل ضيعت عليه وقته ، وانسته حرفته ، واحلت الاضطراب في عمله ؟ ان هي الا حجج باطلة يفرضها المتسلطون المتعصبون الجهلاء فرضا ويسبغون عليها صفة الشعور بالمسؤولية الوطنية ، والمحافظة على تقاليد البلاد وشعائر الدين .

ان مركز المرأة في المجتمع من ادق المقاييس التي يحكم بها على طبيعة حضارة ذلك المجتمع ، وان درجة تحررها لهي المقياس الطبيعي الذى يقاس به مدى تحرره . لا عجب ان نجد المجتمع العراقي متأخرا ، مقيدا بتقاليده البالية ، يعرج في موكب الانسانية . والحق ان المرأة العراقية على العموم ، تتحمل هذه القيود الثقيلة الوبيلة التي تفرضها عليها الاسرة ، وتتحمل الى ذلك هذا الجهل والمرض والفقر الشديد ، والتأخر المزرى ، التي يفرضها المجتمع على عامة العراقيين رجالا ونساء . فاذا اردنا للمرأة حرية تامة من هذه القيود التي تخنق حيوتها ونشاطها المبدع ، واذا اردناها ان تكون عضوا حرا ، نشيطا ، مثقفا ، في المجتمع فعلينا ان نحرر الرجال ، عامة مما ينوؤن به من قيود الجهل ، والمرض ، والتعصب الاعمى ، وهذه الاوضاع الاقتصادية الطاغية التي تشل الارادة ، وتفسد طعم الحياة ، و تخمد جذوة الروح . فاذا ما تثقف الرجل ، وصقلت الحضارة روحه ، وادرك عن وعي حقيقة ذاته ، قرب يوم تحرر المرأة . على ان هذا لا يعني ان نصرف الجهد الان ، عن قضية المرأة ، ونلغي الكفاح في سبيل حقوقها ، منتظرين تحرر الرجل ، واستقامة الحال في المجتمع ، بل الواجب يحتم على كل رجل واع ، وكل امرأة مثقفة ، ان يبذل كل ما في وسعه في سبيل هذه القضية العادلة . ان تحرر المرأة ، وانطلاق قواها المبدعة من اسارها ، سيعينان تطور المجتمع ، ورقيه ، وتقدم الحضارة اعانة عظيمة . وكلما نالت المرأة جزءا من حريتها وحقوقها مكنت لنفسها في المجتمع ، واصبح بامكانها ان تخطو خطوة اخرى ، ارحب واثبت . ان المرأة الاوربية لم تنل ما تنعم به الان من حريتها وحقها الا بعد ان تقدمت الحياة الاقتصادية ، وارتقى المجتمع عامة ، وتحرر الرجل من قبضة الجهل والتعصب الاعمى ، والا بعد ان جاهدت في سبيل حريتها جهادا متابرا ، عنيدا ، منظما .

الفصـــل السادس

التعليـــم

لاجل ان نعطي صورة كاملة للحالة الثقافية في البلاد ، ونحين المسؤولين عن هذا الجهل الذى يعيش الشعب في ظلامه ، يتحتم علينا ان نتتبع مراحل التعليم منذ العهد العثماني حتى وقتنا هذا الحاضر.

التعليم في العهد العثماني

كانت التربية الدينية هي التربية الشائعة في البلاد .

فكان الطفل ، عند بلوغه الرابعة او الخامسة من عمره ، يدخل الى الكتاب او ما يعرف في العراق باسم "الملا"[1] . وكانت الكتاتيب تقوم عادة في الجوامع والمساجد والمدارس الملحقة بها ، او في دار الملا نفسه ، او في دار او دكان يستأجرها لهذه الغاية . وكان الطفل يدرس القرآن ، فاذا ما انتهى من اتمام قراءته انصرف الى مساعدة والده في مهنته ، او استمر في دراسته ، فيتعلم تجويد القرآن والخط وشيئا من الحساب ويقرأ طرفا من اصول الدين وقواعد اللغة. وقد يبقى نفر قليل من الطلاب مستمرين على دراستهم ، فينتقلون في حلقات العلماء يدرسون علوم الفقه واللغة والتوحيد والحديث والتفسير وما اليها من العلوم الاسلامية ، وينالون بعد دراسة طويلة قد تستمر عدة سنوات اجازة باكمال التحصيل تخولهم حق التدريس. كانت المراحل الاولى من هذا التعليم عقيمة ، قليلة الجدوى . فكان كثير من الطلاب ينسون قراءة القرآن بعد مغادرتهم الكتاب بزمن. وكان كثير ممن يحتفظون بقابليتهم على قراءة القرآن لا يستطيعون ان يقرأوا في الكتب الاخرى ، لانهم لم يعودوا الا مطالعة القرآن وحده. اما التعليم الديني العالي فكان ضيق الافاق ، قديم الاسلوب ، متحجر المعلومات. كان على الطالب ان يستظهر الشروح والمتون ، ويربك افكاره بحفظ الاراء المتضاربة والفتاوى المتناقضة ، وما كان له ان يبدى رايا مبتكرا ، او يدحض قولا قديما لاحد الائمة الاعلام ، فان الاعتراض على اقوال السلف الصالح وقاحة لا يطيق عليها الاستاذ صبرا ، وخطيئة لا يغفرها لتلميذه.

---

[1] . قد تكون هذه الكلمة مأخوذة من كلمة "الملا" اى الذى يملي الدرس على الطلاب وقد تكون محرفة عن كلمة مولى العربية بمعنى السيد ، وتستعمل هذه الكلمة في العراق اسما للمحل الذى يتعلم فيه الطلاب وللشخص الذى يعلمهم.

على ان هذا التعليم ، على ما فيه من نواقص ، كان محدود النطاق ، اذ كان الذين يتعلمون في الكتاتيب من الاحداث اقلية ضئيلة بالنسبة لسائر السكان [٢].

ولكن هذا التعليم الديني القديم لم يعد هو المهيمن المطلق على الحياة العقلية في البلاد . فقد رات الحكومة التركية نفسها ، منذ اوائل القرن التاسع عشر مضطرة الى ادخال الاصلاحات الشاملة في انحاء الامبراطورية . فانشأت المدارس الاعدادية العسكرية في استنابول ، كما انشأت المدارس الابتدائية والثانوية الملكية في مراكز الولايات والمتصرفيات لاعداد الموظفين المدنيين . واسفرت تشكيلات المدارس الملكية (اى المدنية غير العسكرية) ، منذ العقد الاخير من القرن التاسع عشر ، على الشكل الاتي :

(١) مدارس ابتدائية : مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات .

(٢) مدارس رشدية : مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات .

(٣) مدارس اعدادية : وكانت على نوعين : النوع الاول اعداديات الالوية ومدة الدراسة فيها خمس سنوات ، الثلاث الاولى منها رشدية ، والنوع الثاني اعداديات الولايات ، مدة الدراسة فيها سبع سنوات ، الثلاث الاولى منها رشدية [٣].

كانت هذه المدارس ، بمختلف درجاتها ، ضئيلة العدد في العراق ، لا يومها الا عدد ضئيل من الطلاب ، ولا تسد حاجة البلاد الى المعرفة . يؤخذ من الاحصاءات التي نشرتها وزارة المعارف العثمانية ، في اوائل الحرب العالمية الاولى ، ان معاهد التعليم الرسمية الموجودة في جميع الولايات العراقية كانت تتكون من ١٦٠ مدرسة ابتدائية ، و ٤ مدارس ثانوية ، و ٣ دور معلمين ، ومدرسة صناعية ، وكلية حقوق . وكان عدد التلاميذ في المدارس الابتدائية ٧١٢٨ ، وعدد طلاب المدارس الثانوية ٣٢٩ ، وعدد طلاب كلية الحقوق ٢٤٤ . وعدد افراد الهيئة التعليمية ٣٢١ معلما في المدارس الابتدائية ، و ٤٩ في المدارس الثانوية ، و ٢٢ في دور المعلمين ، و ١٠ في كلية الحقوق

---

٢ . للاطلاع على التربية الدينية في العراق في العهد العثماني راجع مقالة الاستاذ احمد حسن السلطان ، التعليم في العهد العثماني ، مجلة المعلم الجديد (بغداد شباط ، ١٩٤٧) ، السنة الحادية عشرة ، ج ١ ، ص ١١ . وكذلك "حولية" ص ٣ — ٩ .

٣ . "حولية" ص ٦ — ٧ .

وكان ١٢ مدرسة من المدارس الابتدائية خاصة بالبنات ــ وكان فيها ٧٥٦ تلميذة و ٣٢ معلمة. ٤

وما كانت هذه المدارس، الى جانب ضآلة عددها ، مستوفية شروط التعليم الصحيحة ، مستكملة الاثاث ، مجهزة بوسائل الايضاح الضرورية ، لضآلة ما كانت تنفقه الحكومة العثمانية عليها . فقد كانت ميزانية ولاية بغداد ،، وكانت تشمل آنذاك بغداد والحلة وكربلاء والرمادى والكوت وديالي ، تبلغ نحوا من ٣٤٫٠٠٠ ليرة عثمانية ، منها ٩٫٠٠٠ ليرة عثمانية مخصصة من الميزانية العامة وتصرف على مدرسة الحقوق والمدرسة الثانوية ، والمبلغ الباقي وقدره ٢٥٫٠٠٠ ليرة عثمانية يجبى من الضرائب المحلية ويصرف على المدارس الابتدائية والمهنية والكتاتيب وغيرها . ٥

وكانت المناهج الدراسية مشوشة ، مرتبكة ، قليلة الصلة بحياة الناس ، قليلة العناية بحاجة البلاد . وكان المعلمون قليلي الثقافة ، ضعيفي الكفاية ، وكانت اللغة التركية هي لغة التعليم في المدارس الابتدائية والثانوية والعالية . وحتى قواعد اللغة العربية كانت تدرس وتشرح باللغة التركية . وقد كان هذا احد العوامل الكثيرة التي نفرت الناس من التعليم وحالت بينهم وبين ارسال ابنائهم الى المدارس «ان هذه الحالة كانت تحول دون استفادة الشعب من هذه المؤسسات التعليمية استفادة كبيرة ، لان الانتساب اليها كان ينحصر تقريبا ــ لهذا السبب ــ باولاد الموظفين من جهة وباولاد الوجوه الذين يتصلون بدوائر الحكومة اتصالا وثيقا من جهة اخرى» ٦

وهناك عامل ديني ، مذهبي ، نفر قسما كبيرا من العراقيين الشيعة من المدارس الرسمية ، الى جانب عامل اللغة هذا . "حيث ان التعاليم الدينية التي يلقن بها الاطفال كانت منحصرة في المذهب الشيعي فادى هذا بطبيعة الحال الى ابعاد سكان الفرات عن هذه المدارس واوجد من هذه الناحية ظهور الدعاية عند البعض بتحريم التعليم والدراسة في المدارس ، والذى لم يزل اثره باقيا عند البعض حتى في الايام الاخيرة." ٧

---

٤ . المصدر السابق ص ١٩٢ وراجع كذلك مين ص ٢٣٤

٥ . احمد حسن السلمان ، التعليم في العهد العثماني ص ١٣ .

٦ . "حولية" ص ٩ ــ ١٠ .

٧ . فارس ص ٦٢ وكان خوف اليزيدية من ان يتعلم اولادهم مبادىء الاسلام ويصبحوا مسلمين هو الذى حدا بهم الى تحريم القراءة والكتابة ، وتحريم انشاء المدارس ،

(يتبع على الصفحة التالية)

والى جانب هذه الكتاتيب والمدارس الرسمية كانت تقوم مدارس اخرى للاقليات الدينية وللارساليات التبشيرية . فقد اهتمت الاقليات الدينية بتعليم ابنائها ، فاسست المدارس ، ولم تبخل عليها بالمال والمعلمين . اسست الطائفة الاسرائيلية ، في بغداد والبصرة ، مدرستين كبيرتين ، يتعلم فيها الطلبة مبادئ الثقافة العامة بالاضافة الى اللغة العبرية والعلوم التجارية . وكانت الاديرة والكنائس المسيحية في الموصل وبغداد والبصرة مدارس تعلم مبادئ اللغة العربية والعلوم الحديثة بالاضافة الى مبادئ الدين المسيحي . كما شعرت الارساليات التبشيرية بان خير وسيلة لنشر مبادئها الدينية هي انشاء المدارس. فاسس الكرمليون مدارس في بغداد والبصرة ، وانشأ الدومينيكان مدارس في الموصل ، واقام البروتستنت مدرسة كبيرة في البصرة . (٨) وقد ساهمت هذه المدارس بتعليم نفر من ابناء الشعب ، وفتحت افكارهم للعلوم العصرية ، وان كان اثرها محدود النطاق ، ومعارفها مشوبة بالروح الدينية المذهبية .

هكذا كانت حالة الثقافة والتعليم في العهد العثماني : شعب غارق في الجهل ومدارس رسمية قليلة العدد تحاول "تتريك" الشعب فينفر الشعب منها ، وكتاتيب تعلم قراءة القرآن ولا تفيد الطلاب الا قليلا ، ومدارس دينية وطنية واجنبية منطوية على ذاتها معنية بنشر مذاهبها ودياناتها . وهم الدولة العثمانية العلية ، بعد كل ذلك ، ابقاء الشعب على جهله ، حتى يتسنى لها استعباده ، ويسلس لها قياده . ونزل الانكليز في الاراضي العراقية فاتحين ، فورثوا هذا التراث الوبيل ، وحملوا على عواتقهم ، طوال سبع سنوات ، هذا العبء الثقيل .

التعليم في عهد الاحتلال البريطاني :

يمكننا تقسيم هذه الفترة ، من حيث شؤون المعارف ، الى مرحلتين :

(١) بين احتلال البصرة وبين احتلال بغداد (١٩١٤ ـ ١٩١٧) .

(٢) بين احتلال بغداد وبين تاسيس الحكومة الوطنية (١٩١٧ ـ ١٩٢١) .

المرحلة الاولى احتل الانكليز في المرحلة الاولى البصرة والقسم الجنوبي من العراق .

يقول اسماعيل بك جول في "اليزيدية قديما وحديثا" ص ٢٢ "في بلادنا ، في تركيا ، ممنوع عندنا افتتاح المدارس خوفا من الاسلام لئلا يجلبوا اولادنا الى ديانتهم"

(٨) احمد حسن السلمان ، التعليم في العهد العثماني ، ص ١٤ .

ووجدوا انفسهم بحاجة الى موظفين من العراقيين يتقنون اساليب الادارة يستطيعون التكلم بلغة المحتلين . ولم تجد الحكومة المحتلة ضالتها بين الفئة المتعلمة من ابناء البلاد ، فعزمت على انشاء المدارس التي تعد لها ما تحتاج من الموظفين . وقد جابهت السلطة البريطانية صعوبات جمة في التعليم . فالمدارس القليلة التي كانت قائمة في العهد العثماني اغلقت معظمها ابوابها ، وهدم ونهب كثير منها ، اثناء زحف الجيوش البريطانية ، كما انهزم معظم المعلمين ، وكثيرون منهم عرب ، مع الجيش العثماني المنسحب الى الشمال . وعهدت السلطات البريطانية بتنظيم المعارف الى المبشر الاميركي ، مستر فان ايس ، مدير المدرسة الاميركية في البصرة . اسس فان ايس مدرسة ابتدائية في البصرة ، واخرى في ابي الخصيب ، وثالثة في الزبير ، ورابعة في الناصرية ، وخامسة في القورنة . ولم تعن السلطة المحتلة بالتعليم الثانوى بل تركته الى المدرسة الاميركية ، مدرسة الرجاء العالي . ولعل فقدان المعلمين المقتدرين هو الذى حال دون فتح مدرسة ثانوية رسمية . وعهد امر اعداد المعلمين الى المدرسة الاميركية ايضا مقابل مساعدات مالية تقدمها لها السلطة المحتلة . كما قدمت حكومة الاحتلال مساعدات مالية الى مدرسة الكرمليين ، ومدرسة الكلدان ، ومدرستي الاميركان للبنات والبنين . (٩)

المرحلة الثانية

بعد ان تم للانكليز احتلال العراق باجمعه ، في عام ١٩١٨ ، اخذوا في تنظيم الادارة المدنية في البلاد ، فانشأوا مديرية المعارف العامة . قسمت البلاد الى ثلاث مناطق ، الشمالية ومركزها الموصل ، والوسطى ومركزها بغداد ، والجنوبية ومركزها البصرة ـ وكان يدير كلا من هذه المناطق مدير معارف بريطاني . كما انشأ المشرفون على التعليم مجلسا استشاريا للمعارف يضم عددا من وجهاء العراقيين ورجال الثقافة ، على ان اثر هذا المجلس في توجيه سياسة التعليم كان ضعيفا .

وضعت ادارة المعارف منهجا للتعليم مستمدا من المنهج المصرى ، كما استعملت الكتب المصرية في كافة مراحل الدراسة ، نظرا لقلة الكتب وصعوبة الطبع ، وعدم وجود مؤلفين عراقيين يجيدون وضع الكتب المدرسية .

---

(٩) احمد حسن السلمان ، التعليم في دور الاحتلال والحكومة الوقتية ، المعلم الجديد (بغداد ، تشرين الثاني ١٩٤٨) ، السنة الثانية عشرة ، ج ٢ ، ص ١٦ ـ ١٩ .

واستعانت مديرية المعارف بالمعلمين القدامى، واستخدمت كثيرا من علماء الدين لتعليم اللغة العربية والدين . ولاجل ان تتخلص من الكتاتيب عينت بعض شيوخها مدرسين في المدارس الابتدائية ، فاغلقوا كتاتيبهم ، وتحول تلاميذهم الى مدارس الحكومة. ولكن التعليم الابتدائي لم يف بغرض الحكومة المحتلة ، فاهتمت بالتعليم الثانوي. وقد استعانت بالمدرسين السوريين والمصريين والبريطانيين ، لعدم وجود مدرسين عراقيين قادرين على التعليم الثانوي. وتم تنظيم المدارس في هذا الدور على الاسس التالية:

(١) مدارس اولية ، مدة الدراسة فيها ٤ سنوات ، لا تدرس خلالها اللغة الانكليزية.

(٢) مدارس ابتدائية ، مدة الدراسة فيها ٤ سنوات ، يتقدمها سنتان اوليتان ، ويبدأ تعليم اللغة فيها اعتبارا من الصف الاول الابتدائي .

(٣) مدارس ثانوية مدة الدراسة فيها ٤ سنوات . (١٠)

كان عدد المدارس الابتدائية والاولية ، في نهاية عام ١٩١٨ ، عشرين مدرسة يعلم فيها ١٢٥ معلما . وفتحت ، في عام ١٩١٩ ، ٢١ مدرسة جديدة وبلغ عدد المعلمين جميعا في المدارس الابتدائية ٣٠٠ معلم. وفي نهاية ١٩٢٠ بلغ عدد المدارس الابتدائية والاولية ٨٥ مدرسة للبنين و ٥ مدارس للبنات. وبلغ عدد المعلمين والمعلمات ٦٠٠ . اما عدد الطلاب في هذه المدارس فبلغ ٦٧٤٣ طالبا ، بنسبة طالب واحد لكل ٤٦٢ فردا من الشعب. (١١)

اما التعليم الثانوي فكان توسعه محدودا . وقد انشئت مدرسة ثانوية واحدة في بغداد ، واخرى في الموصل ، وانشئت صفوف ثانوية في احدى مدارس البصرة الابتدائية. كما ان الحكومة لم تعن بالتعليم العالي ، لاعتقادها بان البلاد احوج الى التعليم الابتدائي منها الى التعليم العالي . وقد اعادت فتح كلية الحقوق ، وانشأت دارا للمعلمين كانت مدة الدراسة فيها ٦ اشهر ثم زيدت الى سنة ، وانشأت كذلك دار معلمات في سنة ١٩٢٠ كانت مديرتها انكليزية ، وفتحت مدرسة للصناعة. كما هيئت دورات باعداد المساحين ومعاوني المهندسين الذين يمكن استخدامهم في الاشغال العامة. (١٢)

---

(١٠) (حولية) ص١٩٣ ـ ٢٠٠

(١١) التقرير الاداري للمعارف ، لعام ١٩١٨ ، ص١٠ نقلا عن احمد حسن السلمان التعليم في دور الاحتلال ، ص٢٤

(١٢) المصدر السابق ص٢٥

ان التعليم ، من حيث الكمية ، لم يصل حتى المستوى الذى كان عليه في العهد العثماني . وكان اهتمام السلطات البريطانية منصرفا الى تهيئة موظفين يتولون الادارة المدنية ، ولم يكن من همها تثقيف الشعب ونشر المعرفة بين ابنائه . وعلى هذا فقد بقيت الاغلبية العظمى من الشعب ، كما كانت في العهد العثماني ، امية جاهلة . وكانت حصة المعارف من الميزانية العامة ضئيلة اقل كثيرا من حصة الشرطة والسجون . فقد بلغت ميزانية المعارف في سنة ١٩١٥ - ١٦ (٦٥٠٠) روبية اى نحو ٠٤ ر. بالمائة من الميزانية العامة وكانت في السنة التالية ١٩١٦ - ١٧ (٢٣٥٢٠) روبية ، وفي سنة ١٩١٧ - ١٨ (٣٥٥٠٠) روبية ، وفي سنة ١٩١٨ - ١٩ (١٨٠١٠٠) روبية اى نحو ١٧ ر١ بالمائة من الميزانية العامة ، وبلغت في نهاية هذه الفترة ١٩١٩ - ١٩٢٠ (٨٨٤٨٠٨) روبية اى نحو ٨٩ ر١ بالمائة من الميزانية العامة. (١٣)

اما مستوى الثقافة في المدارس فكان ضعيفا منحطا . وذلك يرجع الى عدة اسباب جوهرية اهمها : قلة المعلمين ، وضآلة ثقافتهم ، وانحطاط كفايتهم التعليمية . لقد كان قسم منهم من بقايا المعلمين في العصر العثماني ، ومن فقهاء الكتاتيب وعلماء الدين ، الذين قد يتقنون المادة التي يدرسونها ، ولكنهم لا يحسنون تدريسها ، اذ لم يكونوا مطلعين على الطرق التدريس الحديثة ، ووسائل التربية العلمية . يضاف الى هذا ندرة الكتب المدرسية الصالحة . ثم ان منهاج المعارف ذاته كان مقتبسا عن المنهاج المصرى فكان بذلك بعيدا عن ذهنية الشعب غير واف بحاجات البلاد . ومن اهم عثرات التعليم في هذه المرحلة او قل اهم سيئاته ، ان ادارة المعارف كانت تشجع المدارس الطائفية ، وتفسح المجال امام الروح الطائفية على حساب وحدة البلاد والقومية . (١٤)

والحق ان عمل ادارة المعارف خلال هذه الفترة القصيرة التي كانت القوات البريطانية تخوض خلالها حربا طاحنة ، والتي جابهت في نهايتها ثورات دموية في معظم انحاء البلاد كان ممتازا في بعض نواحيه . فقد كان التعليم مجانيا في جميع مراحله وحتى في المدارس العالية . كما كانت الحكومة تساعد احيانا بعض الطلاب في المدارس الثانوية والمدارس العالية تشجيعا لهم على اكمال دراستهم . كما ان اللغة العربية اصبحت لغة التعليم ، وان كان الاهتمام باللغة الانكليزية عظيما ، وهذا ما حبب المدارس للطلاب ، وشجع الشعب على الاقبال عليها في ما بعد .

(١٣) المصدر السابق ص ٢٤

١٤) انظر امين الريحاني "قلب العراق" (بيروت ، ١٩٣٥)، ص ٢٢٣ ، ٢٢٥ .

التعليم في عهد الحكومة الوطنية

اهتمت الحكومة الوطنية بالتعليم نتيجة لحاجتها الى عدد كبير من الموظفين يشغلون وظائفها الكثيرة ، وللوعي الاجتماعي الذي انبعث في المدن ودفع الناس الى الاهتمام بتعليم ابنائهم وبناتهم . وكان طريق وزارة المعارف شائكا محفوفا بالصعاب . فقد كان المعلمون الذين يجيدون التدريس قلة في البلاد والابنية التي تصلح لان تكون مدارس معدومة او قليلة . والكتب الدراسية غير متيسرة ، والمناهج الدراسية فوضى واغلبية الشعب الساحقة امية جاهلة لا تقدر العلم ولا تتعاون مع الحكومة ويمنعها فقرها المدقع من يد المساعدة للمدارس واعانة التعليم ، واغنياء الامة اميون او اشباه اميين لا يهتمون بالعلم ، ولا يرون ضرورة لتثقيف الشعب.

ولكن وزارة المعارف مضت قدما فحققت في التعليم تقدما ملحوظا . واقامت الثقافة في البلاد على اسس قوية ، وان كان البنيان الذي اشادته ناقصا من نواح مختلفة مهلهل البناء من نواح اخرى . كان عدد المدارس الابتدائية الرسمية للبنين والبنات في عام ١٩٢٠ ـ ١٩٢١ (٨٨) وعدد المعلمين ٤٨٦ ، وعدد الطلاب ٧٤٥٢ . فاصبح عدد المدارس الابتدائية الرسمية في عام ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ ، ٨٠١٨ وعدد المعلمين ٥٤١٥ وعدد الطلاب ١٣٩٢١٣ وكان عدد المدارس الثانوية في سنة ١٩٢٠ ـ ١٩٢١ وعدد المدرسين ٣٩ وعدد الطلاب ١١٠ فاصبح عدد المدرسين ٧٠٥ وعدد الطلاب ١٤٣٨٨ ص(١٦).

ولم يكن اثر الحكومة الحسن في التعليم منحصرا في تكثير عدد المدارس وافساح المجال لعدد كبير من ابناء الشعب لتلقي العلوم بل ان الحكومة يسرت مجال التعليم فجعلت الدراسة في المدارس الابتدائية وفي كثير من الكليات مجانية واجور الدراسة في المدارس الثانوية وبعض الكليات زهيدة لا يعجز اكثر الناس عن دفعها . وتقوم وزارة المعارف بتوزيع الكتب والقرطاسية على الطلاب الفقراء مجانا ، كما انها انشات في بعض المدارس الثانوية ودور المعلمين وبعض الكليات الاخرى اقساما داخلية يعيش فيها الطلاب مجانا او يدفعون اجورا قليلة .

ثم قامت بخطوة جيدة اخرى وهي توحيد التعليم في كافة انحاء البلاد . فجعلت اللغة العربية

---

(١٥) (حولية) ص ١٩٦

(١٦) المصدر السابق ص ١٩٨

لغة التدريس في جميع المدارس الرسمية ، ما عدا الاماكن التي لغتها المحلية غير عربية ، فتقرر لغة التدريس في مدارسها الابتدائية بقرار من مجلس الوزراء • وقيدت المدارس الاهلية والاجنبية بقيود عديدة ، واخضعتها لمراقبة وزارة المعارف بحيث تضمن ان تكون هذه المدارس مشابهة للمدارس الرسمية في مناهجها • وطرق تعليمها ، وانظمتها ، والمواد العملية التي تلقنها لطلابها • فلا يجوز ان تؤسس مدرسة اهلية او اجنبية مهما كان نوعها او درجتها العلمية الا باجازة خطية من وزارة المعارف (١٧) وعلى هذه المدارس ان تستخدم المعلمين الذين تعينهم او تعيرهم وزارة المعارف لتدريس الجغرافية والتاريخ والدروس الوطنية واللغة العربية (١٨) كما تشرف وزارة المعارف على ملاك مدرسيها وميزانيتها السنوية (١٩) ويعين مديرو هذه المدارس ومعلموها بموافقة وزارة المعارف (٢٠) وتكون لغة التدريس اللغة العربية والتاريخ والجغرافية والدروس الوطنية حسب منهج وزارة المعارف وفي الكتب المقررة له باللغة العربية الزاميا (٢١) كما يجب ان تقرن مناهج التدريس والكتب في هذه المدارس بمصادقة وزارة المعارف ولا يجوز تغييرها الا بموافقة وزارة المعارف • وهكذا ضمنت الحكومة للشعب ثقافة موحدة وخلصت البلاد من هذه الفوضى الفكرية التي تخلقها المدارس الخاصة والمدارس الاجنبية الشائعة في بعض الاقطار العربية والتي لا تخضع لنظام تربوي موحد ، ولا تتقيد بخطة عامة موحدة للتعليم •

واهتمت وزارة المعارف باعداد المعلمين نتيجة للتوسع في فتح المدارس في مختلف انحاء البلاد فانشات دار المعلمين العالية في بغداد سنة ١٩٢٣ وكانت مكونة في بادئ الامر من صفوف مسائية يشترك فيها معلموا المدارس الابتدائية الذين يريدون اعداد انفسهم للتدريس في المدارس الثانوية • وفي سنة ١٩٢٧ تحولت الصفوف المسائية الى صفوف نهارية يقبل فيها خريجو الدراسة الثانوية او ما يعادلها ، وكانت مدة الدراسة فيها سنتين • وفي سنة ١٩٣١ اغلقت هذه المدرسة ثم اعيد فتحها في سنة ١٩٣٥ وفي سنة ١٩٣٧ اصبحت مدة الدراسة في هذا المعهد ثلاث سنوات • وفي سنة ١٩٣٩ اصبحت مدة الدراسة اربع سنوات وبدات تقبل الطالبات • ويوجد الان في هذا المعهد خمسة اقسام دراسية • قسم الاداب ، وقسم الاجتماع ، وقسم الطبيعيات ، وقسم الرياضيات ، وقسم اللغة الانكليزية ، وقد استطاع هذا المعهد ان يخرج منذ تاسيسه حتى نهاية السنة الدراسية ١٩٤٦ ـ ٤٧ (٦٢٣) طالب

---

(١٧) قانون المعارف سنة ١٩٤٠ الفصل الثامن ، مادة ٢٦ نقلا

(١٨) المصدر السابق مادة ٢٧

(١٩) المصدر السابق مادة ٢٨

(٢٠) المصدر السابق مادة ٢٩

(٢١) المصدر السابق مادة ٣٣

وطالبة (٢٢) • وبلغ عدد الطلاب فيه سنة ١٩٤٧ ـ ٤٨ (٥٣٢) ، منهم ١٧٨ من البنات (٢٣)
وانشات معهد الملكة عالية سنة ١٩٤٥ ليكون بمثابة دار المعلمين العالية • والغرض من انشاء
هذ المعهد هو افساح المجال للدراسة لبنات العائلات المحافظة التي لا
تحبذ اختلاط الجنسين في المدرسة • وكان عدد الطالبات هذا المعهد في سنة ١٩٤٦ ـ
٤٧، ١٦٣ واصبح عددهن في سنة ١٩٤٧ ـ ٤٨ ، ٢٣٢ (٢٤) ـ ويوجد عدد من المعاهد
لاعداد المعلمين والمعلمات للمدارس الابتدائية والاولية •

(١) دار المعلمين الابتدائية ببغداد مدة الدراسة فيها ثلاث سنوات بعد الدراسة المتوسطة •

(٢) دار المعلمات الابتدائية ببغداد ، مدة الدراسة فيها سنتان بعد الدراسة الاعدادية الكاملة •

(٣) دار المعلمات الاولية ببغداد مدة الدراسة فيها اربعة سنوات بعد الدراسة الابتدائية

(٤) دور المعلمين الريفية في الرستمية وفي المحاويل وفي دهوك وفي بعقوبة (٢٥) مدة الدراسة فيها خمس سنوات بعد الدراسة الابتدائية • وكان عدد الطلاب في دور المعلمين سنة ١٩٤٧ ـ ١٩٤٨ (١٤٥٤) وعدد الطالبات في دور المعلمات ٣٤٤ (٢٦) وقد تخرج في دور المعلمين الابتدائية والريفية منذ سنة ١٩١٩ ـ ٢٠ الى نهاية سنة ١٩٤٦ ـ ٤٧ (٣٠٣٢) طالبا وتخرج في دار المعلمات الابتدائية والاولية منذ سنة ١٩٢٣ ـ ٢٤ الى نهاية سنة ١٩٤٦ ـ ٤٧ (١٢١٨) طالبة • (٢٧) •

وارسلت الحكومة عددا من الطلاب والطالبات الى مختلف الجامعات الاجنبية لتستعين بهم في التدريس وفي الاعمال الحكومية الاخرى• وكان عدد الذين ارسلتهم الحكومة منذ سنة ١٩٢٢ ـ ٢٣ الى سنة ١٩٤٦ ـ ٤٧ ، ٨٣٦ عاد منهم ٤٧٦ يحملون شهادات دراسية (٢٨) •
وانشات في عام ١٩٢٧ كلية للطب وكلية للصيدلة ، واسست في سنة ١٩٤٢ كلية للهندسة وكلية التجارة والاقتصاد في سنة ١٩٤٧ • وكلية الاداب والعلوم في سنة ١٩٤٩ لتكون نواة للجامعة العراقية التي تفكر الحكومة بتاسيسها •

---

(٢٢) حولية ص ٢٦٠ (٢٣) حولية ص ٢٧٧

(٢٤) حولية ص ٢٨١

(٢٥) الغيت دار المعلمين الريفية في المحاويل سنة ١٩٤٨ ونقلت ريفية الرستمية الى الكرادة واندمجت فيها دار المعلمين الريفية في بعقوبة ثم نقلت الى بناية دار المعلمين الريفية في بغداد هذا العام لتهدم بنايتها بفعل الفيضان في الربيع المنصرم•

(٢٦) حولية ص ٢٥٥ (٢٧) حولية ص ٢٦٠

(٢٨) حولية ص ٣٠٢

بعد هذه الالمامة السريعة بالنتائج الى حققتها وزارة المعارف في حقل التعليم ، لا بد لنا من ان تلقي نظرة فاحصة على بعض النقاط المهمة . التي لم تعالجها المعارف ، او التي ليس لها في مستطاعها ان تعالجها وحدها .

التعليم الابتدائي

تقوم وزارة المعارف بالقسط الاوفر من التعليم الابتدائي اذ لا تزيد نسبة المدارس الاجنبية والاهلية عن ٨ر٦ ٪ من مجموع المدارس الابتدائية . لقد بلغ مجموع المدارس الابتدائية في المدن والقرى خلال عام ١٩٤٥ ـ ٤٦ (١٠٢٧) ٨٣ مدرسة بنين و ١٦٣ مدرسة بنات ، و٥٢ مدرسة احداث . ومن هذه المدارس ٤٣ مدرسة ذات صف واحد و ٦٤ مدرسة ذات صفين و٩٧ مدرسة ذات ثلاثة صفوف و١٦٤ مدرسة ذات صفوف ستة . اما المدارس الاهلية والاجنبية فتتالف من ٤١ مدرسة بنين و٢٥ مدرسة بنات و ١٧ مدرسة احداث (٢٩) .

ينص نظام المدارس الابتدائية على ان المدارس الابتدائية الاميرية معدة لقبول جميع الطلاب الحائزين على الاوصاف المصرح بها في هذا النظام بدون تفريق بين العناصر والاديان (٣٠) كما ان من واجبات المديرية العامة للتعليم الابتدائي حسبما جاء في قانون المعارف هو وضع الخطط واعداد ما يلزم للتوسع في التعليم الابتدائي بحيث يصبح الزاميا يشمل جميع ابناء القطر . (٣١) . ولكن الواقع يرينا ان ثلاثة ارباع الاحداث الذين هم في سن الدراسة الابتدائية محرومون من التعليم . (٣٢) ويعاني سكان المدن المشقات في ادخال اولادهم الى المدارس الابتدائية في بداية كل عام دراسي ، وقد يفشل قسم كبير منهم لضيق المدارس وعدم وجود محلات كافية وعدم مقدرة وزارة المعارف على فتح مدارس جديدة . واذا بحثنا عن اسباب قلة المدارس الابتدائية لوجدناها مختلفة متشعبة يعود بعضها الى قلة ميزانية المعارف وبعضها الاخر الى اهمال المسؤولين المشرفين على شؤون المعارف . فالمدارس الجديدة تحتاج الى مبان واثاث ومعلمين . واذا ما طلب الى وزارة المعارف انشاء المباني واعداد المعلمين احتجت (علة) الميزانية وكثرة النفقات . والحق ان ميزانية المعارف قليلة ضئيلة بالنسبة للمهام الملقاة على عاتقها ، وبالنسبة لما يرجوه الشعب منها . فقد كانت حصة المعارف من الميزانية العامة منذ سنة ١٩٢٠ ـ ٩٢١ الى سنة ١٩٣٥ ـ ٣٦ اقل من ١٠ ٪ ، وارتفعت في السنوات الثمانية التالية حتى بلغت غاية

---

(٢٩) احمد حسن السلمان "التعليم الابتدائي في المدن والارياف" المعلم الجديد (بغداد ، ١٩٤٩) ج ٥ و ٦ ص ٤٥ ـ ٤٦

(٣٠) نظام المدارس الابتدائية الاميرية رقم ١٩٣٠ المادة ٣ نقلا عن حولية ص ٢١١

(٣١) حولية ص ٢٠٥

(٣٢) احمد حسن السلمان التعليم الابتدائي ص ٥٩

ارتفاعها في سنة ١٩٣٨ ــ ٣٩ حيث وصلت الى ١٤٫٩ ٠/٠ من الميزانية تم اخذت في الانخفاض في السنوات التي اعقبت انتهاء الحرب (٣٣) وبينما كانت حصة المعارف وحصتها من الميزانية الاعتيادية لسنة ١٩٤٦ ــ ٤٧ (١٧٣٧٦٠٤) دينار أي ~~(٢٥٧٨٨٧١) دينار (٣٤) • على ان وزارة المعارف لو اهتمت بالامر الدفاع (٥٢٢٩٨٩٧) دينار وللشرطة (١٨٧٦٢٨١)~~ . على ان وزارة المعارف لو اهتمت بالامر وعالجت القضية بحكمة وتبصر وحزم لاتاحت فرصة التعلم بمواردها القليلة الحاضرة لاكثر من نصف الاطفال الذين هم في سن الدراسة الابتدائية • ان ٧٠ ٠/٠ من بنايات المدارس الابتدائية لا تصلح لان تتخذ مدارس • فمن مجموع بنايات المدارس يوجد ٣٧٩ مدرسة بناياتها مستاجرة و ٧٧ مدرسة بناياتها اكواخ وصرائف • وهذه الابنية التي لم تنشاء في الاصل لتكون مدارس لا شك ان تكون ضيقة، مفتقرة الى المرافق الصحية والساحات الضرورية، عاجزة عن استيعاب العدد اللازم من الطلاب • ولو كانت جميع بنايات المدارس الابتدائية منشاة لان تكون مدارس لامكن ان يتعلم فيها ما يقرب من ٢٤٠٠٠٠ طالب وطالبة بالكلفة نفسها • ودون الاضطرار الى زيادة عدد المعلمين • فمجموع الصفوف في المدارس البنين والبنات الابتدائية ٤١٦٣ صفا، وأن العدد المقرر للطلاب في الصفوف الواسعة الصحية اربعون طالبا • فلا بد ان تسع تلك الصفوف ٢٤٦٥٢٠ طالبا وطالبة (٣٥) •

والى جانب هذا النقص الكمي الخطير في التعليم الابتدائي توجد نقائص اخرى لا تقل عنه خطرا وشرا فالمدارس الابتدائية بالاضافة الى كونها غير كافية لحاجة البلاد غير موزعة في انحاء القطر توزيعا عادلا منتظما • ولا تتبع وزارة المعارف سياسة معينة في فتح المدارس، بل تعتمد على مدى الحاح سكان اللواء ومدى نفوذ رجاله عند الحكومة • فاذا ما كان العدد الفعلي لطلبة الدراسة الابتدائية في لواء الدليم مثلا ٣٦٫٥ ٠/٠ مما يجب ان يكون فانه في مدارس اربيل ما يكاد يبلغ ١١ ٠/٠ مما يجب ان يكون (٣٧) • ومدارس البنات غير موزعة توزيعا منتظما في انحاء البلاد • ان تعليم البنات يسير سيرا مرضيا في الوية بغداد والموصل فقط • اما في الالوية الاخرى فلا يزال متدنيا وعلى الاخص في الوية الديوانية والمنتفك وديالي واربيل • وهنالك الوية لا توجد مدارس للبنات في قراها كالوية كركوك والدليم والكوت والحلة وكربلاء والديوانية والمنتفك (٣٨) •

وقد انخفضت سوية التعليم في السنوات الاخيرة انخفاضا واضحا • فقد زاد الاقبال على المدارس الابتدائية في المدن • واضطرت وزارة المعارف الى فتح مدارس جديدة وهذا اضطرها الى

أي ١٩٫٤٪ ، في حين هذه الميزانية تخصص للدفاع ٥٫٢٢٩٫٨٩٧ دينار، وللشرطة ١٫٨٧٦٫٢٨١ دينار

---

(٣٣) حولية ص ١٩٣٤

(٣٤) (المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٤٧) ص ١٢٤

(٣٥) احمد حسن السلمان التعليم الابتدائي ص ٥٠

(٣٦) المصدر السابق ص ٦٠

(٣٧) المصدر السابق ص ٤٣

(٣٨) «القرية العراقية» ص ٣٩

استخدام عدد كبير من متخرجي دور المعلمين الريفية ودور المعلمات الاولية ذات السنتين والثلاث سنوات والاربع سنوات بعد الدراسة الابتدائية كما استخدمت عددا من متخرجي الدراسة الثانوية الذين لم يعدوا اعدادا فنيا لمهنة التعليم . يضاف الى هذا ضآلة ميزانية وزارة المعارف التي نرى اثارها في سوء البنايات، وقلة وسائل الايضاح ، وندرة الكتب.

ويجب ان نذكر ان كثيرا من الطلاب الذين يدخلون المدارس الابتدائية بشق النفس لا يتمون دراستهم فيها بل يتركونها قبل ان يحصلوا على قليل من الثقافة الابتدائية . وفي هذا تضييع لجهود المعلمين ، وادارة المعارف، والبلاد عامة بصورة غير مباشرة . لا يزيد عدد المتخرجين في المدارس الابتدائية عن ربع الطلاب . فقد كان مجموع المقبولين في الصف الاول الابتدائي عام ١٩٤١ — ٤٢ ، ٤٢ — ٤٣ ٢١٦٠٠ طالبا ، وكان مجموع المتخرجين في المدارس الابتدائية عام ١٩٤٥ — ٤٦ نحو خمسة الاف طالب . (احمد السلمان التعليم الابتدائي ص ٦٠ — ٦١) . اين ذهب الباقون وعددهم حوالي سبعة عشر الف طالب؟ لا شك ان قسما منهم رسب وبقي مداوما في المدرسة على ان اغلبهم تركوا المدارس، وبقوا عاطلين جهلاء في بيوتهم او نزلوا الى معترك الحياة لمساعدة الاسرة ماليا ولا شك ان المسئول عن حرمان هذا العدد من الاحداث من التعليم هو الحالة الاقتصادية السيئة التي يعانيها معظم الحرفيين والعمال والكادحين في المدن الذين لا يستطيعون الانفاق عن ابنائهم طوال سنوات الدراسة كما ان جزءا من المسئولية لا بد ان يقع على عاتق المدرسة التي لا تستطيع ان تحتفظ بهذا العدد من الاحداث اما لسوء ادارتها او صعوبة مناهجها ، وعدم وجود المشوقات فيها . يضاف الى هذا جهل كثير من الاباء الذين يجعلهم لا يرون للعلم والثقافة فائدة او منفعة للانسان .

(بالعمل في حرفهم او باشتغالهم في مختلف الاعمال لمساعدة)

التعليم الابتدائي الريفي

لا تقل نسبة سكان الريف العراقي عن ٧٨ ٪ من مجموع السكان والنهوض بالريف العراقي ثقافيا وصحيا واقتصاديا من الدعائم الاولى للنهوض بالشعب العراقي عامة . ونشر التعليم في الريف ضرورة قومية ماسة لا يرجى للعراق تقدم بدونها . ومع كل هذا فان الامية تخيم على الريف وسير التعليم فيه بطيء، وامكانية نجاحه اذا استمرت اوضاع الريف القائمة على حالها، ضئيلة . بلغت نسبة المدارس الريفية ، في سنة ١٩٤٥ — ٤٦ ، ٤٩ر٤٩ ٪ من مجموع المدارس الابتدائية . ولكن عدد طلبة مدارس الارياف اقل بكثير من عدد طلبة مدارس المدن فان نسبتهم لا تتعدى ٢٤ر٩ ٪ من مجموع الطلبة في المدارس الابتدائية الحكومية (٣٩)

---

(٣٩) احمد حسن السلمان التعليم الابتدائي ص ٥٥

(٤٠) « القرية العراقية » ص ٣٩٢

وبلغ عدد المدارس في القرى في سنة ١٩٤٦/٤٧ (٤٧٣) مدرسة تضم ٣٣٥٣٠ طالبا وطالبة ويقوم بتعليمهم ١٥٦٨ معلما ومعلمة (٤٠) واغلب المدارس الريفية ليس فيها صف الاول الا نصف العدد المطلوب او المتوقع او دون ذلك . وتنخفض هذه النسبة كثيرا في الصفوف العليا، فقد لا نجد في الصف السادس الا احادا (٤١).

وقد شاءت الحكومة ان تفرض التعليم في الريف فرضا على الناس، فادخلت مادة في قانون المعارف العامة نصت على جعل التعليم الابتدائي الزاميا في الاماكن التي تظن ان دواعي هذا النوع من التعليم او وسائل انجاحه تتوفر فيها . واعلنت الحكومة التعليم الالزامي في اربع عشرة مدرسة قروية من مدارس لواء الكوت عام ١٩٤١ . فكان مجموع طلبتها في ذلك العام يقرب من الف طالب وبعد خمس سنوات اي في سنة ١٩٤٥ لم يزد عدد طلبتها اكثر من ٢٢٩ طالبا فقط. وهذه الزيادة البسيطة كانت تحدث من تلقاء نفسها دون حاجة الى فرض التعليم الالزامي . اما في لواء ديالي وهو اللواء الثاني الذي اعلن فيه التعليم الالزامي فقد زاد عدد الطلاب بنسبة ٣٠ ٪. ولا شك في ان جزءاً كبيرا من هذه الزيادة كان ناشئا عن تشجيع الحكومة الطلاب على الاقبال الى المدارس وذلك بتوزيع الكتب والقرطاسية واللوازم الاخرى على عليهم مجانا (٤٢)

وكانت طريقة فرض التعليم الالزامي في المناطق التي اعلن فيها طريقة غريبة كثيرة الصعوبات تحتاج الى تعاون عدد كبير من الموظفين «يقوم معلم المدرسة في اوائل كل عام دراسي بجمع المعلومات عن الفلاحين الجدد في القرية وعن اولادهم من الطلبة المسجلين في المدرسة سابقا او من فراش المدرسة وينظم باسماء الاولاد وابائهم قائمة ثم يقصد "مضيف" الشيخ او السركال ليلا حيث يجتمع الفلاحون فيطلب الى كل من له ولد في السن المدرسي ان يرسل ولده الى المدرسة فان امتنع احدهم او تخلف عن ارسال ابنه اسبوعا عن المدرسة كتب المعلم كتابا الى اقرب مركز اداري والى مديرية معارف اللواء طالبا تقديم والد التلميذ المتخلف الى المحكمة . والموظف الاداري يحيل المخابرة على الشرطة لتقديمه الى المحكمة والشرطة بدورها تعقب القضية وتقدم والد التلميذ الى المحاكمة ان عثرت عليه، والا اهملت القضية . وسكتت عنه . وفي حالة العثور على والد الطالب المتخلف فانه يقدم الى المحكمة فيحكم عليه بغرامة طفيفة او ان يطلق سراحه. ومن الغريب ان يطلب الى معلم المدرسة الحضور الى المحكمة بصفته شاهدا او مدعيا فيضطر الى ترك مدرسته وايقاف التدريسات فيها بضعة ايام .

---

(٤١) ناجي يوسف «الريف والتعليم الريفي» مجلة المعلم الجديد (بغداد ١٩٤٩) ج ٥ و٦ ص ٦٧

(٤٢) احمد حسن السلمان، التعليم الابتدائي ص ٨٥

يتوقف عددها على بعد المدارس من مقر المحكمة او قربها اليها . وفي احيان كثيرة يضطر المعلم الى التردد على المحكمة اياما متعددة لان القضية التي يحضر فيها اجلها تؤجل من اسبوع الى اخر . ولما كان في هذا الحال ضياع لاوقات المعلم وعمله فان في احيان كثيرة يهمل تقديم اسماء ابناء المتخلفين من الاولاد والطلبة الى المراكز الادارية .» (٤٣)

ان الاسباب التي تعرقل انتشار التعليم الابتدائي في الريف والتي تجعل التعليم الالزامي فاشلا مهما اتخذت الحكومة من صرامة ومهما اتخذت من حيطة عديدة متشعبة تنبع من مشاكل البلاد الاقتصادية والاجتماعية . فالفلاح العراقي ، نتيجة لنظام ملكية الارض الحاضر ولتاخر وسائل الزراعة ، فقير معدم يضطر الى تشغيل ولده معه في الزراعة بدلا من ارساله الى المدرسة . وهذا الفلاح اجير يعتمد بقاؤه في الارض على رغبة المالك ، وعلى ارتياحه هو من معاملة المالك له ، ولذا نراه غير مستقر ، ينتقل من قرية الى اخرى . وانتقال الفلاحين مما يحول دون تعليم أولادهم . والاقطاعيون وملاكو الاراضي كثيرا ما يحولون دون انشاء المدارس في قراهم لعلمهم بان الفلاح المتعلم لا يمكن استغلاله بالسهولة التي يستغلون بها الفلاح الجاهل ولان المدارس تحرمهم من ايد عاملة يريد ونها ان تعمل في مزارعهم وحقولهم .

يقول الاستاذ جعفر خياط : «واتذكر ان احد كبار الملاكين في لواء من الالوية ممن تقلد مناصب خطيرة في الدولة ، جاءني يوما في وزارة المعارف ، وهو يشكو من ان تاسيس مدرسة في وسط القرى الكائنة في اراضيه الزراعية قد سبب عدم تيسير الرعاة لاغنامه ، وناشدني الكف عن توسيع المدرسة وتنميتها .» (٤٤) . ومهمة نشر العلم في الريف ، بله التعليم الالزامي ، تتطلب تعاون مختلف دوائر الحكومة مع ادارة المعارف . ولكن هذا التعاون شكلي او مفقود في كثير من الاحيان . «وهنا اتذكر ذلك المتصرف الذي زاره في احدى الالوية الجنوبية وفد مؤلف من كبار موظفي وزارة المعارف كان يتجول في الالوية بغية الوقوف على احوال المعارف وشوون التعليم فيها . فقد خاطب ذلك المتصرف الوفد بقوله : "لماذا تتجشمون انفسكم وتتحملون مشاق السفر؟ ان دواء هؤلاء الناس العصا لا المدرسة ." وقد صادفت المتصرف نفسه في لواء اخر يامر قائمقام احد الاقضية التابعة له بهدم الاسس التي شقت قبل مجيئه الى اللواء لبناء مدرسة في احدى القرى . تبرع ببنائها احد الشيوخ بعد ان اقنعه القائمقام وادارة المعارف بذلك.» (٤٥)

---

(٤٣) احمد حسن السلمان التعليم الابتدائي ص ٥٧ ـ ٥٨

(٤٤) القرية العراقية ص ٥

(٤٥) المصدر السابق الصفحة نفسها

وماذا تجدي الفلاح ثقافته ؟ اين النوادي الثقافية في القرى ؟ اين المكتبات في في القرى ؟ بل اين المكتبات المتنقلة توزع الكتب والمجلات والجرائد على الفلاحين ؟ الحق ان العلم والثقافة لم يصبحا حاجة ضرورية عند الفلاح • وما لم يصبح العلم ضرورة ، ما لم يجد الفلاح نفسه بحاجة الى التعليم ، لا يقبل على العلم ولا هذه العوامل خارجة عن قدرة وزارة المعارف • ولكن يجب ان نضيف لها اهمال الوزارة وتقصيرها في حق التعليم الريفي • ان معظم ابنية المدارس الريفية اما صرائف بالية او بيوت من الطين واللبن وجذوع النخل المتداعية وقليل منها مبني بالاجور وهي خالية من الاثاث الجيد ومن وسائل الايضاح المشوقة ، ومن الساحات ووسائل الراحة ، اي انها لا تفرق عن بيوت الفلاحين الكئيبة الا قليلا ، وليس فيها ما يشوق الطفل ويجذبه الى التعليم والبقاء في المدرسة • واعداد المعلم الريفي ناقص، وثقافته سطحية ، ومعرفته بشوون الفلاحين وعقليتهم ضئيلة • يضاف الى هذا ان حالة المعلم الريفي مزرية بائسة ، فراتبه ضئيل ، ومعيشته غير مؤمنة ، وبيته كوخ ، وبقاؤه في الوسط الريفي الموحش يملأ روحه مللا ، ويجعله لا ينشط في تعليمه • ومناهج التعليم في الريف لا تختلف عن مناهج التعليم في المدن مع ما بين المحيطين من فارق عظيم • فالمدارس الريفية لا تعلم ابناء الفلاحين الطرق الحديثة في الزراعة وكيفية استعمال الالات الزراعية والاستفادة من الاسمدة والمياه ، وطرق مكافحة الافات الزراعية ، والاستفادة من الاسمدة الحديثة والطرق الفنية في تربية الدواجن ، لعدم خبرة المعلمين الريفيين بهذه المواضيع • ولعدم وجود مزارع حكومية نموذجية ملحقة بالمدارس ، ولعدم وجود الات زراعية يستطيع الطلاب ان يتمرنوا عليها • والنتيجة الحتمية للدراسة الحاضرة في الريف ان يسعى المتخرجون في هذه المدارس الى الالتحاق بدور المعلمين او في المدارس الاخرى او ان استطاعوا الى ذلك سبيلا ، او ينخرطون في سلك الشرطة او يصبحون فراشين وموظفين صغارا في دوائر الحكومة فيخسرهم الريف • اما ان يبقى منهم في القرى فسرعان ما ينسون ما تعلموه، ويعودون الى حياة ابائهم واجدادهم ويبقون عاكفين على جهلهم وخرافاتهم وعاداتهم العشائرية البدائية • وهكذا نرى ان المسوولين عن تاخر التعليم في الريف لا يمكن ان يكون وزارة المعارف وحدها ، ولا الحكومة وحدها ، ولا نظام ملكية الاراضي وحده ولا حالة الفلاحين الاجتماعية وحدها، بل كل هؤلا مجتمعين • والعامل الاقتصادي هو اهم هذه العوامل واشدها تاثيرا في عرقلة التعليم في المناطق الريفية • ومشكلة نشر التعليم وتوسيع دائرته متوقفة الى حد بعيد على حل مشكلة الاراضي • فاذا ما حلت هذه المشكلة حلا يرفع من سوية حياة الفلاحين بدون ... وياخذ بيدهم لتحسين احوالهم الاقتصادية والاجتماعية فستحل مشكلة نشر التعليم بدون اللجوء الى القانون والى المحكمة))

(احمد حسن السلمان التعليم الابتدائي ص٥٩)

مكافحة الامية

لا تقتصر مشكلة التعليم في العراق على الاحداث الذين هم في سن المدرسة ، بل ان الاغلبية العظمى من السكان جهلاء اميون • ومشكلة تعليم هذا العدد الضخم من الاميين، وكثير منهم قد تجاوز السن المدرسية، مشكلة معقدة، صعبة الحل، وان كان على حلها حلا سريعا موفقا يتوقف تقدم البلاد وخيرها •

قامت الحكومة بمكافحة الامية منذ قيام الحكم الوطني في البلاد وان كانت جهود الحكومة في هذه السبيل ضعيفة ، محدودة النطاق • تقوم وزارة المعارف بالعبء الاكبر من مكافحة الامية في المباني المدرسية، وتساعدها في هذا وزارة الشوون الاجتماعية في السجون، ووزارة الدفاع في الثكنات العسكرية، وبعض المدارس المسائية ، وبعض الجمعيات الموسسة لهذا الغرض كما قامت نقابات العمال بفتح دورات تعليمية لاعضائها ايام ان كانت هذه النقابات حرة النشاط • كان عدد مراكز مكافحة الامية التابعة لوزارة المعارف للسنة الدراسية ١٩٤٦ / ٤٧ ، ١٥٨ ، وعدد الشعب والصفوف في هذه المراكز ٣٣٤، وعدد المعلمين ٢٥١، وعدد الطلاب ٥٧٠٠ • وكان اربعة من هذه الصفوف خاصة بالبنات وعدد البنات اللاتي يتعلمن فيها ٧٥ (٤٦) يقضي الطالب في صفوف المكافحة دورتين دراسيتين مدة كل منهما اربعة اشهر يدرس فيهما القراءة والكتابة والحساب • وهذه المدة قصيرة لا تمكن الطالب من اتقان القراءة والكتابة ، وكثيرا ما ينسى ما تعلمه بعد مغادرة الدورة الدراسية بمدة قصيرة •

والجهود التي تبذلها الحكومة لمكافحة الامية ضئيلة محدودة لا تجدي الا قليلا. فان معدل المخصصات التي تصرف لهذا الغرض هو ٣٣٨٧ دينارا في العام الواحد (٤٧) • بل ان حركة مكافحة الامية اخذت في التناقص ، كما يتضح من الجدول الاتي (٤٨) وقلت اعانات الحكومة لهذا المشروع.

---

(٤٦) حولية ص ٢٠٣ ــ ٨

(٤٧) احمد حسن السلمان "مكافحة الامية" مجلة المعلم الجديد (بغداد ١٩٤٧) ج ٣ ، ص ٣

(٤٨) حولية ص ٢٠٨

السنة الدراسية	عدد الطلاب	السنة الدراسية	عدد الطلاب
١٩٢٧ ـ ١٩٢٨	٢٠٧٤	١٩٣٧ ـ ١٩٣٨	١٢٣٩٥
١٩٢٨ ـ ١٩٢٩	٢٦٤٥	١٩٣٨ ـ ١٩٣٩	١٦٦٣٣
١٩٢٩ ـ ١٩٣٠	١٤٨٤	١٩٣٩ ١٩٤٠	٩٧١٤
١٩٣٠ ـ ١٩٣١	٢٣٩٨	١٩٤٠ ـ ١٩٤١	٩٠٠٦
١٩٣١ ـ ١٩٣٢	٢٧٤٩	١٩٤١ ـ ١٩٤٢	٧٥٩٥
١٩٣٢ ـ ١٩٣٣	٤٩٨٣	١٩٤٢ ـ ١٩٤٣	٤٢٣٩
١٩٣٣ ـ ١٩٣٤	٢٥٠٠	١٩٤٣ ـ ١٩٤٤	٤١٧٦
١٩٣٤ ـ ١٩٣٥	٩٧٠٥	١٩٤٤ ـ ١٩٤٥	٣٧٨٨
١٩٣٥ ـ ١٩٣٦	٧١١٥	١٩٤٥ ـ ١٩٤٦	٥٥٦٥
١٩٣٦ ـ ١٩٣٧	١١٠٤٨	١٩٤٦ ـ ١٩٤٧	٥٧٠٠

والحق ان الامية مشكلة معقدة ترتبط بالوضع الاقتصادي والاجتماعي ارتباطا وثيقا ، ولا يمكن القضاء عليها نهائيا الا اذا بدلت اوضاع الناس الاقتصادية ، وتحسنت ظروفهم الاجتماعية .

فان الثقافة والعلم لا تتأتيان للانسان الا مع الفراغ والرفاه المادي . وما دام الفلاح والعامل وكثيرمن الكسبة في المدن فقراء معدمين ، يكدحون طول يومهم بوسائلهم البدائية للحصول على اللقمة فلن يدركوا فائدة العلم ولن يهتموا به . ولن يجدوا متسعا من الوقت للتعلم ان ارادوا .

وكيف يتعلم البدوي وهو ينتقل وراء ماشيته من ارض الى ارض سعيا وراء العشب والماء ؟ واي رغبة يحس للتعلم ؟ لقد الفت جماهير الشعب حالتها الاقتصادية والاجتماعية حتى اصبحت تراها طبيعية . ووجد الناس اباءهم اميين جهلاء فالفوا الجهل ولم يجدوا فيه غضاضة ، بل وجدوه شيئا طبيعيا كهذه العبودية التي يقدمونها لاسيادهم الاقطاعيين ، وهذه الحياة البائسة التي يحيونها وهل يشعر الفلاح الامي المتعب الفقير بحاجة للتعلم في محيط لا يرى فيه كتابا ؟ ان تغيير هذا الوضع الاقتصادي السيء للسواد الاعظم من السكان الى جانب كونه سيرفع مستوى معيشتهم ويزيد استقرارهم الاجتماعي واطمئنانهم النفسي ويطيل اوقات راحتهم و فراغهم سيحدث تغيرا عاما في عقليتهم وهزة في نفوسهم ، ويعيد اليهم شعورهم بذواتهم كاناس احرار ، ويجعلهم اكثر استعدادا لتلقي العلم والاستفادة منه في حياتهم .

ولكن هذا لا يعني ان نقف مكتوفي الايدي مستسلمين لليأس منتظرين انتظام الحالة الاقتصادية وتحسن حالة الناس المادية لنشرع في محو الامية ونشر التعليم بين الناس . فان الحياة الاجتماعية وحدة مترابطة الاجزاء يؤثر بعضها في بعض . فكما ان اعادة تنظيم الحياة الاقتصادية يسهل حل مشكلة الامية فان تعليم العامة من الشعب وتثقيفهم هو احد العوامل الاساسية في انتظام الحالة الاجتماعية وتقدم الحياة الاقتصادية . فالى جانب العمل على رفع مستوى معيشة السكان بصورة عامة يجب ان نبذل الجهود المنظمة المثمرة لمحو الامية . وذلك يتطلب خطة مدروسة مبنية على الاحصاءات الدقيقة تقوم بها الدولة على نطاق واسع بحيث تشترك في تنفيذها كافة الوزارات ، بمعاونة الهيئات الشعبية التي تعمل لنفس الغاية . ويحتاج تطبيق هذه الخطة الواسعة الى نفقات باهظة لا تكفي لسدها هذه الاعتمادات الضئيلة التي تخصصها الحكومة الان ، ولا بد من اعادة النظر في توزيع ميزانية الدولة ، واعطاء هذا المشروع ما يستحقه . ويجب ان يعد معلمو مكافحة الامية اعدادا خاصا . فان تعليم الاميين الراشدين يختلف اختلافا كبيرا عن تعليم الاميين من الاطفال فلكل عقليته وتصوراته وعاداته ، وتكوينه النفسي الخاص . ويجب الى كل ما تقدم ، ان تعد لمؤلاء

الاميين كتب خاصة تناسب عقليتهم ،كما يجب ان توفر وسائل الراحة في مراكز المكافحة . بحيث يجد العامل المتعب ، والفلاح المكدود ، مشوقا للذهاب اليها .

على ان هذا يحتاج الى مبالغ جسيمة من المال ، والى الحكومة تشعر شعورا عميقا صادقا بضرورة تعليم العامة من الشعب . وهنا تطالعنا مرة اخرى المشكلة المالية ومشكلة جهاز الدولة القائم .

التعليم الزراعي والصناعي

الاقتصاد العراقي قائم على الزراعة . ولكن الزراعة العراقية متاخرة لاتباعها الطرق البدائية واستخدامها الالات البسيطة ولجهل الفلاح وسوء توزيع الاراضي . ولاجل النهوض بالزراعة واقامتها على اسس عصرية ، لا بد من اعداد عدد كاف من الفنيين والخبراء الزراعيين ، يعلمون الفلاحين الطرق الحديثة في الزراعة ، ويشرفون على الحقول النموذجية التي ترشد الفلاحين وتبين لهم اهمية الاساليب العلمية في الزراعة ، وكيفية مكافحة الافات النباتية والطرق العصرية في تربية الدواجن على ان الحكومة لم تهتم بهذا الامر الحيوي الا موخرا . ومع ذلك جاءت جهودها ناقصة شوهاء .

اسست مديرية الزراعة العامة مدرسة للزراعة في عام ١٩٣٦ . يقبل في هذه المدرسة خريجو المدارس المتوسطة ، ومدة الدراسة فيها ثلاث سنوات . ان مستوى هذه المدرسة الثقافي يعادل الدارسة الثانوية . اما مستواها الزراعي فواطيء تخرج في هذه المدرسة ٢٣ طالبا في عام ١٩٤١ ـ ٤٢ ، و٢٨ طالبا في ١٩٤٢ ، و٤٣ ، و٢٧ خريجا في عام ١٩٤٣ ـ ٤٤ ، و٤٨ في عام ١٩٤٤ ـ ٤٥ ، و٥٨ في عام ١٩٤٥ ـ ٤٦ ، و٣٠ في عام ١٩٤٦ ـ ٤٧ (حولية ص ٢٥١). كان المتخرجون يعينون في الحقول الزراعية التابعة لمديرية الزراعة العامة . ولكن عددهم اصبح منذ سنة ١٩٤٨ ، يفيض عن حاجة هذه الحقول القليلة . ولم يجد هؤلا مجالا للاشتغال في المزارع الاهلية لان الملاكين لا يثقون بخبرتهم الزراعية ومعارفهم الفنية ، ويفضلون عليهم الفلاحين المجربين ، والعمال الزراعيين والسراكيل . وفكرت الحكومة منذ سنة ١٩٤١ في اعطاء خريجي هذه المدرسة مساحات صغيرة من الاراضي الزراعية يتولون زراعتها بانفسهم واعد تشريع لتنفيذ هذه الفكرة الصائبة غير ان هذا التشريع لم ينفذ ، وبقيت الفكرة حلما جميلا . ولعل تخوف الحكومة او الاقطاعيين من امتزاج المثقفين بالفلاحين وما يجره هذا الامتزاج من انتقال الافكار العصرية الى الفلاحين هو الذي حال دون تحقيق

« الخطرة »

هذه الغاية (٤٨) . واخذت وزارة المعارف تستخدم هؤلاء الطلاب في ملاك التعليم الابتدائي . وفي هذا خسارة من جهتين . اولا ان الثقافة الزراعية ، مهما كانت ناقصة ، ضحلة التي يحصل عليها هؤلاء الشبان تبقى مطمورة لا تفيد . ومن جهة اخرى فان هؤلاء الشبان لم يعدوا اعدادا فنيا لمهنة التعليم ونتيجة استخدامهم في التعليم انخفاض مستوى الدراسة الابتدائية وانحطاط ثقافة النشء الجديد .

وفي العراق صناعات قائمة ، ومعامل حديثة ضخمة عددها في ازدياد . وامكانية قيام الصناعات الكبيرة في البلاد متوفرة ، لا سيما الصناعة التي تعتمد على المنتوجات الزراعية والحيوانية . ولا بد اذن من تهيئة عدد كبير من الفنيين يديرون هذه الصناعة ويشرفون عليها . وحاولت الحكومة تحقيق هذه الفكرة ولكن جهودها جاءت ناقصة شوهاء كجهودها في اعداد فنيين وخبراء زراعيين .

اسست اول مدرسة صناعية في بغداد في عام ١٩٢٠ وبعد سنوات انشئت مدرسة اخرى في الموصل . وقد الغيت هذه المدرسة قبل ثلاث سنوات ، وفتحت مدرستان للصناعة احداهما في كركوك والاخرى في البصرة ، لتكونا على مقربة من شركة نفط العراق ومن الميناء . ومدة الدراسة في المدارس الصناعية خمس سنوات بعد الدراسة الابتدائية وتخرج في هذه المدرسة جميعا منذ عام ١٩٢٠ ـ ٢١ الى نهاية ١٩٤٦ ـ ٤٧ ، ٤٥٣ طالبا (حولية ص ٢٥) ولا يقتصر فشل المدارس الصناعية على تخريج عدد ضئيل من الطلاب خلال هذه المدة الطويلة حسب ، بل ان ثقافة هؤلاء الطلاب النظرية الفنية ناقصة ضحلة . ومرجع ذلك الى ضعف الدراسة النظرية في هذه المدارس المسببة عن عدم وجود اساتذة صالحين فيها ، والى عدم وجود معامل كاملة المعدات ملحقة بهذه المدارس يتدرب فيها الطلاب ويطبقون ما تعلموه نظريا . ان خريجي هذه المدارس لا تمكن مساواتهم حتى بالعمال الاميين الذين تلقوا معارفهم بالتجربة (الخبرة) العملية ، وان مصير هؤلاء الشبان ظل قلقا فهم ليسوا بالمهندسين الفنيين الذين تحتاجهم المعامل وسكك الحديد وشركات النفط والميناء ، ولا هم بالعمال الفنيين الماهرين الذين يستطيعون ان يجدوا عملا في المنشات الصناعية في البلاد . ولم يبق امامهم من سبيل الا الالتجاء الى الحكومة وطرق باب الوظائف الكتابية .

(٤٨) صدى الاهالي ، العدد ٢٩٦ ، "خريجوا مدرسة الزراعة وبعض مشاكل الزراعة القائمة"

هذه الغاية (٤٨) . واخذت وزارة المعارف تستخدم هؤلاء الطلاب في ملاك التعليم الابتدائي . وفي هذا خسارة من جهتين . اولا ان الثقافة الزراعية ، مهما كانت ناقصة / ضحلة، التي يحصل عليها هؤلاء الشبان تبقى مغمورة لا تفيد . ومن جهة اخرى فان هؤلا الشبان لم يعدوا اعدادا فنيا لمهنة التعليم ونتيجة استخدامهم في التعليم انخفاض مستوى الدراسة الابتدائية وانحطاط ثقافة النشء الجديد .

وفي العراق صناعات قائمة، ومعامل حديثة ضخمة، عددها في ازدياد . وامكانية قيام الصناعات الكبيرة في البلاد متوفرة ، لا سيما الصناعة التي تعتمد على المنتوجات الزراعية والحيوانية . ولا بد اذن من تهيئة عدد كبير من الفنيين يديرون هذه الصناعة ويشرفون عليها . وحاولت الحكومة تحقيق هذه الفكرة ولكن جهودها جاءت ناقصة شوهاء كجهودها في اعداد فنيين وخبراء زراعيين .

اسست اول مدرسة صناعية في بغداد في عام ١٩٢٠ وبعد سنوات انشئت مدرسة اخرى في الموصل . وقد اغلقت هذه المدرسة قبل ثلاث سنوات، وفتحت مدرستان للصناعة احداهما في كركوك والاخرى في البصرة ، لتكونا على مقربة من شركة نفط العراق ومن الميناء . ومدة الدراسة في المدارس الصناعية خمس سنوات بعد الدراسة الابتدائية وتخرج في هذه المدرسة جميعا، منذ عام ١٩٢٠ ــ ٢١ الى نهاية ١٩٤٦ ــ ٤٧ ، ٤٥٢ طالبا (حولية ص ٢٥) ولا يقتصر فشل المدارس الصناعية على تخريج عدد ضئيل من الطلاب خلال هذه المدة الطويلة حسب، بل ان ثقافة هؤلا الطلاب النظرية الفنية ناقصة ضحلة . ومرجع ذلك الى ضعف الدراسة النظرية في هذه المدارس المسببة من عدم وجود اساتذة صالحين فيها ، والى عدم وجود معامل كاملة المعدات ملحقة بهذه المدارس يتدرب فيها الطلاب ويطبقون ما تعلموه نظريا . ان خريجي هذه المدارس لا تمكن مساواتهم حتى بالعمال الاميين الذين تلقوا معارفهم بالتجربة ~~المحدودة~~ الخبرة، هوان مصير هؤلا الشبان ظل قلقا فهم ليسو بالمهندسين الفنيين الذين تحتاجهم المعامل وسكك الحديد وشركات النفط والميناء، ولاهم بالعمال الفنيين الماهرين الذين يستطيعون ان يجدوا عملا في المنشات الصناعية في البلاد . ولم يبق امامهم من سبيل الا الالتجاء الى الحكومة وطرق باب الوظائف الكتابية .

---

(٤٨) صدى الاهالي، العدد ٢٩٦ "خريجوا مدرسة الزراعة وبعض مشاكل الزراعة القائمة"

د. الثقافة الفنية ... الضحلة ...

هذه الغاية (٤٨) . واخذت وزارة المعارف تستخدم هؤلاء الطلاب في ملاك التعليم الابتدائي . وفي هذا خسارة من جهتين . اولا ان الثقافة الزراعية ، مهما كانت ناقصة التي يحصل عليها هؤلاء الشبان تبقى مغمورة لا تفيد . ومن جهة اخرى فان هؤلا الشبان لم يعدوا اعدادا فنيا لمهنة التعليم ونتيجة استخدامهم في التعليم انخفاض مستوى الدراسة الابتدائية وانحطاط ثقافة النشء الجديد .

وفي العراق صناعات قائمة ومعامل حديثة عددها في ازدياد . وامكانية قيام الصناعات الكبيرة في البلاد متوفرة ، لا سيما الصناعة التي تعتمد على المنتوجات الزراعية والحيوانية . ولا بد اذن من تهيئة عدد كبير من الفنيين يديرون هذه الصناعة ويشرفون عليها . وحاولت الحكومة تحقيق هذه الفكرة ولكن جهودها جاءت ناقصة شوهاء كجهودها في اعداد فنيين وخبراء زراعيين .

اسست اول مدرسة صناعية في بغداد في عام ١٩٢٠ وبعد سنوات انشئت مدرسة اخرى في الموصل . وقد اغلقت هذه المدرسة قبل ثلاث سنوات وفتحت مدرستان للصناعة احداهما في كركوك والاخرى في البصرة ، لتكونا على مقربة من شركة نفط العراق ومن الميناء . ومدة الدراسة في المدارس الصناعية خمس سنوات بعد الدراسة الابتدائية وتخرج في هذه المدرسة جميعا منذ عام ١٩٢٠ — ٢١ الى نهاية ١٩٤٦ — ٤٧ ، ٤٥٢ طالبا (حولية ص ٢٥) ولا يقتصر فشل المدارس الصناعية على تخريج عدد ضئيل من الطلاب خلال هذه المدة الطويلة حسب بل ان ثقافة هؤلا الطلاب النظرية الفنية ناقصة ضحلة . ومرجع ذلك الى ضعف الدراسة النظرية في هذه المدارس المسببة عن عدم وجود اساتذة صالحين فيها ، والى عدم وجود معامل كاملة المعدات ملحقة بهذه المدارس يتدرب فيها الطلاب ويطبقون ما تعلموه نظريا . ان خريجي هذه المدارس لا تمكن مساواتهم حتى بالعمال الاميين الذين تلقوا معارفهم بالتجربة والخبرة . وان مصير هؤلا الشبان ظل قلقا فهم ليسو بالمهندسين الفنيين الذين تحتاجهم المعامل وسكك الحديد وشركات النفط والميناء ، ولاهم بالعمال الفنيين الماهرين الذين يستطيعون ان يجدوا عملا في المنشات الصناعية في البلاد . ولم يبق امامهم من سبيل الا الالتجاء الى الحكومة وطرق باب الوظائف الكتابية .

---

(٤٨) صدى الاهالي العدد ٢٩٦ "خريجوا مدرسة الزراعة وبعض مشاكل الزراعة القائمة"

النتيجة الحتمية لهذه الثقافة الفنية الضحلة

وما هذا بالحل المجدي، وما لمذا انفقت الحكومة على تعليمهم الاموال الطائلة من ضرائب الشعب • ان انخفاض الثقافة الفنية والنظرية والعملية في هذه المدارس، وعدم تيسير العمل لخريجيها هو الذي ينفر الشبان من الاقبال عليها بالرغم من ان الحكومة تتكفل بدراسة الطالب ومعيشته طوال سنوات الدراسة الخمس •

اذا اردنا ان نهيء للزراعة والصناعة مهندسين وخبراء فنيين ، وعمالا ماهرين، واذا اردنا انقاذ المئات والالاف من المثقفين، واذا اردنا ان نحول انظار الشبان المتعلمين عن الوظائف الحكومية الى العمل الحر المثمر فعلينا ان نقيم التعليم الصناعي الزراعي على اسس وطيدة ، فنوسع هذه المدارس ونجهزها بالمعدات الفنية وما تستلزمه من معامل وحقول للتجربة، وان نرسل البعوث الى المدرسة الزراعية والصناعية والمعامل في الخارج، وان نمدها بما تحتاجه من اساتذة وفنيين وعلماء على ان هذا وحده لا يكفي • بل يجب ان يتم بتيسير سبيل العمل والعيش لهؤلا الفنيين الزراعيين والفنيين الذين تخرجهم هذه المدارس، وذلك عن طريق التشغيل الحكومة لهم في الشغل والمينا والموسسات الحكومية واجبار الشركات الاجنبية وشركات النفط بخاصة على تفضيلهم على العمال والفنيين الاجانب، وعن طريق قيام الحكومة بالمشاريع الزراعية والصناعية الكبيرة التي تفيد البلاد اقتصاديا وتوفر العمل لكثير من ابناء البلاد، وعن طريق تنظيم الحياة الاقتصادية بصورة عامة «فاذا لم يكن هنالك في البلد توجيه اقتصادي يسير على حسب خطة مرسومة ومنهاج ثابت لتعيين هدف الصناعة ومدى التصنيع وتوسيع الانتاج الزراعي وتنظيم التجارة وتنسيق هذه المرافق كلها بالنسبة لبعضها البعض فاننا في توجيهنا العملي الجديد نكون الا قد ابدلنا جيش المتعلمين المقعدين بجيش من العمال المدربين العاطلين» • (٤٩)

(٤٩) دكتور علي الصافي، "التعليم الصناعي" مجلة المعلم الجديد، (بغداد، ١٩٤٩) العدد ٥، ٦، ص ٢٥.

الفصل السابع

الصحة العامة

ان سلامة الانسان من الامراض ، وصحة تكوينه الجسمي والعقلي من مقومات حياته ، ومن الاسس التي يقوم عليها المجتمع السليم . والمريض انسان بائس شقي ، لا ينعم بحياته ولا يجد لذة لوجوده ، ولا يستطيع ان يقدم الا اقل الخير للمجتمع، ان لم يكن عبئا ثقيلا عليه . ان المجتمع لا يُقَوَّم بعدد ما فيه من الافراد بل بعدد ما فيه منا لافراد الاصحاء ، الناشطين، العاملين . والمجتمع المريض اغلبية افراده مجتمع متأخر حضاريا واقتصاديا لا يستطيع ان يجاري ركب الانسانية السائر ابدا الى الامام . وهل تاريخ الانسان باسره الا كفاح ضد المرض وضد كل ما يقف عائقا امام الحياة الحرة الرخية؟

ليس الجسم الصحيح السليم هو الجسم الخالي من الامراض والعاهات فحسب ، بل هو الذي يتمتع بحيوية تامة للقيام باعماله ، والتمتع بحياته، ومقاومة ما عسى ان يصيبه من مرض «ان صحة الفرد هي وجوده في حالة تمكنه من القيام بوظائفه الجسدية والعقلية خير قيام وتجعله يعيش اطول عمر ، ويخدم احسن خدمة في حياته الشخصية والاجتماعية» (١)

تتوقف صحة الفرد وسلامته من الامراض على عوامل عديدة منها ما هو شخصي كمقدرة الجسم ، في وقت ما، على مقاومة المؤثرات التي تؤدي الى المرض او الموت ، ومنها ما هو خارج عن كيانه كالمنزل الذي يعيش فيه والغذاء الذي يتناوله ، والماء الذي يشربه ، والعمل الذي يمارسه، اي المحيط الذي يعيش فيه . وسوف ندرس في هذا الفصل الامراض المنتشرة في العراق ، والخدمات الصحية التي تقدمها الدولة للشعب، وتاثير العوامل المحيطية ، والحياة الاجتماعية والاقتصادية على الصحة العامة .

انتشار الامراض

تقدر عدد الاصابات بمختلف الامراض (الدارجة) نحو ملايين اصابة في العام الواحد . والجدول الاتي (٢) يوضح لنا النسب المئوية لاهم الامراض السارية واكثرها انتشارا في البلاد .

---

(١) الدكتور شريف عسيران «علم الصحة» (بغداد، ١٩٤٩) ج ص ٣٠٢

(٢) جواد ص ٩١

المعالجة في المؤسسات الصحية لسنة ١٩٤٣

الملاريا	٥٤ ٥	بالمئة من مجموع الامراض السارية
التراخوما	٤٠،٥	= = = = = = = = =
الزهرية	٢،٣	= = = = = = =
الدزنتري	١،٦	= = = = = = =
البلهارزيا	١،٢	= = = = = = =
النزلة الصدرية	١،٦	= = = = = = =
الانكلستوما	٠،٥	= = = = = = = =

الملاريا مرض سار سببه ميكروب طفيلي يسمى الملاريا ، ينتقل بواسطة نوع من اناث البعوض يسمى الانوفيليس ، تعيش على دم الانسان . والملاريا مرض خبيث يؤدي الى انحطاط قوى المصابين انحطاطا شديدا ، والى فقر الدم بسبب اتلاف كريات الدم الحمر والى تضخم الطحال ، كما انها تؤدي الى العقم او الاجهاض عند المرأة . وتنتشر الملاريا في المحلات المنخفضة كالوديان ، وفي المزارع ، وقرب الاهوار والمستنقعات ، اي في كل محلات (الاماكن) التي توجد فيها الرطوبة والمياه الراكدة والحرارة التي تساعد على نمو البعوض الذي ينقله . وقد ازداد هذا المرض انتشارا في العراق في السنوات الاخيرة بسبب ازدياد قنوات الري ، والري السيحي ، دون وجود نظام تصريف للمياه مما ادى الى حدوث المستنقعات ، والى كثرة الحدائق والبساتين في المدن الكبرى ، وعدم وجود نظام لتصريف المياه فيها ، يضاف الى هذا فقر السكان ، وانحطاط مستواهم الاقتصادي ، وسوء تغذيتهم ، مما يضعف اجسامهم على مقاومة المرض . (ويتراوح عدد الذين يراجعون المستوصفات الحكومية من المصابين بالملاريا بين ٢٠٠،٠٠٠ في سني الفيضان التي تنتشر فيها الملاريا بشكل وباء . ومن المحتمل جدا ان يكون مجموع الاصابات من المراجعين وغير المراجعين حوالى الثلاثة ملايين اصابة .

ويعزز هذا التقدير نسبة تضخم الطحال في القرى وغيرها حيث لا تقل نسبتها عن ٦٠ ٪ . وتقدر وفيات الملاريا في العراق ب ٣٠،٠٠٠ سنويا) . (٣)

وفيما يلي جدول باصابات الملاريا لسنة ١٩٤٣ موزعة حسب الالوية مع البيان عن نسبتها المئوية الى مجموع الاصابات بمختلف الامراض في كل لواء . (٤)

السنين المحتلة ، و ...٠٠٦ في

---

(٣) صبيران ص ١٧٤ ـ ٧٥ وقد ذكر الاستاذ هاشم جواد ص ٩١ نقلا عن " الملاريا والملاريا في العراق " (للدكتور علي غالب) " ويعتقد العارفون بهذا المرض ان الملاريا تسبب ما لا يقل عن ٥٠،٠٠٠ وفاة في السنة الواحدة "

(٤) جواد ص ٩٢ ـ ٩٣

اللـــواء	عدد الاصابــــات	النسبة المئويـــة
بغداد	٣٤,٨٤٦	٣،٧
البصرة	٥٩,٦٦٧	٢٠،٧
الموصل	٥٦,٨٢٦	١٤،١
العمارة	١٤,٦٦٤	٦،٥
اربيل	٢٣,٩١٦	١٧،١
الديوانية	٥٣,٥٨٤	١٤،٩
ديالي	٣٩,٤٥٤	١٣،٥
الدليم	١٣,٩٤٣	٨،٣
الحلة	٥٩,٥٠٦	٢٢،١
كربلاء	٨٣,٤٠٨	٢٦،٦
كركوك	١٢,٣٩٤	١٣،٩
الكوت	١٧,٤٠٥	٩،٢
المنتفك	٢٤,٤٢٦	١١،١
السليمانية	١٥,٥٠٦	١٢،٣

يتبين لنا من هذا الجدول ان انتشار الملاريا على اشده في الوية كربلاء والحلة والبصرة والموصل والديوانية ، وهي من الالوية الزراعية المهمة ، المزدحمة بالسكان .

والتراخوما مرض سار مزمن يصيب منطقة العين ويولد فيها حبيبات صغيرة او كبيرة ويحدث تخريبات في العين نفسها ، وقد تكون سببا في تلف العين كلها . والغبار عامل مهم في نقل العدوى اذ يخرش اغشية العين المخاطية ، ويحمل اليها الجراثيم كما ينقل الذباب المرض من المريض الى السليم . وهذا المرض ينتشر عادة في المحلات القذرة ، وحيث يكون المستوى الصحي واطئا ، والتغذية ناقصة ، والجهل مخيما على العقول وقد بلغ مجموع الاصابات في العراق سنة ١٩٤٦ مقدار ٥٥٨،٣٢٣ اصابة (٥) .

والبلهارزيا مرض سار تسببه نوع من الديدان المسطحة تعيش في المياه وتنتقل

---

(٥) "المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٤٧" ص ٣٤

منه الى الانسان اثناء الاستحمام او الشرب • تتوطن هذه الديدان الكبد والوريد البابي وتنتقل منه الى المثانة والمستقيم فتخرشهما وتسبب بولا او ابرازا دمويين • ويضعف المصاب جراء نزف الدم ومن السموم المتولدة من الديدان ،كما ان هذا المرض يحدث اضرارا عامة في الجسم • وهو موجود في العراق ، وخاصة في الوية الفرات ، حيث يقدر ان ثلث الجنوبيين مصابون به (٦) وقد بلغ مجموع الاصابات المسجلة في دوائر الصحة سنة ١٩٤٦ (٢١،٠٢٩) (٧) اصابة • ولا يمثل هذا الاحصاء المرضى الذين يراجعون طبيبا خاصا و واكثر المرضى الريفيين الذين لا يراجعون طبيبا على الاطلاق •

والانكلوستوما مرض يسببه نوع من الديدان ، تخرج بيوضها مع الغائط وتبقى حية في الطين او الارض الرطبة او المياه العكرة ، وتدخل اجنتها الجسم عن طريق الجلد والفم • وهو يسبب فقر دم شديد واضطرابات معوية وجسدية ونحولا ، وضعفا في القلب • وهو منتشر بين الفلاحين كثيرا ، بسبب فقرهم وسوء التغذية وسيرهم على الارض حفاة • ولا يقل عدد المصابين بهذا المرض عن ثلث السكان (٨) وتبلغ نسبة الاصابات في بعض نواحي العراق ٥٠ ٪ من مجموع السكان (٩) •

واذا اضفنا الى هذه الامراض السل الذي اخذ يزداد انتشارا بين الطبقات الفقيرة وخاصة في اربيل وكركوك والعتبات المقدسة، والديسنزاتري ووفيات الاطفال التي تكلمت عنها في الفصل الاول ، والزهري الذي يعد المصابون به بعشرات الالوف في المدن والقرى ، كملت صورة الامراض الاكثر انتشارا في البلاد ، وهي صورة لعمري فاجعة • ((يخمن العارفون بالاحوال الصحية ان كل فرد من سكان الريف والقرى والقصبات وافراد الطبقة العاملة والفقيرة ، وهم لا يؤلفون نحو ٩٠ بالمائة من السكان مصاب بما لا يقل عن مرضين او ثلاثة في وقت واحد • هذا بالاضافة الى الامراض الطارئة التي تنتابه من حين لاخر وكل واحد من هذه الامراض اذا اهمل كاف لان يؤثر في حيوية وقوة جسم الفرد تأثيرا واضحا فيقلل من قابليته الفكرية والعقلية فيؤثر في انتاجه • ويضاف الى هذا ان الامراض المذكورة تنخر كيان الاجيال الجديدة باستمرار وتؤخر زيادة السكان تأخيرا محسوسا • ولا شك ان مكافحة هذه الامراض صعب جدا • ما دامت الاكثرية الساحقة من

---

(٦) جواد ص ٩٤

(٧) (المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٤٧) ص ٣٤

(٨) جواد ص ٩٤ نقلا عن " الموسسات الصحية في العراق " الدكتور هاشم الالوتري

(٩) عسيران ص ٢٤١

السكان فقيرة وجاهلة»(١٠) .

المؤسسات والخدمات الصحية .

لم يتجاوز ما خصص للخدمات الصحية ، منذ سنة ١٩٣٨ - ٣٩ الى سنة ١٩٤٦ - ٤٧ ، ٦،٧ بالمئة من مجموع الميزانية ، التي بلغت ٢٥ مليون دينار في سنة ١٩٤٦ - ٤٧ .(١١) . وهذه نسبة ضئيلة جدا ، بالنظر لعظم انتشار الامراض ، وتتضح ضالتها اذا ما قورنت بما خصص لشوون الدولة الاخرى ، التي لا تهم البلاد مثل الصحة فقد خصص للجيش عام ١٩٤٦ - ٤٧ (٢٨،٧ ./.) وللشرطة (١٤) ./. وللمعارف ٥،٩٦ ./.) (١٢) وتظهر ضالة ما يقدم للشعب من خدمات صحية من مراجعة الموسسات الصحية. وفيما يلي جدول (١٣) بالموسسات الصحية الحكومية والاهلية ، للسنتين ١٩٤٨ و ١٩٤٩ .

الموسسات الصحية	العدد	
		مجموع السرر الحكومية ٤٤٣٥
المستشفيات الحكومية	٦٩	مجموع السرر الاهلية ٣٤١
المستوصفات الحكومية	٤٠٣	مجموع الاسرة في
شعب جمعية حماية الطفل	١٤	شركات النفط ٤٠٠ ،
مستوصفات جمعية الهلال الاحمر العراقية	١	
مستوصفات جمعية بيوت الامة	٢	
المستشفيات الاهلية	٨	
المستوصفات الاهلية	١٠	
مستشفيات شركة النفط	٤	
مستوصفات شركة النفط	٦	

(١٠) جواد ص ٩٥. في سنة ١٩٤٦ كان عدد المصابين بالسفلس والقرحة اللينة والسيلان والسل الرئوي ممن راجعوا الموسسات الصحية فقط كما يلي
السفلس ٣٣١٠٤ ، القرحة اللينة ٣٠٢٥ ، السيلان ١١٤١٥ ،
السل الرئوي ٦٥٢١ ، انواع السل الاخرى ٢١٣٩ (راجع المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٤٧) ص ٣٤

(١١) القرية العراقية ص ٣٥

(١٢) المصدر نفسه ص ٣٥

(١٣) الحكومة العراقية وزارة الشوون الاجتماعية "شعبة الاحصاء" احصائية الموسسات الصحية في العراق حسب الالوية ومواقعها بموجب التشكيلات الادارية وعدد الاسرة الموجودة فيها ودرجتها للسنتين ١٩٤٨ و ١٩٤٩ ،

وبلغ عدد الاطباء جميعا في عام ١٩٤٦ (٦١٩) (١٤) طبيبا ، موظفا وغير موظف . وهذا العدد من الاطباء ضئيل لا يفي بحاجة الشعب ، اذ لو وزعوا بانتظام في جميع انحاء البلاد لاصاب كل طبيب (٨٢٤٠) شخصا ، وهذا عدد كبير لا يستطيع طبيب واحد ان يقوم برعايتهم وعلاجهم مما قد يصيبهم من مرض ، فما بالك اذا كان هؤلا الاطباء غير موزعين توزيعا عادلا في البلاد الا ان معظم الاطباء يقيمون في بغداد والموصل والبصرة ، بينما الامراض تفتك باكثرية الشعب في الريف . بلغ مجموع الاطباء في لواء بغداد وحده عام ١٩٤٦ (٣٤٥) (١٤) طبيبا ومعنى هذا ان يكتفي اكثر من اربعة ملايين عراقي ب ٢٧٤ طبيبا . ويوجد في لواء البصرة عام ١٩٥٠ ، ١٠٢ طبيبا يقيم منهم ٩٨ في مركز اللواء و ٤ اطباء فقط في بقية انحائه ومعنى هذا ان حصة الطبيب الواحد في لواء البصرة عدا مراكز اللواء ، ٦٧٫٨٣٠ نسمة (١٥) . هذا مع العلم بان لواء البصرة اهم لواء لزراعة النخيل ومن اهم مناطق الملاريا في العراق .

وكان يوجد الى جانب هؤلا الاطباء سنة ١٩٤٤ ، ٢٢٧ موظفا صحيا ، و ٧٠٤ مضمدا و ٣١٣ ممرضة و ١٠١ قابلة ، موزعين على مختلف المؤسسات الصحية (١٦) .

وقد بلغ عدد المراجعين من المرضى للمستشفيات في هذه السنة ٤٧٠١٣ مريضا والمستوصفات ٤٫٣٢١٫٣١٤ مريضا (١٦) . ورغم كثرة عدد المراجعين للمستوصفات فانها لا تحوي الا اقل من خمس مجموع الاطباء الموظفين عند الحكومة كما يعوزها الكثير من الادوية والادوات الطبية وليس فيها اقسام داخلية . وهي تنقسم الى ثلاث درجات . يعتبر المستوصف من الدرجة الاولى اذا اشغله طبيب ويوجد من هذا النوع (١٠٢) (١٧) وهي تقوم بخدمات لا باس بها بالنظر الى وجه الطبيب فيها ، ومن الدرجة الثانية اذا اشغله موظف صحي ، ومن الثالثة اذا اشغله مضمد . وهذه المستوصفات من الصنفين الثاني والثالث لا تقوم الا ببعض المعالجات البسيطة ، لا سيما تلك التي من الدرجة الثالثة حيث يكون المضمد عادة دون اي تدريب فني وثقافة طبية اذ هو ينال تدريبه الضروري في المستوصف نفسه ، وما اكثر ضحايا هؤلا المضمدين الجهلاء من الفلاحين

---

(١٤) المجموعة الاحصائية لسنة ١٩٤٧ ص ٢٦ وقد كان عدد الاطباء في السنوات الاربع السابقة لهذه السنة حسبما ورد في الاحصائية نفسها كمايلي .
٤٨٨ لسنة ١٩٤٢ ، ٤٩١ لسنة ١٩٤٣ ، ٥١٩ لسنة ١٩٤٤ ، ٥٦٩ لسنة ١٩٤٥

(١٥) من تقرير لمديرية الاحصاء التابعة لمديرية الصحة العامة نقلا عن جريدة صدى الاهالي عدد ٢٨٤ بغداد ٣١ اب ١٩٥٠

(١٦) القرية العراقية ص ٣٦

الابرياء !! • ان الخدمات الصحية التي تقدمها الدولة للشعب على الرغم من ضآلتها وتأخرها الفني ، منحصرة في المدن الكبرى ولا يكاد يستفيد منها البدو والرحل وسكان الاهوار والجبال واطراف الصحراء • لا بدع اذن ان يضطر الفلاحون مدفوعين بجهلهم وسذاجتهم والحاح المرض عليهم ، الى الاستعانة بالشيوخ والسحرة والمعزمين لشفاء امراضهم ، وعلاج آفاتهم •

الصحة العامة والحياة الاقتصادية والاجتماعية •

قلت ان الخدمات الصحية التي تقدمها الدولة للشعب ضئيلة محدودة النطاق ، الى جانب كون معظم المؤسسات الصحية متأخرة فنيا واداريا ، منحصرة في المدن ، لا تستطيع ان تنقذ جماهير الشعب من هذه الامراض التي تنحل اجسامها • وتمتص حيويتها ، وتقضي على الالاف من ابنائها كل عام • واذا ارادت الدولة ان تضع لهذه المأساة الفاجعة حدا فعليها ان تعيد النظر في توزيع الميزانية فتمنح مديرية الصحة حصة كبيرة لتتمكن من انشاء المستشفيات والمستوصفات وتجهيزها بما تحتاج من اطباء وممرضين وادوات طبية ، واقامة المستشفيات المتنقلة وتوسيع الكليات والمدارس التي تعد الاطباء والموظفين الصحيين والممرضين والممرضات •

ولكن الاكثار من انشاء المستشفيات والمستوصفات على افتراض المستحيل ، لا يكفي وحده لحل مشكلة الصحة ، والقضاء على الامراض • فاغلبية الشعب امية جاهلة لا تعرف طرق الوقاية من المرض لانها لا تعرف طبيعة المرض واسبابه ، ولا تعرف الاسلوب الصحي في المعيشة والحياة • يموت كل سنة الاف الاطفال الوضع في الصيف • بعض اسباب الوفاة مشخصة معروفة وبعضها لا يعود الى مرض معروف فاذا سألنا طبيبا ملما باحوال الاطفال وعادات الامهات الجاهلات اخبرنا ان هؤلاء الاطفال يموتون عطشا • فكثيرات من الامهات الجاهلات ترى ان الطفل الرضيع لا يسقى ماء ما دام يرضع حليب امه ، ولكن ما في الحليب من الماء لا يكفي جسم الطفل في صيف العراق الحار الكاوي الذي يستنزف ما في جسم الطفل من ماء عرقا ، ويتلف انسجته الطرية الرخوة فيهلك او ينشأ نحيلا واهي العظام معلولا ، ويسمي العوام الطفل من هذا الصنف الاخير (مصيّف) وهذه العادة المجرمة شائعة على الاقل في الموصل والمنطقة الشمالية • وجهل الامهات بالامور الصحية هو المسؤول عن هذه القذارة التي تغلف اجسام الاطفال اللدنة وتغشي وجوههم الجميلة • حلت عندنا احدى القرويات وطفلها ضيفة علينا ذات يوم • وكانت ملامح الطفل ما تكاد تبين من تحت طبقة سميكة من المخاط والقذى والتراب الممزوج بالعرق •

والح الذباب على عيني الطفل حتى لم يعد يصبر على الوجع فاخذ يصرخ . فقامت ترضعه محاولة اسكاته بكما دة الامهات في اسكات صراخ الاطفال ، ولكن الطفل كان شبعا فلم يقبل الرضاع وظل يصرخ . وعندما اخبرتها ان تغسل وجهه ، وكان الماء قريبا منها عجبت ان تكون اية علاقة بين الصراخ وقذارة وجهه ، ولكنها فعلت مرغمة فهدأ الطفل المسكين . وقد اعتاد الناس في كربلاء والنجف وغيرها من المدن التي يسكن فيها الشيعة ان يقيموا في مساجدهم وبيوتهم احواضا ، يسمونها احواض " الكر " يملأونها ماء ويطهرون فيها ايديهم واجسامهم ، وانية طعامهم ، لاعتقادهم ان ماء هذه الاحواض مبارك يطهر من القذائر والخطايا . وقد يبقى الماء في الحوض دون تبديل مدة طويلة فيأسن . هذه الاحواض ذات المياه الاسنة الراكدة احسن مرتع للبعوض الخبيث الذي ينقل الملاريا وقامت الحكومة بحملة لكافحة الملاريا واستطاعت ان تهدم احواض الكر العامة ، ولكن الناس قاموا عملها ، ولم يتعاونوا معها ، ولم يرضوا بهدم احواضهم الخاصة ، وبقيت كربلاء مثلا محتفظة باكثر من ثلاثة الاف من هذه الاحواض القذرة الموبوءة ، وظلت كذلك من اكثر المدن العراقية تحملا لوطأة الملاريا ، هذا المرض الخبيث . فالى جانب اقامة المستشفيات يجب مكافحة الامية ، وتثقيف جماهير الشعب .

على ان المرض وان خف اذا اتبعت هذه الوسائل العلاجية والوقائية ، سيبقى طويلا ما دامت حياة الناس الاقتصادية متاخرة منحطة . تستطيع المستشفى ان تنقذ الانسان من الملاريا والبلهارزيا ، ولكن اذا ما عاد الى وسطه الموبوء عاد اليه المرض ، وهدم ما جددت المستشفى من عافيته . تتولد الملاريا في المستنقعات والمياه الاسنة الراكدة ، التي تولدها المياه الزائدة عن حاجة المزارع نتيجة لفقدان نظام محكم لتصريف المياه . فاذا اريد التخلص من الملاريا نهائيا وجب القيام بتجفيف المستنقعات ، وردم الحفر الملأى بالمياه الراكدة ، وضع نظام محكم لتصريف مياه الري الزائدة عن الحاجة . ان جميع القرى العراقية محرومة من مياه صحية للشرب . فاذا اردنا ان نقضي على مرض البلهارزيا والانكلستوما مثلا وجب علينا ان نجهز القرى بمياه معقمة نظيفة ، وان نقيم فيها مراحيض عامة او خاصة . وكيف يتخلص جماهير القرويين من هذه الامراض ، وكيف تتحسن صحة الكادحين في المدن اذا ظلت تعيش في هذه الاكواخ والصرائف والمساكن المحتمة المرطبة ، القذرة ، الضيقة المسالك ؟ بل كيف يتخلص الفلاح من البلهارزيا

والانكلستوما اذا كان الفقير والحرمان قد كتبا عليه ان يسير عمرحافي القدمين؟
على ان هذه جميعا عوامل خارجية ، اذا حصلت تحسنت صحة الانسان ، وخفت وطأة المرض
عليه ولكنها ليست كافية لانقاذ الانسان نهائيا من المرض. فلا بد ان يكون جسم الانسان
نفسه مستعدا لمقاومة المرض اي يكون باصطلاح الاطباء ذا مناعة ضده . والمناعة
التي نريدها هنا هي التي يكتسبها الجسم نتيجة للتغذية الكافية الصحيحة . ان
تغذية جماهير الشعب تغذية ناقصة غير صحية . فهم لا يتناولون الا اقل من النصف
من الاطعمة الاساسية كاللحوم والخضر والحليب ، والفاكهة ، والسكر ، والسمنن ،
وما اليها (راجع صفحة ٥٨ من هذه الرسالة) .

اذا اريد لجماهير الشعب ان تكتسب مناعة ضد المرض وان تكون قوة الاجسام
متدفقة الحيوية ، تقبل على عملها بنشاط ، وتحتمل مشقاتها بجلد وصبر وجب ان يضمن
لها الغذاء الجيد الكافي والمنزل الصحي المريح والالبسة الواقية والقرية النظيفة وماء
الشرب الصحي والثقافة الضرورية . ومن اين لهؤلا المساكين ان يحققوا هذه الامور
بموارد هم الضئيلة الحاضرة وفقرهم هذا المذل . وهنا نجد انفسنا مرة اخرى
وجها لوجه امام المشكلة الاقتصادية ، ومشكلة جهاز الدولة القائم . ان هذه
الضروريات الصحية لا يمكن ان تتوفر للفلاح والعامل وجميع الكادحين الا اذا
ارتفع مستوى معيشتهم وذلك لا يتم الا باعادة النظر في توزيع الثروة القومية
واقامتها على اسس عادلة منظمة كما ان الدولة لا تستطيع ان تجد الاموال اللازمة للقيام
بالاصلاحات الصحية المطلوبة ومكافحة الامراض مكافحة جدية ان ارادت ذلك الا اذا
حاولت ان تنظم الحياة الاقتصادية، وتقوم بمشاريع كبيرة ، تغني الاقتصاد الوطني ، وتملأ
الخزينة ذهبا .

القسم الثاني : الكيان الاقتصادى

الفصل الاول : نظرة اجمالية في ارض العراق وموارد ها الطبيعية.

١ سطح الارض

يتكون سطح العراق من اراضٍ تختلف اوصافها الجغرافية اختلافا واضحا . وهي تقسم الى اربعة اقسام طبيعية : (أ) الاراضي الرسوبية الجنوبية والوسطى (ب) الاراضي المتموجة او الصعيدية ، (ج) المنطقة الجبلية الشمالية الشرقية ، (د) الاراضي الصحراوية الغربية.

(أ) الاراضي الرسوبية — تؤلف هذه الاراضي معظم مساحة العراق ، وتمتد من الخليج الفارسي الى شمالي بغداد . ويمكن تحديد ها من الشمال بخط وهمي يمر بناحية هيت على الفرات ، وناحية بلد على دجلة ، وناحية السعدية على ديالي . وقد تكونت هذه الارض من ترسبات دجلة والفرات وتوابعهما وروافد هما على مر الدهور . ويضاف الى هذه الارض مقدار ميل واحد من الارض في كل سنة تقريبا وهذه الارض ، خصبة التربة ، وافرة المياه ، لاسيما القسم المحصور منها بين دجلة والفرات ، وقد اطلق عليها العرب اسم "السواد" لكثرة ما فيها من نباتات وزروع. وهذه الارض سهل مستو لا يزيد اقصى ارتفاعها عن ١٥٠ قدما عن سطح البحر.

وتكثر الاهوار والمستنقعات في الاراضي الرسوبية ولاسيما في قسمها الجنوبي ؛ بعض هذه الاهوار هي بقايا المياه التي تركها البحر اثناء انسحابه وبعضها ناتج عن انخفاض الارض وطغيان مياه الفيضان عليها . ويمكننا تقسيم منطقة الاهوار الى منطقتين رئيسيتين (١) منطقة الاهوار والمستنقعات القائمة حوالي نهر الفرات ، وتبدأ من غربي الرمادى وتمتد حتى لواء البصرة ، وهي تستمد مياهها من الفرات وفروعه . واهم اهوار هذه المنطقة هي : بحيرة الحبانية ، وتقع غربي الفرات ، وتبلغ مساحتها ١٤٠ كيلومترا مربعا ، وهور ابي دبس ، ويقع شمال غربي كربلاء وتتصل اتصالا طبيعيا بمنخفض الحبانية ، وبحيرة النجف وتقع الى جنوبي غربي الديوانية ، وهور عفك ويقع شرقي الديوانية ، وهور الحمار وهو اكبر اهوار العراق اذ تبلغ مساحته ٥٢٠٠ كلم مربع ويمتد بين لوائي المنتفك والبصرة ، وهو صالح لملاحة السفن الشراعية ، وتصله بشط العرب كرمة علي ، شمالي البصرة . (٢) منطقة الاهوار والمستنقعات الواقعة حوالي دجلة . وتمتد من لواء الكوت حتى قضاء القرنة واهمها : هور الحويزة ويقع في لواء العمارة ، ويمتد حتى يصل بمنطقة الاهوار الايرانية ، وتغذيه مياه دجلة وتوابعها ، وهور ابي كالم ، ويقع على الضفة اليمنى من دجلة جنوبي العمارة ، وفي مواسم الفيضان يمتد حتى يتصل بهور الحاق ويصب مياهه فيه ، ويستمد مياهه من نهر المجر الكبير ومن

اقنيته المتعددة ،وهور الشويجة ويقع في لواء الكوت ، وهور السنية ، وهورام البقر ، وهور عودة ، وتقع جميعها في لواء العمارة على الجانب الايمن من دجلة .

يكثر في هذه الاهوار القصب الذى يستخدمه السكان في بناء صرائفهم واكواخهم والاسماك والطيور التي يعتاشون عليها ، كما ان ضفافها تعتبر من احسن مناطق زراعة الرز . على ان اضرارها اكثر من فوائدها . فهي تسبب انتشار الملاريا والبلهارزيا التي تضعف صحة السكان ، وتفتك بارواح الالاف منهم ، وتعيق طرق المواصلات وتطغي ، وقت الفيضان ، على مساحات واسعة من الارض ، فتمنع الفلاحين من زراعتها .

(ب) المنطقة المتموجة او الصعيدية . وهي تؤلف منطقة الانتقال بين الاراضي الرسوبية والمنطقة الجبلية . وهي ترتفع ارتفاعا تدريجيا حتى تتصل باطراف الجبال . ويتراوح ارتفاعها عن سطح البحر بين ٧٠٠ و ١٢٥٠ قدما ، ومعظم اراضي هذه المنطقة خصبة ، صالحة للزراعة ، وتقدر مساحتها بنحو عسر مساحة العراق .

(ج) المنطقة الجبلية . وتقع في القسم الشمالي الشرقي من البلاد ، وتؤلف نحو ١/١٥ من مساحة البلاد . ويزيد ارتفاعها كلما تقدمنا شرقا او شمالا . حيث يبلغ ارتفاعها هناك بين ١٠،٠٠٠ و ١٤،٠٠٠ قدم . وتتخللها السهول والوديان الخصبة ، كما ان بعض اقسامها مكسو بالاحراج والغابات .

(د) الاراضي الصحراوية وهي تقع الى الغرب والجنوب الغربي من السهول الرسوبية وترتفع عنها قليلا . وهي اراض واسعة المساحة ، قليلة المياه ، جديبة التربة ، لا تختلف عن صحراء بادية الشام وصحراء نجد في طبيعتها . وتنقلب اقسام منها الى مراع وافرة العشب في اوائل الربيع ، كما توجد في اقسام اخرى منها آبار . (١)

---

(١) للتوسع في هذا الموضوع يراجع حماده ص ٦٣ و ٨٢ ـ ٨٤ ، وعبد الباقي ص١٣ ـ ٢١ ، والهاشمي ص٣٤ ـ ٣٨ ، والدليل العراقي ص ٤٣٥ ـ ٤٤٤ .

٢ الانهـــــــار

يجري في العراق نهرا دجلة والفرات ، وروافدهما وفروعهما العديدة ، وشط العرب .
اما نهر دجلة فينبع قرب بحيرة كولجك ، شمالي مدينة ديار بكر ، ويبلغ طوله من منبعه الى التقائه بنهر الفرات في القرنة ١٨٥٠ كيلو مترا ، يقطع منها ٤٠٥ في الاراضي التركية ، ويقطع ما بقي منها في العراق . وتصب في دجلة روافد عديدة اهمها ، في العراق ، الخابور وطوله ٢٤٥ كيلو مترا ، والزاب الاعلى ، الذي ينبع من جبال كردستان الى الشمال من الموصل ويصب في دجلة جنوبي الشرقاط ، ويبلغ طوله ٤٥٠ كيلو مترا ، ونهر العظيم وهو اقل اهمية من روافد دجلة الاخرى لانه يجف في الصيف والخريف ، ونهر ديالي ، الذي ينبع من الجبال الشرقية التي تكون الحدود بين العراق وايران ويصب في دجلة جنوبي بغداد ، ويبلغ طوله ٤٥٠ كيلو مترا .

وتبلغ سرعة جري دجلة في اوقات الفيضان ثلاثة اميال ونصف الميل في الساعة ونحو ميلين في الساعة في اوقات انخفاضه/ [تكملة الفقرة في اسفل الصفحة] . ولهذا لا يستفاد منها في الزراعة الا قليلا . وتختلف درجة تصرف هذا النهر باختلاف فصول السنة . ففي فصل الفيضان يبلغ معدل تصرفه في بغداد ٤٥٠٠ مترا مكعبا في الثانية ، ويبلغ معدل تصرفه في فصل الشح ٣٠٥ امتار في الثانية . وكلما تقدم الى الجنوب قلت درجة تصرفه لتسرب كميات من مياهه بواسطة الجداول وقنوات الري المقامة على جانبيه واهمها نهر الغراف الذي يتفرع من دجلة قرب الكوت ، والبتيرة والمشرح والكحلا وابوخمير والمجر في منطقة العمارة . ويصلح نهر دجلة للملاحة . وبالامكان ان تسير فيه السفن الصغيرة من حدود ديار بكر شمالا الى الخليج الفارسي جنوبا .

وينبع نهر الفرات مثل دجلة ، من الاراضي التركية ، ويبلغ طوله ٢٣٥٠ كيلو مترا يقطع منها ٥٥٠ كيلو مترا في الاراضي التركية ، و ٧٠٠ كيلو مترا في الاراضي السورية و ١١٠٠ كيلو مترا في الاراضي العراقية . وجميع روافد الفرات تصب فيه قبل ان يدخل الحدود العراقية . وهو يدخل الحدود العراقية عند ابو كمال . وبين هذه القرية ومنتصف المسافة بين هيت والرمادي الى الجنوب يعلو مستوى النهر عن السهل المحيط به . ويبدأ الري الدائم من شمالي الفلوجة حيث تتفرع منه بين شمالي الفلوجة وسد الهندية فروع عديدة اهمها الصقلاوية وابو غريب واليوسفية واللطيفية والاسكندرية .

ويتسع واديه كلما تقدم في جريه من الشمال الى الجنوب . ويبلغ متوسط عرضه بين ميلين واربعة اميال . وتنخفض ضفافه في جهاته العليا عن الارض المجاورة ولهذا يتعذر الري في فصل الشح والصيهود دون الاستعانة بالآلات الرافعة . اما في اقسامه الجنوبية فتكون الارض المحيطة به منخفضة يسهل ريها سيحاً . الان معظمها عبارة عن مستنقعات تغمرها المياه في اوقات الفيضان .

كان نهر الفرات ينشطر عند الهندية الى فرعين هما نهر الحلة ونهر الهندية .
ومنذ ان تم انشاء سد الهندية عام ١٩١٣ اصبح مجرى نهر الحلة جدولا منظما تجري فيه كميات واقية من المياه وصار نهر الهندية هو المجرى الرئيسي لنهر الفرات .
وينشطر الفرات جنوبي بلدة الكفل الى فرعين هما نهر الكوفة ونهر الشامية . ويصب هذان الفرعان مياههما في البطائح المحاذية لهما حيث تقع منطقة الرز الغنية التي تبلغ مساحتها زهاء ١٧٠٠٠٠ هكتار . تتسرب مياه هذه البطائح في مجار عدة ثم تتصل هذه المجاري فيتكون منها مجرى جديد لنهر الفرات في شمالي بلدة الشنافية .
ولكن النهر ينشطر للمرة الثالثة في جنوبها ثم يتحد بالقرب من السماوة حتى اذا ما قارب النهر الناصرية تسربت معظم مياهه الى هور الحمار ثم تتحد مياهه لتصب في دجلة عند كرمة علي شمال البصرة . لا يزيد عرض الفرات من الكيلومتر الواحد في بعض الاماكن وقد يبلغ عرضه عشرة كلومترات في اماكن اخرى .

يوجد اختلاف ظاهر بين اعلى واوطأ تصرف للمياه في كل من دجلة والفرات في مختلف المواسم . فقد كان تصريف الفرات في فيضان عام ١٩٢٩ ، ٤٧٠٠ متر مكعب في الثانية ، وقد انخفض هذا التصريف الى ٦٥٠ مترا مكعبا في الثانية عام ١٩٣٠ . وكان تصريف دجلة في فيضان ١٩٤١ اكثر من ١٠٠٠٠ متر مكعب في الثانية على حين كان تصريفه في فيضان ١٩٣٠ اقل من ١٥٠٠ متر مكعب في الثانية .
ويختلف تصريف النهر في موسم الشح كذلك . فقد بلغ تصريف الفرات في صيف ١٩٤٠ ، ٣٥٠ مترا مكعبا في الثانية وكان تصريفه في شهر ايلول من سنة ١٩٣٠ ، ١٤٠ مترا مكعبا في الثانية مقابل ١٥٠ مترا مكعبا في الثانية في شهر اب ول ١٩٣٠ . ولا يصلح نهر الفرات للملاحة في كثير من اقسامه لانه بطيء الجري وقعره كثير الرواسب .

اما شط العرب فيتكون من اتحاد نهر الفرات بدجلة عند القرنة . على ان تحول مجرى الفرات نحو الجنوب الغربي واتصاله بدجلة في شمالي البصرة جعل من الضروري اعتبار القسم الكائن بين القرنة وكرمة علي جزء من دجلة . ويبلغ طوله ١٨٥ كيلو مترا . ويصب في الخليج الفارسي . ومعظم عرض هذا النهر ١٠٠٠ متر . ومعدل عمقه نحو ٢٤ قدما بين الفاو والبصرة . وفي وقت المد ترتفع مياهه فيزيد العمق من ٦ الى ١٠ اقدام عن مستواه . وتستفيد بساتين النخيل المنتشرة على ضفتيه والتي تعد اشجاره

بالملايين • من هذا النهر فائدة كبيرة اذ يتفرع من هذا النهر عشرات من اقنية الري التي تمتلي ماء عند المد فتسقي الاشجار والمزروعات المختلفة • ويصلح هذا النهر لملاحة السفن البحرية الكبيرة من مصبه الى مسافة عشرين كيلو مترا شمالي مدينة البصرة • وقد انشي عليه ميناء كبير للسفن البحرية في البصرة ومرأب للسفن في قرية المعقل • ويصب في شط العرب نهر كارون الذي يجري في الاراضي الايرانية • (٢) •

٣ ـ المنـــاخ

مناخ العراق بصورة عامة قاري وامطاره قليلة والرياح التي تهب عليه جافة في الغالب وهي اما ان تكون شديدة الحرارة او شديدة البرودة • ويقسم العراق بصورة عامة الى منطقتين مناخيتين : المنطقة الجنوبية والمنطقة الشمالية • ذلك لان المنطقة الشمالية اكثر ارتفاعا من سطح البحر وابعد مسافة عن المنطقة المدارية • وتشمل المنطقة المناخية الجنوبية جميع الاراضي الممتدة من الخليج الفارسي الى شمالي بغداد اي المنطقة الرسوبية • صيف هذه المنطقة شديد الحرارة فقد ترتفع الحرارة فيها احيانا الى اكثر من ١١٥ درجة فهرنهاتية وشتاؤها قارس البرد فقد تنخفض درجة الحرارة في ليالي كانون الثاني الى ٢٧ درجة فهرنهاتية وتنخفض احيانا الى ما دون ذلك • وتكون درجة الرطوبة في الوية البصرة والمنتفك والعمارة مرتفعة لوجود المستنقعات والاهوار فيها • ولقربها من الخليج الفارسي وهذه الرطوبة تزيد الجو وخامة وحرارة • وامطار هذه المنطقة قليلة حيث لا يتجاوز معدل ما يسقط منها سنويا ست عقد وذلك خلال موسمي الشتاء والربيع (بين تشرين الثاني وايار) •

اما المنطقة المناخية الشمالية فتشمل جميع الاراضي الواقعة الى الشمال من بغداد • وحرارتها في الصيف اخف من حرارة المنطقة الجنوبية وهي اشد برودة من المنطقة الجنوبية في فصل الشتاء حيث تسقط فيها الثلوج ولا سيما في المرتفعات الجبلية • وامطارها اغزر من امطار المنطقة الجنوبية اذ يبلغ معدل ما يسقط فيها من الامطار اكثر من عشرين عقدة في السنة •

---

(٢) انظر عبد الباقي ص٢٩ ـ ٣٦ وحمادة ص ٧٤ ـ ٨٢ والدليل العراقي ص٤٢ـ٤٣ والدكتور احمد نسيم سوسة «تطور الري في العراق» (بغداد ١٩٤٦) ص ١ ـ ١١ وساشير له فيما يلي بسوسة •

وتهب على العراق رياح جنوبية غربية تكون جافة شديدة الحرارة صيفا ورطبة معتدلة الحرارة شتاء • وتكون هذه الرياح مثقلة بسحب من التراب الدقيق اذا كانت سريعة الحركة • ورياح شمالية غربية وهي تهب من شبه جزيرة اسيا الصغرى وتكون باردة جافة شتاء ومعتدلة جافة صيفا • وقد تهب رياح جافة من هضبة ايران ومن جنوبيها في الشرقي بخاصة • (٣) •

٤ - المراعـــي والغابـــات

في العراق مساحات واسعة من المراعي والغابات الطبيعية • اما المراعي الخصبة التي يمكن الاعتماد عليها فتكون على الغالب في المرتفعات الشمالية والشمالية الشرقية • كما تحتوي الجبال المتاخمة للحدود الايرانية التركية على مراع ممتازة ترعى فيها القبائل الكردية الرحالة وشبه المستقرة مواشيها وقرب الاهوار في جنوبي البلاد • وتوجد مراع اخرى في القفار الشمالية الغربية وفي الصحراء الغربية وفي الاراضي البائرة في الجنوب التي لم تعد تصلح للزراعة لقلة ما يصيبها من الامطار• وتعتمد النباتات في هذه المراعي على المطر • فان نزل المطر بكميات مناسبة نما العشب واينعت الارض وشبعت المواشي التي تعد بالملايين • وان كانت الامطار قليلة ساء موسم الرعي ونفق كثير من المواشي • وللمراعي اهمية عظيمة في اقتصاديات البلاد ، لان الحيوانات تكون جزءاً مهما من هذا الاقتصاد وعلى هذا فيجب الا تترك هذه المارعي على حالتها الطبيعية الحاضرة تحت رحمة قوى الطبيعة العمياء بل يجب ان تنظم تنظيما علميا • فبالامكان مثلاً توسيع نطاق المراعي الدائمة اذا اطلقت مياه الانهر على اراضي الجنوب المنخفضة فينبت فيها العشب بسرعة لشدة حرارة الجو •

واما الغابات فتنحصر في المناطق الجبلية وخاصة في الشمال الشرقي حيث تنتشر على شكل هلال عريض يمتد من زاخو شمالا الى حلبجة شرقا ويشمل الوية الموصل واربيل والسليمانية • وتقدر مساحة المنطقة التي تشغلها الغابات البلوط بين ١٥٠٠٠ ٢٠٠٠٠ كيلو متر مربع (٤)• ويقدر عدد ما تحويه منطقة الغابات من الاشجار ب ٢٥٠٠٠٠٠٠ شجرة (٥) اهمها السنديان والصفصاف والطرفاء والجوز واللوز •

---

(٣) انظر حمادة ص ٧٢ - ٧٤ وعبد الباقي ص ٢٢ - ٢٦ والدليل العراقي ص ٤٠ وسوسة ص ١١ - ١٦ •

(٤) القرية العراقية ص ٧٢

(٥) حمادة ص ١٠٧

والزعرور والبطم والصنوبر الخ ٠٠٠٠ وهذه الغابات هي احدى منابع الثروة في البلاد يستفاد من اخشابها واثمارها وفحم الوقود ، كما يستفاد مما فيها من عفص وكثيراء تكفي حاجة البلاد ويصدر قسم منها الى الخارج ٠

ولهذه الغابات اهمية اخرى فهي تلطف مناخ البلاد وتمنع تعرية التربة ، وتعوق تسرب المياه الى الانهار في الشتاء والربيع فتخفف من حدة الفيضان وتجعل المنطقة الشمالية وتجعل منها مصائف ممتازة في صيف العراق اللاهب ٠ الا ان العناية بالغابات ضعيفة ٠ وهي مهددة بالانقراض ٠ فاشجارها تقطع بصورة فوضوية وقد زاد قطع الاشجار منذ الحرب العالمية الثانية لانقطاع وارد فحم الوقود من الهند وارتفاع اسعار الخشب في البلاد ٠ وقد اصدرت وزارة الاقتصاد في ٢٤/ ٢/ ١٩٤١ التعليمات في صيانة الغابات (٦) ولكن هذه التعليمات ككل التعليمات والقوانين والانظمة المفيدة ، بقيت بعيدة عن التطبيق الصحيح عرضة لنفوذ المتنفذين من الاغاوات والاقطاعيين ٠

ويجرنا الحديث عن الغابات الى الكلام عن ضرورة اقامة الغابات الاصطناعية في الاقسام الجنوبية والوسطى من البلاد ٠ يقترح السيد وليم ويلكوكس في تقريره عن ري العراق بتجفيف المستنقعات والبحيرات الواسعة وذلك بصرف المياه منها ، وزرع الاشجار فيها فتنبت وتنمو على رطوبة المياه الباقية تحتها وبمساعدة حرارة الجو المرتفعة ٠ وهو يعتقد بان هذه الاشجار تنمو بعد مدة من الزمن نموا عظيما فتغطي مساحات من الارض تحتلها الان المستنقعات وتغير حالة الاقليم ٠ (٧)
ومن الممكن اقامة هذه الغابات على ضفاف انهر الري وجداوله وحول القرى ٠ وستؤدي هذه الغابات الاصطناعية اذا تم انشاؤها الى فوائد لا تحصى للبلاد فتسد حاجاتها من الاخشاب وفحم الوقود وتقي المراعي في فصل الجفاف الذي يبلغ معدل حرارته ١١٠ درجة فهرنهايتية في الظل فتصبح بذلك للحيوانات مرعى وظلا وتمنع جرف السيول للتربة فتحفظ خصوبة الارض وتمنع تراكم الاتربة في الانهار والقنوات ٠ وستكون هذه الغابات " مصدات رياح " تسد الطريق على عواصف الغبار الشديدة التي تهب على الاقسام الوسطى والجنوبية من البلاد في فصل الجفاف فتقي بذلك

---

(٦) القرية العراقية ص ٧٤

(٧) الهاشمي ص ٣٠٥ ـ ٣٠٦

المزروعات الصيفية من لفحات هذه العواصف المحرقة ،وتخلص الناس من سحب الغبار التي تهيمن على الجو بين حين واخر ،وقد تستمر اياما ،وتكاد تخنق الانفاس ،بل لقد تخنق انفاس بعض الاطفال والمرضى بامراض الصدر فعـلا .

٥ المعـــــادن

لا نستطيع ان نبحث في ثروة العراق المعدنية بدقة وتفصيل لانه لم تجر فيه ابحاث فنية واسعة النطاق عن المعادن . وكل ما قام به العلماء ينحصر في دراسة الصخور السطحية اثناء البحث عن العاديات ،وفي التحريات الفنية التي قامت بها شركات النفط في بعض اقسام البلاد بحثا عن هذا المعدن . واهم المعادن التي ثبت وجودها في العراق ،وان لم يثبت مقدارها ومدى جودتها،هي النفط وقد افردت له فصلا خاصا في غير هذا المكان ،والقار ،والكبريت ،والفحم الحجري ،والحديد ،والرصاص ، والنحاس ،والفضة ،والرخام ،والملح .كما عثر على الذهب في البادية بين الرطبة والحدود العراقية السورية . وجميع هذه المعادن ،ما عدا النفط ،لا تستغل ،وان استغلت فبصورة بدائية غير فنية ،وعلى نطاق ضيق .

٦ الحيوانـــــات

اشهر الحيوانات الداجنة في العراق هي الغنم ،الماعز ،والبقر ،والجاموس والخيل ،والبغال ، والحمير ، والجمال . وفي البلاد بالاضافة الى ما تقدم طيور داجنة عديدة الانواع وطيور برية ونهرية ،واصناف متنوعة من الاسماك تعيش في الانهار والاهوار . واهم هذه الحيوانات من الوجهة الاقتصادية هي الاغنام ،وتكثر حيث توجد المراعي في الاقسام الشمالية والجنوبية ،ويقدر عددها بين ١٠ و ١٢ مليون راس(٨) . وتقسم اغنام العراق الى ثلاثة اقسام (١) العرق العربي ويعيش في السهول ،ويمتاز بصوفه المتجعد ذي الشعر الدقيق اللامع . وهو ذو الوان مختلفة ابيض واسود ،واحمر ،او خليط من هذه الالوان الثلاثة . ويصلح صوف الاغنام العربية

---

(٨) القرية العراقية ص ٦١ ويقدر عبد الحميد بلال "الجغرافية الاقتصادية" (بغداد ١٩٤٨) ص ١٥٠ بين ٧ و ١٠ ملايين راس . وساشير الى هذا المصدر ببلال .

لنسج الطنافس والاحرمة والاقمشة ويصدر ما يفيض عن حاجة البلاد منه الى بريطانيا وفرنسا وهو يضارع اجود اصناف الصوف الهندي والصيني وساحل افريقيا الشمالية بما في ذلك مصر . (٩) . (ب) العرق الكردي ويعيش في المنطقة الجبلية وهو اقوى واسمن جسما من الاغنام العربية وصوفه اخشن واطول قليلا ويصنع من صوفه السجاد والاقمشة الغالية ، ويصدر الى اوروبا وامريكا (ج) العرق الحواسي وينسب الى قبيلة عربية ويعيش بين الموصل وحلب والمظنون انه تولد من امتزاج العرقين العربي والكردي ، ويجمع صوفه بين ميزات صوف هذين العرقين ولو انه يكون على الغالب ابيض. وقد كثر الطلب عليه في اسواق اوربا وامريكا لاستعماله في النسيج . ويكثر الماعز في شمالي العراق . وهو يربى في الاغلب من اجل لبنه ودهنه ويستفاد من شعره في نسج بيوت الشعر والمحزومة والاقمشة الخشنة . ان الامراض التي تصيب الاغنام والماعز كالبابير والتليرياسز منتشرة بكثرة وخاصة في المناطق الشمالية . ولا يبعد ان يكون ناقل هذه الامراض هو القراد الذي يلتصق بجلدها . كما تتعرض الاغنام والماعز للجرب الذي يتلف جلدها ويخدش الصوف ، ويقلل من قيمتها . اما القمل فهو اخطر ما تتعرض له الاغنام وقد يستولي على القطيع باسره في موسم الشتاء ويهزله وخاصة في السنين الماحلة ، فيسبب تلفيات كبيرة تتراوح سنويا بين ١٥ ٪ و ٢٠ ٪ ان لم يكن اكثر . ان جميع هذه الطفيليات التي تزيد في انتشارها وساخة الحظائر وقلة العناية بنظافة الماشية وسوء تغذيتها تتعلق بالحيوان وتمتص دمه وتهزله وتتلفه في اكثر الاحيان . وقد قامت الحكومة احواضا لتغطيس المواشي وتعقيمها في بعض المناطق واخذت تدعو الرعاة والفلاحين الى الاستفادة منها .

ويوجد من البقر مليون راس . (١٠) وهو يقتنى لالبانه ودهنه ويستخدم في الحراثة وتصدر جلوده المدبوغة نصف دباغة الى الخارج . كما يصدر عدد كبير من البقر كل عام الى البلاد المجاورة .

ويوجد من الجاموس زهاء ٠٠٠ ٥٠٠ ١ راس (١١) . وهو يكثر بقرب المستنقعات

---

(٩) حمادة ص ١٢٥

(١٠) بلال ص ١٥٢

(١١) المصدر السابق ص ١٥٤

والاهوار ويستفاد من البانه ودهنه ولحومه وجلوده .

اما الخيل فيقدر عددها ١٩٨ بمائة وثمانية وتسعين الف راس (١٢) ويربي البدو الجمال ويستفيدون من اوبارها والبانها وكانوا يستخدمونها في النقل فتدر عليهم رزقا حسنا ولكن هذا المورد تضاءل بعد شيوع السيارات والقطار . ويقدر عدد جمال العراق ب (٣٢٥٠٠٠٠) وعدد البغال ب (٥٥٠٠٠٠) وعدد الحمير ب (٤٥٥٠٠٠٠) .

ويربي القرويون الطيور الداجنة كالدجاج والاوز والبط .. كما توجد اصناف عديدة من الطيور المائية وخاصة في الاهوار يصطادها القرويون ويعتاشون على لحومها ويبيعون منها في المدن القريبة . الا ان الطريقة البدائيةالتي يتبعها القرويون في تربية الدجاج ، وعدم اتباع اية طريقة في التربية اذا اردنا التدقيق تترك الدجاج عرضة للامراض المختلفة ولا تساعد على تكثيرها والاستفادة منها اقتصاديا .

ويوجد من الاسماك اصناف عديدة اهمها البني والشبوط والجري والبز الذي يتراوح طول الواحدة منه بين ٦ و ٧ اقدام . الا ان تجارة السمك متاخرة محدودة النطاق . بالامكان ان تزدهر تجارة السمك محليا وتصدير كميات منه الى الخارج اذا نظمت مصائد السمك . وقد قام المصرف الصناعي الزرعي بدرس مشروع لصيد الاسماك في العراق وتمكن من اختيار بقعة معينة على الخليج الفارسي غزيرة بانواع عديدة من السمك واوصى على باخرة للمشروع بلغت كلفتها ٣٥،٠٠٠ دينار . ولم يبدأ العمل بهذا المشروع بعد . (١٤) .

ان تحسين الماشية وتكثيرها والعناية بالخيول والبغال والحمير والاهتمام بتربية الدجاج وتنظيم مصائد الاسماك سيزيد من مدارك البلاد ويتيح للفلاحين ما يحتاجون في الزراعة من حيوانات باسعار رخيصة وهذا ما يمكنهم على الاستفادة من اي مشروع يهدف الى توزيع الاراضي على الفلاحين الصغار ، ويمكن الناس عامة من تناول ما يفتقرون اليه الان في غذائهم من لحوم وزبد وحليب ودهن كما ان تمكين الفلاح من تربية الماشية والدواجن والعناية بها ، سيرفع من المستوى الاقتصادي ويخفف من تاثير ما قد يصيبه من ضائقة اقتصادية بسبب فشل الزراعة في سنة من السنوات .

---

(١٢) "الشرق الاوسط" ص ٢٥٩

(١٣) المصدر السابق الصفحة نفسها

(١٤) التقرير السنوي عن اعمال المصرف الزراعي الصناعي لسنة ١٩٤٥ - ٤٦ (بغداد ، ١٩٤٧) ، ص ٦ .

ان بامكان العراق بقابلياته الزراعية الواسعة ان يقيت اضعاف الحيوانات الموجودة فيه الان . ولكن العوامل التي ادت الى تاخر اقتصاديات البلاد عموما والزراعة بخاصة تقوم بعرقلة نمو هذا المورد المهم من موارد الدخل القومي . فالمراعي كما قلت سابقا ، في وضع بدائي ولا بد من تحسينها وانشاء مراع ثابتة وتوفير مياه الشرب فيها اذا اريد انتاج الماشية باعداد كبيرة . وطرق تربية الماشية بدائية بعيدة كل البعد عن الطرق العلمية . فالنظافة معدومة والعلف غير مخذ في اكثر الاحيان والامراض منتشرة بينها، وكان انتخاب النسل الجيد من الماشية يكون معدوما . ولذلك اسباب اهمها ان اكثر القائمين على تربية الماشية هم فلاحون . والفلاح العراقي جاهل بالطرق الصحيحة في تربية الماشية ، مشغول طول الوقت بحقله لا يجد متسعاً منه ينفقه على العناية بحيواناته . هو فقير لا يستطيع ان ينتخب الاصناف الجيدة من الحيوانات هذا اذا استطاع ان يشتري منها ما يسد حاجته اطلاقا . وهو في كثير من الحالات مستاجر متنقل وتربية الاصناف الجيدة من الحيوانات تحتاج الى النبات في الارض وتعمير الحظائر والمخازن والمحاضن وما اليها . فقضية تحسين الحيوانات العراقية ، وتكثير اعدادها متوقفة على حل المشكلة الزراعية في البلاد بصورة عامة حلا جذريا صحيحا .

الفصل الثاني

الزراعة

اهم المحاصيل الزراعية

اهم حاصلات البلاد الزراعية هي الحبوب والتبغ والقطن والفاكهة والاثمار واهمها النخيل .

الحنطة وهي تزرع في مناطق واسعة ولاسيما في الاقسام الشمالية حيث تكون الامطار غزيرة والمناخ ملائما . ويوجد من الحنطة اصناف عديدة الا ان اهمها هو الصنف المسمى بالحنطة العجيبة الذي ادخلته مديرية الزراعة الى العراق حديثا . وتمتاز الحنطة العجيبة بمناعتها ضد اكثر الامراض النباتية ، ونضجها الباكر وغزارة انتاجها وتفوق اسعارها عن اسعار الاصناف الاخرى في الاسواق .

وقد زرع من الحنطة العجيبة في موسم ١٩٣٥ ـ ٣٦ ارضا مساحتها ٤٠٠٠٠٠ دونم • ويقدر معدل الناتج للدونم الواحد من الحنطة العجيبة ٢٠٠ و ٣٥٠ كيلوغراما (١) •

الشعير وهو يزرع في اكثر المناطق التي تزرع فيها الحنطة لا سيما في الجنوب • وشعير العراق يصلح لصنع البيرة • ويستهلك معظم محصول البلاد من الحنطة والشعير داخل البلاد ويصدر ما يفيض منهما عن الحاجة الى الخارج • وتتوقف جودة محصولهما على غزارة سقوط الامطار وحالة الفيضان وخلو البلاد من الجراد وغيرها من الافات الزراعية •

الرز وتقع مزارعه في الغالب على ضفاف الانهار والترع • والاهوار • ومحصول الرز ما يكاد يسد حاجة البلاد • وقد اثر في عدم تقدم زراعة الرز عوامل عديدة اهمها الاقتصاد في مياه الري (٢) • وتحول الزراع الى زراعة القطن •

وتزرع حبوب اخرى اهمها الهرطمان والباقلاء والذرة والدخن والعدس وجميعها تستهلك محليا •

القطن تقدمت زراعة القطن منذ نهاية الحرب العالمية الثانية • واهم اصنافه الاكالا وهو يمتاز بجودة الشعرة والنضج الباكر ومقاومة العوامل الجوية الحادة وغزارة المحصول ، وارتفاع نسبة الصافي بعد الحلج • وينتج الدونم الواحد ٢١٧ كيلوغراما من القطن الزهر (٣) • ويصدر معظم القطن العراقي الى الخارج • وبالامكان تعميم زراعة القطن وزيادة المنتوج منه الا ان هنالك عوامل عديدة تحول دون اتساع الاراضي المزروعة قطنا اهمها : نظام المحاصة الذي يحول دون استعمال الالات الميكانيكية والاسمدة الكيماوية والذي يجعل الفلاح الذي تعود العمل تحت نظام المحاصة لا يضع ثقته بالمحاصيل التي لا يستطيع ان ينتفع منها مباشرة والتي يتحتم عليه ان ينتظر حتى يبيعها ويحولها الى نقود • وعدم وجود نظام لتصريف

---

(١) بلال ص ٤٦ ـ ٤٧

(٢) راجع في حمادة ص ١٧٦ ـ ٧ تفصيل القانون الصادر سنة ١٩٣٤ الذي يحدد مناطق زراعة الرز بقصد الاقتصاد في مياه الري •

(٣) بلال ص ١١٣ . ويقول الدكتور سوسة ص ١٩ ان متوسط غلة المشارة الواحدة منه يتراوح عادة بين ٣٠٠ و ٦٠٠ كيلوغراما من القطن الخام كل حسب نوعه •

المياه فتتولد من كثرة المياه الاملاح التي تؤذي القطن ولا سيما في بلاد حرها شديد ومناخها جاف كالعراق . على ان زراعة القطن آخذة في النمو لتاسيس معمل لغزل القطن ونسجه . ولاقبال الاسواق الخارجية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية على شرائه . وتشير تقارير المختصين بشان موسم القطن الذي سيباشر في زراعته في شهر اذار ١٩٥١ الى ان العراق سينتج من القطن الزهر في هذا الموسم كميات تتراوح بين ٥٠ الف طن و٦٠ الف طن (٤) .

التبـــغ

يزرع التبغ في المناطق الشمالية وعلى الاخص في السليمانية ورانية وراوندوز وكويسنجق وبعض اقضية الموصل الكردية . وقد اهتمت الحكومة بهذا المحصول فانشات حقولا تجريبية عديدة جربت فيها اصنافا مختلفة استوردتها من البلاد الاجنبية وقامت بتوزيع الشتائل على الفلاحين مجانا . وقد نمت زراعة التبغ وتحددت الاصناف الجيدة منه واحتكرته الحكومة . وتحتزم مديرية انحصار التبغ تصدير كميات من الاصناف الجيدة من التبغ العراقي الى الخارج . وقد بلغت مساحة الارض المزروعة تبغا (١٠,٠٠٠) ايكر عام ١٩٣٩ تتراوح غلتها بين ٣٠٠٠ و ٤٠٠٠ طن وقد بلغ المحصول في عام ١٩٤٦ اكثر من ١٠٠٠٠ طن .

وقد تقدمت في السنوات الاخيرة زراعة السمسم والكتان لوجود بعض المعامل في البلاد التي تستخرج الزيوت النباتية وتصنع الصابون الا ان الكميات المنتوجة منها لا تزال ضئيلة . ويوجد نبات ينمو نموا طبيعيا على ضفاف الانهار هو عرق السوس وتصدر كميات كبيرة منه الى الخارج والى اميركا بخاصة .

التمـــر

ويقدر ما يصدره العراق الى الاسواق العالمية بما يزيد عن ٨٠٪ من مجموع التجارة العالمية في التمر . وهو يكون ما لا يقل عن ٢٧ ٪ من مجموع صادرات البلاد (٥) . ويقدر عدد اشجار النخيل المثمرة بنحو ثلاثين مليون شجرة يوجد منها زهاء ١٣ مليون نخلة في منطقة شط العرب . وتمتد بساتين النخيل من ناحية الفاو جنوبا

---

(٤) جريدة صدى الاهالي ، بغداد ٢٨ شباط ١٩٥١ العدد ٤١٦

(٥) حمادة ص ١٨٤

الى قضاء منه من الجهة الشمالية الغربية والى طوزخرماتو من الجهة الشمالية الشرقية . ويوجد منه نحو ١٨٠ صنفا اهمها الساير والحلاوي والزهدي والخضراوي ، ويتراوح معدل انتاج كل نخلة بين ٣٥ و ٦٠ كيلو غراما . وذلك بحسب اختلاف نوع الشجرة وعمرها وطبيعة الارض(٦) .

وفي البلاد اصناف متعددة من الاثمار الحمضية والعنب والتين والرمان والكمثرا والتفاح والتوت . والمنتوج منها يستهلك جميعه في داخل البلاد .

وكانت زراعة الخضار مقتصرة على المدن لان الفلاحين وعلى الاخص في الجنوب ، كانوا يستعيبون ممارسة هذه الحرفة . على ان هذه العقلية اخذت تتلاشى تدريجيا واخذت زراعة الخضار تتقدم وتزدهر .

---

(٦) بلال ص ٥٥ وسوسة ص ٢٠ — ٢١

اسباب تأخر الزراعة

الزراعة هي محور اقتصاديات البلاد ، واساس الثروة فيها اذ يؤلف الدخل الزراعي ما يزيد عن ٦٥ ـ ٧٠ ٪ من مجموع الدخل القومي (٧) . ويشتغل ثلثا السكان في الزراعة ويعتمدون عليها اعتمادا مباشرا في معيشتهم ، بينما يشتغل معظم الباقين في اعمال تعتمد على الزراعة او تتصل بها اتصالاً وثيقا (٨) . واول ما يلاحظه المرء في الدخل الزراعي انه واطيء جدا بالنسبة لعدد السكان الذين يعتاشون على الزراعة ولمساحة الاراضي القابلة للزراعة وبالنسبة لمعدل انتاج الهكتار الواحد من المزروعات .

تقدر مساحة الاراضي القابلة للزراعة في العراق ب ١٢١٫٠٠٠ كيلو متر مربع او ٤٨٫٤٠٠٫٠٠٠ مشارة (٩) . ولكن لا يستغل من هذه الاراضي استغلالا فعليا الا نحو خمسها اي ٢٣٫٠٠٠ كيلو متر مربع او ٩٫٢٥٠٫٠٠٠ مشارة (١٠) .

توجد عوامل عديدة تحول دون استغلال هذه المساحات الواسعة من الارض اهمها عدم استخدام المياه المتوفرة في البلاد استخداما صحيحا وهذا ما جعل مساحات واسعة من الاراضي لا تصلح للزراعة في الوقت الحاضر . فالارض التي تروى سنويا تقدر مساحتها ب ٣٫٢٠٠٫٠٠٠ اكر ولكن هذه المساحة يمكن زيادتها اذا ماتمت مشاريع الري واستخدمت المياه استخداما صحيحا الى ٦٫٤٠٠٫٠٠٠ اكر (١١) . ان استغلال هذه الاراضي يتوقف بالدرجة الاولى على توفير المياه اللازمة لاروائها . يضاف الى هذا اعتماد الزراعة على الوسائل البدائية وقلة الايدي العاملة في الريف التي اخذت تشتد نتيجة لهجرة الفلاحين الى المدن وعدم استخدام الالات الحديثة واعتماد الزراعة على قوة عمل الفلاحين فحسب . وعلى هذا يكون من المستحيل

---

(٧) المصرف الزراعي العراقي التقرير السنوي الثالث عشر لسنة ١٩٤٨ ـ ٤٩ (مطبعة الحكومة ، بغداد ١٩٥٠) ص ٢ .

(٨) Final Report of the United Nations Economic Survey Mission for the Middle East Part III (Lake Success, New York, 1949), P. 2
وسنشير اليه فيما بعد باسم تقرير هيئة الامم

(٩) المشارة هي الدونم العراقي ومساحتها ٢٥٠٠ متر مربع

(١٠) المصرف الزراعي العراقي التقرير السنوي الثالث عشر وانظر القرية العراقية ص ٩

(١١) تقرير هيئة الامم القسم الثاني ص ٣١ .

زيادة المساحات المزروعة اذا ظل السكان على حالتهم من القلة واذا استمر على اتباع الطرق الزراعية القائمة في الوقت الحاضر (١٢) . على ان الاراضي المزروعة لا تستغل استغلالا صحيحا فهي تزرع على العموم زراعة خفيفة ومعدل ما ينتجه الهكتار الواحد من المحاصيل الرئيسية واطيء جدا حتى اذا بالمقارنة مع الاقطار المجاورة . لقد كان معدل غلة الهكتار في السنة للسنتين ١٩٣٤ و ١٩٣٥ من الحنطة والشعير والرز والتبغ ٣٣٤ ، ٦٠٩ ، ١١١٢ ، ٧٦٠٠ على التوالي في العراق و ٧٩٥ ، ١٠٩٦ ، ٣٦١١ ، ٦٧٣ في سوريا ولبنان (١٣) .

ان العوامل التي تسبب ضعف انتاجية الارض وقلة غلتها عديدة اهمها الاساليب الزراعية القديمة ونقص السيطرة على المياه وقلة اهتمام الفلاح بالارض الناتجة عن نظام التصرف بالاراضي وضعف كفاءة الفلاح الزراعية .

الاساليب الزراعية

(١) الحراثة والحصاد والدارسة والتذرية

ان الطرق المتبعة في الزراعة عتيقة والالات المستعملة بسيطة . تحرث الارض بمحاريث خشبية ذات رؤوس حديدية وتصنع عادة خفيفة ليسهل على الحيوانات جرها . وهذه المحاريث لا تشق اثلاما عميقة في الارض . فيضطر الفلاح لاعادة حرث الارض مرة او مرتين ومع كل جهوده تبقى الحراثة سطحية والتربة غير مقلوبة قلبا حسنا ولا معرضة لنور الشمس التعرض الكافي . وعلى هذا لا يستطيع الفلاح ان يحرث اكثر من مشارة ونصف المشارة في اليوم الواحد . هذه الطريقة العتيقة في الحراثة تضيع وقت الفلاح وتنهك قواه .

وتستعمل المناجل في الحصاد . وهي بطيئة متعبة . ويستعمل النورج الخشبي في الدارسة عادة . وفي بعض المناطق يكتفي الفلاح بان يربط الحيوانات الى وتد في

---

(١٢) جاء في المصدر السابق ص ١٦ "يمكن ان يتحقق التوسع في المساحات المزروعة من الاراضي بتشجيع الهجرة من الخارج او استخدام الالات في الزراعة ويبدو ان العراق متجه الى اتباع الوسيلة الاخيرة" ان اقتراح الهجرة من الخارج اقتراح غريب لان الضرورة تقتضي ان يوضع حد لهجرة الفلاحين الى المدن وذلك بالعمل على ازالة اسباب تذمرهم وحل مشاكلهم حلا عادلا والعمل على حل مشاكل الصحة والقضاء على الاسباب التي تؤدي الى كثرة الوفيات .

(١٣) حمادة ص ١٧١

وسط البيدر ويتركها تدوس الحصيد بحوافرها حتى يتفتت وتتم دراسته فاذا انتهى من الدراسة جمع الحصيد كومة واخذ يذريه بمذراته الخشبية معتمدا على الريح في فصل الحب عن التبن ويكرر هذا العمل مرارا حتى ينتقى الحب . وتتوقف هذه العملية على قوة هبوب الريح . وتتطلب وقتا طويلا وجهودا متعبة .

ان الاسلوب المتبع في الزراعة والالات المستخدمة فيها يستغرق معظم وقت الفلاح ولا تترك له المجال للقيام باي عمل اخر او حتى لاتقان عمله . ومن هنا كانت الارض التي يزرعها الفلاح الواحد صغيرة المساحة والبذور التي يزرعها قليلة الكمية لتلائم قواه الجسمية ، ومقدرته على العمل (١٤) .

٢ — استعمال السماد

يستعمل الفلاح السماد الطبيعي او زبل الحيوانات ، والقمامات والاوساخ والهشيم الذي يبقى في الارض بعد الحصاد ويمتزج بالتربة عند الحراثة . وهذا السماد الذي يستخدمه الفلاحون بنطاق محدود لانهم يستعملون هذه المواد في الوقود لعدم وجود مواد اخرى للوقود تحت تصرفهم فلا يسد حاجة الارض ، ولا يمدها بالمواد التي تفقدها على الدوام . وهذه احد عوامل ضعف انتاجية الارض . واما الاسمدة الكيماوية فمحدودة الاستعمال ولا تعرفها اغلبية الفلاحين . واهم العوائق التي تحول دون زيادة استعمال الاسمدة الكيماوية هي اولا شيوع نظام المزارعة بالمحاصة الذي يصد مستاجر الارض عن تحمل اية نفقة اضافية من اجل غلة يذهب القسم الاكبر منها الى صاحب الارض ومن اجل ارض لا تعود ملكيتها له وثانيا فقر الفلاح الذي يحول دونه ودون ابتياع السماد وثالثا جهل الفلاح لاهمية السماد وطرق استعمال الكيماوي منه .

---

(١٤) بدأ بعض اصحاب الاراضي يستعملون المكائن في الزراعة وخاصة منذ الحرب العالمية الثانية . ويوجد في البلاد الان نحو ٥٠٠ تراكتور . وقد انشات الحكومة مديرية المكائن الزراعية ، وخولتها حق استيراد وتوزيع مختلف مكائن الزراعة . الا ان هذه المكائن محدودة ، ولم يؤثر ادخالها الا تاثيرا محدودا على الطرق الشائعة في الزراعة .

٢ **انتخاب البـــذور :**

درج الفلاح على زراعة البذور التي تنتجها مزرعته ، او التي
يشتريها من السوق المحلية وعادة تكون رديئة الصنف ، لان فقره يمنعه من شراء
الاصناف الجيدة . وهذه احد العوامل التي ادت الى رداءة المنتوج من الحبوب العراقية .

الدورة الزراعيـــــة :

الطريقة الشائعة في مناوبة المواسم الزراعية هي الطريقة
الثنائية . وهي ان تقسم الارض الى قسمين يزرع احدهما ويترك القسم الاخر بورا
ثم تعكس الحال في السنة الثانية . والطريقة التي يتبعها الفلاح في تبوير الارض
غير صحيحة لانه يترك الارض على حالتها بعد الحصاد ، دون ان يقوم بحراثتها ،
مع ان الحراثة عامل اساسي في حفظ كيان التربة من الوجهة البكتريولوجية والكيماوية .
وقد نشات طريقة ترك الارض بورا عن عوامل كثيرة منها سعة الاراضي الزراعية التي تحت
تصرف الملاكين وقلة الايدي العاملة وقلة مياه الري وهبوطها في فصل الصيف
وعدم مقدرة الفلاح على مشتري مختلف البذور الملائمة لمختلف المواسم . ويتبع الفلاح
احيانا ، طريقة اخرى وذلك بان يزرع قطعة الارض موسما شتويا ثم يزرعها موسما صيفيا
في السنة التاليه . وهذه الطريقة تؤدي الى اجهاد الارض وهدر خصوبتها .

الـــري :

تنقسم اراضي العراق الى منطقتين واسعتين : المنطقة الشمالية وتعتمد على
المطر والمنطقة الجنوبية وتعتمد على الري .

تبلغ مساحة الاراضي القابلة للزراعة في المنطقة المطرية عشرة ملايين ايكر
على ان ٥ر١٠ مليون ايكر تقريبا من هذه الاراضي يزرع فعليا الان . (١٥) .
وما تبقى من هذه الاراضي يمكن زراعته اعتمادا على مياه الامطار و والمضخات ،
والري سيحا . اما في المنطقة الجنوبية فان الامطار غير كافية للزراعة اذ يتراوح معدل

---

(١٥) تقرير هيئة الامم المتحدة القسم الثاني ص ٣١ .

سقوط الامطار في بغداد بين ٤ و ٥ بوصات وهذه الكمية من المياه غير كافية لحاجة المزروعات • وعلى هذه فان هذه المنطقة تعتمد اعتمادا كليا على مياه دجلة والفرات وما يتفرع منهما من اقنية وجداول •• وهذان النهران لا يسقيان ما في وسط العراق وجنوبه من مزارع وحقول فحسب بل ان فيهما كمية كبيرة من المياه الكافية لارواء مساحات واسعة من الاراضي فيما اذا اقيمت مشاريع الري الضرورية • والجدول التالي (١٦) يوضح لنا امكانية توسيع الاراضي الزراعية في العراق بواسطة انشاء مشاريع جديدة للري •

	مساحة الاراضي التي تروى حاليا	مساحة الاراضي التي يمكن ريها اذا تمت مشاريع اخرى	المساحة النهائية
الفرات	١,٢٠٠,٠٠٠	١,٠٠٠,٠٠٠	٢,٢٠٠,٠٠٠
دجلة	٢,٠٠٠,٠٠٠	٢,٠٠٠,٠٠٠	٤,٢٠٠,٠٠٠
المجموع	٣,٢٠٠,٠٠٠ اكر	٣,٠٠٠,٠٠٠ اكر	٦,٤٠٠,٠٠٠ اكر

على ان مشكلة الري في العراق لا تقتصر على وجود هذه المساحات الوسعة من الاراضي التي تعوزها المياه لتصبح صالحة للزراعة بل ان الاراضي المروية حاليا معرضة للبوار نتيجة لطغيان المياه عليها واستقرارها فيها ولوجود الاملاح فيها وهذه الاراضي هي التي تسمى بالسباخ • كما انحطت القابلية الانتاجية ل ٦٠ ٪ من الاراضي التي تسقى سيحا • ولما كانت مساحة الاراضي التي تسقى سيحا تبلغ ١,٧١٠,٠٠٠ اكر تكون مساحة الاراضي التي انحطت قابليتها الانتاجية اكثر من مليون اكر (١٧) •

ان الطريقة الاساسية الناجحة لاستصلاح الاراضي واعادة قابليتها الانتاجية هي ايجاد نظام لتصريف المياه الزائدة لان الاملاح الرئيسية الموجودة في الاراضي سهلة

---

(١٦) تقرير هيئة الامم القسم الثاني ص ٣١

(١٧) المصدر السابق ص ٣١

الاذابة في الماء فاذا ما وجدت مشاريع التصريف سهل التخلص منها . ولكن مشروعا للتصريف لم يتم في البلاد حتى الان .

ان مشكلة الري من اهم المشاكل التي يتوقف على حلها حلا صحيحا وسريعا تقدم الزراعة في البلاد . فمن الضروري كل الضروري فتح الجداول والقنوات وبناء السدود على الانهار للتحكم في توزيع المياه وانشاء نظام لتصريف المياه الزائدة . واقامة الخزانات على فروع دجلة والفرات لخزن المياه وقت الفيضان . وبهذا تنقذ البلاد من خطر الفيضان الذي كثيرا ما يدمر المدن ويهدم القرى ويتلف الزروع ويشرد الالاف من الناس ويملأ قلوب الشعب هلعا كل عام وهذه المياه المختزنة تطلق في الصيف لتسقي المزروعات الصيفية التي تقل زراعتها الان لقلة المياه المتوفرة في الصيف .

((ان عدم الانتظام في التجهيز الطبيعي للمياه يعرض الاراضي الزراعية لخطر الفيضان في كثير من الاحيان على حين يحرمها من الكميات الوافية في اشهر الصيف فذلك مما يجعل انشاء القناطر الحاجزة على عرض مجاري الانهر لرفع مناسيب المياه امامها في موسم الصيهود واقامة خزانات لدرء اخطار الفياضانات وخزن المياه الزائدة للاستفادة منها لاغراض الري في موسم شحة المياه من اهم الاعمال الرئيسية التي ينبغي انجازها لتنظيم شوون الري في القطر العراقي . ان هنالك حالات غير اعتيادية تصبح فيها مياه الانهر الطبيعية غير كافية لسد احتياجات الزراعة من دون الاعتماد على مياه الخزن . فالمحل الذي حصل في صيف عام ١٩٣٥ ــ ١٩٤٤ كان احسن مثال لذلك اذ كادت اكثر اشجار الفاكهة في منطقة ديالي تتلف وذلك من جراء هبوط التصريف الطبيعي للنهر الى نصف الكمية الاعتيادية في موسم الصيف))(١٨) .

منذ ان وضع ولكوكس تقريره المشهور عن الري في العراق عام ١٩٠٨ اصبحت الخطوات الضرورية لحل مشكلة الري واضحة . وقد اهتمت الحكومة العراقية بدراسة مشاريع الري فاستقدمت الخبراء وانشات اللجان واخرها اللجنة التي اشرف عليها مستر هاغ والتي درست من سنة ١٩٤٦ الى ١٩٤٩ مشاكل الري ووضعت خطط المشاريع والاعمال الضرورية (١٩)

---

(١٨) سوسة ص ١٠ ــ ١١

(١٩) للاطلاع على اهم المشاريع الضرورية التي اقترحتها لجنة هاغ ومفردات تكاليفها البالغة اكثر من ٩٠ مليون دينار راجع تقرير هيئة الامم القسم الاول ص ٧١ ــ ٧٤

وقد نفذت الحكومة بعض مشاريع الري المهمة ،مثل مشروع سدة الكوت ،والغراف والحويجة ،وبقي القسم الاكبر منها ينتظر التنفيذ .واول العوائق التي تقف دون تحقيق هذه المشاريع هي عدم وجود المال اللازم . وقلة المهندسين والفنيين والاختصاصيين بالري . على ان هذه المشاريع لا يمكن ان تتحقق على الوجه الصحيح ،ولا يمكن ان تعطي نتائج محمودة ما لم تسو مشكلة الاراضي تسوية عادلة وما لم يتثقف الفلاح ثقافة زراعية صحيحة . بحيث يصبح قادرا على استخدام الماء استخداما صحيحا .

كفاءة العمـــــل الزراعـــــي

ان كفاءة الفلاح العراقي الانتاجية محدودة ،لانه لم يدرب تدريبا فنيا على الزراعة ،بل هو ينشا في الحقل ، ويتلقى معارفه الزراعية عمن حوله من الفلاحين ويعيد اعمالهم بكل ما فيها من اخطاء ،وتكرار ،وهدر للجهود دون طائل . فهو ، مثلا ،يستعمل الآلات الزراعية البدائية نفسها في مختلف مناطق البلاد دون مراعاة نوع التربة ،وطبيعة الارض . والالات البسيطة التي يستعملها ،والحيوانات الهزيلة التي يعتمد عليها تضيع جهوده ،وتجعل زراعة الحبوب تستغرق وقته طول العام . فعملية تصفية المحصول تستغرق المدة منذ بدء الحصاد حتى رفعه من البيادر . وهي المدة الواقعة بين نيسان وايلول من كل سنة ،على حين تكون المزروعات الاخرى اي الصيفية او الخريفية في حاجة الى ما يلزمها من خدمة ووقاية . كما ان الاستعداد لزراعة الموسم الشتوي تاتي مباشرة بعد الدراسة . وهكذا يضطر الفلاح للاشتغال بعمليات عديدة متنوعة في وقت واحد وهذا مما يقلل من كفاءته في العمل ومن ثم يضعف الانتاج . وان اضطرار الفلاح الى الانصراف الى زراعة الحنطة والشعير وانفاقه جهوده كلها عليها طول السنة يحول دون زراعة المحاصيل الصيفية او يضعف عنايته بها ان استطاع ان يزرعها ،وهذا هو احد عوامل فقر الفلاحين وتدني مستواهم القتصادي . ان قيام الفلاح بكافة العمليات الزراعية من حراثة ،وحصاد ، ودراسة وتذرية ،وحراسة للبيادر ،ووقاية للسدود والجداول ،وسوء تغذيته ،

---

(٢٠) في تقرير هيئة الامم ص ٧٤ ويذكر شي عن مشروع

وابتلاءه بمختلف الامراض وتعرضه لشمس الصيف اللافحة وبرد الشتاء الزمهرير دون ان يكون له من ملابسه الاخلاق وقاية منها تجعل جسمه متعبا مهدودا ذا مقدرة واطئة على العمل . فاذا اضفنا الى هذا حالته النفسية المريرة المتاتية عن شعوره بان ثمرة اتعابه ستذهب للملاك مهما بذل من جهد ، ومن هذه الديون التي يرزح تحت نيرها والعيشة الخشنة التي يحياها في كوخه الخالي من كل ما يخفف عنه عناء العمل ويريح جسمه المكدود واعصابه المنهوكة وخلو الريف من المباهج التي تحبب الحياة الى الانسان وتدفعه للطموح ، ادركنا سر خمول الفلاح وانحطاط مقدرته الانتاجية .

علاقة الفلاح بالارض

(١) اصناف الاراضي

حدد قانون تسوية الاراضي لسنة ١٩٣٢ الاراضي في العراق بالاصناف التالية

(١) الاراضي المملوكة : وهي التي لصاحبها حق التصرف المطلق بها كما ان له حق رقبتها .

(٢) الاراضي المتروكة : وهي الاراضي التي خصصت لغرض من اغراض المنفعة العامة ، او وهبت للجمهور ومر على استعمالها للغرض المذكور خمس عشرة سنة كالمقابر والحدائق والملاعب والبيادر والاسواق .... الخ .. (٢١)

(٣) الاراضي الموقوفة : وهي عبارة عن اراض مرصدة لغايات دينية ، او خيرية ، او عائلية. والوقف نوعان : (١) وقف صحيح ويشمل الاراضي المملوكة التي يحولها صاحبها الى وقف فتصبح الارض ورقبتها وحقوق التصرف فيها وكل الفوائد الناتجة عنها موقوفة . (ب) وقف غير صحيح ويشمل الاراضي المفرزة من الاراضي الاميرية التي اوقفها السلاطين او غيرهم من اصحاب السلطة وخصصوا منافعها العائدة الى الدولة من عشور ورسوم اميرية لجهة ما . (٢٢)

---

(٢١) حمادة ص ١٣٥

(٢٢) المصدر السابق ١٣٩ ــ ١٤٠

(٤) الاراضي الاميرية : وهي الاراضي التي تعود رقبتها الى الحكومة ولكن حقوق التصرف بها واستغلالها يجوز ان تعود الى الافراد . وهذه الاراضي تشمل جميع الاراضي في البلاد التي يوجد نص صريح بعائديتها الى احد الافراد او احد الموسسات الخيرية . وتقسم الى ثلاث اصناف .

(١) الاراضي المفوضة بالطابو : وهي الارض التي تعود حق التصرف بها الى الافراد . وتكون الارض مفوضة بالطابو في احدى الحالات الاتية : (١) اذا كانت مسجلة في سجلات الطابو على هذا الوجه (٢) اذا لم تكن مسجلة في الطابو باسم احد ولكن وجدت لديه وثائق او دلائل تبرر تسجيلها باسمه مجددا . (٣) اذا كانت مغروسة بالاشجار بما فيها النخيل والكروم لمدة لا تقل عن عشر سنوات على ان لا يقل عددها عن اربعين شجرة لكل دونم وعلى ان يوخذ بنظر الاعتبار معدل عدد الاشجار وان يكون عمر اكثريتها لا يقل عن عشر سنوات وان لا يقل عدد الاشجار المثمرة فيها عن عشرين شجرة لكل دونم . (٤) اذا كانت تحت تصرف شخص او من حل محله وكانت مستثمرة حسب التعامل الزراعي المحلي لمدة لا تقل عن عشر سنوات سبقت قرار التسوية بشانها ولازال مستثمرا ولم تدفع عنها اجرة الارض في المدة المذكورة (٢٣) . ويتمتع صاحب الارض المفوضة بالطابو بنفس الحقوق التي يتمتع بها صاحب الارض المملوكة (ماعدا رقبتها فهي للدولة) . فله الحق في ان يبيعها او يوجرها او يرهنها او يورثها ولا يدفع عنها اجارا للدولة لانه قد دفع عند حيازته لها لاول مرة رسما يسمى بدل المثل او المعجلة . ولا يحق له ان يقفها وقفا صحيحا او ان يقف غلتها دون اذن من الحكومة (٢٤)

(ب) الاراضي الممنوحة باللزمة : ان حقوق اللزمة هي عبارة عن الحقوق التي نالها افراد القبائل التي احتلت قطعا من الاراضي الاميرية غير المفوضة بالطابو وتصرفوا بها مدة من الزمن والمعنى الصحيح لهذا التعبير ، كما يذهب الى ذلك دوسن، (٢٥) هو حق السكنى والزراعة . ويمنح اللزمة رئيس التسوية الى الشخص العراقي الذي يتصرف بها او من حل محله من العراقيين في خلال الخمس عشرة سنة

---

(٢٣) قانون التسوية مادة ١٠ اب نقلا عن شاكر ناصر حيدر "احكام الاراضي والاموال غير المنقولة" (بغداد ، ١٩٤٧) ، ص ٢٤٥ وساشير الى هذا المصدر الاخير بحيدر

(٢٤) حمادة ص ١٢٧

(٢٥) دوسن ص ٢٥

السابقة لاعلان التسوية • والمقصود بالتصرف هنا هو زراعتها حسب التعامل المحلي او غرسها بالاشجار حسب التعامل المحلي • ولا يشترط ان يكون التصرف طيلة هذه المدة وانما ان يكون خلالها حتى ولو كان واقعا قبل اعلان تسوية الارض بسنة واحدة (٢٦) ويجوز لمجلس الوزراء منح اللزمة في الاراضي الاميرية الصرفة التي تمت تسويتها بشرط ان يكون الى العشائر لغرض اسكانهم بقصد استثمارها من قبلهم •

ان حقوق صاحب اللزمة بصورة عامة كحقوق المتصرف بالاراضي الاميرية المفوضة بالطابو مع بعض القيود الواردة على تلك الحقوق •

ج) الاراضي الاميرية الصرفة : وتشمل جميع الاراضي الاميرية غير المفوضة بالطابو او الممنوحة باللزمة • والدولة وحدها تعتبر صاحبتها ولها حق التصرف بها وحق رقبتها • ويعتبر الافراد الذين يستغلونها مستأجرين او ملتزمين لمدة محدودة •

لا توجد لدينا احصاءات مضبوطة بمساحة كل صنف من اصناف الاراضي ولا نسبتها الى بعضها • وفيما يلي جدول بمساحة الاراضي التي تمت تسويتها منذ تاسيس دائرة التسوية حتى نهاية عام ١٩٤٧ محسوبة بالدونمات (٢٧)

المجموع الكلي للاراضي المنجزة تسويتها :	٤٣،٣٤٩،٠٧٠
الاراضي الاميرية الصرف :	٢٧،٥٨٣،٢٤١
الاراضي الممنوحة باللزمة :	٦،٨١٤،٢٤١
الاراضي المفوضة بالطابو :	٧،٣٢٩،٤٢٠
الاراضي العائدة للوقف :	٤٩٢،٩٦٩
الاراضي المملوكة :	١٣٥،٩٨٨

---

(٢٦) حيدر ص ٢٨٥

(٢٧) القرية العراقية، ص ٥٦ • وقد اورد الاستاذ جعفر خياط في المصدر نفسه ص ٥٧ هذه الملاحظة "ومما يجب ان يلاحظ في الاراضي التي انجزت تسويتها هذه ان قسما كبيرا من الاراضي الاميرية الصرف غامر غير عامر عدا المؤجر منها بصفة مقاطعات في لواء العمارة الذي لا يزال وضعها وضعا خاصا من حيث ملكية الاراضي الزراعية فيه • وان الاراضي "اللزمة" كلها مزروعة تقريبا بينما يكون معظم الاراضي الاميرية المفوضة مغروسا بالبساتين وتعد جميع الاراضي الاوقاف تقريبا اراضي مزروعة وكذلك المملوكة •")

(ب) حيازة الاراضي والتصرف بها

حيازة الاراضي قبل مدحت باشا :
كانت الدولة العثمانية تعتبر جميع الاراضي في العراق عدا الاراضي التي يملكها الافراد ملكا صرفا واضح البنية ويملكها الصريح الذي نالته بحق الفتح والاستيلاء • وكان السلاطين والوزراء والولاة يقطعون بعض هذه الاراضي لمن يشاؤن من المحاربين والمقربين والمتنفذين وذوي الخدمات النافعة للدولة • وكانت الدولة تمنحهم سندات وعقودا بحقهم في الارض وكان هؤلاء يسمون باصحاب الاراضي وكانوا يفوضون ما تحت سيطرتهم من الاراضي الاميرية الى المستاجرين كما كانوا يجبون الضرائب ويأذنون باجراء معاملات البيع والافراغ ويعطون سندات موقعة من قبلهم • وكانت الدولة توقف قطعا من الارض على المقاصد الخيرية والمشاريع الدينية كما كانت تستبقي قسما منها تحت تصرف الخزينة فتوجرها للفلاحين وتستوفي عنها ما تستحق من عشر او خراج (٢٨) •

على ان القسم الاعظم من الاراضي الزراعية في الشمال والجنوب كان يمسكه العشائر • وكانت الوحدة الزراعية في الشمال هي القرية اما في الوسط والجنوب فكانت الوحدة الزراعية هي القبيلة او العشيرة • كان لكل عشيرة قطعة من الارض خاصة بها تدعوها " ديرتها " يزرعها افراد العشيرة ويرعون مواشيهم في مراعيها وكانت العشيرة ترى ان ديرتها ملك صريح/خاص بها لانها قد استوطنت فيها وعمرتها منذ مئات السنين فهي التي شقت جداولها وقامت بحرثها وزرعها ابا عن جد • وكان ثلث اراضي الديرة واحيانا نصفها يفرز للشيخ ليستعين بالغلة على القيام بواجباته تجاه القبيلة وكانت هذه الحصة تقدم للشيخ بصفته رئيسا للعشيرة اي الى الوظيفة التي يشغلها وليس بصفته الشخصية اما الاقسام الباقية من الارض فكانت توزع على اسر الفلاحين حسب عدد المحاربين في كل اسرة او حسب اتساع الارض وخصوبتها وقلة الايدي العاملة او كثرتها فيها • (٢٩) •

والحق ان ملكية الارض كانت حتى بداية النصف الثاني من القرن التاسع عشر غامضة

---

(٢٨) انظر حيدر ص ٧ — ٨

(٢٩) انظر جواد ص ٩٥ و

وساشير الى المصدر الاخير باسم وارينر Doreen Warriner " Land and Poverty in the Middle East (London , 1948) P. 104.

سائدة فوضى في معظم انحاء البلاد . وكانت الاراضي تتجاورها ادعاءات عديدة بالملكية . فالدولة تعتبرها ملكا صرفا لها ،وكان احفاد الاقطاعيين من اصحاب وحدات التيمار متمسكين بالوثائق والعقود التي منحتهم اياها الدولة ،وكان بيع الاراضي وشراؤ ها مستمرا على جاري العادة منذ اجيال من غير علم الحكومة او اعترافها . (٣٠)

ولم تستطع الحكومة التركية ان تمارس سيطرة منظمة فعالة على الاراضي الاميرية الواسعة التي تنتظم معظم البلاد لان نفوذها خارج المدن الكبيرة كان محدودا واحيانا معدوما بالكلية . وكان استقرار العشيرة في الارض متوقفا على مقدرتها على مقاومة غارات العشائر الاخرى ،وتحدي نفوذ الحكومة ،وصلاح الارض لسكناها . (٣١)

وعندما عزمت الدولة العثمانية على اصلاح الاوضاع في انحاء الامبراطورية في مطلع القرن التاسع عشر وجدت مشكلة العشائر في العراق من اعقد المشاكل واشدها استعصاء على الحل . كانت هذه القبائل التي استقر بعضها واخذ بعضها في سبيل الاستقرار وممارسة الزراعة ،لا تعترف للدولة العثمانية بسلطة ، هذه الدولة التي كان جمع الضرائب الباهظة ،وابتزاز اموال الفلاحين همها الاول . وكانت هذه القبائل متمسكة بعرفها وعاداتها ،تخضع لرؤسائها وشيوخها ،وتحاول الابتعاد عن المدينة ،والخضوع لانظمة الحكومة وقوانينها ما وسعها الابتعاد وكانت مصالحها متعارضة في الاساس مع اية دولة منظمة وكانت جائعة لا تفوتها فرصة تسنح للحصول على مغنم الا انتهزته غير هيابة من قصاص الحكومة وتنكيلها ".(٣٢) . وعزم الباشوات الاتراك على "تمدين "ابناء العشائر وتفكيك كيانهم القبلي بالعنف والقوة فكانوا يحركون قبيلة على قبيلة اخرى وكانوا يجردون الحملات التاديبية عليهم . ولكن سياسة العنف هذه لم تجد نفعا ،وقد فشلت لان الدولة لم تستطع ان تتبع الاسلوب الصحيح في اسكان العشائر ،ومساعدتهم على الاستقرار لان سياسة تفكيك القبائل والقضاء عليها بصورة هادمة كانت يجب ان يصيبها الفشل على كل حال . وقد فشلت في هذه الحقبة من الزمن لاسباب خاصة واخرى عامة . وكانت النتيجة ان زجت الاصقاع العشائرية من العراق في اتون مشتعل من القلاقل ، وفي احضان اسواء ما يتذكره الناس

---

(٣٠) Stephen Hemsley Longrigg, "Four centuries of Modern Iraq" (Oxford, 1925), P. 306. (عشر ايديد ودتشريه)

(٣١) انظر دوسن ص ٢٤

(٣٢) انظر لونكريك ص ٢٨٩

من الفوضى ووضع الفلاحون المستوطنون الى البادية من جديد . (٣٣) .

على ان الحكومة العثمانية كانت ماضية في اصلاحاتها وقد ارادت أن تضع نظاما جديدا للاراضي يشجع الاستقرار في البلاد ويشجع على الزراعة ويغني الخزينة عن الضرائب ويفكك وحدة القبائل ويحد من نفوذ الشيوخ والرؤساء فالغت نظام الاقطاع القديم سنة ١٢٥٥ هـ (١٨٣٩) ، واحالت جباية الضرائب والرسوم الى الخزينة بواسطة الجباة والمحصلين او بواسطة الملتزمين وشرعت منذ سنة ١٢٦٠ هـ (١٨٤٤) باعطاء سندات التصرف بالاراضي من دوائر الدفترخانة واصدرت سنة ١٢٧٤ هـ (١٨٥٨) قانون الاراضي فاصبحت الاراضي الاميرية خاضعة لاحكامه بينما بقيت الاراضي المملوكة والموقوفة خاضعة للاحكام الفقهية . واصدرت الدولة في سنة ١٨٦٤ تعليمات حول تفويض الاراضي العراقية التي انقرض نسل مالكيها والتي عجز اصحابها عن زراعتها واعمارها . وفي سنة ١٨٦٨ صدر فرمان مدحت باشا حول الاراضي ~~العراقية~~ العقرية في العراق (٣٤) . وبمجيء مدحت باشا الى العراق (١٨٦٨ ــ ١٨٧٠) ، وشروعه بتطبيق قانون الاراضي ، دخلت مشكلة ملكية الاراضي في دور تاريخي جديد .

حيازة الاراضي والتصرف بها في عهد مدحت باشا .

حدثت بعض التبدلات الاساسية في معاملات الاراضي بناء على التعليمات التي ارسلت من قبل الحكومة المركزية الى ولاية بغداد سنة ١٨٦٤ وبناء على فرمان تولية مدحت باشا المؤرخ في ١٨٦٨ واهم ما جاء فيهما :.

ا ــ الاراضي الموجودة داخل ولاية بغداد والبصرة والتي بادت سلالة مالكيها وانقرضت انساب المتصرفين بها فاكتسبت حكم الاراضي الاميرية مما كان منها عامرة وانهارها موجودة تحال الى طالبيها وتفوض لهم بموجب سندات الطابو وطبقا لاصول المزايدة .

ب ــ تشمل هذه المساعدة لمن يرغب فيها من المامورين بغية حصول العمران في الاراضي الواسعة

ج ــ وما كانت منها بعيدة عن العمران او خالية من الانهار تفوض وتحال الى طالبيها بلا بدل "مجانا" .

---

(٣٣) نقلا عن الترجمة العربية [ستيفن هيمسلي لونكريك «اربعة قرون من تاريخ العراق الحديث» نقله الى العربية جعفر خياط (بغداد، ١٩٤١)، ص ٣١٣ ؛ لونكريك ص ٩٠]

(٣٤) انظر حيدر ص ٨ ــ ٩

(د) ان شروط التصرف والاحالة والتفويض تعين اما على اساس تعهد الطالبين بمصاريف حفر وتطهير الانهار الخاصة بالاسقاء مجددا واما على اساس اعطاء هذه المصاريف لمرة واحدة ، من قبل الخزينة في بادئ الامر والمصاريف التي تلي وتستمر بعد ذلك من قبل اصحاب الاراضي (٣٥) .

واخذ مدحت باشا يبيع مساحات صغيرة او واسعة من اراضي الدولة باثمان بخسة مقسطة اقساطا سهلة الدفع لحاملي الفرمانات المشكوك فيها ، ولاصحاب الامتيازات القدماء على ان تبقى لهم حرية التصرف التامة (لا الملكية الصرف) وللقرويين الذين حفروا في الارض نهرا جديدا او طهروا نهرا قديما او غرسوا فيها شجرا ولبعض موظفي الدولة والمتنفذين من تجار المدن واغنيائها . كما ان خطة مدحت باشا كانت تتضمن بيع اراض واسعة لشيوخ القبائل تتسع كل واحدة منها لقبيلة باسرها . (٣٦) .

على ان خطة مدحت باشا الاصلاحية لم تتحقق على الوجه المطلوب ، لقصر المدة التي قضاها في العراق ولظروف قاهرة لم يستطع التغلب عليها منها جهل موظفي الطابو وضآلة خبرتهم الفنية وتعودهم على الرشوة . فقد كان يعوز دائرة الطابو الكثير من الامور الجوهرية الضرورية لنجاحها . فلم تكن هذه الدائرة تملك الخرائط ولم تكن لها مساحون ولا موظفون مثقفون نزيهون . وكانت تعطي سندات التملك لاراض يملكها الغير او اراض يشك في موقعها الحقيقي او ليس لها حدود معلومة . ومنها عدم اهتمام جماهير الفلاحين بالاستفادة من الوضع الجديد . فقد حسب كثير من الفلاحين ان الحكومة تبغي من وراء تسجيل الاراضي باسمائهم ربطهم بالارض حتى تسهل عليها التحكم فيهم وجباية الضرائب منهم ، وتجنيدهم عند الحاجة ، كما استثقلوا دفع اثمان الارض وان كانت ضئيلة . ((بالاضافة الى ذلك فقد جربت هذه الخطة ان تضع التعامل السائد السهل المأخذ بسيطة للغاية)) (٣٧) وكانت نتيجة هذه الخطة ان استغل الوضع طائفة من سكان المدن المقربين عند موظفي الطابو وبعض الشيوخ المتنفذين ونفر من اصحاب الامتيازات

---

(٣٥) راجع احمد فهمي ص ٦٥ — ٦٦

(٣٦) انظر لونكريك ٣٢٦

(٣٧) دوسن ص ١٧

القدماء وجماعة من الموظفين الكبار .

لقد ادى منح حق ملكية الارض لبعض الشيوخ الى خلافات ومصادمات بينهم وبين ابناء عشائرهم والى فوضى عامة مما جعل الاستمرار بتسجيل الاراضي غير ممكن ولما رأت الحكومة العثمانية ان تسجيل الاراضي سيقوي نفوذ الشيوخ اوقفت عملية التسجيل . ولم يكن قد تسجل عند ذاك الا خمس الاراضي . واصدرت عامي ١٨٨٠ ـ ١٨٩٢ مرسومين مؤداهما ان الحكومة ستكون المالك الحقيقي للارض . وهكذا كانت معظم اراضي العراق في سنة ١٩١٩ ملكا للدولة نظريا (٣٨) .

ان وضع الاراضي الذي تكلمت عنه فيما تقدم ينطبق بصورة عامة على الاقسام الجنوبية والوسطى من البلاد . اما في المنطقة الشمالية فكان الفلاحون يعيشون في قراهم تحت سيطرة الاغاوات وغيرهم من الشيوخ والمتنفذين . وكان هؤلاء الاغاوات والمتنفذون يديرون شؤون القرية ويحلون مشاكل الفلاحين ويتوسطون بينهم وبين الحكومة . وقد ازداد نفوذهم بعد ان تحسنت طرق المواصلات وكثر ترددهم على المدن وقويت علاقتهم برجال الحكومة . فلما شرع بتفويض الاراضي بالطابو اشتغل هؤلاء الاغاوات والمتنفذين علاقاتهم بالدولة وجهل الفلاحين وعزلتهم فسجلوا الاراضي جميعها او جزءاً منها باسمائهم خلافا لقانون الاراضي واصبحوا يتصرفون بهذه الاراضي تصرف المالكين بغض النظر عما فيها من حقوق قديمة للفلاحين الذين واصلوا الاقامة فيها وقاموا بزراعتها وربطوا مصالحهم فيها مدة طويلة من الزمن .

التصرف بالاراضي منذ الحرب العالمية الاولى

كان الاقتصاد العراقي الى قبيل نهاية القرن التاسع عشر هو الاقتصاد المعيشي . فكان الزراع بما فيهم من الشيوخ والسراكيل ينتجون من المحاصيل المقدار الذي يسد حاجات معيشتهم . ولكن هذا النظام اخذ في التغير منذ نهاية القرن التاسع عشر فقد فتح النقل البحري في الخليج الفارسي السوق العالمية للحبوب العراقية فاخذ الزراع ينتجون الحبوب لبيعها في الاسواق المحلية وتصديرها الى خارج البلاد . كانت صادرات العراق من الحبوب في مطلع العقد الاخير من القرن التاسع عشر ٦٥٠٠٠٠ طن فاصبحت ١٢٠٠٠٠ طن في اعوام ١٩٠٩ ـ ١٩١٣ و ٢٨٠٠٠٠ طن في ١٩٣٤ ـ ٣٩ (٤٠) .

---

(٣٨) انظر وارينر ص ١٠٩

(٣٩) انظر وارينر ص ١٠٦

وكانت نتيجة هذا التحول ان اقبل الشيوخ والمتنفذون واغنياء المدن والموظفون الكبار على حيازة الاراضي الزراعية الخصبة وتسجيلها باسمائهم وبقيت جماهير الفلاحين الغفيرة محرومة من الارض وتستأجرها من هؤلاء المالكين الجدد والاقطاعيين المحدثين . وقد ادى الى قيام هذه الحالة عوامل عديدة منها غموض ملكية الارض وسوء تفويض الاراضي في عهد مدحت باشا والفوضى التي اعقبت اصلاحاته وعلى الاخص عندما انسحبت الجيوش التركية فحملت معها سجلات الطابو واتلفت قسما منها . فظلت ان الاراضي العراقية كانت في سنة ١٩١٩ من الوجهة النظرية على الاقل ملكا للدولة فاصبح بامكان القابضين على زمام الحكومة ان يحبسوا من يشاؤون على حيازة ما يشاؤن من الاراضي الخصبة . وفي سنوات الحرب العالمية الاولى وجدت القوات البريطانية نفسها بحاجة الى مساعدة شيوخ القبائل ليعينوها على الاتراك ويساعدوها في جهودها الحربي او يقفوا على الحياد ويمتنعوا عن تقديم المساعدة للاتراك او تعكير الامن والنظام في البلاد على الاقل . وقد اعتمدت عليهم في ادارة شوون القبائل وجعلتهم المرجع المباشر وثبت نفوذ الموالين منهم ووسعت عليهم في الاراضي واعترفت بعاداتهم وعرفهم القبلي فاصدرت بذلك عدت مراسيم انتظمها فيما بعد قانون دعاوي العشائر الذي جعل للشيوخ مركزا قانونيا معترفا به من قبل الحكومة . وقد اتخذت السلطات البريطانية في عهدي الاحتلال والانتداب الاراضي الزراعية وسيلة لاكرام المؤيدين وجلب الانصار ولمعاقبة الخصوم والاعداء والمناوئين للنفوذ البريطاني . فكانت اراضي الموالين للحكم البريطاني تتسع على حساب الاجزاء واراضي المقاومين لهذا الحكم، وخاصة الذين اشتركوا في الثورة العراقية عام ١٩٢٠، تنتقص وتقلص. (٤١)

---

(٤١) للاطلاع على الدور الذي لعبته السلطات البريطانية في عهد الاحتلال والانتداب في تدعيم نفوذ الشيوخ المنهار وتوسيع اراضيهم وخلق طبقة اقطاعية متنفذة منهم راجع ايرلاند ص وواريز ص ٢٢ ـ ٢٤ ومحمود الجندي "المشكلة الزراعية في العراق" (بغداد ١٩٥٠) ص ١٢ ـ ١٣ والظاهر، اقطاع ص ١٩ ـ ٢٠ وكامل الجادرجي "الاقطاع واثره في افساد جهاز الدولة" جريدة صدى الاهالي بغداد، الاعداد ٢٨ ـ ٢٩ ـ ٣٠ الصادرة في ٢٤ و ٢٥ و٢٦ من تشرين الاول ١٩٤٩ .

وقد شجعت الحكومة العراقية هؤلاء الشيوخ والمتنفذين والاقطاعيين الحديثين ،وخلقت منهم طبقة اجتماعية ذات نفوذ قوي في تسيير امور الدولة ، ليكونوا لها حلفاء ومعاونيهن على تسيير امور البلاد .

ووجد نفر من تجار المدن ما في الزراعة من ربح وفير فاقبلوا على نصب المضخات . وقد زاد عدد المضخات من ١٤٣ مضخة عام ١٩٢١ الى ٣٠٠٠ مضخة عام ١٩٤٣ تسقي ارضا مساحتها ٢٫٥٠٠٫٠٠٠ ايكر اي نصف الاراضي المزروعة في الاراضي الاروائية . والمضخة التي كانت تكلف قبل الحرب الاخيرة ٢٠٠٠ دينار كان يشق شراؤها على الفلاحين والمزارعين الفقراء ،فكان الشيوخ والسراكيل ينصبون مضخات في اراضيهم ،واخذ تجار المدن،في اغلب الاحيان ، ينصبون مضخات في الاراضي الاميرية فتصبح ملكا لهم ،او ينصبونها لحساب الفلاحين ويتقاضون عن ذلك فائضا مرتفع النسبة ،فتستحيل الاراضي ملكا لهؤلاء التجار بالتدريج نتيجة لعجز الفلاحين عن تسديد ديونهم .

ولما حدثت الحرب العالمية الثانية ،وتضخم النقد ، وحلت الضائقة الاقتصادية بالبلاد ، وارتفعت اسعار الحبوب ، ازداد اقبال الاقطاعيين على توسيع اراضيهم وامتلاك المساحات الواسعة من الاراضي الاميرية ، واستخدموا نفوذهم عند الحكومة فاثروا على لجان التسوية ، واستغلوا نظام دعاوي العشائر فحولوا احكامه لصالحهم ،فتحولت اليهم بذلك اراضي هي ملك غيرهم من المزارعين الضعفاء او ملك اقاربهم ممن هم دونهم قوة ونفوذا ،او ملك الدولة الصرف .

ولقد شرعت في عهد الاحتلال والانتداب والاستقلال عدة قوانين لتعيين ملكية الارض وتنظيم الزراعة ،اهمها قانون تسوية الاراضي رقم ٥١ لسنة ١٩٣١ ، وقانون اللزمة رقم ٥٥ لسنة ١٩٣٢ ،وقانون تحديد حق العقر رقم ٥٥ لسنة ١٩٣٢ وقانون تحديد حقوق وواجبات الزراع رقم ٢٨ لسنة ١٩٣٣ .

على ان هذه القوانين جميعا كانت تخدم في الغالب مصالح الاقطاعيين ، وتثبت حقوقهم المدعاة التي اكتسبوها بمختلف الطرق غير القانونية وغير العادلة . فالاراضي تسجل باسماء اصحابها اذا كانوا يحملون سندات تثبت ملكيتهم لها ، واذا اثبتوا انهم كانوا متصرفين بها تصرفا فعليا مدة من الزمن قبل اعلان التسوية . وبما ان الارض كانت ملكا للعشيرة ولم يكن للافراد حق صريح في بقعة منها ، ولم يكن بامكانهم ان يثبتوا تصرفهم خلال هذه المدة في بقعة من الارض معينة تمكن الشيوخ والملاكون ان يسجلوا هذه الاراضي ملكا شخصيا لهم فخسر الفلاحون

سعيد

حقوقهم المشروعة فيها ،واصبحوا محرومين من حقوق التصرف في الارض،واضطروا على ان يكونوا عمالا زراعيين ماجورين ،او مستاجرين للارض،يدفعون بدل ايجارها قسطا كبيرا مما تنتجه الارض بعرق جباههم ،وكد سواعدهم . يقول دوسن (٤٣) ((نرى من وجه عام ان الذين يشغلون ارضا اميرية ويزرعونها يسمح لهم بان يفعلوا ذلك عند عدم وجود معارضة من جانب اصحاب النفوذ . ان التصرف بالارض اهم نقطة في تاييد الادعاءات . انما لا التصرف بالارض لمدة طويلة ولا الحصول عليها بشكل اخر يؤمنان البقاء فيها . اذ ان النفوذ الشخصي مع اكبر مرجع له علاقة بهذه الامور يكون عادة القول الفصل في اي وقت كان وفي اية منازعة كانت من منازعات الاراضي . ولذا نرى انه قد لا يلتفت الى الادعاءات التي تدعمها براهين ساطعة ،كما انه قد يعاد فتح اي كان منها في اي وقت كان اذا ساعدت الظروف على النظر بعين العطف في قضية فريق لم ينل مبتغاه .))

ج سعة الملكيات الزراعيـــــــة

لا توجد لدينا احصاءات مضبوطة تبين عدد المقاطعات الزراعية التي يملكها الافراد ،ومساحة كل قطعة منها ،ومقدار ما يزرع منها فعليا كل عام . ولكننا نستطيع ان نقول بصورة عامة ان عدد الملكيات الصغيرة في شمال البلاد اكثر منها في جنوبها وان عددا ضئيلا من الملاكين يستحوذون على معظم الاراضي الزراعية الخصبة في الجنوب. ففي الموصل ،في سهل دجلة الخصب وجبشاقميت المضخات ،يوجد نظام قبلي شبيه بالنظام القبلي الموجود في جنوب البلاد ،يمتلك الارض على العموم الشيوخ والوجهاء والمتنفذون . ويطالعنا هذا النظام القبلي عينه في غربي الموصل ، في الاراضي المتموجة ذات الامطار القليلة . وفي السنوات الاخيرة ازداد اقامة المضخات في هذه المنطقة واشتد اقبال الشيوخ على توسيع رقعة اراضيهم . اما في المنطقة الشمالية الشرقية ،في كركوك واربيل والسليمانية ،فان حالة الفلاحين احسن . ففي هذه المنطقة نظام زراعي ثابت ،يمتلك الملاكون الصغار حوالي ٧٥ ٪ من

---

(٤٣) ص٢٦

(٤٤) انظر وارينر ص ١٠٧ ـ ١٠٨

الاراضي الزراعية ،وقد تصل مساحة الارض التي يملكها كل واحد من هؤلاء الفلاحين والمزارعين الى ٢٠٠ دونم . (٤٤)

اما في الاقسام الوسطى والجنوبية من البلاد فقد اصبح قسم كبير من الاراضي الزراعية تحت تصرف نفر قليل من الشيوخ ،والمتنفذين ،والتجار . ففي الوية الكوت والمنتفك والعمارة يتصرف الملاكون الكبار بقطع من الاراضي قد تتجاوز مساحة الواحدة منها المائة الف دونم ،وقد تصل مساحة الاراضي التي تحت تصرف بعض الملاكين الى نصف مليون مشارة ، والى الثلاثة ارباع مليون مشارة . (٤٥) .

« ومن المعلوم ان هنالك شخصا واحدا يملك مليون مشارة ،واخر اربعماية الف مشارة وثالث مئتي الف مشارة ،وثمانين الفا . وتتراوح مساحة الملكيات الكبيرة الاخرى المنبثة في البلاد ،بين ثلاثة الاف مشارة وعشرة الاف »(٤٦) .

ويعطينا الجدول التالى صورة تقريبية لاتساع الملكيات الزراعية في العراق ،وهو مبني على مساحة الاراضي التي اجريت تسويتها في الوية بغداد والكوت والحلة والدليم وكركوك واربيل وقسم من لواء الموصل .

المساحة بالدونم	عدد الملكيات
اقل من دونم واحد	١٦٫٤١١
١ ــ ٥	٤٥٫٦١٨
٦ ــ ١٠	٢٧٫٧٦٧
١١ ــ ٢٠	٢٢٫١٢٧
٢١ ــ ٥٠	٢١٫٣٤١
٥١ ــ ١٠٠	٨٫٦١٥
١٠١ ــ ٢٠٠	٤٫٢٨٣
٢٠١ ــ ٥٠٠	٢٫٤٧٦
٥٠١ ــ ١٠٠٠	١٫٠٣٤
١٠٠١ ــ ٢٠٠٠	٦٧٦

---

(٤٥) انظر الظاهر، اقطاع ص ٥٠ و ٨٧

(٤٦) جواد ص ٤٨

(٤٧) القرية العراقية ص ٥٦

المساحة بالدونم	عدد الملكيـــات
٢٠٠٠١ ـ ٥٠٠٠	٧٦٢
٥٠٠٠١ ـ ١٠,٠٠٠	٣٢٦
١٠٠٠١ ـ ٥٠,٠٠٠	٢٢٧
٥٠,٠٠١ ـ ١٠٠,٠٠٠	١٣
١٠٠,٠٠١ ـ ٢٠٠,٠٠٠	٢١

نستنتج من هذا الجدول ان عدد الاشخاص الذين يملكون الف دونم فما دون ذلك يبلغ ١٤٥,٦٧٢ شخصا اما عدد الذين يملكون ما فوق الالف دونم الى حد ٢٠٠,٠٠٠ دونم فيبلغ ٢٠٢٥ شخصا فقط . وهذا يدل على مقدار التفاوت الكبير بين اصحاب الملكية الصغيرة وبين كبار الملاكين . ولا تختلف النسبة كثيرا في الالوية الاخرى . واذا علمنا ان مجموع نفوس هذه الالوية السبعة يبلغ ٢,٦١٣,٠٢٢ نسمة واذا افترضنا ان لواء الموصل قد اجريت تسوية اراضية باجمعها لانجد ان حوالي ١٥١,٦٩٧ شخصا في هذه الالوية يملكون ما يزيد على ١٤,٢٧٩,٦٤٩ دونما . هذا باستثناء اراضي الوقوف والاراضي الاميرية الصرفة . واذا اعتبرنا عدد الملكيات يساوي عدد الاشخاص في هذا الاحصاء نجد ان حوالي ١٧ ـ ٥ ./. فقط من مجموع السكان في هذه الالوية يملكون هذا المقدار من الاراضي الزراعية . اما اذا اعتبرنا عدد الملكيات يزيد على عدد الاشخاص المالكين فعلا باعتبار ان كثيرا من المالكين يملكون اكثر من قطعة واحدة ، فان تلك النسبة قد تصل ١٤ ./. او ١٢ ./. وقد تنخفض هذه النسبة في الالوية الاخرى الى اقل من ١٠ ./. بالنظر لسعة مساحة هذه الالوية وقلة كثافة السكان مع اتساع المقاطعات التي يملكها الملاكون الكبار فيها . واذا اردنا ان نعطي صورة تقريبية لملكية الارض في الوية العراق كلها بالنسبة لهذه المعلومات الناقصة ، لامكننا ان نقول ان ١٠ ـ ١٢ ./. من سكان العراق فقط يملكون اراضي زراعية منتجة وان القسم الاعظم من الملاكين الذين يؤلفون هذه النسبة يملك كل واحد منهم ٢٠٠ دونم فما دون ذلك (٤٨) .

وتتجلى الملكيات الكبيرة بكل سيئاتها في لواء العمارة . فالمعمور من الاراضي

---

(٤٨) انظر المصدر السابق ص ٥٦ ـ ٥٧

في هذا اللواء ملك صرف للدولة • وتقوم الحكومة بتاجير الاراضي الى الاقطاعيين من الشيوخ • ويتصرف في الاراضي الزراعية الصالحة للزراعة في هذه اللواء والبالغة مساحتها ٥٠٠،٠٠٠،٣ مشارة • ١٧١ ملاكا • وهنالك سبعة من بين هؤلاء الاقطاعيين يتصرف كل واحد منهم باراض تتراوح مساحة كل واحدة منها بين ١٠٠،٠٠٠ و ٤٠٠،٠٠٠ دونم • (٤٩) •

ان ايجار هذه الاراضي يبلغ حوالي ٢٠٠،٠٠٠ دينار سنويا عدا ما يدفعه الشيوخ من اموال وهدايا لاتمام هذه العقود • ويقوم هؤلاء الملاكون بتاجير اراضيهم قطعا صغيرة للفلاحين • واذا علمنا ان شيوخ العمارة من اضخم الاقطاعيين في العراق ثروة ادركنا العبء الملقى على عاتق الفلاح العماري ومدى الاستغلال الفظيع الذي يتعرض له • لا عجب ان يهاجر فلاحو العمارة الى بغداد وغيرها من المدن ليشتغلوا باحط الاعمال فرارا من سوء الحالة في العمارة ومن الفقر المكتوب لهم فيها •

لو كان المقصود من وجود هذه المقاطعات الواسعة ادخال الالات الزراعية وتطبيق الفن الحديث على الزراعة ولو كان لهؤلاء الاقطاعيين الذين يستاجرون اراضي العمارة ليؤجروها بدورهم للفلاحين دور في تحسين الانتاج وتنظيم العمل لكان لهذه الحالة في العمارة ما يبررها • اما وان الاقطاعيين لا يعملون شيئا سوى ان يؤجروا الارض للفلاحين ليزرعوها بطريقتهم البدائية وان يعيشوا مرفهين على حساب عشرات الالوف من الفلاحين الكادحين ويقتصون اهاب الزبانية عند قسمة الحاصل فامر لا يعني الا ان الحكومة تريد ان يعيش هؤلاء مرفهين على حساب الالوف من الكادحين • ان هذا الظلم الصارخ لم يعد يشعر به الفلاحون انفسهم ولا المصلحون السياسيون فحسب بل حتى الحكومة نفسها اخذت تشعر ان هذا الظلم اصبح لا يطاق بحيث وعد السيد نوري السعيد في خطاب العرش باصلاح الحال في العمارة (٥٠)

ان هذه الملكيات الزراعية الكبيرة تكون احدى العوائق امام تقدم الزراعة في العراق • والحجة القائلة بان الملكيات الكبيرة تساعد على استخدام المكائن في الزراعة وتطبيق

---

(٤٩) هذه المعلومات عن لواء العمارة ماخوذة عن تقرير للمرحوم سعد صالح عندما كان متصرفا للواء العمارة سنة ١٩٤٤ • نقلا عن الجندي ص ١٧ — ١٨ •

(٥٠) انظر الظاهر، اقطاع ص ٤٣ — ٤٤

الطرق العملية فيها ، لا معنى لها هنا . لان هذه الاراضي لا تستغل على اسلوب صحيح ، فملاكوها يقطعونها قطعا صغيرة يوجرونها للفلاحين ويقوم الفلاحون بزراعتها على الطرق القديمة البالية . ثم ان هؤلاء الملاكين لا يستطيعون ان يديروا هذه المقاطعات الواسعة التي تحت تصرفهم ولا يتمكنون من ايجاد الايدي العاملة لزراعتها بكاملها وعلى هذا تبقى مساحات واسعة منها غامرة . وهذه الملكيات الكبيرة قد خلقت طبقة متنفذة في البلاد تعتبر نفسها فوق الحكومة والقانون ، ان لم تستخدم الحكومة والقانون في تنفيذ ماربها . اي نفوذ يبقى للحكومة في مقاطعة تبلغ مساحتها ربع مساحة الجمهورية اللبنانية باسرها ويملكها شخص واحد ويسيطر على ما فيها من فلاحين سيطرة مطلقة ؟؟ يضاف الى هذا انه لا يمكن ايجاد سياسة قويمة للري في ظل هذه الملكيات الكبيرة لان هؤلاء الملاكين بحكم نفوذهم في دوائر الدولة يستطيعون ان يتصرفوا بالمياه كما يشاؤون وفي احيان كثيرة ياخذون ما يزيد عن حاجاتهم من المياه فيسبب ذلك تراكم الاملاح في اراضيهم وحرمان اراضي المزارعين الاخرين من الماء كما يسبب كثيرا من القلاقل والاصطدامات المسلحة .

ان سياسة تسجيل الاراضي التي اتبعتها الحكومة العراقية في دوري الانتداب والاستقلال قد قوت نفوذ الملاكين الكبار وخلقت طبقة من الاقطاعيين تتحكم في مصائر البلاد وابقت جماهير الفلاحين محرومين من الارض لا يحسون رابطة تربطهم بها وهذا اضر الزراعة كثيرا . وقد اثارت هذه السياسة الخاطئة نقدا كثيرا حتى من قبل الرجال المسؤولين في الحكومة ومن قبل دوائر الحكومة نفسها . فقد جاء في التقرير السنوي الثالث عشر عن اعمال المصرف الزراعي العراقي لسنة ١٩٤٨ ـ ٤٩ ص ٢ ما يلي ((اننا لا نسير في سياسة توزيع الاراضي في كثير من الاحيان على خطة اعتبار الفلاح هو المحور الاقتصادي وهو المستثمر الفعلي للارض والقائم على استغلالها . ولذلك فلا يملك الارض التي يستغلها بل تملك الى غيره من المتنفذين وتملك عادة الى شيخ العشيرة او من المتنفذين من الملاكين . وقد ادت هذه الحالة الى تثبيت الاقطاع في بعض الجهات . ان السياسة المثلى التي يجب ان نسير عليها هي السياسة التي تستهدف تحقيق ما نسميه بالملكية الصغيرة او الملكية المتوسطة فضلا عن ضرورة تحديد حدين اعلى وادنى للملكية الزراعية ولا سيما عند

عند توزيع الاراضي الاميرية الصرفة . ان مشكلة الاراضي ان لم تحل وفق الاساليب الاقتصادية الصريحة فلا نظن ان في الامكان تحقيق شيء كثير مما نسميه الاصلاح الزراعي في البلاد (٥٠).

وتحت تاثير النقد لسياسة توزيع الاراضي والمطالبة بمساعدة الفلاحين الصغار قامت الحكومة بعدة محاولات لتوزيع الاراضي الاميرية الصرفة بعد استصلاحها على الفلاحين الصغار . فقد اعلنت الحكومة عن تقسيم اراضي "ابو غريب" و "الحويجة" على ان محاولة الحكومة لم تتعد الاسم فقد اصبحت هذه الاراضي تحت تصرف مشايخ العشائر المتوطنة فيها (٥١) وبعض المتنفذين من تجار المدن ورجال الحكومة . ثم شرعت قانون اعمار واستثمار اراضي الدجيلة رقم ٢٣ لسنة ١٩٤٥ . وتوزع اراضي الدجيلة حسب هذا القانون ، مجانا على كل مستثمر ليست له اية ارض اخرى لا تزيد عن عشرين مشارة وعليه ان يقوم بزراعتها واستثمارها والتصرف بمنتوجاتها الزراعية وفق تعليمات يعينها خبراء بالزراعة (٥٢) . ويجب ان لا تزيد مساحة كل قطعة على مائتي مشارة ولا تقل عن مائة مشارة . كما لا يحق للشخص ان يملك اكثر من قطعة واحدة (٥٣).

وقد تم تقسيم جزء من اراضي مشروع الدجيلة بعد مقاومة عنيفة ابداها الاقطاعيون تقدر مساحته بحوالي ٨٦,٢٠٠ مشارة موزعة على ٨٦٢ وحدة زراعية بنسبة ١٠٠ مشارة للمستثمر الواحد . وهنالك ٨٠٠ قطعة اخرى جاهزة فاذا تحقق استثمار جميع اراضي المشروع البالغة حوالي ٣,٠٠٠,٠٠٠ مشارة فستتمكن ثلاثون الف عائلة من التمتع بالارض وتنتج لحسابها الخاص . وعلى الرغم من قصر عمر هذا المشروع فقد دلت تجربته على سرعة تخلص الفلاح من ربقة الملاك بارتفاع مستوى الانتاج من جهة وزيادة دخل الفلاح من جهة اخرى (٥٤).

تنص المادة الحادية عشرة من قانون اعمار واستثمار اراضي الدجيلة المتقدم ذكره . "يطبق هذا القانون على الاراضي الاميرية المسيحية الاخرى التي تمت تسويتها في

---

(٥١) انظر الجندي ص ١٧

(٥٢) انظر نص هذه التعليمات في كتاب سوسة ص ١٩٦ ـ ٧

(٥٣) "قانون اعمار واستثمار اراضي الدجيلة رقم ٢٣ لسنة ١٩٤٥" المادتان الثالثة والرابعة. تجد نص القانون في كتاب الدكتور سوسة ص ١٩١ ـ ١٩٥

المناطق الاخرى وذلك بقرار من مجلس الوزراء زارا دة ملبكية . وقد طبق هذا القانون فعلا على اراضي الفرع الشرقي من مشروع الحويجة البالغ مساحته ١٤ــ٢٩٣٧٩ دونما وعلى اراضي الجازية وام الطليان الواقعة في لوائي كربلاء والحلة وعلى القطعة المرقمة (١) من المقاطعة ٣٧ بزايز اللطيفة الواقعة في لواء الكوت (٥٥) . وعلى غيرها من هذه الاراضي .

ان هذا التشريع كان يحل جزءاً مهما من مشكلة الاراضي فيما اذا وجدت حكومة تهتم بشؤون الفلاحين وتستطيع ان تقف بوجه محاولات الاقطاعيين الكبار للاستيلاء على الاراضي الاميرية وعرقلة توزيعها على الفلاحين الصغار . فقد حدث ان كثيرا من هذه الاراضي التي يقرر مجلس الوزراء توزيعها على صغار الفلاحين بحسب قانون اعمار واستثمار اراضي الدجيلة لا توزع عليهم فعلا بل توزع على الاقطاعيين وتجار المدن واغنيائها وبعض موظفي الدولة المتنفذين .

على ان توزيع الاراضي على الفلاحين الصغار وحده اذا تحقق فعلا لا يكفي ما لم تمدهم الحكومة بواسطة المصرف الزراعي بالقروض اللازمة لاعمار اراضيهم وزرعها حسب الخطة المرسومة والمصرف الزراعي كما سابين في الفصل القادم عاجز عن ذلك في حالته الحاضرة عن ان يسد حاجات الفلاحين لقلة راسماله . كما لا بد من العمل على تحديد الملكية الكبيرة واخذ قسم من هذه الملكيات الكبيرة وتوزيعها على الفلاحين مجاناً او باسعار مخفضة لان وجود هذه الملكيات الكبيرة التي بينت طبيعتها ودورها في عرقلة نمو الزراعة يشل توزيع الاراضي الاميرية الصرفة على الفلاحين الصغار . فالاقطاعيون لا يريدون ان يتحرر الفلاحون من سلطانهم ولا يرضيهم ان يستقلوا باراضيهم الخاصة لان ذلك يشجع فلاحيهم على المطالبة بتوزيع الاراضي ويحفزهم على ترك خدمتهم والاشتغال في اراضيهم فيحرم اراضيهم من الايدي العاملة الرخيصة ويحول دون استيلائهم على الاراضي الاميرية المستصلحة .

---

(٥٤) انظر الجندي ص١٧

(٥٥) انظر جريدة صدى الاهالي ٢٢ حزيران ١٩٥٠ ، العدد ٢٣٠ .

(د) حصة الفلاح من غلة الارض

تستغل معظم الاراضي الزراعية في العراق حسب نظام الايجار بالمحاصة . ويكون الايجار سنويا ويحق لصاحب الارض انهاؤه في نهاية اي موسم شاء . ويقتسم غلة الارض اربعة فرقاء . الحكومة ومالك الارض والسركال والفلاح .

تتالف حصة الحكومة من ضريبة اعتيادية ورسوم ري واجرة ارض كانت الضريبة تؤخذ عن جميع الاراضي على اختلاف اصنافها وهي عبارة عن عشر المحصول وقد ابدلت بعد نيسان ١٩٣٢ برسوم الاستهلاك . وتؤخذ رسوم الماء عن الاراضي التي تسقى سيحا (او تاخذ الماء من جداول الحكومة وتسمى هذه الضريبة بحق الماء) . ولا تتقاضى الحكومة رسوم الري عن الاراضي التي تسقى بالمطر او الالات الرافعة . واما اجرة الارض او حصة الملاكية فتتقاضاها الحكومة عن الاراضي الاميرية غير المفوضة وبنوع خاص عن الاراضي الممنوحة باللزمة . اما الاراضي الاميرية الصرف التي تؤجرها الحكومة للمستاجرين او الملتزمين فتحدد حصة الملاكية فيها بعقد ايجار . اما الاراضي المتروكة والموقوفة والمفوضة بالطابو فلا تتقاضى عنها الحكومة اجرة ارض . وتبلغ رسوم الماء عن الاراضي التي تسقى سيحا بصورة منتظمة عشرة بالمائة وبصورة غير منتظمة خمسة بالمائة - واجرة الارض على الاراضي السيحية او المطرية خمسة بالمائة وعلى الاراضي التي تسقى بالالات الرافعة ٢ او ١ بالمائة وذلك وفقا لعلو الرفع وبعد الارض عن السوق وغير ذلك . وعلى هذا فان مجموع حصة الحكومة من غلة الارض تتراوح بين ١٠ و ٢٥ بالمائة (٥٦) .

لا يوجد قانون ينظم قسمة الغلة بين الفلاح وصاحب الارض بل تخضع قسمة الغلة للعرف والعادة . ولكل منطقة طريقة خاصة في القسمة تبعا لصنف الارض ولنوع ملكيتها وخصوبتها وللجهة التي تجهز البذور والحيوانات ولطريقة الري (٥٧) وتتراوح حصة الملاك في المنطقة المطرية بعد اخراج حصة الحكومة بين ١٠ و ٢٠ بالمائة من الحاصل

---

(٥٦) انظر حمادة ص ١٤٦ - ٤٧ و ص ١٤٩

(٥٧) للاطلاع على طريقة قسمة الحاصل بين الملاك والفلاح والسركال بالتفصيل راجع حمادة ص ١٤٦ - ١٥١

واحمد فهمي ص ٧٧ - ٨١ والهاشمي ٢٢٧ - ٢٣١ . وما سأذكره من مراجع في هذا الفصل .

هذا اذا كان الفلاح نفسه يجهز البذور والحيوانات والالات ولوازم الزراعة الاخرى • اما اذا كان الفلاح يقدم قوة عمله والملاك يقدم البذور والحيوانات الخ •• فان الفلاح يحصل على نصف الغلة بعد دفع حصة الحكومة •

اما في المنطقة الاروائية اي في الوسط والجنوب، فان حصة الفلاح تتراوح بين ربع الغلة ونصفها • ففي مناطق دجلة، حيث يسود الري بالواسطة يعطى الفلاح نصف الحاصلات الشتوية بعد ان يؤخذ منه ضريبة لصاحب الارض تقدر باثنين ونصف في المائة من ناتج الحنطة والشعير اذا كانت الارض اميرية مؤجرة او ممنوحة باللزمة وخمسة بالمائة اذا كانت الارض مفوضة بالطابو • اما في مناطق الفرات، حيث يسود الري السيحي، فتقسم الحاصلات الشتوية بين الفلاح وصاحب الارض الى خمسة حصص ياخذ الفلاح حصتين وياخذ المالك ثلاث • اما الحاصلات الصيفية واهمها الرز فياخذ الفلاح ثلث المحصول وياخذ المالك ثلثيه وذلك بعد ان يترك من مجموع الناتج ضرائب محلية تجعل حصة الفلاح زهاء الربع لا الثلث من المنتوج (٥٨)

واما السركال فالمفروض نظريا انه ياخذ اجره من صاحب الارض • وتتراوح حصته بين سدس الناتج وعشره • وفي بعض المناطق يعطيه صاحب الارض بدل حصته من الغلة قطعة ارض تسمى الطلاعة ويجهزه بالبذور ويصبح من واجب الفلاح زرعها وتصفية حاصلها له دون مقابل (٥٩) واوردت الدكتورة وارينر (٦٠) الارقام التالية نموذجا لقسمة المحصول الزراعي في جنوب العراق •

حصة الحكومة	١٠ ٪
حصة الشيخ	٧،٥ ٪
حصة السركال	٢،٥ ٪
حصة الملاك (الشيخ او التاجر)	٤٠ ٪
حصة الفلاح	٤٠ ٪

---

(٥٨) انظر سوسة ص ١٧٢

(٥٩) انظر جواد ص ٤٩

(٦٠) ص ١١٤ — ٥

ويجب على الفلاح ان يدفع من حصته اجرة العنايقبالنهر او الجدول الذي يسقي المقاطعة وتتراوح هذه الاجرة بين ٢٠ و ٤٥ بالمائة من حصته . ولا يتمتع الفلاح بدخله هذا الضئيل خالصا ،ولا ينعم بثمرة كدحه طول العام ،بل يجب عليه ان يدفع ضرائب يفرضها العرف عليه . فهو يدفع حسب تقاليد المنطقة التي يزرع فيها ، حصة الحارس ،والديوان ،والوحاش ،والملا ،والكاتب ،والمومن . ويجب عليه ان يساعد الملاك مجاناً بما يعادل ثلاثة اشهر في السنة في نقل محاصيله الخاصة ،وبناء مسكنه وجمع الحطب ،والقيام بمداراة زرعه الخاص الذي يسمى " اشكارة " .ويسخر الفلاحون لتطهير الجداول ،وتعمير السدود اثناء الفيضان وهذا ما يسمى ب "الحشر " الى غير ذلك من الاعمال دون مقابل . وعلى كل فلاح ان يلبي دعوة الملاك اذا استغاثه في مصادمة مسلحة معشيرة اخرى او ملاك اخر ،او اذا قام بعصيان مسلح ضد الحكومة . (٦١) .

وتقدر حصة الفلاح في السنة من محاصيله الشتوية والصيفية بمبلغ يتراوح بين ٦ دنانير و ١٥ دينارا (٦٢) ولا يتجاوز عشرين دينارا بحال من الاحوال .(٦٣)

---

(٦١) انظر الجندي ص ١٠ ــ ١٢ وص ١٨ واحمد فهمي ص ٧٩

(٦٢) مظفر حسين جميل " سياسة العراق التجارية " (القاهرة ١٩٤٩) ص ٨٤ وساشير اليه بجميل .

(٦٣) الظاهر ،اقطاع ص ١٠٩ ويقول السيد محمود الجندي ص ٢٠ «يبلغ انتاج الفلاح العراقي حوالي ١٨٫٦ دينارا في السنة (يخرج من الانتاج حصة الملاك والضرائب) وقد قدرت اللجنة المالية في مجلس النواب سنة ١٩٤٥ في تقريرها عن لائحة قانون الميزانية ان معدل الدخل اليومي للفرد الواحد من العراقيين يتراوح بين العشرين والواحد والثلاثين فلسا اي بين السبعة دنانير وسبعمائة فلس والاحد عشر دينارا واربعمائة فلس سنوياً على اقوى الاحتمالات .»

(هـ) التسليف الزراعي

ان دخل الفلاح الضئيل من الزراعة لا يسد حاجته وحاجة اسرته طول العام ولا يكفي لتجهيز حقله بما يحتاجه من بذور وحيوانات ولذا فهو يعمد الى الاقتراض • وفائدة القروض مرتفعة جدا " فقد تبلغ في الاحوال الاعتيادية خمسين بالمائة وفي اوقات محل المواسم تتجاوز هذا المعدل كثيرا •" (٦٤) ويتعذر على المحتاج في بعض المناطق ان يحصل على قرض بفائض اقل من خمسة بالمائة شهريا وهذا عند المنصف من المرابين واما عند القساة فلا يقل عن عشرة بالمائة شهريا اي ان المائة دينار تصبح مائتين وعشرين دينارا بسنة واحدة (٦٥) •

ويقوم بعملية التسليف المرابون والمداينون المحترفون، وتجار الحبوب، وفي احيان كثيرة الشيوخ والسراكيل انفسهم حيث يقرضون فلاحيهم كميات من الحبوب يقتاتون بها طوال العام ويبذرون قسط منها وقليلا من النقود • وسرعان ما تكر السنة فيجد الفلاح نفسه عاجزا عن سداد الفائض فضلا عن المال الاصلي المقترض • فيبقى الدين تحت رحمة المدين ووطاة الهم الثقيل •

انشات الحكومة في سنة ١٩٣٦ "مصرف زراعي صناعي عراقي "غايته مساعدة الزراعة والصناعة • وقد انفصل المصرفان سنة ١٩٤٦ واصبح لكل منهما كيان خاص • وبلغ راسمال للمصرف الزراعي ٥٠٠٠٠٠ دينار (٦٦) وقد بلغت موجوداته في سنة ١٩٤٨ ــ ٤٩ (١٬٢٨٢٬٣٢٠) دينار (٦٧) ويقوم المصرف بوجه خاص بالاعمال الاتية : التسليف لنفقات الزراعة والحصاد والتسليف لشراء الالات الزراعيه والماشية والتسليف لاصلاح الاراضي واحيائها بتوصية من الدوائر المختصة والتسليف على المحصولات وبيع الالات الزراعية والماشية والاسمدة والبذور باقساط والتوسط في بيع المحصول

---

(٦٤) حمادة ص ٤٥٧

(٦٥) فارس ص ٥٩

(٦٦) قانون تاسيس المصرف الزراعي رقم ١٨ لسنة ١٩٤٠ والارادة الملكية المرقمة ٢٤٩ والمورخة ٢٦ ــ ٥ ــ ١٩٤٥ ونظامه رقم ٤٠ لسنة ١٩٤٧ وعقد تاسيسه ونظامه الداخلي (مطبعة الحكومة، بغداد، ١٩٤٦) ص ٢٧ وساشير اليه هذا المصدر بقانون المصرف الزراعي وبنظام المصرف الزراعي حسب مقتضى الحال •

(٦٧) التقرير السنوي الثالث عشر ١٩٤٨-٤٩ عن اعمال المصرف الزراعي العراقي ص ٥

الزراعية (٦٨) ولا يقل مقدار السلفة التي يمنحها المصرف لكل شخص عن ١٥ دينارا ولا يزيد عن ٣٠٠٠ دينار (٦٩) ولا يجوز ان يزيد اجل القرض عن عشر سنوات ولا يتجاوز اجل كل قسط سنة واحدة . على انه يجوز لمجلس الادارة تاجيل القسط اكثر من مرة على ان لا تتجاوز مدة التاجيل سنتين من تاريخ استحقاق القسط (٧٠) ويتم التسليف لقاء ضمان مالي منقول او غير منقول على انه يجوز اقراض الزراع من اهالي الناحية الواحدة بكفالة متسلسلة مبلغا لا يتجاوز مائة دينار عدا الجمعيات التعاونية ، للشخص الواحد منهم على ان لا يقل عدد المستقرضين المتضامنين بسند واحد عن ثلاثة اشخاص كما يجوز اقراض احد الزراع بكفالة زراعيين اخرين من ناحية واحدة مبلغا لا يتجاوز مائة دينار على ان لا يقبل كفالة التسلسلة ان يستعمل المبلغ لنفقات الزرع حصرا (٧١) . اسس المصرف فروعا في البصرة والكوت والموصل وكركوك والسليمانية لتسهيل تسليف المزارعين البعيدين عن مركز الادارة . وقد قام هذا المصرف باعمال تسليف ~~المزارعين~~ لا باس بها منذ تاسيسه . فقد سلف في سنة ١٩٤٨ — ٤٩ فقط مبلغ ٤٩٩٢١٠ دينار . وكان مجموع المبالغ المسلفة حتى نهاية تلك السنة ١٤٠ ، ٧٦٨ دينار . ان مدة العشر سنوات وهي الحد الاعلى لاجال الدين لايفاء السلفات التاهيلية اي لاسكان افراد العشائر والسلفات لاغراض التشجير واحياء الاراضي احياء هاما قصيرة اذ انه في حالات كهذه يستوفي الدين من ارباح الاموال المستثمرة وارباح عشر سنوات لا تكفي عادة لايفاء ديون كبيرة مع فوائدها (٧٢) . ثم ان المبالغ المقرضة لقاء الكفالات المتسلسلة التي يقصد منها مساعدة صغار المزارعين قليلة جدا لا تساعدهم مساعدة فعالة في اعمار مزارعهم . ولكن الذي يؤخذ على هذا المصرف هو انه يعنى بالمزارعين الكبار اكثر من عنايته بصغار المزارعين والفلاحين . فالمبالغ المقرضة الى المزارعين الصغار قليلة جدا اذا ما قيست بالمبالغ الكبيرة المعطاة الى المزارعين الكبار (٧٣) . رغم ان حاجتهم الى المال اشد من حاجة هؤلاء .

(هامش مكتوب بخط اليد: للشخص الواحد ولا ان تقرض اكثر من مرة واحدة ، ويشترط في القرض بالكفالة)

---

(٦٨) قانون المصرف الزراعي ص ١ — ٢ المادة الثانية

(٦٩) نظام المصرف الزراعي ص ١١ المادة الثالثة

(٧٠) المصدر السابق المادة الخامسة

(٧١) المصدر السابق المادة الخامسة فقرة ا و ب ص ١٧

(٧٢) ~~المصدر السابق المادة الخامسة لنظام المصرف~~ ~~مادة ص ٤٥٢~~ ورد هذا النقد لنظام المصرف الاستاذ

(٧٣) للتأيد من هذه الحقيقة راجع الجدول الذي يبين معاملات السلفات الزراعية المنجزة سنة ١٩٤٧ المنشور في التقرير الثاني عشر عن اعمال المصرف الزراعي ص ١٦ والجدول المنشور في التقرير الثالث عشر عن اعمال المصرف الزراعي ص ١٣

اما حجة المصرف بانه "يقدم بعض المساعدات الى قسم من الزراع الكبار او متوسطيهم باعتبار ان هؤلاء انما يستلفون لتقديم المساعدات اللازمة الى الفلاحين الذين يشتغلون في اراضيهم فيكون المصرف والحالة هذه قد ساعد الزارع الصغير ايضا ولكن بطريقة غير مباشرة»(٧٤) • فحجة ضعيفة متهافتة لاننا نعرف باي فائض مرتفع يقرض هؤلاء الزراع الكبار فلاحيهم •

ان هذا المصرف هو نواة حسنة للاعمار الزراعي في البلاد ، ولكنه برأسماله هذا الضئيل لا يستطيع ان يقدم الا خدمات ضئيلة للزراعة ، ولا يستطيع ان يخفف الا ضائقة عدد قليل جدا من الزراع والفلاحين كما يتبين من معاملات التسليف التي قام بها • وقد اضطر الى ايقاف التسليف في سنة ١٩٤٨ لنفاد ما عنده من المال • والى ان يجعل راسمال هذا المصرف ثانيا لاقراض عدد كبير من الفلاحين والزراع ستبقى جماهير الفلاحين الكادحة عرضة لنهب المرابين الجشعين والسراكيل والشيوخ -«ان المصرف الزراعي يجب ان يكون الدعامة الاولى والرئيسية للائتمان الزراعي في البلاد • لا ان يترك الزارع سواء كان في المدن او في القرى والارياف فريسة للدائنين والمرابين الذين لا يقومون بالاقراض الا بفوائد مرتفعة بحيث تكبل المزارع بقيود ثقيلة يندر ان يفلت منها فيما بعد ليستفيد من اتعابه وارباحه ويتمتع بحريته الاقتصادية»•(٧٥)

---

(٧٤) المصدر السابق ص ٢

(٧٥) المصدر السابق ص ٢

(و) تـنـــانة الديـــن

كانت حقوق وواجبات كل من صاحب الارض والسركال والفلاح فيما يتعلق بادارة شوؤن المزرعة عائمة ، غير صريحة . وكانت سببا لمشاكل ومنازعات عديدة . فاصدرت الحكومة قانون (حقوق) وواجبات الزراع رقم ٢٨ لسنة ١٩٣٣ .

صاحب المزرعة هو المدير للارض التي تحت تسقامه وادارته وهو المسوول عن تعيين مقدار البذور الواجب زرعها او المساحة التي تخصص لها ، وافراز الاراضي الصالحة لزراعة نوع من انواع البذور ، وتنسيب القسم الذي يزرع منها في فصل معين وتخطيط اقنية السقي واتجاهاتها وكيفية تفرعها ، وتعيين اوقات الحرث واساليبه المعتاده ، واختيار اجناس البذور وانواعها على ان لا يمنع الفلاح من زرع ما يكفي لمعيشته من الحبوب . وتقنين اوقات السقي وكيفية توزيع المياه بين اقسام الارض بشرط مراعاة الحاجة والعدالة بين هذه الاقسام وتعيين مواعيد الحصاد والقص واللقط والقطف والدراسة والتذرية (٧٦) . ويقوم السركال بتوجيه الفلاحين الى كل عمل يقتضيه نوع الزراعة واسلوبه ونجاح نتاجه ومحافظة ذلك النتاج ومراقبة اعمال الفلاحين (٧٧) . وعلى الفلاح ان يزرع المزروعات المقرر زرعها في الارض ويسعى في انمائها ، والمحافظة عليها وجمعها ونقلها داخل المزرعة الى الاماكن المخصصة لها ، وان ينفذ الترتيبات والمقررات الصادرة من صاحب المزرعة او السركال وان يقوم بالعمل اللازم وفق هذه الاوامر وفي الاوقات المعينة لها ، وان يسعى لدرء الافات الطبيعية او الارضية او التجاوزات الضارة بالزرع بأي وجه كان [illegible] واخبار السركال او صاحب الارض عن وقوع هذه الافات والتجاوزات من غير تاخير (٧٨) وعلى الفلاح ان يعمل في سبيل الحيلولة دون حصول او توسع خطر آفة طبيعية او ارضية وفي اصلاح الطرق والمحافظة على السداد الموجودة في المنطقة التي تحت ادارة السركال الذي يعمل تحت اشرافه . (٧٩) . واذا ثبت على السركال او الفلاح انه اهمل او قصر او خالف عن قصد ، ونشا من ذلك ضرر في الزرع فيلزم السركال او الفلاح بتعويض الضرر الحادث ، واذا ثبت ان السركال او الفلاح

---

(٧٦) من لائحة قانون حقوق ووجبات الزراع ( ) لسنة ١٩٣٣ مادة ٣

(٧٧) المصدر السابق مادة ٥ فقرة ب

(٧٨) المصدر نفسه مادة ٩ فقرة ا ، ب ، ج

(٧٩) المصدر نفسه مادة ٩ فقرة د ، ومادة ٧ فقرة ا ، ب

كرر الاعمال المذكورة اعلاه عن قصد خلال سنة زراعية واحدة او انه تقصد اضرار المزرعة فلصاحب المزرعة ان يفصله عن السركلة او الفلاحة ويخرجه من المزرعة (٨٠)

على ان اهم ما في هذا القانون هو احكام الدين الزراعي • والدين الزراعي هو الذي ما يدفعه صاحب المزرعة الى السركال او الفلاح من البذور وحيوانات الكراب والآلات الخاصة بالزراعة او اثمانها وكذلك ما يدفعه اليه بصورة القرض من الحاجيات والنقود للحاجيات المذكورة خلال مدة اشتغاله في المزرعة • والمبالغ التي يسددها صاحب المزرعة لقاء دين سابق للسركال والفلاح ، وجميع المبالغ التي صرفها صاحب العمل عند اثباته بانه صرفها لانجاز او اكمال عمل هو من واجب الفلاح او السركال وامتنع عن القيام به (٨١) • ويعتبر الدين الزراعي ممتازاً على غيره من الديون عند استيفائه من اموال السركال او الفلاح ما عدا ما للحكومة من حصة او ضريبة على المزرعة (٨٢) • وعندما يستوفي الدين الزراعي من اموال السركال او الفلاح يجب ان يحتفظ له بما يلزم من حيوانات ومن حاجيات المعيشة لموسم واحد كذلك ما يلزمه من حيوانات الكراب والالات والادوات الزراعية فيما اذا تعهد بالبقاء في مزرعة الدائن والقيام بواجبات السركلة او الفلاحة فيها مواسم زراعية اخرى (٨٣) • ويجب على صاحب مزرعة يستخدم سركالا او فلاحا ان يتأكد بان السركال او الفلاح غير مدين بدين زراعي لصاحب مزرعة قد سبق مباشرة باستخدامه • واذا علم بوجود هذا الدين واصر على ابقائه فيكون كفيلا مطلقا عن السركال او الفلاح من اجل الدين الزراعي الطار الذكر • ولا يسوغ لاية دائرة حكومية او بلدية او شركة مسجلة ان تستخدم اي شخص مع علمها بانه مدين بدين زراعي • واذا تحقق لديها فيما بعد ان الشخص المذكور الذي استخدمه مدين بدين زراعي فعليها ان تحجز ثلث راتبه او اجوره او ثلث المنافع المخصصة له لقاء ذلك الدين مدة بقائه في خدمتها وتدفعه لصاحب المزرعة تسديدا لدينه الزراعي • (٨٤)

---

(٨٠) المصدر نفسه مادة ١٨

(٨١) المصدر نفسه مادة ١٠ فقرة ا ،ج ،ب

(٨٢) المصدر نفسه مادة ١٢

(٨٣) المصدر نفسه مادة ١٣ والخط من وضعي

(٨٤) المصدر نفسه مادة ١٥ فقرة ب والخط من وضعي

لقد وضع هذا القانون الفلاح تحت رحمة الملاك ، وجعل منه آلة بشرية مسخرة له ٠كما ان دخله الضئيل لا يمكنه من تسديد ما عليه من دين للملاك ، يضطر للاستدانة من جديد ، فتتراكم عليه الديون وفوائد الديون ويصبح قنا ملازما للارض لا يستطيع براحها ، مهما قسى عليه الملاك في المعاملة ومنها امعن في استغلاله لان القانون لا يجيز له ترك الارض قبل تسديد ما عليه من دين لصاحبها اي لا يستطيع التحرر من عبوديته للملاك ابدا ٠ ((وهكذا نشأ نوع خاص من القنانة ، هو قنانة الدين ، حيث يستطيع الملاك الذي يحتاج للعمال ، ان يسلف فلاحي قرية بكاملها او عدة قرى فينال بذلك حق المطالبة بنقل هؤلاء العمال الزراعيين الذين "حررهم" من ديونهم الى ارضه)) (٨٥)

الفصـــــل الثالـــــث

الصنـاعـــة

اهميـــة الصناعة تذهب كل سنة عشرات الملايين من الدنانير الى الخارج لقاء بضائع يمكن انتاجها في البلاد نفسها ٠ ولكن صادرات العراق اقل من وارداته نجد ان الميزان التجاري مختلا ابدا لغير صالحه ٠ ولو كانت الصناعة العراقية متقدمة لامكن تلافي هذا الامر ولبقيت البلاد محتفظة بجزء كبير من ثروتها ٠

ان معظم ما يصدره العراق من المواد الاولية كالصوف والقطن ، والجلود و يبيعه باسعار واطئة يعود اليه بشكل بضائع مصنوعة مرتفعة الاسعار ٠ ان تقدم الصناعة الالية الكبيرة في البلاد هو احد العوامل الاساسية التي يتوقف عليها تطور البلاد وارتفاع مستوى معيشة الشعب وزيادة واردات الدولة ٠

ان انشاء الصناعات الالية الحديثة يوفر العمل لالاف الشبان المتعلمين الذين يتزاحمون على وظائف الدولة وما يكادون يجدون عملا فيها ولالاف الحرفيين الذين ما تكاد حرفهم وصنائعهم تدر عليهم ما يسد الرمق ، وتيسر العمل للكثيرين

---

(٨٥) وارينر ص ١١٥

من سكان المدن في الحديد من الخدمات الوسيطة كالتجارة ، والنقل ، والبيع بالمفرق ، والاعمال الحسابية والكتابية وغيرها • وسيؤدي ارتفاع دخل العمال الى رفع مستوى حياة اكثرية السكان في المدن ، ومن ثم الى رفع دخل الفلاحين عموما ، وتنشيط الزراعة •

هي التي تحدد مستوى الاجور العام في البلاد . ولما كانت الصناعة الاساسية

ان الاجور التي تدفعها الصناعة الاساسية/في العراق هي الزراعة ، ولما كان دخل الفلاح او العامل الزراعي واطئا ، كما هي الحال في معظم البلاد التي اساسها الاقتصادي هو الزراعة ، كان دخل العمال واطئا بالتبعية • فاذا ما تغيرت الحال وتقدمت الصناعة الالية الحديثة في البلاد فستكون هي الصناعة الرئيسية او هي الصناعة الرئيسية الثانية على اقل تقدير فتؤدي الى رفع دخل الفلاح بالضرورة لان اصحاب الاراضي يواجهون عند ذاك امرين : زيادة حصة الفلاح من غلة الارض ان كان شريكا في الانتاج ورفع اجوره ان كان عاملا زراعيا اجيرا ، او مجابهة هجرة الفلاحين الى المدن حيث الاجور مرتفعة نسبيا . ومن جهة ثانية فان ارتفاع مستوى الحياة في المدن وزيادة قوة الناس الشرائية ستزيد الطلب على منتوجات الريف فيؤدي ذلك الى رفع اسعاره ومن ثم الى رفع دخل الفلاح •

الصناعة الالية الكبيرة تنشط الزراعة لانها تستهلك القسم الاكبر من الانتاج الزراعي القائم الان ، وتوجه الزراع الى زراعة المحاصيل المختلفة التي لا تزرع الان لعدم وجود اسواق محلية لها • وهذا كله يؤدي الى رفع مستوى الانتاج الزراعي الذي يجنى منه الزراع دخلا واطئا في الاسواق العالمية اذا صدر نظرا لتاخر صدوره الى هذه الاسواق ، وارادة نرهه لتاخر انتاجه الذي يعتمد على الالات البدائية ، ولصعوبة المواصلات وارتفاع تكاليف الشحن • لقد نجحت زراعة الكتان من اجل اليافه نجاحا باهرا ولكنها اهملت لعدم وجود معامل خاصة تستخرج الياف الكتان بالطرق الفنية وتقوم بنسجها • ونجحت تربية دود القز نجاحا جيدا في بعقوبة والرستمية حتى فاض المنتوج من الحرير الطبيعي ، عام ١٩٢٤ ، عن الحاجة المحلية ولكن عدم وجود معمل لنسج الحرير ادى الى اهمال تربية دود القز اهمالا تاما • وقد قامت مديرية الابحاث الصناعية بتجارب عديدة اثبتت نجاح زراعة انواع من البنجر تصلح لصنع السكر • ان تاسيس معمل لصناعة السكر بالاضافة الى كونه يوجد عملا

للعديد من الناس، ويوفر على البلاد ملايين الدنانير تنفق كل سنة على هذه المادة الحيوية، يضيف الى منتجات البلاد الزراعية مادة جديدة مرتفعة السعر تزيد من دخل المزارع وترفع من مستواه . هذا الى جانب ما يستفاد من بقايا البنجر في تغذية الماشية، وتسميد الارض . " ان تقدم الزراعة التي تكوّن في الوقت الحاضر الصناعة الرئيسية في الشرق الاوسط والتي ستبقى كذلك في المستقبل في اغلب الظن، تقدما فعالا يتطلب مساندة الصناعات الاخرى المساعدة للزراعة والتي تستمد منها موادها الخام . وبالاضافة الى هذا فان هذه الصناعات توجد اقتصادا متوازنا في البلاد وتوفر العمل للسكان المتزايدين ابدا وعلى الاخص في المناطق التي ترتفع فيها نسبة كثافة السكان بالنسبة للاراضي القابلة للزراعة"(١).

امكانية قيام الصناعة في العراق :

يختص كل قطر من اقطار العالم بانواع معينة من الصناعات الكبيرة المهمة وذلك بحسب ما يتوفر في ذلك البلد من امكانيات تجعل من تلك الصناعات مشاريع مربحة . وفي العراق امكانيات لقيام عدد من الصناعات الاساسية التي تحتاجها البلاد حاجة ماسة . والصناعات التي يمكن ان تقوم في البلاد هي الصناعات التي تعتمد على المنتوجات الزراعية والحيوانية كصناعة الغزل والنسيج، والدباغة، والاحذية والسكاير، والدبس، والكحول، والزيوت النباتية، والصابون، والكبريت، والسكر، ومنتوجات الالبان والاسمدة الكيماوية والورق، وغيرها، وذلك لتوفر عدد من العوامل اهمها المواد الخام كالقطن، والصوف، والجلود، والحليب، والتمر، والتبغ، والخشب، وامكانية زراعة البنجر السكري والكتان، والسمسم، زراعة واسعة، وتوفر الايدي العاملة الرخيصة التي تجعل تكاليف الانتاج واطئة . واخيرا ازدياد الطلب على المنتوجات الصناعية، وخاصة في المدن التي اخذ سكانها يزدادون ومستوى معيشتهم يرتفع .

العوامل التي تبطئ تطور الصناعة :

على انه توجد عوامل عديدة كانت تحول دون قيام الصناعات الالية الكبيرة في البلاد، ولا يزال بعضها فعالا في وقتنا هذا الحاضر، بحيث يعيق انشاء الصناعات او يبطئ تطورها على اقل تقدير . ان قيام الصناعات الالية الكبيرة يتوقف على عوامل عديدة

---

(١) تقرير هيئة الامم المتحدة القسم الثاني، ص ٩

اهمها توفر راس المال وتيسر الحصول على الآلات ووجود طبقة من العمال الفنيين الماهرين والمديرين المجربين ، وخلو السوق المحلية من البضائع الاجنبية الجيدة الرخيصة التي تزاحم منتوجات البلاد الصناعية الناشئة واخيرا وجود الطلب على هذه المنتوجات .

يحتاج قيام الصناعات الالية الكبيرة الى رؤوس اموال ضخمة . وهذه الاموال الضخمة يحصل عليها مما يوفره الناس في المصارف او ما يقدمه الافراد المثرون . ولما كان الدخل العام في البلاد واطئا ولما كان دخل معظم الافراد ما يكاد يسد حاجات معيشتهم فان مستوى التوفير واطئ جدا لا يستطيع ان يمد الصناعات الكبيرة والمشاريع الاقتصادية الاخرى . وبالاضافة الى هذا فان ثروة البلاد متجمعة بيد افراد قليلين وهؤلا الافراد ينفقون معظم دخلهم على وسائل الترف وبضائع الاستهلاك ويفضلون ان يقرضوا الباقي قروضا خصوصية تدر عليهم فائضا مرتفعا بدلا من ان يوظفوها في المصارف ويتقاضون عليها فائضا واطئا محدودا او ان يثمروها في التجارة وبناء العمارات بدلا من ان يثمروها في الصناعات التي يجهلون مستقبلها . على ان موقف اغنياء العراق قد تغير بالتدريج . فعندما اخذت اسعار المحاصيل الزراعية في الهبوط واخذ مركز المنتوجات الزراعية يتقلقل وعندما تاكد هؤلا الملاكون والتجار من الربح الوفير الذي تدره الصناعة اخذ قسم منهم يقبلون على انشاء المصانع بتؤدة وحذر قبيل الحرب العالمية الثانية وبهمة ونشاط منذ ابتداء الحرب وانقطاع واردات العراق من كثير من اصناف البضائع وان كان هذا الاقبال ضئيلا محدودا .

ومن العوامل التي تعرقل نمو الصناعة الوطنية قلة عدد العمال الماهرين . يقدر عدد العمال الصناعيين بين اربعين وخمسين الفا . وتبلغ نسبة العمال الماهرين ١٥ ٪ واشباه الماهرين نحو ٢٥ ٪ وما تبقى منهم من العمال غير الماهرين[٢] . ان انخفاض مستوى المهارة للعمال العراقيين هو نتيجة لحالتهم الصحية السيئة ولسوء تغذيتهم ، وفقرهم وجهلهم . اذ ان كفاءة العامل الصناعية تعتمد على عوامل عديدة اهمها قوة العامل الجسدية ومواظبته

---

(٢) جواد ص٧٢ ، ٧٥

على العمل ، ودرجة ما ناله من التعليم والتدريب الفني المهني ، والاحوال الصحية الجيدة ، ووجود وسائل الوقاية من الاخطار في المعامل ، واخيرا على ادارة المعمل ادارة صحيحة . ان معظم العمال العراقيين اميون ولم ينالوا من التدريب الفني الا اقله " ولهذا يلاحظ ان العمال في المعامل هم عبيد المكنة وليسوا اسيادا لها . فهم لا يفهمون الآلة ولهذا يساعدون على استهلاكها بسرعة دون قصد منهم على خلاف ما هو موجود في البلاد الصناعية الراقية حيث يجري تدريب العمال فنيا ". (٣) .

على ان قلة العمال الماهرين لا تشكل عائقا اساسيا يحول دون قيام الصناعة وتقدمها فبالامكان تعليم العمال وتدريبهم تدريبا فنيا في المعامل وفي دورات خاصة وفي المدارس الصناعية . وخلال الحرب احتاجت القوات البريطانية الى عمال ماهرين لمعاملها فقامت بفتح عدة مراكز لتدريب العمال تدريبا فنيا فاستطاعت ان تسد حاجتها من العمال خلال وقت قصير . ولقد استفاد العامل العراقي من هذه التجربة وزادت نسبة الماهرين واشباه الماهرين بين العمال . وبالامكان اعادة هذه التجربة على نطاق واسع على يد الحكومة او اصحاب المعامل والمشاريع الصناعية . ولا شك من اقبال العمال والشبان على هذه المدارس الصناعية ومراكز التدريب الفني اذا ما تيقنوا من الحصول على اعمال تدر عليهم دخلا جيدا . وما يقال عن قلة العمال الماهرين يصح على المديرين والمنظمين والخبراء . فالفنيون الوطنيون الذين يستطيعون ادارة المعامل وتنظيم العمل والاشراف على الالات اقلية ضئيلة ولكن هذا النقص يمكن سده بارسال البعوث من الشبان العراقيين الى اوروبا واميركا واستقدام الاجانب واستخدامهم موقتا حتى يتمكن العراقيون من الحلول محلهم . وهذا ما يجري في الوقت الحاضر وان كانت البعثات الفنية الى اوربا واميركا من الضآلة بحيث لا تبشر بمستقبل زاهر للصناعة العراقية .

ومما عاق تقدم الصناعة الوطنية في البلاد ولا يزال يعيقها مقاومة السلطات البريطانية لحركة التصنيع . " اننا نجد في الحقيقة انه في البلاد المشمولة بالانتداب وقف المراقبون الاجانب والدوائر الحكومية موقفا سلبيا واضحا ازاء اية اتجاهات ترمي الى اقامة الصناعة ...

---

(٣) جواد ص ٧٥

ان الدول الغربية لم تستطع ان تقبل فكرة قيام صناعات قومية ، اي مستقلة تقصر السوق على منتجاتها المعدة للاصدار»(٤) .

وكانت مقاومة الاستعمار للصناعة تتخذ اشكالا مختلفة فتارة باغراق السوق المحلية بالمنتوجات الاجنبية التي تزاحم المنتوجات الوطنية الناشئة وتقضي عليها ، وتارة بعرقلة استيراد معدات المعامل وتارة اخرى بعرقلة توسع هذه الصناعات وانتظام سيرها على يد الخبراء والفنيين المشرفين على المعامل او المنبثين في دوائر الحكومة المختلفة التي لها مساس بالصناعة (٥) .

ان تقدم الصناعة العراقية يتوقف الى حد كبير على تحسين الحالة في الريف العراقي . ولما كان السكان القرويون يوءلفون اغلبية سكان البلاد فان ازدياد دخلهم وارتفاع مستوى معيشتهم سيزيد الطلب على منتجات الصناعة القائمة الان ويهيء الفرصة لقيام صناعات اخرى . ان مساكن الفلاحين خالية من سرر للنوم ومن مناضد وكراسي ومن نوافذ الزجاج . فلو استطاع الفلاحون ان يوفروا اثمان هذه البضائع وغيرها من الادوات المنزلية العصرية لادى ذلك الى قيام مصانع للاسرة ولاتسعت صناعة النجارة والزجاج اتساعا عظيما ويكفل تشغيل عشرات الالوف من العمال .« والعمل المنظم على نشر التعليم وانشاء الموءسسات التعليمية يستدعي انتاج الورق وادوات الكتابة ، وطبع الكتب المدرسية وانشاء المباني المدرسية بمعداتها . ونرى حالة مشابهة اذا ما ادخلنا الخدمات الصحية والادوية والمستشفيات . والخلاصة انه حتى لو حدث ارتفاع متواضع في مستوى معيشة الفلاحين بحيث يقترب من الاحوال السائدة في اوربا فان هذا يفسح المجال امام زيادة في الانتاج الصناعي بالبلاد الشرقية تصل الى الملايين من الجنيهات .»(٦)

---

(٤) بونية ، الدولة والتنظيم الاقتصادي في الشرق الاوسط ص ٢٠٦ من الترجمة العربية و ص ٨٤-٥٠ من الاصل

(٥) يقول الدكتور مظفر حسين جميل ص ٥٧ «معارضة السلطات للاجراءات التي من شأنها المساس بمصالح بريطانية من قريب او بعيد واهم مظاهر ذلك عدم الاعتداد بمدى ضرورة السلع للاستهلاك عند تقرير رسوم الاستيراد ومعارضة الجهود التي ادت الى انشاء محلج الاقطان العراقي باعتباره قائما ضد محلج جمعية انماء القطن البريطانية » (هذه الفقرة ماخوذة من «تقرير خاص ص ٢١٦ » حاشية من المولف) وتمنع حصول معملي غزل الصوف ونسجه على معداتها من بريطانيا .») وراجع كذلك الجندي

الحكـــومة والصناعـــة الوطنيـــة :

ولكن الحكومة العراقية ادركت منذ نهاية فترة الاحتلال ضرورة تشجيع الصناعة فاصدرت في ١٦/ ٣/ ١٩٢٩ «قانون تشجيع المشاريع الصناعية رقم ١٤ لسنة ١٩٢٩ » وكان العجز المتوالي في الميزان التجاري والحاجة الى المشاريع الصناعية الحديثة التي يعوض انتاجها عن بعض مفردات تجارة الاستيراد هو الذي حدا بالحكومة الى استصدار هذا القانون . وقد عدل هذا القانون عدة مرات ليساير التطور الصناعة الوطنية (٧) . وينص هذا القانون على اعفاء الصناعات الالية التي توفر فيها شروط معينة من الرسوم الكمركية على الاتها المستوردة واعفائها من ضرائب الدخل والاملاك مدة معينة من الزمن (٨) . وتمتع نحو سبعين مشروعا صناعيا بالاعفاءات المنصوص عليها في هذا القانون (٩).

وقامت الحكومة بحماية بعض الصناعات الوطنية المهمة كالاحذية والكحول والسيكاير حماية مباشرة عن طريق زيادة رسوم الاستيراد على البضائع الاجنبية المماثلة لها وان كانت هذه الحماية ضيقة النطاق محدودة بحيث بقيت كثير من الصناعة الناشئة المهمة كالصابون والجلود والكبريت والمنسوجات الصوفية والحلويات معرضة لمزاحمة البضائع الاجنبية . (١٠) .

ص ٣٠ و ٣١ عن عرقلة الشركات البريطانية والفنيين المشرفين على الصناعات العراقية المرتبطين بهذه الشركات لكثير من المشاريع كصناعة غزل ونسج الاقطان العراقية وتاخير تنفيذ مشروع السمنت وتدمير معمل (الكوكوز) السكر الحنبي في الكاظمية . واضطر اكثر معامل الصابون والكبريت والزجاج الى ترك العمل

(٦) بونية الدولة والتنظيم في الشرق الاوسط ص ٣٢٩ من الترجمة العربية وص ٣٠٦ من الاصل.

(٧) عدل هذا القانون بالقوانين رقم ٤٥ لسنة ١٩٣٠ ، ورقم ٦٣ لسنة ١٩٣٦ ورقم ٢١ لسنة ١٩٣٩

(٨) انظر جهيل ص ٢٨٢ ـ ٨٨

(٩) انظر شهير يصري « مباحث في الاقتصاد العراقي » (بغداد ١٩٤٨) ، ص ١٥٥

واهتمت الحكومة بتنظيم التسليف الصناعي • فقد نص " قانون الاعمال العمرانية الرئيسية رقم ٧٩ لسنة ١٩٣١ " على تخصيص مبالغ لمساعدة الصنائع الاهلية وذلك بمدها بالسلف او المنح ، وفق شروط يعينها وزير المالية بموافقة مجلس الوزراء • وقد تكرر مثل هذا النص في قانون رقم ٣٩ لسنة ١٩٣٤ ومرسوم رقم ٢٨ لسنة ١٩٣٥ • وفي سنة ١٩٣٦ تم تاسيس المصرف الزراعي الصناعي •

وقد استقل المصرفان عن بعضهما في سنة ١٩٤٧ • وقد اصبح واجب المصرف الصناعي ،كما ينص على ذلك نظام المصرف رقم ٤١ لسنة ١٩٤٧،انهاض صناعة البلاد ومساعدتها ،وذلك عن طريق التسليف لاغراض انشاء المصانع او توسيعها او تحسينها ،والتوسط في استيراد المواد الاولية وتصدير المنتجات المصنوعة ، والتسليف على تلك المواد والمنتجات • ومن واجبات المصرف الاخر القيام بالمشاريع الصناعية بصورة مباشرة وتاليف شركات مساهمة ،والاشتراك في شركات صناعية قائمة (١١)

وقام هذا المصرف بتاسيس عدد من المشاريع الصناعية ،او اشترك في المساهمة بتاسيسها ،واهمها محلج القطن في العزيزية ،وشركة السمنت ،ويملك المصرف ١٢٠٠٠ سهم من اسهمها البالغة ٤٠,٠٠٠ سهم ،والتي يبلغ راسمالها ٤٠٠,٠٠٠ دينار ، وشركة استخراج الزيوت النباتية المحدودة ،ويملك المصرف ٣٠,٠٠٠ سهم من اسهمها البالغة ١٥٠,٠٠٠ سهم ، والتي يبلغ راسمالها ١٥٠,٠٠٠ دينار (١٢) وشركة تجارة القطن وطحن الحبوب العراقية المحدودة ،وقد اكتتب المصرف بالف سهم من اسهمها البالغة عشرة الاف ،والتي يبلغ راسمالها ١٠٠,٠٠٠ دينار ، وقد حظي المصرف في ٢٩ ـ ١٢ ـ ١٩٤٥ ، بموافقة الحكومة على تاليف شركة مساهمة تقوم بانشاء معمل لغزل القطن ونسجه • وقد اصبح تنفيذ هذا المشروع من اختصاص المصرف الصناعي • كما ان هذا المصرف يهتم بانشاء معمل لصناعة

---

(١٠) انظر جميل ص ٢٣٤ ـ ٢٤٤ وقد جاء في جريدة صدى الاهالي عدد ٤١٧ ٩ شباط ١٩٤٩ «طلبت مديرية الاموال المستوردة العامة من وزارة الاقتصاد دراسة موضوع انتاج الشخاط (الكبريت) في العراق والطرق التي تومن حماية هذا المنتوج دراسة شاملة واعلامها عن التدابير التي تراها الوزارة المذكورة ضرورية لزيادة الانتاج في المعامل الاربعة المنتجة له في العراق في الوقت الحاضر • ومنها معمل في الموصل ،وثلاثة معامل في بغداد وهي التي باشرت بانتاجها محلا• ومما ذكرته مديرية الاموال المستوردة بهذا الصدد ان في وسع تلك المعامل تامين حاجة العراق من الشخاط ولذلك فقد وجب حمايتها من الشخاط الاجنبي»•

الحليب ومستخرجاته كاللبن والزبدة والقشطة بالطرق العصرية الفنية وانشاء صناعة الكواني والجنفاص والسوتلي . (١٢)

وعلى الرغم من الخدمات النافعة التي يقدمها هذا المصرف للصناعة الوطنية فان اثره محدود النطاق . وذلك لقلة راسماله الذي لا يتعدى نصف المليون دينار والواجب يستلزم زيادة راسمال المصرف وذلك عن طريق اشراك رووس الاموال الاهلية فيه وبالاشتراك الفعلي في الموسسات الصناعية المهمة القائمة الان على اسس رصينة وفي خفض الفوائد التي يجنيها لقاء القروض التي يسلفها للمشاريع الصناعية تشجيعا للناس على الاقبال على استثمار رووس اموالهم وتوفيراتهم في الصناعة . وبهذا الصدد يكتب الدكتور مظفر جميل مقترحا (١٣) ولا يخرج واجب المصرف فيما يتعلق بالتسليف عما تقدم ذكره بشان التسليف الزراعي من ضرورة نبذ فكرة الاسترباح بل ان نبذ هذه الفكرة اشد ضرورة في مجال التسليف الصناعي باعتبار كون استثمار رووس الاموال في المشاريع الصناعية لا يزال محدودا في العراق من قبيل المظاهرات وباعتبار ان تشجيع هذا النوع من الاستثمار يقتضي تسهيلات استثنائية لتجهيز رووس الاموال الاضافية اللازمة لاقامة المصانع او ارتهما على ان المهمة الرئيسية في الظروف الحاضرة انما هي مهمة حشد رووس الاموال المتراكمة وتنظيم استثمارها . واسلم السبل المودية الى هذا الغرض ان تتبع اصول شركات الاقتصاد المختلط " . فيما يتعلق بكيان المصرف وفيما يتعلق بموسساته فيحول المصرف الى شركة مساهمة تحتفظ الحكومة في راسمالها بنسبة كافية لتحقيق اشرافها على اعمال مجلس الادارة ثم تولف الموسسة الجديدة شركات فرعية لمباشرة الانتاج الصناعي وتساهم في هذه الشركات بالقدر الذي يكفل لها الرقابة على اعماله رقابة مجدية . وبهذه الوسيلة يتيسر للدولة ان تشرف لقاء راسمالها في المصرف التالي على نحو من ثلاثة امثاله من رووس الاموال الاهلية وان تحقق التعاون بين المصالح والاموال العامة وبين المصالح والاموال الخاصة في ادارة الموسسات الصناعية وان تحسن

---

(١١) انظر جميل ص ٢٩٨ ـ ٢٩٩ وص ٥٨٩

(١٢) انظر التقرير السنوي العاشر عن اعمال المصرف الزراعي الصناعي (مطبعة الحكومة بغداد ١٩٤٧) ٩ ـ ٧

(١٣) ص ٥٩١ ـ ٥٩٢

استغلال الثروة المتراكمة باقامة صناعات رصينة وان تقرر ما يقتضي لهذه الصناعات من اعانات ومن حماية كمركية وهي على بينة من امر ملائمتها للصالح العام "».

في ٢٤ - ٦ - ١٩٣٥ اقر مجلس الوزراء تاسيس مديرية المباحث الصناعية واقر ربطها بوزارة الاقتصاد والمواصلات • ويشتمل منهاجها على الاعمال التالية :

١ - دراسة تاسيس الصناعات الجديدة التي تفتقر اليها البلاد والتي يمكن قيامها في البلاد •

٢ - دراسة الخامات الصناعية وتعيين مدى صلاحها للاستخدام في الانتاج الصناعي العصري ووضع مناهج لاصلاح خواصها الفنية ونتاجها باشكال محسنة •

٣ - العمل على ادخال الاساليب الفنية العصرية الى الصناعات الدراتية القائمة بالانتاج حاليا وتصنيع اساليبها القديمة وتطبيق احدث الاساليب فيها •

٤ - تقديم الارشاد الصناعي الفني لمن يرغب فيه من ذوي العلاقة بالصناعة الوطنية

٥ - مراقبة المؤسسات الصناعية من الناحية الفنية •

٦ - تدريب الموظفين الفنيين على الاعمال الفنية لمختلف الصناعات واعداد اخصائيين في فنون الصناعة من ابناء البلاد (١٤) •

وقد قامت هذه المديرية التي اصبح عنوانها "مديرية الصناعة العامة" والتي اضيف الى اعمالها تطبيق قانون تشجيع المشاريع الصناعية بخدمات مفيدة للصناعة الوطنية بما قدمت لها من نصائح وارشادات وما اجرت من تحاليل على المواد الاولية ومن تجارب للتاكد من نجاح بعض الصناعات • ولكن نطاق عملها محدود لضآلة مواردها المالية والتي لا تتجاوز الاحد عشر الف دينار في السنة (١٥) نرى من هذا ان توسيع هذه المؤسسة وزيادة مواردها المالية ضرورية لرقي الصناعة في البلاد •

---

(١٤) مديرية المباحث الصناعية، "المباحث الصناعية في عشر سنوات" (مطبعة الحكومة ، بغداد ، ١٩٤٦) ، ص ٢ - ٣

(١٥) جاء في معهد المباحث الصناعية، التقرير السنوي للسنة المالية ١٩٤٩ - ١٩٥٠ ، (بغداد ، ١٩٥٠) ما نصه "لم يتجاوز ما خصص للمعهد في ميزانية السنة ١٩٤٩ - ١٩٥٠ مبلغ احد عشر الف وخمسمائة دينار • فكانت وسائل العمل على قياس يتناسب وتلك الميزانية بطبيعة الحال • فلم يتعد ما صرف منها للاجهزة والالات والادوات والمواد الكيمائية لمختبرات المعهد ومعمله التجريبي ٢٣٠/٢٣٠٨ دنانير وما صرف رواتب للموظفين الفنيين ٧٥٥/٢٧٨٨ دينارا وما صرف اجورا للموظفين الموقتين والمستخدمين ٧٧٣/٢٧٦٤ دينارا وكان نصيب فصل الكتب والمراجع والمجلات الفنية الاختصاصية ٧٧٨/٢٠٠ دينارا" .

الصناعات اليدوية:

ان معظم الصناعات القائمة في البلاد هي الصناعات اليدوية الصغيرة تستخدم الواحدة منها الات بدائية بسيطة ، وتشغل عددا قليلا من العمال . والذي يعين وجود هذه الصناعات ويساعدها على البقاء هو مستوى معيشة الفلاحين الواطئ. فدخل الفلاح الضئيل يضطره على القيام ببعض الاعمال الصناعية البسيطة كعمل المحراث او تصليحه ، وقيام المراة الريفية بغزل الصوف او القطن وحياكة ملابس لافراد الاسرة وطحن الحبوب وخبزها وبناء البيت الخ .... ولما كانت حاجات الفلاح قليلة وبسيطة كان بامكان الحرفيين في القرية والمدينة ان يجهزوه بها . وقد خضعت الحرف اليدوية الى تاثيرات داخلية وخارجية عديدة اربكت احوالها وعطلت تقدم بعضها وقضت على كثيرمنها . فالبضائع الاجنبية التي غزت اسواق البلاد منذ نهاية الحرب العظمى الماضية ، وقيام المصانع الالية الحديثة في البلاد وارتفاع مستوى المعيشة في المدن قضى على بعض الحرف اليدوية المهمة كصناعة الحياكة والنسيج ، واستخراج الزيوت والكحول والاحذية والصابون والصفارة والدباغة او تقلل مراكز اكثرها على اقل تقدير . وقد اضطر قسم من الحرفيين الى ترك حرفهم نهائيا ، والاشتغال عمالا ماجورين في المعامل الالية الحديثة او الاشتغال في اعمال اخرى وبقي الاخرون محتفظين بحرفهم وان اخذت مداخيلهم تتضاءل وتقل . وقد استعادت بعض الحرف شيئا من مكانتها السابقة خلال الحرب العالمية الثانية لانقطاع البضائع الاجنبية عن الاسواق ولكنها عادت الى تضاؤلها وتاخرها منذ ان اخذت هذه البضائع تتدفق على الاسواق المحلية بعد استقرار السلام . وسيبقى قسم من هذه الحرف محتفظة بكيانها ما دامت الراسمالية الحديثة لا تجد الربح الكافي في احتلال محلها وما دامت طبقة الفلاحين محتفظة بمستوى عيشها باقية على اسلوب حياتها البدائي البسيط . والحق ان بعض الحرف وخاصة تلك التي كانت تسير بحسب تنظيم شبيه بتنظيم المصنع كالحدادة والنجارة والدباغة وصنع الاحذية ، تطورت خلال فترة ما بين الحربين وحسنت تنظيمها واستخدمت الالات الحديثة بحكم تزايد الطلب على منتجاتها الا ان هذه الصنائع محدودة العدد لا تولف الا جزء صغيرا من مجموع الصنايع اليدوية.

يقدر عدد الحرفيين بنحو ٤ بالمئة من مجموع السكان (١٦) ويختلف وضع الحرفيين

---

(١٦) افنار جواد ص٦٨

العالي باختلاف الحرف التي يمارسونها وباختلاف الوسط الذي يمارسون حرفهم فيه • اي ان دخلهم يعتمد على القوة الشرائية للطبقة التي تستهلك منتوجاتهم • (دونهم) ويمكن القول بصورة عامة بان نحو سبعين بالمائة من الحرفيين في مستوى معيشة منخفض وهم في ذلك يخضعون لمقدار القوة الشرائية المودعة بيد السكان الزراعيين والطبقة العاملة • وما تبقى منهم احسن حالا • وتقل النسبة كلما ارتفع الدخل وصارت الحرفة فنية كصياغة الذهب والفضة وعمل السجاد وغيرها» • (١٧) •

ان الحرف اليدوية لا تزال (غير) مقيدة بتشريعات العمل الحديثة فساعات العمل غير معينة والعامل يشتغل من الصباح الباكر حتى الغروب ولا يتمتع بعطلة اسبوعية او شهرية ولا ينال عن يوم انقطاعه عن العمل اجرة مهما كان سبب انقطاعه عن العمل • وتنعدم الشروط الصحية في المعمل • والحقيقة ان اكثر المعامل اليدوية غير صالحة للعمل • اما اجور العمال فواطئة ما تكاد تسد حاجاتهم الاساسية وهي تختلف بين حرفة واخرى وتعتمد على مقدار دخل صاحب العمل الذي يتوقف على مقدار الطلب على منتوجاته وعلى المقدرة الشرائية للطبقة التي تتعامل معه كما تقدم معنا •

الصناعـــة الالية الكبيرة :

الصناعة الالية حديثة النشأة في العراق • فقد بدأت في العقد الثالث من هذا القرن وسارت بخطى بطيوة متعثرة • ولكن تاسيس الصناعات الالية اخذ ينشط منذ الحرب العالمية الثانية نشاطا ظاهرا ، لانقطاع كثير من البضائع عن الورود الى الاسواق المحلية ، وتراكم الثروات الطائلة بايدي ملاكي الاراضي ، والتجار واسياد السوق المحلية السوداء • وقد تاسست منذ ذلك الحين صناعات عديدة نجح بعضها نجاحا ممتازا وتقلص بعضها الاخر او زال من الوجود نهائيا بفضل العوامل التي ذكرتها تحت عنوان العوامل التي تعرقل نمو الصناعة وبفضل عوامل اخرى اهمها : اساءة اختيار فروع الاستثمار الصالحة للبقاء في الظروف الدولية الاعتيادية وتعدد المشاريع الصغيرة والتهافت على تقليد فروع الانتاج الاكثر ربحا وعدم تحري الاسس الرصينة في الادارة والتنظيم وقيام بعض اصحاب هذه المشاريع بمهمة الممول والمنظم في ان واحد على قلة خبرتهم وضعف كفاءاتهم التنظيمية •

---

(١٧) المصدر السابق ص٧٠

وقد ادرك الناس خطورة الصناعة في الحياة الاقتصادية ،ولمسوا ما تدره من ارباح وفيرة فاقبلوا على الاكتتاب في المشاريع الصناعية ،كما اخذ بعض رجالات الدولة والمتنفذين فيها يشتركون في تاسيس الشركات الصناعية ٠ (١٨) وهذا تحول خطير في تاريخ الصناعة العراقية لان اشتراك رجال الحكم في الصناعة سيؤدي الى استغلال هؤلاء نفوذهم في الدولة لترقية شوون مصانعهم وفرض التشريعات والانظمة الملائمة للصناعة،وان كانت تضر الصالح العام،وسيؤدي الى زيادة اضطهاد العمال ،والحد من حرياتهم وتسخير جهاز الدولة لحرمانهم من حقوقهم واخصها حقهم في تاسيس نقابات لهم ، وحقهم في الاضراب مثلا ٠ وفيما يلي اهم المشاريع الصناعية القائمة في البلاد ٠

بلغ عدد المعامل ،التي تستفيد من قانون تشجيع الصناعات المحلية في عام ١٩٤٥ ٨٥ معملا موزعة على الشكل الاتي :

نوع الصناعة	عدد المعامل	نوع الصناعة	عدد المعامل
الطابوق (الاجر)	١٩	الغزل والنسيج	٧
الطباعة	٨	تقطير الكحول	٥
المطاحن	٦	الكبريت	٥
الصابون	٦	الدباغة	٤
الاحذية	٣	حلج القطن وكبسه	٣
القرميد	٣	صناعات اخرى مختلفة	١٥

(١٩)

---

(١٨) جاء في التقرير السنوي العاشر عن اعمال المصرف الزراعي الصناعي ص٥،ان راسمال شركة تجارة وطحن الحبوب العراقية المحدودة ٠٠٠ ر١٠٠ دينار موزع على ٠٠٠ ر١٠ سهم اكتتب المصرف ب ١٠ ٪ منها ،وقد دفعت من قيمة الاسهم كلها ٥٠ ٪ حتى الان ٠٠٠ ومن الجدير بالذكر ان اقبال الجمهور العراقي على اقتناء اسهم هذه الشركة كان اقبالا منقطع النظير ٠ اذ نفدت الاسهم في اقل من يوم منذ اعلانها ٠ ولا شك ان هذا يدل على رغبة الشعب في استثمار موارده وموازرة الشركات الوطنية "المساهمة ؟)

(١٩)،الشرق الاوسط،ص ٦٤٠

وفيما يلي جدول بانتاج بعض الصناعات التي تناولها الاحصاء للسنة المالية ١٩٤٨ ــ ٤٩ (٢٠)

الصناعة :	الناتج
١ ــ الغزل والنسيج	
الصوفي معملان	٤٤١٫٨٠٠ متر قماش
	٨٩٫٨٠٠ كيلو غزل
القطني: معمل واحد	٣٠٤٫٤٠٠ باوند قماش
	٣٦٠٫١٠٠ باوند غزل
٢ ــ الدباغة ثلاثة معامل	١٣٦٫٦٠٠ كيلو نعل
	٩١٤٫٤٠٠ قدم مربع وجه
٣ ــ الزيوت النباتية : معمل واحد	١٫٢١٠ طن زيت
	١٫١٠٠ طن كسبة
٤ ــ البيرة: معمل واحد	٥٤٥٫٤٠٠ لتر
٥ ــ الكحول ثلاثة معامل	٢٫٢١٦٫٢٠٠ لتر

وتنتج معامل السكاير في العراق ٥٠٠ مليون سكارة سنويا ، يصنع حوالي نصفها باليد والباقي تنتجه المعامل التي يوجد منها خمسة في بغداد تنتج جميعها ١٢٠٠ مليون سكارة في السنة . وينتج اكبر معمل للطابوق في بغداد مقدار ٤٠٫٠٠٠ طابوقة في اليوم (٢١) . وان معظم ما ينتج من الاحذية تصنع باليد ولكن هناك سبعة مصانع تشغل مكائن لصنع الاحذية تدار بالقوة الكهربائية . وان اوسع واكبر هذه المصانع السبعة يشغل ستين عاملا وينتج ثلاثين الف زوج من الاحذية في السنة (٢٢) .

---

(٢٠) تفضل بتزويدي بهذه الاحصائية سعادة الاستاذ شيت نعمان المدير العام لمديرية الصناعة العامة .

(٢١) الشرق الاوسط ، ص ٦٤٦

(٢٢) ف . هـ كامبل : الاحوال الاقتصادية والتجارية في العراق ، تعريب جريدة لواء الاستقلال ، بغداد ، عدد ٩٢١ ، ٨ اذار ١٩٥٠ .

تشريع العمل : اوجد تقدم الصناعة الالية الحديثة في البلاد طبقة من العمال اخذت في الازدياد نظرا لتوسع المشاريع الصناعية القائمة وتاسيس مشاريع جديدة . وقد استلزم وجود هذه الطبقة المهمة تشريع قانون يعين حقوقها بالنسبة لاصحاب المصانع ويحميها من استغلالهم ويعالج القضايا الناشئة من العمل . وقد صدر عام ١٩٣٦ قانون العمال رقم ٧٢ لسنة ١٩٣٦ ثم عدل سنة ١٩٤٢ ليكون اكثر تمشيا مع حاجات العمال وتطور الصناعة . وقد ضمن هذا القانون، على ما فيه من نقائص، كثيرا من حقوق العمال وعين طرق حصولهم على مطاليبهم . فقد حدد ساعات العمل اليومي بثماني ساعات وجعل الاستراحة الاسبوعية اجبارية ، ومنح العامل حق العطلات الاعتيادية على اساس يوم واحد في الشهر والمرضية اربعة ايام في كل ثلاثة اشهر ، ومنع تشغيل النساء والمراهقين ليلا وتشغيل الاحداث الذين هم دون الثانية عشرة في الصناعة . وقرر حق العامل في نيل تعويض عما يصيبه من عطل جسمي اثناء قيامه بالعمل وقد اعتبر هذا القانون تشكيل النقابات العمالية حقا من حقوق العمال وجعل الغاية منها العناية بشوون العمال وبث روح التعاون بينهم والسعي في السبل التهذيبية والثقافية والصحية والاجتماعية والاخلاقية ولترقية الصنائع في البلاد الى غير ذلك من المواد التي تتعلق بشوون العمال . ولكن هذا القانون بقي بصورة عامة حبرا على ورق دون ان تحاول الحكومة تطبيقه روحا ونصا . بل انها كانت وما زالت تحمي المخالفين له من اصحاب المصانع وتقاوم العمال الذين يناضلون في سبيل تطبيق هذا القانون الذي شرعته الحكومة نفسها . فتفتيش المعامل الذي ينص عليه هذا القانون نفسه بقصد الاطلاع على احوال العمال لم يكن له وجود .

وعندما تاسست اربع عشرة نقابة عمالية في عام ١٩٤٥، وغايتها السهر على مصالح العمال والنضال في سبيل تطبيق قانون العمال لم تلق من الحكومة اي تاييد . بل لقد كافحت الحكومة الحركة النقابية منذ قيامها واخذت تطارد زعماءها وقادتها فاغلقت سبعة منها وجمدت اعمال ثلاثة منها . وعطلت وزارة الداخلية هذا العام نقابة عمال النجارة بحجة ان هذه النقابة ايدت موتمر انصار السلم.

---

(٢٣) راجع عريضة الهيئة الادارية لنقابة عمال النجارة المنشورة في جريدة صدى الاهالي ، ٢٣ كانون الثاني ١٩٥٠، عدد ٤٠٢

الفصل الرابع

النفط

اتجهت انظار شركات النفط والدول الغربية ، الى نفط العراق منذ اواخر القرن التاسع عشر . ونشطت مختلف المساعي لنيل امتياز منابع هذه المنطقة الغنية بالبترول . وكانت كل من الحكومتين الالمانية والانكليزية تسعى للاستحواذ على منابع نفط العراق . وبعد مناورات طويلة ، مختلفة الاساليب ، ما بين شركة سكة حديد الاناضول الالمانية ، وشركة النفط الانكليزية الفارسية ، وشركة رويال دتش شل ، تالفت شركة النفط التركية المحدودة . وقد نالت هذه الشركة من الحكومة العثمانية ، بتدخل من الحكومتين الانكليزية والالمانية ، امتيازا باستثمار نفط ولايتي الموصل وبغداد وذلك في ٢٨ حزيران سنة ١٩١٤ . وكان توزيع حصص هذه الشركة على الصورة الاتية:

٥٠ ٪ لشركة النفط الانكليزية الفارسية .

٢٥ ٪ لدتش بنك الالماني

٢٥ ٪ لرويال دتش شل . (١)

على ان هذه الشركة لم تستطع ان تستغل المناطق الداخلية في امتيازها بسبب قيام الحرب العالمية الاولى . وبعد ان انتهت الحرب ، وتاسست الحكومة العراقية ، ورثت هذه الحكومة التزامات الحكومة العثمانية تجاه شركة النفط التركية ، وتحتم عليها تنفيذها . (٢)

ولكن انهزام المانية في الحرب ، وظهور الولايات المتحدة كقوة عالمية ، تريد مساهمة بريطانيا وفرنسا في اقتسام موارد العالم النفطية ، غير وضعية النفط في العراق ، ومن ثم غير تكوين شركة النفط التركية المحدودة .

---

(١) E.H. Davenport and Sidney Russell Cook, "The oil Trusts And Anglo-American Relations" (New York, 1924), P.P. 24 - 7

وساشير اليه بـ "ديفينبورت". وانظر كذلك حمادة ص ٨٦ — ٨٧ . وراشد البراوى ، "حرب البترول في الشرق الاوسط" (القاهرة ، الطبعة الثانية) ص ٣٨ — ٣٩ . ساشير اليه بـ "براوى"

(٢) انظر "تقرير خاص" ص ٢١٨ وكذلك المادة التاسعة من البروتوكول المتعلق ببعض الامتيازات الممنوحة في الامبراطورية العثمانية ، والموقع في لوزان في ١٤ تموز ١٩٢٣ والمنشور في "معاهدات الصلح" ج ٢ ص ١٠٤٩ .

في ٢٩ نيسان ١٩٢٠ عقدت اتفاقية نفط في سان ريمو بين فرنسا وانكلترا، تنص هذه الاتفاقية على وجوب اشراك فرنسا في نفط العراق ، وقيام فرنسا باجراء التسهيلات اللازمة في حالة نقل البترول الى البحر عبر سوريا ، وعلى اشراك الحكومة "الوطنية" في راسمال الشركة في حالة قيام شركة اهلية باستغلال نفط العراق . وتنص هذه الاتفاقية كذلك على ان الشركة المشار اليها ستكون تحت السيطرة البريطانية . وبناء على هذه الاتفاقية اعطيت الاسهم الالمانية الدائمة لفرنسا (٣) .

ولكن الشركات النفط الامركية لم تسكت عن احتكار الانكليز والفرنسيين لنفط العراق ، واخذت تطالب بنصيبها من نفط العراق حسب مبدا الباب المفتوح . وقد احتجت وزارة الخارجية الاميركية ، في عام ١٩٢٠ ، على فرنسا وانكلترا واتهمتها بخرق مبدا الباب المفتوح (٤) . وفي سنة ١٩٢٢ ، وبتدخل من وزارة الخارجية الامريكية ، منحت مجموعة من الشركات الامريكية نصف اسهم شركة النفط الانكليزية الايرانية ، مقابل حصة معينة تستلمها هذه الشركة كتعويض . وقد ابدت اربع عشرة شركة امريكية اهتماما بنفط العراق . على ان خمسة منها فقط وافقت على الاشتراك في تاليف مجموعة الشركات الامريكية التي تكون "شركة" ترقية الشرق الادنى"
"Near East Development Company"
على انه لم يبق في هذه المجموعة ، في الاخير ، غير شركتين فقط ، هما شركة "ستاندرد اويل اوف نيو جرسي" و "شركة سوكوني فاكوم" . (٥)

ومنذ سنة ١٩٢٣ اخذت شركة النفط التركية تفاوض الحكومة العراقية بشان تجديد امتيازها . وكانت المفاوضة طويلة ، شاقة ، لان الجانب الحكومي العراقي كان يطالب بان يكون للعراق حصة في راسمال الشركة ، كما تنص على ذلك اتفاقية سان ريمو . ولكن الحكومة العراقية ، وكانت تخضع في مقدراتها للمندوب السامي البريطاني ، حملت اخيرا على الاكتفاء بمقاضاة رسم مقطوع بصفة ربح (او "رويالتي" اي حصة ملاكية) .

---

(٣) انظر نص المواد ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ من اتفاقية سان ريمو المنشورة في ديفينبورت ص ٢٠٤ — ٢٠٥

(٤) انظر بونيه ، الدولة والتنظيم في الشرق الاوسط ، ص ٣١٠ — ٣١١ من الترجمة وص ٢٨٠ من الاصل . وانظر كذلك Raymond F. Mikesell and Hollis Chenery, "Arabian Oil", P. 12, and 44. (Chapel Hill, 1949),

سأشير إليه : النفط العربي

(5) Wallace E. Pratt and Dorothy Good, "World geography of Petroleum" (Princeton University Press, 1950) P. 180

سأشير إليه بـ "جغرافية البترول"

وفي ١٤ اذار ١٩٢٥ تم عقد اتفاقية بين الشركة والحكومة العراقية. وعدلت هذه الاتفاقية ، في ١٤ اذار ١٩٣١ ، ولا زالت نافذة المفعول حتى وقتنا هذا الحاضر. وقد تبدل اسم شركة النفط التركية المحدودة ، ابتداء من اليوم الثامن من شهر حزيران سنة ١٩٢٩ ، فاصبح شركة النفط العراقية المحدودة. وكانت حصص راس المال قد توزعت بصورة نهائية في ٣١ تموز سنة ١٩٢٨ كما يلي: (٦)

٢٣٫٧٥ ٪ . شركة النفط الانكليزية الايرانية.

٢٣٫٧٥ ٪ . جماعة رويال دتش شل

٢٣٫٧٥ ٪ . شركة ترقية الشرق الادنى

٢٣٫٧٥ ٪ . شركة النفط الفرنسية . (٧)

٥ ٪ . يملكها كولبنكيان

مدة هذه الاتفاقية ٧٥ سنة ابتداء من تاريخ عقدها . (٨) وتشتمل المنطقة المتعلقة بهذه المقاولة على جميع الاراضي الواقعة في ولايتي بغداد والموصل والتي تحدها ضفة دجلة الشرقية ، والحدود العراقية التركية ، والحدود العراقية الفارسية باستثناء المنطقة التي يشملها امتياز شركة نفط خانقين . (٩) وتبلغ مساحتها نحو ٣٢,٠٠٠ ميل مربع. واعطت هذه الاتفاقية للشركة صلاحيات واسعة منها انه يحق للشركة تاليف شركات فرعية اخرى وتكون الفروع متمتعة بجميع الحقوق والامتيازات الممنوحة للشركة. (١٠) وللشركة الحق بان تشغل من الاراضي في العراق ما يقتضي لاجل القيام باعمالها: أ) الاراضي الاميرية غير الصالحة للزراعة تؤجر للشركة لمدة هذه المقاولة ببدل اجارة قدره آنتان عن كل هكتار في السنة. (ب) الاراضي الاميرية الصالحة للزراعة تؤجر بشروط موافقة للحكومة. (ج) الاراضي غير الاميرية تستملك بالاتفاق بين الشركة والشخص صاحب الشأن ، واذا تعذر الاتفاق بينهما تعتبر الحكومة هذه الاراضي كأنها لازمة لاحد مشاريع المنافع العامة وتستملكها وفقا للقانون المرعي الاجراء آنئذ على ان تتحمل الشركة جميع النفقات الناتجة من ذلك بشرط ان لا يلتفت عند تعيين قيمة هذه الاراضي الى الغرض الذي قد تستعملها الشركة لاجله.

---

(٦) انظر برات ص ١٨٠ وكماده ص ٨٩.

(٧) تملك الحكومة الفرنسية ٣٥ ٪ من اسهم هذه الشركة. راجع "النفط العربي" ص ٤٥

(٨) شركة النفط العراقية المحدودة ، اتفاق معقود في ٢٤ آذار سنة ١٩٣١ لتعديل المقاولة المنعقدة في ١٤ آذار سنة ١٩٢٥ مع الحكومة العراقية (بغداد ، ١٩٣١) المادة ٢.

ويشترط كذلك ان تسجل الاراضي المستملكة من قبل الحكومة على هذا الوجه باسم الحكومة ولكن توضع تحت تصرف الشركة في اثناء مدة هذه المقاولة وذلك بلا مقابل (١١) ويحق للشركة انشاء وصيانة وتشغيل خطوط تلغراف وتلفون لقاء دفع ليرة انكليزية ذهبا في السنة، رسم اجارة شاملة (١٢) . كما يحق لها انشاء وتشغيل سكك حديد وطرق المواصلات الاخرى داخل حدود الشركة او على كل التخطيط الممتد من المنطقة المحدودة بطريق هيت الى خليج عكا او على اى قسم كان (١٣)

وتتعهد الشركة بان تدفع للحكومة العراقية بصورة منظمة قبل ٢٢ نيسان ١٩٣١ وفي اول كانون الثاني من كل سنة تالية حتى يبدا تصدير النفط بانتظام مبلغ ٤٠٠٫٠٠٠ ليرة انكليزية ذهبا كل سنة، ويعتبر نصف هذا المبلغ او ٢٠٠٫٠٠٠ ليرة ذهبية سلفة تستردها الشركة بلا فائدة من حصة الحكومة بشرط ان تزيد هذه الحصة عن ٤٠٠٫٠٠٠ ليرة انكليزية كحد ادنى (١٤) واما الـ ٢٠٠٫٠٠٠ الثانية فهي عبارة عن اجار مقطوع لا تسترده الشركة . وتتعهد الشركة بعد ابتداء الشحن بصورة منتظمة بدفع اربع شلنات ذهبا عن كل طن من النفط الخام ما عدا الغاز الطبيعي على انتاج لا يقل عن مليوني طن في السنة بشرط ان يكون في الامكان انتاج مثل هذا المقدار في موضع الامتياز، وهذا الشرط قابل للتعديل بعد انقضاء ٢٠ سنة من افتتاح خط الانابيب، وتدفع الشركة ١٥٫٠٠٠ ليرة انكليزية ذهبية عن كل مليون طن من الملايين الاربعة الاولى من النفط المصدر، و٢٠٫٠٠٠ ليرة ذهبية عن كل مليون طن بعد ذلك، مقابل الاعفاء عن الضرائب والرسوم الحكومية والبلدية . (١٥)

وتتعهد الشركة عند طلب الحكومة ذلك في خلال اثني عشر شهرا عقب الشروع في اصدار النقل او في خلال الشهر الذى يعقب ١٤ آذار ١٩٤٥ بان تنشيء بكل سرعة مناسبة مصفى في مكان تعينه الحكومة وتشغله الحكومة لسد حاجة العراق .

---

(٩) المصدر السابق المادة ٣
(١٠) المصدر السابق المادة ٣٣
(١١) المصدر السابق المادة ٢١
(١٢) المصدر السابق المادة ١٩
(١٣) المصدر السابق المادة ٢٠
(١٤) المصدر السابق المادة ١٠
(١٥) بعد مفاوضات دامت نحو سنتين بين الحكومات العراقية المتعاقبة في تلك الفترة وبين شركات النفط صاحبة الامتياز في العراق توصل الطرفان الى اتفاق خلاصته اولا: ان تلتجىء الحكومة العراقية للبت في قضية سعر الذهب

ويستوجب الكمية الكافية لسد هذه الحاجة ... وعند انقضاء ثلاثة اشهر على تسليم المصفى الكامل تنتهي على الفور عهود الشركة او شركة البيع وفق احكام المادتين ١٤ و ١٥ من هذه المقاولة. وينبغي ما امكن ان يكون مستخدمو الشركة في العراق من رعايا الحكومة اما المديرون والمهندسون والكيمياويون والحفارون وملاحظو العمال والميكانيكيون وغيرهم من العمال الفنيين والكتبة فيمكن استخدامهم من خارج العراق اذا لم يمكن ايجاد الاشخاص الاكفاء من هذه الانواع في العراق. ويشترط ان تقوم الشركة، بقدر ما يمكن عمليا ضمن المعقول وباقرب ما يمكن من الوقت، بتدريب العراقيين في هذه الاعمال. (١٧)

وقد اقمت الشركة انشاء خطين من الانابيب يصلان كركوك بحيفا وطرابلس. وقابلية هذين الخطين المشتركة تبلغ اربعة ملايين طن في السنة. وانشأت شركة النفط الانكليزية الايرانية وشركة شل مصفى في حيفا لتصفية حصتهما من النفط. وقد كمل هذا المصفى في الايام الاولى من الحرب العالمية الاخيرة. وقد وسع هذا المصفى حتى اصبح ذا قابلية على تصفية ٩٠،٠٠٠ برميل في اليوم. اما نفط طرابلس فيشحن الى مختلف المصافي في اوربا. وقد مد خطان اضافيان الى حيفا وطرابلس قطر كل منهما ١٦ بوصة.

شركة نفط خانقين

هذه الشركة فرع من شركة النفط الانكليزية الايرانية وقد تاسست حسب الاتفاقية المعقودة بين شركة النفط الانكليزية الايرانية والحكومة العراقية في ٣٠ آب عام ١٩٢٥. وتنص هذه الاتفاقية على ان مدة الامتياز سبعون سنة.

(تابع ١٥) الذى تدفع به حصة العراق من النفط اى لتقرير ما اذا كان يجب ان يدفع بالسعر الرسمي المعين من قبل الحكومة البريطانية ام بالسعر السائد في الاسواق الحرة. وثانيا ان تزاد حصة العراق من النفط من مقدارها الحاضر وهو ٤ شلنات ذهب الى الحد الاعلى وقدره ٦ شلنات ذهب ابتداء من سنة ١٩٥٠ بدلا من ابتدائها في سنة ١٩٥٤ كما تنص على ذلك الفقرة الثانية من المادة العاشرة من المقاولة المعقودة بين الحكومة العراقية وبين شركة نفط العراق. راجع تصريحات فخامة نورى السعيد عن المفاوضات الاخيرة بشان النفط" المنشور في جريدة صدى الاهالي، العدد ٢٦٧، بتاريخ ١١ آب ١٩٥٠. وانظر كذلك العدد ٢٦٨ من الجريدة نفسها

(١٦) المادة ١٤ الفقرة (٢) من مقاولة الحكومة وشركة نفط العراق

(١٧) المصدر السابق المادة ٢٩

وعلى انشاء مصفى للنفط في العراق لتصفية ما يحتاجه العراق من النفط ومشتقاته .
وفي ٢٤ ايار ١٩٢٦ عقدت بين الشركة والحكومة العراقية اتفاقية اخرى تنص على ان
تدفع الشركة للحكومة العراقية ربحا محدودا بدلا من اشتراكها في الارباح الذي نص عليه عقد
الامتياز الاصلي . وتدفع هذه الشركة للحكومة العراقية (رويالتي) قدره اربعة شلنات
ذهبا عن كل طن من النفط الخام . (١٨) وتشغل الشركة بقعة من الارض في لواء
ديالي مساحتها ٦٨٤ ميلا مربعا ، كانت قد حولت من ملكية ايران الى ملكية الدولة
العثمانية سنة ١٩١٣ فاصبحت تعرف باسم الاراضي المحولة . وقد اقامت شركة نفط
خانقين مصفى على نهر الوند قرب مدينة خانقين . وتم انشاء هذا المصفى سنة ١٩٢٧
ويبلغ المعدل السنوي للنفط الذي انتجته هذه الشركة في السنوات ١٩٣١ ـ ١٩٣٤
نحو ٧٦ الف طن . وقد حولت شركة نفط خانقين تعهداتها بشان بيع النفط في العراق
الى شركة "نفط الرافدين" وهي فرع من شركة نفط العراق .

<u>شركة ترقية النفط البريطانية (بي . او . دي .)</u> تاسست هذه الشركة في اوائل سنة
١٩٢٨ ، ونالت ، بحسب الاتفاقية المعقودة بينها وبين الحكومة العراقية والمؤرخة
في ٢١ نيسان ١٩٣٢ ، امتيازا باستثمار النفط في جميع الاراضي الواقعة غربي نهر
دجلة وشمالي خط العرض الثالث والثلاثين ، والتي تبلغ مساحتها ٤٦,٠٠٠ ميل
مربع . ومدة امتيازها ٧٥ سنة . (١٩) وتمتلكها الجماعة التي تكون شركة نفط العراق . (٢٠)
وتتعهد الشركة بان تعد الوسائل الكافية لنقل مليون طن نفط على الاقل في السنة
من المنطقة المحدودة الى ثغر بحري واقع على البحر المتوسط . كما تتعهد بالشروع
في اصدار النفط اصدارا منتظما خلال سبع سنوات ونصف من تاريخ هذا الاتفاق .
وباستثناء سنة الشروع في الاصدار يجب ان لا تقل الكمية الصادرة عن مليون طن في
كل سنة بشرط ان يتيسر للشركة ، بعد بذلها الجهود الوافية للحصول على الكمية
في المنطقة المحدودة وتسليمها في ثغر بحري واقع على البحر المتوسط . (٢١)

---

(١٨) انظر "تقرير خاص" ص ٢٢٢ وحمادة ص ٩٤
(١٩) وزارة الاقتصاد والمواصلات ، المقاولة المعقودة بين الحكومة العراقية وشركة
النفط (بي . او . دي) المحدودة في ٢٠ نيسان ١٩٣٢ ، (نسخة مكتوبة بالالة الكاتبة
في مكتبة الجامعة الامريكية في بيروت) ، مادة ٢
(٢٠) برات ص ١٧٨
(٢١) مقاولة الحكومة مع شركة (بي . او . دي) المادة ٦

وتتعهد الشركة بان تدفع للحكومة ٠٠٠ر١٠٠ ليرة انكليزية ذهبا في اول سنة ١٩٣٣
يزاد ٠٠٠ر٢٥ ليرة في اول كل سنة تالية حتى يبلغ ٠٠٠ر٢٠٠ ليرة ذهبية في
اول سنة ١٩٣٧ ، ويستمر على دفع المبلغ المذكور كل سنة بعد ذلك كايجار مقطوع
حتى يبدأ تصدير النفط بانتظام . كما تتعهد بان تدفع للحكومة ربحا (رويالتي) قدره
اربعة شلنات ذهبا عن كل طن من النفط الخام الذى تستخرجه الشركة على ان لا
يقل مجموع المبلغ المدفوع سنويا من ٠٠٠ر٢٠٠ ليرة ذهبية ، على ان يتيسر استخراج
ما لا يقل عن مليون طن سنويا . كما تتعهد بان تقدم للحكومة مجانا في فم البئر
عشرين في المئة من كل النفط الذى تستخرجه الشركة . (٢٢)

وتدفع الشركة ٠٠٠ر١٥ باون استرليني ذهبا عن كل مليون طن من الملايين
الاربعة الاولى من النفط المصدر ، و ٠٠٠ر٢٠ عن كل مليون طن بعد ذلك ، مقابل
الاعفاء من الضرائب والرسوم الحكومية والبلدية . وقد انشأت هذه الشركة ، في شهر
كانون اول ١٩٣٤ ، شركة خصوصية تحت اسم "شركة نفط الموصل".

وقد اثبتت الحفريات في القيارة على نهر دجلة ، وفي الساحة الواقعة بين الرمادى
وهيت على الفرات ، وجود كميات عظيمة من النفط . ولكن النفط الذى استخرج كان
ثقيل الوزن ، يحتوى على مقادير كبيرة من الكبريت بحيث وجد ان انتاجه غير مربح
عمليا . ولكن وجد في عام ١٩٣٩ ، في عين زالة الواقعة في شمال الموصل ، حقلا
للنفط من نوعية نفط كركوك ذاتها . (٢٣)

<u>شركة نفط البصرة المحدودة:</u> نالت هذه الشركة ، في ٣٠ تشرين الثاني سنة ١٩٣٨
امتيازا باستثمار النفط في جميع الاراضي العراقية التي لا تشملها امتيازات شركة نفط
خانقين ، وشركة نفط العراق ، وشركة ترقية النفط البريطانية . وتبلغ مساحة الاراضي
الداخلة في امتياز هذه الشركة ٠٠٠ر٩٣ ميل مربع . ومدة هذا الامتياز ٧٥
سنة . وتمتلك اسهمها الجماعة التي تكون شركة نفط العراق المحدودة (٢٤)
ولا تختلف شروط عقد هذه الشركة عن شروط عقد شركة انماء النفط البريطانية وعلى
هذا لا ارى حاجة لتفصيلها . وتستمر الحفريات الاستكشافية في هذه المنطقة .

---

(٢٢) المصدر السابق المادة ٢٧

(٢٣) برات ص ١٨٢

(٢٤) برات ص ١٧٨

وقد اثبت البئران اللذان بدئ بحفرهما في عام ١٩٤٧ في نهر عمر والزبير ، في عام ١٩٤٩ وجود كميات عظيمة من النفط في هذه المنطقة. وقد وجد ان نوعية النفط المستخرج من نهر عمر هي احسن نوعيات النفط المكتشفة في الشرق الادنى قاطبة. (٢٥)

بعد هذا العرض الموجز لتاريخ النفط في العراق اتقدم لتحليل الوضع الحاضر للنفط. ان اربعة شركات نفط تحتكر بينها موارد البلاد النفطية باجمعها ، وتمتلك مجموعة نفطية واحدة ثلاثة من هذه الشركات. وقد تولد من حصر ملكية النفط هذه بايدي جماعة من شركات النفط واحدة ان ثروة العراق من النفط لم تستغل الا استغلالا بسيطا ، وبقيت اجزاء كبيرة من البلاد دون استغلال. فان شركة نفط البصرة ، وشركة نفط الموصل لم تنتجا النفط حتى الوقت الحاضر ، بالرغم من وجود كميات عظيمة من النفط في منطقتي امتيازهما ، وبالرغم من جودة نوعية هذا النفط ، كما ظهر لنا فيما تقدم. وهذا مخالفة ظاهرة للاتفاقية التي وقعتها الشركتان مع الحكومة العراقية (٢٦).

---

(٢٥) المصدر السابق ص ١٨٢

(٢٦) استقرضت الحكومة العراقية ، عام ١٩٣٩ ، ثلاثة ملايين دينار من ثلاث شركات للنفط لقاء تعديل بعض مواد امتيازات هذه الشركات. فقد توصلت شركة النفط العراقية وشركة نفط البصرة ، وشركة استثمار النفط البريطانية الى الاتفاق مع الحكومة العراقية في ٢٥/ ٥/ ١٩٣٩ على تعديل التزام الشركة الاولى بشان كمية النفط الواجب نقلها سنويا على فرع الانابيب المتصل بحيفا. وتعديل التزام الشركة الثالثة بشان المقدار الواجب حفره سنويا بين بدء العمل وبدء تصدير النفط بانتظام. والتزامها ببدء هذا التصدير خلال سبع سنوات ونصف.

راجع جهل ص ٢١٥.

وتحتج هاتان الشركتان بان الحرب قد منعتهما من اعمال الاستكشاف والحفر. وهذه حجة واهية ، غير مقبولة ، ففي الوقت الذى ادعت فيه الشركات انها لا تستطيع الاستمرار في التنقيب بالعراق خلال الحرب الماضية كانت اعمال التنقيب على اعظم نشاطها في ايران والبحرين والمملكة العربية السعودية." (٢٧)

اما شركة نفط خانقين فقد اقتصرت في استثمار النفط على مناطق صغيره محدودة وتركت المناطق الاخرى دون استغلال . ولم تنتج شركة نفط العراق والتي باشرت باستخراج النفط منذ عام ١٩٣٤ ، الا كميات قليلة من النفط بالنسبة لما في استطاعتها انتاجه. "ولولا احتجاج الشركة الفرنسية التي ليس لها امتياز في قطر آخر ، واقامتها الدعوى على شريكاتها في امتياز العراق ، لما بدا من شركات الامتياز بعض الاهتمام بالاستعدا ولزيادة تصدير النفط من العراق بعد الحرب العالمية الثانية بمد خط جديد للانابيب من كركوك الى البحر المتوسط." (٢٨) والجدول التالي يرينا مقدار الاحتياطي من النفط ، ومعدل الانتاج السنوى ، ومجموع ما استخرج منذ الابتداء حتى عام ١٩٤٨ في اهم بلاد الشرق الادنى. (والارقام التالية محسوبة بملايين البراميل)

القطر	سنة الابتداء	مجموع ما استخرج من النفط الخام	معدل الانتاج السنوى ١٩٤٨
ايران	١٩١٣	١٩٣٨٫٤٢	١٩٠٫٣٩٥
العراق	١٩٢٧	٤١١٫٦	٢٦٫٤٦٦
الكويت	١٩٤٦	٦٨٫٧	٤٦٫٥٤٧
القطر	١٩٤٠	٢٦٫٠	ـــــ
المملكة السعودية	١٩٣٦	٣٤٥٫٠	١٤٢٫٨٥٣
البحرين	١٩٣٣	٩٨٫٩	١٠٫٩١٥

القطر	احتياطي النفط المقدر في ١ كانون الثاني ١٩٤٩	القطر	احتياطي النفط المقدر في ١ كانون الثاني ١٩٤٩
ايران	٧٠٠٠٫٠	القطر	٥٠٠٫٠
العراق	٥٠٠٠٫٠	المملكة السعودية	٩٠٠٠٫٠
الكويت	١٠٩٥٠٫٠	البحرين	١٧٠٫٠

---

(٢٧) محمد حديد "كيف يجب ان تعدل امتيازات النفط" (بغداد، ١٩٤٩) ص٦

(٢٨) المصدر السابق ص٦ وانظر كذلك "النفط العربي" ص٤٦.

(١٢٨آ) "برنت" ص ١٦٢

ما هو سبب تباطي* شركات النفط بانتاج النفط في العراق ؟ وما هي العوامل التي تدفع هذه الشركات الى عدم انتاجه ، او انتاج كميات قليلة منه ؟ يعود سبب ذلك الى ان امتيازات نفط العراق محصورة بايدى شركات تمتلكها مصالح واحدة. وبما ان انتاج النفط في كركوك وخانقين يكلفها اقل من انتاجه في منطقة الموصل والبصرة لذلك فهي تفضل انتاجه من المنطقتين الاوليين. وبما ان هذه الشركات تحتكر مصالح نفطية اخرى في البلاد الاجنبية لذلك نراها لا تريد ان تنتج من النفط الا المقادير التي تحتاجها اسواقها العالمية ، وتحول دون انتاج كميات ترخص اسعار النفط في العالم ، او تضارب منتوجاتها من البلاد الاخرى. فهي اذن تريد ان تبقي نفط العراق ، بصورة عامة ، دون استغلال ، محتفظة به كاحتياطي للمستقبل. ولكن هذا اذا كان في صالح هذه الشركات فانه ليس في صالح العراق قطعا. ان مقدار دخل العراق من النفط يتوقف على كمية المنتوج منه ، فكلما زادت الكمية المنتجة زاد الدخل وبالعكس. ومع ان امتياز النفط في العراق قد منح لهذه الشركات قبل جميع اقطار الشرق الادنى ، باستثناء* ايران ، فان مجموع منتوجه من النفط ، ومعدل انتاجه السنوى يكاد يكون اقلها جميعا. ومعنى هذا كله ان دخل الحكومة من عوائد النفط ضئيل جدا. فلم يزد مجموع واردات الحكومة من النفط عن ٢٫١٣٥٫٠٠٠ دينار في السنة. (٢٩)

وضآلة دخل الحكومة من النفط لا تعود الى قلة المنتوج من النفط فحسب بل الى ضآلة ربح الحكومة المأخوذ عن كل طن من مستخرج النفط الخام ايضا. فان اربعة شلنات ، عن الطن الواحد من النفط الخام ، ضئيلة جدا وعلى الاخص اذا لاحظنا ارباح شركات النفط ، وازدياد اهمية النفط ، وارتفاع اسعاره في الاسواق العالمية. فقد كانت اسعار النفط الخام ، في عام ١٩٤٩ ، ٢ ٪ اقل من اسعار ١٩٤٨ م، و ٢٠ ٪ ارفع من اسعار ١٩٤٧ و ١٤٠ ٪ ارفع من اسعار ١٩٣٥ – ٣٩ (٣٠)

ان شركات النفط معفاة من الرسوم الكمركية ومن ضريبة الدخل ، وهذا امتياز عظيم للشركات لان الحكومة لو كانت تتقاضى منها الرسوم الكمركية وضرائب الدخل والضرائب البلدية ، لكانت حصتها عظيمة جدا.

---

(٢٩) المصدر السابق ص٥

(٣٠) من مقال لـ "ويلارد ل. ثورب" في مجلة "بوليتين" ، الصادرة عن وزارة خارجية الولايات المتحدة ، المجلد ٢٢ العدد ٥٦٤ ، ٢٤ نيسان ١٩٥٠

ان يقدر امتناء شركة نفط العراق وحدها من الرسوم الكمركية ومن ضريبة الدخل بمبلغ يزيد عما تدفعه للحكومة العراقية. (٣١)

ومما يزيد في ضآلة دخل العراق من النفط ان شركات النفط لم تتقيد بنص الاتفاقيات المعقودة بينها وبين الحكومة العراقية وذلك بان تدفع المبالغ بالليرة الاسترلينية ذهبا، بل هي تدفع بالسعر الاسمي الذى حددته الحكومة البريطانية، لليرة الاسترلينية الذهبية. فقد حدد بنك انكلترا سعر الباون الذهب الذى يزن ٧،٣٢٢٣٨٢ غرام بـ ٥٨ شلنا. (٣٢) والفرق بين هذا السعر الرسمي لليرة الذهبية وسعرها في السوق الحر عظيم. وقد كانت الشركة تدفع فعلا على اساس سعر السوق الحر منذ ان دفعت القسط الثاني في كانون الثاني ١٩٣٢ الى سنة ١٩٤٠ حين بدأت تدفع على اساس السعر الرسمي. (٣٢) «وان العراق ليذكر بمرارة انه حينما كانت شركات النفط تدفع بدل الامتيازات بسعر يساوى نحو دينارين لكل باون ذهب كانت الحكومة البريطانية نفسها تبيع الذهب في العراق بسعر يزيد على ٥ دنانير لكل باون ذهب في زمن الحرب». (٣٣)

وتنص الاتفاقية المعقودة مع شركة نفط العراق على ان تنشىء هذه الشركة عند طلب الحكومة العراقية، مصفى للنفط لحساب الحكومة. وقد مر الوقت المحدد والمصفى لم ينشأ، والحكومة العراقية لم تطلب انشاءه. وقد ضيع عدم انشاء هذا المصفى على الحكومة العراقية ارباحا عظيمة، وترك المستهلكين العراقيين يدفعون اسعارا مرتفعة لما يستهلكونه من النفط ومشتقاته. فان النفط ومنتوجاته يباع في العراق، بلد النفط، باسعار لا تقل عن الاسعار التي يباع بها في الاقطار النائية التي يصدر اليها النفط العراقي، وتربح شركة نفط الرافدين، وهي فرع من شركة نفط العراق، نحو مليوني دينار في السنة من بيع منتوجات النفط في البلاد.

---

(٣١) حديد ص ١١

(٣٢) الدكتور عبد الرحمن الجليلي، "حول سعر الذهب"، جريدة صدى الاهالي بغداد، ٣ كانون الثاني ١٩٥٠ عدد ٣٨٥

(٣٣) المصدر نفسه

(٣٤) حديد ص ٩

وهذا المبلغ يكاد يعادل نصف البدل الذى تدفعه شركة النفط العراقية عن استثمار امتيازها باجمعه . (٣٥) واغلب الظن ان شركة نفط العراق ومن ورائها شركة نفط خانقين ، هي التي تعرقل مساعي الحكومة في انشاء مصفى للنفط ، لان ذلك يحرمها من ارباحها الطائلة من بيع النفط في العراق . وقد شرعت الحكومة قانونا يخول وزارة الاقتصاد اقامة مصفى للنفط في بغداد . ووافق مجلس النواب على لائحة هذا القانون في جلسته المنعقدة في ٢٩ كانون الثاني ١٩٥١ . وقد صرح وزير الاقتصاد في مجلس النواب اثناء مناقشة هذه اللائحة : " .... ان هذا المشروع سيدر على الخزينة مبلغا يتراوح بين مليون ونصف ومليوني دينار سنويا ، وهو يقرب من ثلاثين بالمائة من راسمال المشروع ولا اعتقد ان هناك مشروعا اقتصاديا يضاهي هذا المشروع بالربح ." (٣٦)

وقد اقترضت الحكومة العراقية من المصرف الوطني مبلغ مليوني دينار كدفعة اولى للقيام بانشاء هذا المشروع . (٣٧) ويؤمل ، كما صرح بذلك مدير الاقتصاد العام الدكتور نديم الباججي ، ان يكمل انشاء هذا المصفى في مدة ثلاث سنوات ، اذا سمحت بذلك الظروف العالمية !!!!

---

(٣٥) انظر حديد ص١١ . وقد صرح وزير الاقتصاد في البرلمان العراقي ، ٢٩ كانون الثاني ١٩٥٠ ، قائلا : " واجب ان اذكر للمجلس العالي ان الشركة تستطيع فرض اسعار تتراوح بين ١٦٠ و ١٧٠ فلسا للغالون الواحد من البنزين . وهذه الارقام ستتضخم باستهلاك العراقيين للمنتجات النفطية . فاستهلاك العراق لمنتجات النفط يتجاوز ستمائة الف طن في السنة ويمكن ان يزيد هذا الرقم خلال السنتين القادمتين الى مليون طن وبهذا ستدفع المملكة للشركة ما تتقاضاه من رسوم على النفط ." راجع جريدة الاستقلال عدد ١١٨٧

(٣٦) المصدر السابق .

(٣٧) يقول وزير الاقتصاد في تصريحه في البرلمان العراقي المشار اليه سابقا : "وقد حاولت مرارا ان اخرج هذا المشروع الى حيز الوجود . وقد اتصلت في لندن ببعض الجهات واخذت معي جميع المواصفات فباءت جهودى بالفشل حتى ان اصحاب رؤوس الاموال الهندية والباكستانية لم تتمكن من الحصول على وعود صريحة منهم على القيام بهذا المشروع كما ان البنك الدولي وعد ولم ينجز شيئا ولذلك لجأنا الى المصرف الوطني الذى امد الحكومة بمليوني دينار في السنة الاولى ."

لماذا رضيت الحكومة العراقية منح امتياز النفط لهذه الشركات الاربع بهذه الشروط المجحفة بحق البلاد ؟ لماذا قبلت الحكومة العراقية ان تمنح العراق باجمعه لهذه الشركات التي تحتكر اراضيه احتكارا ، وتبقي ثروته مطمورة تحت التراب ولا تستخرج منها الا النزر اليسير مع حاجة البلاد الى المال الذى تعتمد عليه نهضتها العلمية ، وتقدمها الاقتصادى والاجتماعي ؟ لاجل ان نجيب على هذه الاسئلة اجابة موضوعية قائمة على الدليل الرصين يحسن بنا ان نلقي نظرة على تكوين كل شركة من هذه الشركات الاربع التي تحتكر نفط العراق .

ان شركة نفط خانقين هي فرع من شركة النفط الانكليزية الايرانية ، واما الشركات الثلاث الاخرى فهي ملك لمصالح الاربعة هي ، كما تقدم محنا ، شركة النفط الانكليزية الايرانية ، وشركة رويال دتش شل ، وشركة النفط الفرنسية ، وشركتان امريكيتان . فما هو تكوين شركة النفط الانكليزية الايرانية التي لها اكبر نصيب في نفط العراق ؟

في عام ١٩٠١ نال وليام نوكس دارسي امتيازا باستثمار النفط في جميع بلاد فارس ما عدا المقاطعات الشمالية الخمس المتاخمة لبحر قزوين وهي اذربيجان ، وجيلان ومازندران واستراباد وخراسان . ولكن موارده لم تمكنه من مواصلة العمل فاستعان بشركة بورما للزيت ، وجعل لها حصة في المشروع . وفي ١٤ نيسان ١٩٠٩ تالفت شركة الزيت الانكليزية الفارسية (٣٨) براسمال قدره مليونان من الجنيهات . وفي هذه الفترة من التاريخ كانت البحرية الانكليزية تفكر بتسيير بواخرها بالزيت عوضا عن الفحم الحجرى . وفي سنة ١٩١٢ قررت الاميرالية البريطانية التحول الى البترول واتخاذه وقودا لاساطيلها . ولكن موارد بريطانيا من النفط يرد اليها من امريكا ، ولم ترض البحرية البريطانية ان تعتمد في وقودها على انتاج خارج نطاق سيطرتها . وهنا قدم اقتراح باشتراك الحكومة البريطانية في هذه الشركة اشتراكا يمكنها من السيطرة عليها . فتضمن بريطانيا بذلك موردا ثابتا من النفط لبحريتها . وقد اقر البرلمان الانكليزى هذا الاقتراح عام ١٩١٤ ، واصبح للحكومة البريطانية اكثر من نصف اسهم الشركة ، وتمت لها السيطرة الفعلية عليها . (٣٩) وتتوزع حصص راسمال هذه الشركة في الوقت الحاضر بالنسبة الاتية:

---

(٣٨) تغير اسمها فاصبح شركة النفط الانكليزية الايرانية

(٣٩) انظر ديفينبورت ص ٢ — ٢٢ ، وبراوي ص ٣٣ — ٣٦ .

الحكومة البريطانية ٥٦ ٪

شركة بورما للزيت (٤٠) ٢٢ ٪

اسهم شخصية ٢٢ ٪ (٤١)

وما هو تكوين شركة رويال دتش شل التي تملك ٢٣،٧٥ ٪ من اسهم جميع نفط العراق ، عدا منطقة نفط خانقين ؟ تاسست شركة الزيت الهولندية الملكية في عام ١٨٩٠ لاستثمار البترول في جزر الهند الهولندية حيث منحتها حكومة هولندا الكثير من الامتيازات. وفي عام ١٩٠٧ اندمجت هذه الشركة بشركة شل للتجارة والنقل التي تسيطر على نقل البترول في المحيط الهندي وصار اسمها الجديد "رويال دتش وشل". وكان يرأس هذه الشركة مدير كفؤ هو هنري ديتردنك ، الذي تولى ادارتها عام ١٩٠٠ وكان ديتردنك ميالا لانكلترا. وقد ثبت ميله هذا من المساعي التي بذلها في سبيل تكوين شركة النفط التركية. وقد منحته الحكومة البريطانية الجنسية عام ١٩١٥ ولما رأى ان الشركة التي يراسها لا تلقى الحماية الكافية من الحكومة الهولندية نقل مركزه الرئيس الى لندن. ومنذ ذلك الحين اخذت هذه الشركة تقع تحت سيطرة الحكومة البريطانية شيئا فشيئا. وقد تحققت هذه السيطرة بواسطة "لجنة سياسة البترول الامبراطورية" التي اسستها الحكومة البريطانية في نهاية عام ١٩١٨ ، وبواسطة الجهود التي بذلها في هذا السبيل هنري ديتردنك نفسه. وقد استولت الحكومة البريطانية على عدد كبير من اسهمها فيما بين عامي ١٩٢٠ و ١٩٢١ . وهذه الشركة تعد اليوم مؤسسة بريطانية نظرا لغلبة المصالح ورؤوس الاموال البريطانية فيها. (٤٢)

نستخلص مما تقدم ان الحكومة البريطانية ، والمصالح البريطانية الخاصة ، تملك حصة كبيرة في نفط العراق. وهذه الحقيقة تفسر لنا سبب هذا الظلم الذى يعانيه العراق في اهم موارد ثروته. لقد منح امتياز شركة نفط العراق ، وهي اهم شركات النفط في العراق ، في عهد الانتداب ، ايام ان كانت كلمة المندوب السامي البريطاني هي العليا في البلاد. وقد استغلت الحكومة البريطانية قضية الموصل ، التي كانت تركيا لم تتنازل عن حقها فيها بعد ، للضغط على العراقيين في قبول امتياز هذه الشركة. ولم يسمح الانكليز باعلان الدستور العراقي رسميا الا بعد ان انهوا عقد الامتياز لئلا يضطروا الى عرضه على البرلمان العراقي ، كما تنص على ذلك المادة الرابعة والتسعون من الدستور ، فيتعرضوا لخطر رفضه من قبل النواب. وقد عدل هذا الامتياز المهم في عهد الانتداب كذلك. لا عجب ، بعد اذ علمنا هذا ، ان تكون شركات النفط حكومات تحكم بامرها داخل حدود المملكة العراقية ، تخدمها الادارة

المحلية ، وتخضع لمشيئتها الحكومةالمركزية ، وتتحكم في عمالها العراقيين كما تشاء ، وتغير وتبدل في اسعار النفط الذى تبيعه داخل البلاد دون ان تلقى من الحكومة اعتراضا . (٤٣) ان بقاء امتيازات النفط هذه التي بينت اجحافها بحق البلاد على حالها دون الغاء او تعديل ، وان مخالفة هذه الشركات لشروط تعهدها فيما يختص بكمية النفط المستخرج ، وفي دفع العوائد المستحقة عليها بسعر الذهب في السوق الحرة ، وفي تدريب العراقيين على هذه الصناعة المهمة ، رغم الحاح العراقيين ومطالبتهم المستمرة ، وشكواهم المتعالية ، ليدل على امر واحد هو ان الانكليز ما زالوا هم المسيطرين على مقدرات البلاد الحقيقية ، وان وضع الحكام العراقيين ، بالنسبة للسلطات البريطانية ، لا يختلف عن وضعهم في فترة الانتداب الا في الظاهر .

---

(٤٠) تمتلك الحكومة البريطانية اسهما في راسمال هذه الشركة .

(٤١) راجع "النفط العربي" ، الملحق الثاني ، الجدول الخامس ، ص ١٨١ .

(٤٢) انظر ديفينبورت ص ٤٠ — ٤٣ ، وبراوى ص ١٩ — ٢٠ ، وص ٥١ .

(٤٣) انتهت الحرب في سنة ١٩٤٥ وكان سعر البنزين في العراق ٧٠ فلسا للغالون الواحد ، تذهب ٣٤ فلسا منها للحكومة كرسم مكس ، وتذهب ٣٦ فلسا الباقية الى الشركة . وخلال الخمس السنوات الماضية رفعت الحكومة والشركة معا سعر البنزين فزادت الحكومة ، بدفعات ، رسوم المكس عليه حتى بلغت ٤٩ فلسا ، وزادت الشركة قيمة البنزين ، بدفعات ايضا ، حتى بلغت ٤٩ فلسا واصبح مجموع سعر البنزين بسبب ذلك ١٠٤ فلوس لكل غالون . ولم تمض غير ايام قليلة على اعلان الاتفاق بين الحكومة العراقية وشركة نفط العراق بشأن زيادة حصة الحكومة من عوائد النفط من ٤ شلنات الى ٦ شلنات ، حتى اضافت الشركة اربعة فلوس على سعر كل غالون بنزين ، وزادت سعر النفط الابيض ثلاثة فلوس لكل غالون ، وسعر نفط الغاز ثلاثة فلوس لكل غالون ايضا ، وهذه الزيادة لا مبرر لها فليس هنالك ارتفاع في اجور العمال ، ولا في اجور النقل ولا في النفقات الاخرى مما قد تحتج به الشركة . وكل ما في الامر ان الشركة تستغل مركزها الاحتكاري الذى منحها اياه عقد امتيازها . ان هذه الزيادة ، التي سيقع عبؤها على اصحاب اللوريات وسيارات النقل وسيارات الاجرة وجمهور المستهلكين ، ستجلب للشركة ، علاوة على ارباحها الضخمة السابقة ، واردات اضافية تقدر بمائتي الف دينار في السنة .

عندما قررت الحكومة الايرانية تاميم النفط في بلادها ترك هذا القرار دويا هائلا في اوساط العراقيين ، المهتمة بشؤون البلاد ، العارفة باهمية النفط في حل مشاكل البلاد الاقتصادية والاجتماعية والثقافية . وقد استبانت للعراقيين امكانية استقلالهم باستغلال اهم ثروة في بلادهم . وخير ما يعبر عن هذا الاتجاه الجديد في العراق الطلب الذى تقدم به عشرون نائبا ، بينهم نواب حزب الاستقلال وبعض المستقلين ، الى رئيس المجلس بشأن تاميم صناعة الزيت . وسأسجل فيما يلي نص هذا الطلب لاهميته التاريخية ، ولانه يؤلف بحد ذاته خلاصة جيدة لهذا الفصل . (٤٤)

"ما زالت الشكوى ترتفع في العراق من سوء الاوضاع الاقتصادية وما زالت الحكومات المتعاقبة على اختلاف الوانها مكتوفة الايدى لا تستطيع القيام بالاصلاحات التي تتطلبها البلاد بسبب قلة المال اللازم للمشاريع العمرانية والانتاجية مما اضطر العراق في كثير من الاوقات ، الى استجداء المصارف الاجنبية ، دولية وغير دولية ، للحصول على القروض . ومبعث ذلك ان اهم ثروة وطنية في البلاد اصبحت محتكرة من قبل الشركات المستغلة فالنفط الذى كان يعلق عليه العراق كبير اهمية للاصلاح لا يستفيد العراق منه فائدة تذكر بالنظر للغبن الفاحش الذى لحق العراق من جراء هذه الامتيازات التي انتزعتها الشركات ، مستندة في ذلك الى النفوذ البريطاني ودعمه لها ، بل ان اهم امتياز وهو امتياز شركة النفط العراقية ، انما انتزع من العراق في وقت كان فيه تحت الانتداب البريطاني وجرى تحديله كذلك في هذا العهد نفسه .

هذا مع اننا نجد بعض البلاد المجاورة التي وجد النفط فيها منذ امد قصير قد استطاعت ان تفيد منه فائدة بالغة بالقياس الى العراق وقد تضمنت امتيازاتها شروطا لا تتناسب باى وجه من الوجوه مع الشروط التي تضمنتها الامتيازات النفطية في العراق . حتى ان بعض البلاد المجاورة لجأت الى التأميم بالرغم من ان شروطها لا تتناسب مع شروط العراق وذلك لانها وجدت ان هذا الطريق هو خير الطريق

فكان الشركة زادت من حصة العراق في عوائد النفط ولكنها تريد ان تدفع هذه الزيادة ، او جزء منها على اقل تقدير من جيوب المستهلكين العراقيين . راجع محمد حديد "شركة النفط تدفع بيد وتسترد بيد اخرى" جريدة صدى الاهالي ٤/٢ ايلول ١٩٥٠ ، عدد ٢٨٧

(٤٤) نقلا عن جريدة الحياة ، بيروت ، ٢٥ آذار ١٩٥١ ، عدد ١٤٩٦ .

واسلمها لصيانة ثروتنا القومية من تعسف الشركات المستغلة ولان التأميم حق طبيعي للامم كفلته القوانين الدولية باعتباره مظهرا من مظاهر السيادة ٠

وبالرغم مما اصاب العراق من غبن فاحش في امتيازاته النفطية المجحفة فان شركات النفط في العراق قد اظهرت تعنتا كبيرا واصرارا على هدر حقوق العراق مما ادى الى امعانها في مخالفة نصوص الامتيازات مخالفة صريحة ومن ذلك :

اولا ـ انها امتنعت من استخراج كميات من النفط تتناسب مع غزارة هذه الابار والمؤسسات الموجودة والتي في مقدورها زيادة طاقة الانتاج اضعافا مضاعفة ٠

ثانيا ـ انها اوقفت استخراج النفط بصورة نهائية لشركة نفط البصرة لان امتيازها اقل استغلالا من امتيازات شركة النفط العراقية ٠

ثالثا ؛ ـ امتنعت من تسليم الحصة المستحقة "الرويالتي" على اساس الذهب خلافا لنصوص الامتياز ٠

رابعا ـ احجمت عن تدريب العراقيين في الخارج على الاعمال الفنية مما التزمت به في نصوص الامتياز ٠ وقد مضى اكثر من ربع قرن دون ان تهيئ خبيرا عراقيا واحدا حتى الان ٠

لذلك نرى من الواجب ان نتقدم بطلبنا هذا الى الحكومة العراقية وفقا للمادة ٤٥ من القانون الاساسي راجين (٤٥) سن لائحة قانونية لتاميم شركات النفط في العراق جميعها دون استثناء ٠

---

(٤٥) تنص المادة ٤٥ المشار اليها في هذه الوثيقة على ان "لكل عضو من اعضاء مجلس النواب ان يقترح وضع لائحة قانونية عدا ما يتعلق بالامور المالية التي سيأتي بيانها على شرط ان يؤيده فيه عشرة من زملائه واذا قبل المجلس هذا الاقتراح يودعه مجلس الوزراء لسن اللائحة القانونية وكل اقتراح يرفضه المجلس لا يجوز تقديمه ثانية في الاجتماع نفســـــــه" ٠

الفصـــل الخامـــس

التجـارة

(١) التجارة الداخلية

لا اريد ان احلل في هذا الفصل الاسس التي تقوم عليها التجارة العراقية ، والقوانين التي تنظمها . وانما اريد ان القي نظرة سريعة على التجارة الداخلية والخارجية بقدر ما لها من مساس بالحياة الاقتصادية بصورة عامة .

التجارة الداخلية محدودة ، ضيقة النطاق . لان سكان الريف بحكم فقرهم، يسدون معظم حاجاتهم بما ينتجونه بانفسهم . والحقيقة ان التجارة الداخلية لا تتعدى نقل المحاصيل الزراعية من منطقة الى اخرى وتوزيع البضائع الاجنبية ، وقليل من المصنوعات المحلية ، من مراكزها في بغداد والبصرة والى المدن العراقية الاخرى .

وهنالك عامل مهم اخر بالاضافة الى ما تقدم يعيق نمو التجارة الداخلية وهو حرمان الريف العراقي من وسائل المواصلات المنتظمة الحديثة . يوجد في العراق ثلاث وسائط للنقل : النقل النهري والسيارات ، والسكك الحديدية . وقد تقدم معنا ان نهر دجلة يصلح لسير السفن الصغيرة ، التي لا تتجاوز مدى غوصها اربعة اقدام من مصبه الى مدينة بغداد ذهابا وايابا وان اعلا هذا النهر يصلح لسير السفن ولكنه لا يستعمل الا نادرا وان نهر الفرات يصلح لسير السفن في بعض اقسامه . وتدير حركة النقل في دجلة بواسطة السفن البخارية شركتان انكليزيتان وبواخر افراد عراقيين يتراوح عدد موسساتهم العاملة في وقت واحد بين واحدة وثلاثة (١) كما تسير في هذا النهر وفي اقسام من نهر الفرات السفن الشرعية الصغيرة والزوارق .

اما السكة الحديد فقد كان مجموع طول خطوطها في كانون الاول من عام ١٩٤٨ ، ٩٨٧ ميلا (٢) . والى جانب النقل النهري والسكة الحديد توجد طرق عامة للسيارات . وقد بلغ طول الطرق التي تشرف على صيانتها مديرية الاشغال العامة في نهاية عام ١٩٤٨ كما يلي ...

---

(١) انظر جميل ص ٥٦٦

(٢) ف . هـ . كامبل "الاحوال الاقتصادية والتجارية في العراق" تعريب لواء الاستقلال عدد ٩٢٥

الفصـــل الخامـــس

التجــارة

(١) التجارة الداخلية

لا اريد ان احلل في هذا الفصل الاسس التي تقوم عليها التجارة العراقية ، والقوانين التي تنظمها . وانما اريد ان القي نظرة سريعة على التجارة الداخلية والخارجية بقدر ما لها من مساس بالحياة الاقتصادية بصورة عامة .

التجارة الداخلية محدودة ، ضيقة النطاق . لان سكان الريف بحكم فقرهم ، يسدون معظم حاجاتهم بما ينتجونه بانفسهم . والحقيقة ان التجارة الداخلية لا تتعدى نقل المحاصيل الزراعية من منطقة الى اخرى ، وتوزيع البضائع الاجنبية ، وقليل من المصنوعات المحلية ، من مراكزها في بغداد والبصرة والى المدن العراقية الاخرى .

وهنالك عامل مهم اخر يالاضافة الى ما تقدم يعيق نمو التجارة الداخلية وهو حرمان الريف العراقي من وسائل المواصلات المنتظمة الحديثة . يوجد في العراق ثلاث وسائط للنقل : النقل النهري ، والسيارات ، والسكك الحديدية . وقد تقدم معنا ان نهر دجلة يصلح لسير السفن الصغيرة ، التي لا يتجاوز مدى غوصها اربعة اقدام من مصبه الى مدينة بغداد ذهابا وايابا ، وان اعلا هذا النهر يصلح لسير السفن ولكنه لا يستعمل الا نادرا ، وان نهر الفرات يصلح لسير السفن في بعض اقسامه . وتدير حركة النقل في دجلة بواسطة السفن البخارية شركتان انكليزيتان وبواخر افراد عراقيين يتراوح عدد موسساتهم العاملة في وقت واحد بين واحدة وثلاثة (١) كما تسير في هذا النهر وفي اقسام من نهر الفرات السفن الشراعية الصغيرة والزوارق .

اما السكة الحديد فقد كان مجموع طول خطوطها في كانون الاول من عام ١٩٤٨ ، ٩٨٧ ميلا (٢) . والى جانب النقل النهري والسكة الحديد ، توجد طرق عامة للسيارات . وقد بلغ طول الطرق ، التي تشرف على صيانتها مديرية الاشغال العامة في نهاية عام ١٩٤٨ ، كما يلي ...

---

(١) انظر جميل ص ٥٦٦

(٢) ف . هـ . كامبل "الاحوال الاقتصادية والتجارية في العراق" "تعريب لواء الاستقلال عدد ٩٢٥

نوع الطريق	الطول بالكيلومترات
الطرق المبلطة بالقير الصلب	٢٢٧٠
الطرق المبلطة بالقير العادى	٤٥٠
الطرق الترابية	٤٦٤٥

وتوجد بالاضافة الى هذه الطرق ، ٣٥٠٠ كيلو متر من الطرق العامة التي لم يجر عليها اى تحسين ،تديرها وتشرف عليها السلطات المحلية في الاقاليم (٣) ٠

والحق ان الطرق المواصلات هذه ، التي لم يكن موجود منها قبل العهد الوطني الا القليل ،وقد افادت التجارة الداخلية ،وعملت على تنشيطها الى حد ما ٠ ولكن بقية اجزاء كثيرة من البلاد/ منعزلة انعزالا تاما ، او يصعب اتصالها بباقي اجزاء البلاد ،وعلى الاخص بالمدن الكبرى ،صعوبة تامة على اقل تقدير ٠ ان كثيرا من القرى العراقية بعيدة عن مجارى الانهار ، وعن خطوط السكة الحديد ، وطرق السيارات العامة ، ولهذا بقيت في عزلة تامة عن المدن ٠ وقد اثرت صعوبة المواصلات بين الريف والمدينة في اقتصاديات الريف الى حد كبير ٠ ففي المنطقة الشمالية توجد انواع عديدة من الفواكه ،التي تنمو بكثرة ، ولكن صعوبة المواصلات تحول دون استفادة الزراع الاكراد منها فائدة تستحق الذكر ٠ وفي المناطق الجنوبية ، وخاصة على ضفاف الانهار والاهوار تكثر الاسماك ،ولكن استفادة السكان منها محدودة لعدم تيسر نقلها بالسرعة اللازمة الى الاقسام الوسطى والجنوبية ،حيث يقل السمك وترتفع اسعاره ويشتد الطلب عليه ٠ ولو كانت وسائل النقل ميسرة ،رخيصة ، بين المدينة والريف ،لتشجع الفلاحون على زراعة الخضر ،والفواكه ،وتربية الدواجن ، لما ينالون من ربح من بيعها في اسواق المدن ،فيزيد بذلك دخلهم ،وتتنوع مصادره ،ويرتفع مستوى معيشتهم ،ويؤدى هذا الى اقبال الفلاحين على شراء المصنوعات الوطنية ، والسلع التجارية الاخرى ،فتنشط بذلك التجارة الداخلية ،ويرتفع دخل سكان المدن ٠

(٢) التجارة الخارجية

لما كان العراق قطرا زراعيا ،ولما كانت الصناعة الالية حديثة النشأة فيه لا تسد منتجاتها الا جزءا صغيرا من حاجات السكان ،كانت اكثر صادراته ،باستثناء النفط الذي تحتكره شركات اجنبية ،من المنتوجات الزراعية والحيوانية واهمها : التمور ،والحبوب ،والصوف ،

---

(٣) المصدر السابق ٠

والحيوانات ، الحية ، والجلود · واهم البضائع المستوردة هي من البضائع المصنوعة كالحديد والفولاذ ،والاقمشة ،والمكائن ،والسيارات ،وبعض المواد الغذائية ،وخاصة السكر والشاى والقهوة ،والعقاقير الطبية على اختلاف انواعها · كما يتضح من الجدولين التاليين:

كمية الصادرات العراقية الرئيسية خلال كل من سنوات ١٩٣٣ ـ ١٩٣٩ التقويمية بالاف الوحدات (٤) ·

	الوحدة	١٩٣٣	١٩٣٤	١٩٣٥	١٩٣٦	١٩٣٧	١٩٣٨	١٩٣٩
حبوب	الف طن	١٧٣،٢	٣٠٤،٠	١٥٠،٣	٣٣٨،٠	٤٣٩،٠	٢٥٨،٧	٢٨٦،٦
تمور	= =	١١٤،٣	١٧٣،٨	١٧٢،٤	١٥٩،٤	١٩١،٠	١٨٥،٥	١٤٨،٣
صوف	= =	٣،٧	٤،٧	٥،٦	٧،٨	٤،٦	٩،٠	٥،٦
حيوانات حية	= راس	١٣٨،١	٨٩٤،٢	٩٢٧،٩	٢٥٥،٨	٤٣٨،٧	٢١٩،١	٣٢٠،٣
جلود	= طن	٢،٣	١،٥	١،٨	٢،١	٢،٧	١،٧	٢،٢
قطن	= =	٠،٢	٠،٥	،٦	٠،٩	٢،٨	٣،٧	٢،٥
مصارين	= =	٠،١	٠،١	٠،١	٠،١	٠،٢	٠،١	٠،١
بذور	= =	١،٨	٢،٩	١،٨	٣،٢	٧،٣	١٢،٩	٧،٠
سمن	= =	٠،٦	٠،٤	٠،٤	٠،٣	٠،٤	٠،١	٠،١
عرق سوس	= =	٩،٢	٤،٧	٣،٧	٥،٢	٦،٦	٤،٧	٢،٦
اسماك	= =	٠،٣	٠،٥	٠،٥	٠،٥	٠،٤	٠،٧	٠،٨
بيض	= بيضه	٠٠	١٩،٢٣٣	١٩١٦٧	١١١٥٧	٤٨٤١	٢٤٤٣	١٦٢٢

(٤) جميل ص ٢٦١

قيم البضائع المستوردة التي يزيد معدل المستورد من كل منها خلال سنوات ١٩٣٣ ــ ١٩٣٩ التقويمية على ٥٠،٠٠٠ دينار سنويا ، بالاف الدنانير ، مرتبة حسب اهميتها (٥)

	١٩٣٣	١٩٣٤	١٩٣٥	١٩٣٦	١٩٣٧	١٩٣٨	١٩٣٩
الاقمشة القطنية	٩٠٣	٩١٠	٩٥٠	٨٠٥	١٠٦٩	٨٣٣	١٠٥٠
الحديد والفولاذ	٨٠٣	٤٦٦	٥١٦	٨٢٧	١٢٤٠	١٠٥٨	٧٥٥
المكائن والعدد واجزاؤها	١٨١	٤٣٢	٤٠٨	٤٩٠	٦١٣	٩٩٦	٥٥٧
السكر	٤٠٢	٣٨٦	٣٦٨	٣٧٤	٤٤٠	٥٠٥	٥٥٤
اقمشة الحرير الاصطناعي	٢٢٥	٢٧٥	٣١٩	٣٥٢	٥٢٩	٤٢٠	٣٧٨
السيارات واقسامها	٢٥٥	٢٣٨	٢٩١	٢٧١	٤٦٩	٣٩٨	٣٢٠
الشاى	١٥٣	٢٦٣	٢٣٧	٢٩٥	٣٥١	٣٤٧	٣٣٢
الملبوسات	٩٩	٢٦٠	٣٠١	٢٨٧	٣٧٤	٣٤٩	٢٩٠
الاخشاب	٣٥١	١٢٣	١٧٣	٢١٧	٣٢٨	٣٣٧	١٦٣
الاقمشة الصوفية	١١٧	٢١١	١٩٨	٢١٠	٢٨٩	٢٤٠	١٤٢
الالات والسلع الكهربائية	٦٨	٩٤	١٤٢	١٩٨	١٩٠	٢٤٢	٢٣٢
السمنت	٧٣	٤٧	١٠١	١٥٦	١٧٥	١٨٤	١٥٧
المنتجات الكيماوية والصدلية	٧٤	٧٣	١١٢	١٤١	١٩٧	١١٢	١٢٤
الورق ومصنوعاته	٨٠	١١١	١١٠	١١٦	١٤٥	١٥١	١١٨
نفط الديزل	١٢٦	١٣١	١٩١	١٠٦	٧٦	٧٦	٧٩
البنزين	١٠٥	١٢١	١٦٤	٨٩	٨٤	٩١	١٠٥
الخضروات والفواكه	٦٨	٦٦	٨٥	٦٩	٩٠	١٠٢	١٢١
الصابون	٩٢	٧١	٧٠	٦٨	٩٦	١٠٢	٦٧
المطاط ومصنوعاته	٥٨	٥٥	٦٨	٨٦	٩٨	١٠٢	٩٢
زيوت التزييت	٦٥	٥٥	٧٤	٦٨	٨١	٩١	٩٢
صناديق تخليف التمور	٥٠	٩٠	٧٤	٨٥	٧٤	٦٦	٧٦
الجلود المدبوغة	٢٩	٣٥	٤٣	٦٧	٨٧	٧٣	٨٤
الخمور	٥٩	٦٠	٥٧	٤٠	٥١	٥١	٤٩
الزجاج ومصنوعاته	٣٠	٤٦	٥١	٤٦	٦٨	٥٢	٦٠
المجموع	٤،٢٥٠	٤٦١٩	٥١٠٣	٥٤٦٣	٧٢١٤	٦٩٧٨	٥٩٩٧
سلع اخرى	١٤٩٠	١٥٩٨	١٧٠١	١٧١٤	٢٣٥٢	٢٣٨٣	٢١٦٨

(٥) المصدر السابق ص٢٢٣

واهم الاقطار التي يتاجر معها العراق هي بريطانيا ، والولايات المتحدة ، والهند ، وسوريا ، فقد كانت النسبة المئوية لقيمة ما استورده العراق من البلاد المختلفة من سنة ١٩٣٣ الى سنة ١٩٣٩ كما يلي (٦) .

.....	١٩٣٣	١٩٣٤	١٩٣٥	١٩٣٦	١٩٣٧	١٩٣٨	١٩٣٩
بريطانيا	٣٣،٦	٢٥،١	٢٨،٥	٣١،٧	٢٩،٥	٣٠،١	٢٣،٥
اليابان	٦،٨	١١،٧	٢٠،٠	١٨،٨	١٨،٣	١٤،٨	١٨،٧
الولايات المتحدة	٧،٢	٦،٣	٦،٣	٦،٤	٧،٦	٩،١	٨،٤
الهند	٨،٩	٦،٦	٦،٦	٦،٨	٦،٩	٦،٥	٧،٢
ايران	٧،٣	٨،٥	٩،١	٥،٧	٤،٠	٤،٢	٥،٠
المانيا	٢،٦	٥،٢	٥،٤	٦،٥	٦،٦	٧،٤	٦،٣
بلجيكا	٥،٠	٥،٤	٤،١	٤،٠	٥،٣	٤،١	٥،٠
جاوا	١،٨	٢،٠	١،٨	٢،٦	٣،٧	٤،٣	٥،٥
ايطاليا	٣،٠	٢،١	١،٨	٦،٦	٢،٧	٤،١	٣،٨
هولندا	٢،٨	٢،٠	٢،٠	٢،١	١،٩	١،٩	٢،٠
فرنسا	٤،٣	١،٨	١،٧	١،٥	١،٢	١،٣	٢،٠
سوريا	٢،٤	٢،٣	١،٨	١،٦	١،٧	١،٨	١،٩
مصر	١،٦	٢،٦	٢،١	١،٦	١،٦	١،٥	٢،٢
شيكوسلوفاكيا	١،٧	٠،٩	١،٢	١،٩	١،٧	١،٥	١،٤
السويد	٠،٩	١،٣	١،٣	٠،٩	٠،٧	١،١	١،٣
البلاد الاخرى	١١،١	١٦،٢	٦،٥	٧،٣	٦،٦	٦،٣	٥،٨

(٦) المصدر السابق ص ٣٥٠

اما اهم الدول المستوردة من العراق فهي بريطانيا والولايات المتحدة والهند وسوريا وبلاد العرب وايران وفرنسا كما يتضح من الجدول (٧) الذى يبين النسب المئوية لقيمة الصادر الى البلاد المختلفة خلال سنتي ١٩٣٣ ــ ١٩٣٩ .

	١٩٣٣	١٩٣٤	١٩٣٥	١٩٣٦	١٩٣٧	١٩٣٨	١٩٣٩
بريطانيا	٣١٫٣	٢٧٫١	١٨٫٥	٣٠٫٥	٢٧٫٨	٢٤٫٢	٢٤٫٦
الولايات المتحدة	١٢٫٦	٧٫٨	١٨٫٦	٢٠٫٠	٢٠٫٦	١٥٫١	١٩٫٦
الهند	١٠٫٢	٧٫٣	١١٫٥	٩٫٠	٦٫٤	٢٫١	١١٫٢
فلسطين	٥٫٢	٥٫٥	٦٫٠	٦٫٥	٦٫٧	٥٫١	٨٫٢
سوريا	٩٫١	٩٫٨	٧٫٨	٤٫١	٣٫٩	٦٫٨	٣٫٧
بلاد العرب	٦٫٥	٤٫٢	٦٫٣	٤٫٥	٢٫٩	٦٫٥	٥٫٨
ايران	٧٫٢	٦٫١	٨٫٣	٣٫٧	١٫٦	٣٫٥	٥٫٢
اليابان	٠٫١	٠٫١	٠٫١	٣٫٦	٨٫٦	٩٫٦	٤٫٥
فرنسا	٢٫٤	١٥٫٠	٣٫٠	٣٫٠	٤٫٠	٣٫٥	٣٫٦
المانيا	٣٫٥	٣٫٧	١٫٩	٢٫٧	٣٫٤	٤٫٥	٣٫٣
بلجيكا	١٫٨	٣٫٣	٢٫٠	٤٫٣	٦٫٠	٣٫٣	١٫١
مصر	١٫٢	٢٫٦	٣٫٩	١٫٤	١٫٦	١٫٦	١٫٤
استراليا	١٫٠	٠٫٨	١٫٤	١٫٠	٠٫٩	١٫٢	١٫٤
الدول الاخرى	٧٫٩	٦٫٧	٧٫٧	٥٫٨	٥٫٦	٧٫٠	٦٫٤

(٧) المصدر السابق ص٣٥٢

يتضح لنا من الارقام المتقدمة ان بريطانيا كانت تتمتع بحصة كبيرة من تجارة العراق ولكن هذه الحصة انخفضت زمن الحرب عندما تهددت التجارة من ناحيتي الكميات المستورة ومصادر الاستيراد ولكنها عادت فارتفعت بعد انتهاء الحرب وزوال كثير من قيود الاستيراد كما يتضح من الجدول التالي (٨) .

السنة	قيمة الاموال المستورة من بريطانيا (بالوف الدنانير)	النسبة المئوية من مجموع تجارة الاستيراد
١٩٣٩	١،٩١٧	٢٣،٥
١٩٤٠	١،٧٠٢	٢١،٤
١٩٤١	١،٢٣٨	٢٠،٠
١٩٤٢	١،٤٥٧	١٢،٠
١٩٤٣	١،٧٠٨	١٠،٩
١٩٤٤	١،٥٩٩	١١،٩
١٩٤٥	٣،١٩٥	١٧،٥
١٩٤٦	١٢،٢٧٦	٤٤،١
١٩٤٧	١٧،٥٥٦	٤٣،٨
١٩٤٨	١٥،٧٩٠	٤٣،٥

كان العراق منذ الاحتلال البريطانى يواجه دائما رصيدا تجاريا سلبيا . وكان الميزان التجارى يسوّى جزئيا بعوائد النفط وارباح لجنة العملة في لندن والصادرات غير المنظورة وارباح تجارة الترانسيت . ولكن الميزان التجارى اختل اختلالا كبيرا لغير صالح العراق منذ نهاية الحرب العالمية الثانية فقد ارتفعت الاسعار اثناء الحرب ، وتضخمت العملة وتجمع في البلاد رصيد كبير من العملة نتيجة لمشتريات الجنود البريطانيين . وكانت معظم واردات العراق خلال فترة الحرب خاضعة لنظام الكوتا الدولى فكانت المستوردات محدودة بحكم الضرورة .

(٨) كامبل جريدة لواء الاستقلال عدد ١٠٢

ولكن عندما خففت قيود السيطرة التجارية في بداية سنة ١٩٤٦ ، اقبل التجار والأغنياء على الاستيراد اقبالا عظيما ، وكانت معظم المستوردات من البضائع الكمالية التي حرموا منها زمن الحرب فادى ذلك الى تبدد الثروة التي تجمعت خلال الحرب ، والى تقلص العملة وما يتبع ذلك من اختلال في الحياة الاقتصادية . وفي عام ١٩٤٨ اعيد تطبيق نظام الاجازات على الاستيراد بالنسبة لكافة انواع الحاجات محافظة على تجارة البلاد ، ولكن جاء هذا التدبير متاخرا فقد تبددت معظم ثروة البلاد خلال السنوات التي اعقبت انتهاء الحرب . " وهذا التفاوت او عدم التوازن بين المصدر من البلاد والمستورد منها مضر في اقتصادياتها . ففي السنوات العشر من ١٩٢٦ — ٢٧ الى ٣٥ — ٣٦ مثلا كان يسدد نحو ٨٢ ٪ من هذا العجز من زيادة الذهب المصدر على الذهب المستورد ،،[9] والجدول التالي يرينا مقدار صادرات العراق ووارداته ونسبة العجز في الميزان التجاري بين سنتي ١٩٣٩ و ١٩٤٨ والارقام تمثل الوف الدنانير . وهذه الارقام لا تشمل حركة السبائك الذهبية من ناحية الاستيراد والتصدير ولا اقيام واردات النفط والمؤن المستوردة لحساب الجيش (١٠) .

السنة	المستوردات	الصادرات	الاموال المعاد تصديرها	العجز في الميزان التجاري
١٩٣٩	٨،١٥٦	٢،٥٢٥	٢٣٥	٥،٣٩٦
١٩٤٠	٧،٩٥٤	٣،٩٠٣	١٩٦	٣،٨٥٥
١٩٤١	٦،٧٠٣	٣،٩٠٦	٢٧٦	٢،٥٢١
١٩٤٢	١٢،١٢٢	٤،٤٨٠	٢٢٤	٧،٤١٨
١٩٤٣	١٥،٦٣٢	٩،١٤٧	٣٣٣	٦،١٥٢
١٩٤٤	١٤،٢١٨	٩،١٧١	٣١٨	٤،٧٢٩
١٩٤٥	١٨،٨٣٤	٩،٨١٨	٢٣١	٨،٧٨٥
١٩٤٦	٢٨،٠٤٠	١٢،٧٢٢	٤٣٣	١٤،٨٨٥
١٩٤٧	٤٠،٠٩٢	١٣،٨٠١	—	٢٦،٢٩١
١٩٤٨	٤٥،٥٢٣	٧،٥٨٤	—	٣٧،٩٣٩

(٩) حمادة ص ٤٢٩

(١٠) كامبل ، لواء الاستقلال ، عدد ٩٠٢

قلت ان اهم صادرات العراق هي الحبوب والتمور . فقد كانت قيمة ما صدر من هذين الحاصلين بين سنتي ١٩٢٧ و ١٩٣٩ ، نحو ٢٥ مليون دينار ، تمثل نحو ٥٦ ٪ من مجموع قيم الصادرات خلال تلك السنوات (١١) وكانت تجارة التمور حتى عام ١٩٣٩ غير منظمة ، لكثرة عدد المنتجين وانخفاض كفاءتهم التجارية والمالية ، وكثرة عدد صغار الوسطاء ، وسيطرة شركات التصدير ، التي كانت ان تحتكر هذه التجارة المهمة بما تملك من مال ، وخبرة في الاسواق العالمية ، وتاثير على حركة النقل . وكانت هذه الشركات ومعظمها بريطانية ، تتحكم بالاسعار والاسواق وتضع العراقيل امام تصدير التمور من قبل المنتجين العراقيين انفسهم لتخلو لها الاسواق الخارجية وهذا مما اضر مصالح منتجي التمور ، وعلى الاخص صغار المنتجين . وقد دفعت هذه العوامل الحكومة الى تنظيم هذه التجارة . فاسست سنة ١٩٢٠ «لجنة التمور الاختبارية» ، ثم الغتها واسست سنة ١٩٣٥ "لجنة التمور" ثم الغت هذه اللجنة ايضا واسست بدلا منها سنة ١٩٣٩ "جمعية التمور" . وهذه الجمعية شخصية حكمية مستقلة وتتالف من مدير عام ومعاون مدير ، يعينهما وزير الاقتصاد ومن تسعة اعضاء يختار الوزير المذكور ستة منهم بناء على ترشيح منتجي لواء البصرة ، ويعين العضو الباقي ممثلا عن الحكومة . وتقوم الجمعية بالاشراف على تجارة تصدير التمور . فهي التي تعين كمية وصنف التمور المصدرة ، والحد الادنى لاسعار مختلف اصناف التمور التي يبيعها المنتجون لتجار التصدير . وللجمعية ان تقوم بتصدير التمور بنفسها او بالتعاون مع تجار التصدير ، كما ان لها ان تتعاقد مع تجار التصدير لتصدير ما تشاء من كميات التمور . وقد رات الجمعية ان خير حل موقت لتجارة التمور هو حصر تصديرها بشركة معينة بموجب عقد تحدد فيه الاسعار والاصناف والكميات التي يراد تصديرها . وكانت شركة "اندرو واير" ، وهي كبرى الشركات البريطانية المصدرة للتمور والحبوب في البصرة ، موضع التزكية دون غيرها ، فتم التعاقد بينها وبين الجمعية على اساس ان تشتري الشركة من المنتجين خلال اعوام ١٩٣٩ ، ١٩٤٠ و ١٩٤١ كمية من اصناف محدودة من التمور باسعار معينة ، وعلى ان تتعهد جمعية التمور بان لا تمنح خلال هذه المدة من الاتفاق اية رخصة لتصدير الاصناف المذكورة . ومدد هذا العقد عدة مرات ولا زال مرعيا . لقد كان احتكار هذه الشركة لتجار التمور ضربة شديدة على المنتجين

---

(١١) جميل ص ٥٣٨

والصغار منهم بخاصة . فالاسعار التي تدفعها الشركة واطئة والكميات التي (١٢) تصدرها ضئيلة ،والاصناف محدودة ،وفضلا عن ذلك فانها تحابي كبار المنتجين لقاء سكوتهم عن تصرفاتها وسند موقفها في دوائر الحكومة ،فتشترى تمورهم بالاسعار المحددة اما صغار المنتجين فيضطرون الى بيع تمورهم باقل من الاسعار المعينة . وعلاوة على ذلك فقد اشتد تهريب التمور الى الخارج تخلصا من بيعها للشركة باسعار واطئة مما افقد خزينة الدولة مبالغ طائلة من رسوم التصدير . وقد تعالت اصوات منتجي التمور مطالبة بالغاء احتكار هذه الشركة ولكن هذه الاصوات كانت اضعف من ان تقضي على نفوذ هذه الشركة البريطانية العتيدة .

وليست تجارة الحبوب باحسن حالا من تجارة التمور . وقوام صادرات العراق من الحبوب نحو ٦٠ ٪ من الشعير ونحو ٢٠٪ ٪٢٠ من الحنطة ، ونحو ٢٠ ٪ من الدخن والهرطمان والرز (١٣) ولا يصدر العراق من هذه الحبوب الا ما يفيض عن حاجة السكان . والكمية المصدرة ضئيلة بالنسبة لما في استطاعة البلاد انتاجه . ويعود السبب ذلك الى التاخر الزراعي الذى شرحت اسبابه في فصل سابق . وهنالك عوامل عديدة تعرقل نمو تجارة الصادر من الحبوب اهمها رداءة نوع الحبوب العراقية وهذا ما جعل الطلب عليها ضعيفا حتى ليكاد استهلاكها في الاسواق العالمية ان لا يتجاوز اغراض تغذية الحيوانات . ولذلك عدة اسباب اهمها جهل الفلاح العراقي بالاصول الفنية الزراعية واستهلاكه معظم البذور المحسنة التي يحصل عليها لغاية الزراعة،وخلطه بين الاصناف الجيدة والرديئة،واتباعه الطرق العتيقة في تصفيته الحبوب مما يؤدى الى وجود كميات من التراب فيها . " وقد قدر احد الخبراء ان نحوا من ٢٥ الف طن من التراب تشحن سنويا مع الحبوب العراقية ".(١٣) وهذا مما جعل الحبوب العراقية لا تستطيع مقاومة الحبوب الاجنبية ،كالروسية والاسترالية والاميركية ،الجيدة الاصناف، النظيفة،الحسنة التعبئة . وبالاضافة الى ما تقدم فان المنتجين العراقيين لا يحصلون على

---

(١٢) يقول الدكتور مظفر حسين جميل ص ٥٥٤: "ان اسعار نوى التمر قد ارتفعت من ٧٢٠ فلس الى ٨٦٤ دينار للطن،فاصبحت اعلى من الاسعار المقررة للحلاوى المختار . ومع ذلك فقد تمسكت الشركة بنصوص اتفاقها،ثم تبرعت بزيادة اسعارها ١٤ دينار عن كل طن في موسم ١٩٤٢ . ومن ثم لم تحصل الا على ثلثالكميات المتفق عليها بشان الموسم المذكور . وكانت التمور البصرية تباع في الالوية الاخرى او تهرب الى ايران والكويت . بل ان الحكومة بالذات كانت تبيع حاصلات املاكها والاملاك التي تحت اشرافها بالمزايدة العلنية وتمتنع عن تسليمها الى الشركة ."

على ارباح جيدة من حبوبهم للنواقص الموجودة في الخزن والتعبئة والنقل مما يجعل تكاليفها مرتفعة • يضاف الى ذلك أن فقدان المخازن الحديثة يعرقل تسليف الزراع لقاء رهن حاصلاتهم ويعوق انتظار فرص البيع المناسبة فيؤدي ذلك الى التهافت على البيع عند الموسم في الاسواق المحلية والى بيع هذه المحاصيل باسعار منخفضة الى المصدرين. ومما يزيد في ضآلة دخل الزراع وتجار الحبوب العراقيين من الحبوب المصدرة هو احتكار النقل النهري والبحري حيث يسيطر عدد من الشركات البريطانية والافراد على الملاحة النهرية في دجلة والخليج الفارسي" ومن امثلة ذلك ما حدث عند نشاط الاسواق سنة ١٩٣٧ فقد زادت اجور النقل النهري من ١٠ شلنات الى ١٧ شلنا للطن كما زادت اجور النقل البحري من ٢٠ شلنا الى ٢٥ شلنا للطن • فاصبح مجموع هذه الاجور نحو ٧٠ ٪ من اسعار سوق بغداد للشعير ونحو ٤٥ ٪ من تلك الاسعار للحنطة ." (١٥)

واهتمت الحكومة بتجارة الحبوب فاسست في عام ١٩٣٩ "لجنة تنظيم تجارة الحبوب" وهي عبارة عن هيئة ذات شخصية حكمية وتتكون من رئيس ومعاون رئيس يعينهما وزير المالية ومن احد عشر عضوا يمثلون تجار الحبوب وزراعها ووزارة المالية ووزارة الاقتصاد والمصرف الزراعي الصناعي • واعطيت هذه اللجنة صلاحيات لتنظيم امور التنظيف والخزن والشحن والتصدير والتسليف • وقد استطاعت هذه اللجنة ان تكلف عام ١٩٤٦ احدى الشركات ببناء" مخزن نموذجي في بغداد يتسع لخمسة الاف طن من الحبوب • ونية الحكومة متجهة الى توسيع هذا المخزن والى تشييد مخازن غيره في مراكز اخرى • وقد عقدت هذه اللجنة عدة صفقات لتصدير كميات من الحبوب اهمها الصفقة التي عقدتها مع شركة "اندرو واير" والتي اشترت الشركة بموجبها بين تشرين الاول ١٩٤٦ ونيسان ١٩٤٧ ٢٠٠,٠٠٠ طن من الشعير بسعر ٢١ دينار للطن الواحد • والحقيقة ان شركة اندرو واير هي المحتكرة الحقيقية لتجارة الحبوب ، كما هي المحتكرة الحقيقية لتجارة التمور وان التجار العراقيين ما هم في

---

(١٣) المصدر السابق ص٥٦٤

(١٤) المصدر السابق ص٥٦٥

(١٥) المصدر السابق ص٥٦٦

الحقيقة الا وسطاء لها • وان ما يناله التجار العراقيون وبالتالي الزراع العراقيون من ربح ما هو الا جزء ضئيل مما تصيبه هذه الشركة البريطانية •

و تكون تجارة الترانسيت (٣) جزءً مهما من تجارة العراق الخارجية ومصدر دخل للحكومة والتجار ووكالات النقل • وتكاد تجارة الترانسيت الى ايران تقدر قبل الحرب العالمية الاولى بنحو ٥٠ ٠/٠ من مجموع تجارة العراق الخارجية .(١٦) ولكن هذه التجارة ضعفت بعد الحرب العالمية الاولى لاهتمام ايران بموانيها على شط العرب والخليج الفارسي، كالمحمرة وبندر شاهبور وبندر عباس بحيث تحولت اليها معظم تجارة ايران الخارجية • وقد كانت قيمة البضائع التي تناولتها تجارة الترانسيت بين سنتي ١٩٢٥ — ١٩٢٦ و ١٩٣٥ — ١٩٣٦ تتراوح بين اعلى حد بلغته وهو ٢٩٧٫٥٦٤٫٥ دينارا عراقيا او ٣٠ بالمئة من مجموع التجارة الخارجية وذلك سنة ١٩٢٥ — ١٩٢٦ وبين ادنى حد هبطت اليه وهو ١٫٩٣٣٫٩٤١ دينارا عراقيا او نحو ١٩ بالمئة من مجموع التجارة الخارجية في سنة ١٩٣٢ — ١٩٣٣ • (١٧) على ان الذى ساعد دون هبوط مستوى تجارة الترانسيت هو نقل شركة الزيت الانكليزية الايرانية لمنتوجاتها من النفط المعدة للتصدير الى الخارج عبر العراق • هذا ولم تتاثر تجارة الترانسيت كثيرا بظروف الحرب • ولكن قيمتها ازدادت بصورة طبيعية تبعا لارتفاع اسعار البضائع التي تناولتها تجارة الترانسيت في عام ١٩٤٨ ، ٣٫٨٦٤٫٦٤٠ دينارا عراقيا (١٨)

ومن العوامل التي تؤثر في تقدم التجارة الخارجية العراقية ارتباط العملة العراقية منذ سنة ١٩٣١ بالكتلة الاسترلينية • فقد ثبت سعر الصرف بين الدينار والجنيه الاسترليني وتقرر استثمار ارصدة العملة العراقية في لندن واعتبرت لندن كوسيط للتعامل مع الدول غير الاعضاء بحيث يخضع هذا التعامل لرقابة بنك انكلترا وصندوق موازنة الصرف الذى انشا فيه سنة ١٩٣٢ • وقد افاد انتماء العراق الى الكتلة الاسترلينية التجارة العراقية لانه اسند سعر صرف الدينار ووثق العلاقات التجارية باعضاء هذه الكتلة بحيث بلغ معدل قيمة مجموع تجارة الاستيراد وبلغ معدل قيمة الصادر اليها خلال المدة نفسها ٥١٫٤ ٠/٠ من قيمة مجموع تجارة التصدير (١٩) ولكن انتماء العراق الى هذه الكتلة كان له اثار سيئة ايضا منها تحديد التعامل من الدول التي لا تنتمي الى هذه الكتلة وربط مصير التصنيع والتقدم الاقتصادى في

---

(١٦) حمادة ص ٤٠٣

(١٧) المصدر السابق ص ٤٠٤

البلاد بصورة عامة بقدرة الكتلة الاسترلينية على تجهيز ما يلزم لهذا التطور من رووس اموال ومعدات ومواد اولية يضاف الى هذا ان تثبيت سعر الصرف مما يحول دون تخفيض قيمة النقد وبهذا تحرم البلاد من طريقة ناجحة لمكافحة التضخم · (٢٠) وقد تبين الاثر السيء للانتماء الى الكتلة الاسترلينية بصورة خاصة منذ نهاية الحرب العالمية الثانية · فقد تجمعت خلال الحرب، ارصدة استرلينية للعراق ضمن ما يخص الحكومة العراقية ولجنة العملة والمصارف العامة في العراق في سنة ١٩٤٧، بنحو ٦٠ مليون جنيه استرليني · وقد عقدت في ١٣/ ٧/ ١٩٤٧ اتفاقية لتسوية جزء من هذه الارصدة · فتقرر بموجب هذا الاتفاق اطلاق مبلغ ٩١١و ٣٤٧ و ٢٦ باونا استرلينيا خلال مدة خمس سنوات· وعدلت هذه الاتفاقية في ١٧/ ١١/ ١٩٤٧ بحيث وضعت قيود جديدة من استعمال العراق لرصيده من الاسترليني (٢١)

وقد مدد العمل بهذا الاتفاق، بعد تعديلات طفيفة، الى الوقت الحاضر · وخلاصة هذه الاتفاقات، التي تجدد كل عام، هو ان يشترك العراق في صندوق الدولار في لندن، اي يجب ان يسلم ما يحصل عليه من الدولار والعملات النادرة الاخرى الى صندوق لندن وان لا يسحب منه الا ما يتم الاتفاق عليه بين العراق وبين بريطانيا لتامين استيراد العراق من مناطق العملات النادرة · وكانت الحكومة العراقية تخرج من هذه الاتفاقيات بصفة المغبون دائما لان ما يدخل الصندوق الدولار من معاملات تخص العراق يزيد بكثير عما يسحبه منه، اذا حسبنا قيمة المصدر من النفط سنويا من العراق والتي تتقاضى اثمانه الشركات الانكليزية بالدولار، وحصص الشركات الاميركية من النفقات الكبيرة التي تنفق في العراق من قبل شركة النفط العراقية على مد انابيب جديدة ، والتي تدفع بالدولار ايضا ·" ولعل هذا هو السبب الرئيسي لعدم موافقة بريطانيا على اتباع قاعدة (ايرننك بلانس) مع العراق ويقصد بهذه القاعدة ان يحتفظ العراق بما يحصل عليه من الدولار من صادراته المنظورة وغير المنظورة في كل عام ويضاف اليها مبلغ معين يحول من الارصدة الاسترلينية · ومما لا ريب فيه انه لو اتبعت هذه القاعدة وطبقت بدقة وضبط وتامين فسيكون للعراق مبالغ طائلة من الدولارات تزيد

---

(١٨) كامبل ، لواء الاستقلال عدد ٩٠٢

(١٩) جميل ص ٣٥٩

(٢٠) انظر المصدر السابق ص ٣٥٧ — ٣٦٣

(٢١) انظر المصدر السابق ص ٥٢٥ — ٥٢٩

كثيرا على ما يسحبه من صندوق الدولار في الوقت الحاضر ويستطيع بواسطتها بناء احتياطي متنوع لعملته التي هي باشد الحاجة الى الاستقلال عن العملة الاسترلينية بمثل هذا الاحتياطي القوي» (٢٢) والحق ان انتماء العراق الى الكتلة الاسترلينية وخاصة منذ ارتباطه باتفاقية الارصدة الاسترلينية قد جعل التجارة العراقية خاضعة للتوجيهات البريطانية كما جعل مصيره المالي ومقدراته الاقتصادية معلقة بمصير بريطانيا ومقدراتها ومشيئتها "بحيث اصبحت بريطانيا ، كما جاء في الكتب المتبادلة (بين الحكومتين العراقية والبريطانية بشان الارصدة الاسترلينية) بوضع نستطيع فيه ان لا توافق فيه حتى على تخصيص العملات النادرة (الدولار) اللازم لدفع الفوائد المترتبة على القروض التي يستقرضها العراق من امريكا الا اذا عقدت تلك القروض بموافقة الحكومة البريطانية ".» (٢٣)

---

(٢٢) محمد حديد ، "الاتفاقية الجديدة للعملات النادرة " جريدة صدى الاهالي ، ٨ اب ١٩٥٠، عدد ٢٦٤

(٢٣) محمد حديد "اتفاقية الارصدة الاسترلينية تعود على بدء" جريدة صدى الاهالي ، ٢٦ اذار ١٩٥١، عدد ٤٥٥

القســم الثالثة الكيان السياسي

الفصل الاول :

نشوء وتطور المصالح البريطانية في العراق

ان مصالح بريطانيا العظمى في العراق متعددة قديمة النشأة . وسابين في هذا الفصل طبيعة هذه المصالح، واسباب نشوئها والعوامل التي مكنت لها وساعدتها على التطور . اول ما دعا بريطانيا للاهتمام بالعراق هو موقعه الجغرافي الذي يمر منه احد طرق الهند المهمة . فقد كانت الهند وما يجاورها من مستعمرات كبورنيو وبورما وشبه جزيرة الملايو افنى المستعمرات البريطانية واعظمها اهمية لها . فمن هذه المستعمرات كانت المصانع البريطانية تتزود بالمواد الخام، والى هذه المستعمرات كانت ترسل سلعها المصنوعة وفيها كان الراسماليون الانكليز يوظفون ما يفيض من رووس اموالهم . وقد كانت السياسة البريطانية في الشرق، منذ القرن السابع عشر، تدور حول حماية هذه المستعمرات وتامين الطرق الموصلة اليها . يقول اللورد كرزن في كتابه "مركز الهند في الامبراطورية"؟ وتامل فيما لعبته الهند من دور في السياسة الانكليزية وتوسيع ممتلكات الامبراطورية البريطانية . فقد كانت العامل الاكبر لكل حركة خطيرة في سياسة بريطانيا العظمى في الشرق البحر المتوسط . فالمسألة الشرقية التي كانت في العصور الوسطى عبارة عن استرداد الاراضي المقدسة من ايدى المسلمين، اصبحت بعد ان بسطنا يدنا على الهند، تدور حول حماية املاكنا الهندية وان كانت في الظاهر تدور حول امتلاك القسطنطينية فلاجل الهند ابتاع اللورد بكنتر فيلد أسهم قنال السويس . ولاجل الهند بسطنا نفوذنا على مصر . وما النزاع مع روسيا مدى قرن ونصف القرن (~~القرون عدة قرون~~) لابعادها جهد المستطاع عن الحدود الهندية . ولاجل الهند تاسست مستعمرة الكاب . ولاجل الهند امتد نفوذنا في جنوب افريقيا،(١) والطرق المودية من اوربا الى الهند اربعة . اولها الطريق الشمالي الذى كان يصل الهند والصين باوربا بوساطة القفقاس والسهول الروسية . وقد ازدادت اهمية هذا الطريق بعد سكة حديد سيبيريا ووصله بالصين من جهة وبالقوقاس وفارس من جهة اخرى . وثانيها الطريق الاوسط الذى كان يصل الهند باوربا بحرا بواسطة الخليج

---

(١) نقلا عن مجيد خدورى ((الاسباب للاحتلال البريطاني للعراق)) الموصل ١٩٣٢، ص ١٦ .

الفارسي فبرا بواسطة العراق حيث يمتد من البصرة الى بغداد ليتفرع من هنالك الى فرعين يحاذي احدهما دجلة صاعدا الى الموصل فحلب فالبحر الابيض المتوسط ، ويمتد الثاني مسايرا الفرات حتى ينتهي بالموانئ السورية . ويتشعب من الموصل طريق ثالث يمتد الى الجزيرة ، فالاناضول فالاستانة ويمر بالعواصم الاوربية حتى ينتهي بلندن . وثالثها الطريق الجنوبي ويبدأ من اسيا الجنوبية الشرقية مارا بالمحيط الهندي فالبحر الاحمر فالبحر الابيض المتوسط . وقد زادت اهمية هذا الطريق بعد فتح قناة السويس في عام ١٨٦٩ حتى كاد ان يصبح الطريق الرئيسي الى الشرق .
ورابعها طريق راس الرجا الصالح الذي اكتشف في اواخر القرن الخامس عشر ، وهو يبدأ من غربي اوربا ويمتد محاذيا افريقيا الغربية مارا براس الرجاء الصالح حيث يتشعب عدة شعب ، يوصل بعضها الى جزائر الهند الشرقية واستراليا وبعضها الى الهند وافريقيا الشرقية . وقد استعاد هذا الطريق الاخير اهميته التي فقدها بعد فتح قناة السويس خلال الحرب العالمية الثانية .

حققت بريطانيا سيطرتها على الطريق الثالث بان استولت خلال اجيال عديدة ، على اهم القواعد السوقية (الستراتيجية) فيه . فقد سيطرت على جبل طارق منذ سنة ١٧٠٤ ، واستولت على مالطة سنة ١٨١٤ ، ~~علما بان هذه القواعد السوقية المهمة~~ وعلى عدن ١٨٣٨ ، وعلى قبرص سنة ١٨٧٨ ووضعت مصر تحت حمايتها سنة ١٨٨٢ . على ان هذه القواعد السوقية المهمة لم تكن كافية وحدها لحماية هذا الطريق دون السيطرة على الخليج الفارسي واقتصاداته ، وابعاد نفوذ الدول القوية عن سواحله . هذا بالاضافة الى ان الخليج الفارسي ، والعراق الذي يسيطر على قسمه الشمالي ، يكونان الطريق الاوسط للهند هذا الطريق الذي يكون في الوقت نفسه جناح الطريقين الاخرين . وقد ازدادت اهمية هذا الطريق بعد ان اتضحت امكانية الملاحة النهرية في العراق ، وبعد ان اكتشفت وسائط النقل ذات الاحتراق الداخلي كالقطارات والسيارات والطيارات مما سنبينه في موضعه من هذا الفصل . وعلى هذا فقد تحتم على بريطانيا ان تمد سلطانها على الخليج الفارسي وعلى المناطق التي تشرف عليه .

ارتبطت قضية السيطرة على الخليج الفارسي بتاريخ الهند منذ ان احتل البرتغاليون مدينة هرمز اهم مدن الخليج واعظم المواقع المسيطرة على التجارة فيه ،

---

(٢) انظر المصدر السابق ص ١٧ — ١٩

عام ١٥٠٧ . وقد هزم الهولنديون البرتغاليون ليتركوا السيادة على المحيط الهندي والخليج الفارسي للانكليز . ففي سنة ١٦١٦ بعثت شركة الهند الشرقية السفينة جيمس بمقتضى فرمانات من الشاه عباس في ايلول ١٦١٥ الى جسك الواقعة قرب مضايق كلارنس مؤملة ان توجد اسواقا لاقمشتها الصوفية . ومنح الشاه عباس هذه الشركة عام ١٦١٩ احتكار تجارة الحرير في الخليج الفارسي . وقد تمت سيطرة التجار الانكليز على التجارة في الخليج الفارسي منذ عام ١٧٦٦ بعد ان زال ماكان للبرتغاليين والهولنديين من نفوذ فيه (٣) ولكن القراصنة العرب واشدهم خطرا وضراوة قبيلة القواسم التي كانت تسكن الساحل الممتد من راس المسندم الى شبه جزيرة القطر والذى يعرف الان بالساحل المهادن (٤) كانوا يهددون تجارة شركة الهند الشرقية فيهاجمون سفنها التجارية وينهبونها بل لقد كانوا يغيرون على طراداتها الحربية التي كانت تحرسها . وكان على الشركة ان تخضد شوكة هؤلاء القراصنة وتستميلهم الى جانبها قسرا . فجردت عليهم حملات من بومبي في عام ١٨٠٦ و ١٨٠٩ و ١٨١٩ ، فخضع رؤساء القبائل التي تسكن هذا الساحل واضطروا على توقيع معاهدة صلح عامة في ٨ كانون الثاني سنة ١٨٢٠ الغاية منها الحد من القرصنة والقضاء على الاتجار بالعبيد . وقد ابدلت هذه المعاهدة عام ١٨٥٣ بمعاهدة صلح دائمة تقضي بوجوب ادامة الهدنة البحرية الكاملة ، واحالة جميع القضايا المختلف عليها الى السلطات البريطانية في الخليج (٥) وقد تمكنت حكومة الهند في النصف الاول من القرن التاسع عشر من بسط سيطرتها المستورة على عمان ومسقط (٦) والقطر (٧) والبحرين (٨).

---

(٣) انظر ايرلاند ص ٣١

(٤) كان هذا الساحل يعرف في السابق عند الغربيين باسم ساحل القراصنة وقد استمد اسمه الحالي نتيجة للاتفاقية المعقودة بين الانكليز وبين شيوخ ابو ظبي ودبي ، والشارجة والعجم ، وام القروين عام ١٨٥٣ . انظر وليامس ص ٢١٦ حاشية ٢

(٥) انظر المصدر السابق ص ٢١٢ — ١٣ ، وايرلاند ص ٢٢ — ٢٣.

(٦) في تشرين الاول ١٧٩٨ عقدت شركة الهند الشرقية معاهدة مع سيد سلطان سلطان مسقط نالت بموجبها حق تاسيس مصنع في بندر عباس (كان السلطان قد استاجر هذا الميناء من الحكومة الفارسية) وفي سنة ١٨٠٠ عين اول مقيم بريطاني في مسقط وفي سنة ١٨٣٩ عقدت السلطات البريطانية معاهدة تجارية مع عمان وفي سنة ١٨٢٢ و ١٨٤٥ عقدت معاهدات لمنع تجارة العبيد وفي سنة ١٨٩١ عقدت معاهدة صداقة وتجارة وملاحة بالنيت بموجبها معاهدة ١٨٣٩ ، وتنص على انه لا يحق للسلطان ان يمنع استيراد او تصدير اية سلعة تجارية ، كما تنص على ان فرض يتبع

على ان توسع روسيا القيصرية في اسيا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر ، وسعيهما للسيطرة على ايران ، ومد نفوذها على الخليج الفارسي ، ومحاولة المانيا ، في اواخر هذا القرن ، والتغلغل في الامبراطورية العثمانية ، والسيطرة عليها ، ومد نفوذها على الاناضول والعراق ، اثار مخاوف اولي الامر من البريطانيين ، وحملهم على تثبيت سيطرتهم على الخليج ، ودعم مركزهم فيه ، وبسط حمايتهم السافرة على جميع النقاط السوقية فيه • وقد اسرعت بريطانيا بتنظيم علاقاتها مع الشيخ مبارك في الكويت ، بمعاهدة عقدتها معه في ٢٣ كانون الثاني سنة ١٨٩٩ ، وتعهد فيها الشيخ التعهدات التي قطعها على انفسهم شيوخ البحرين والقطر والساحل المهادن ، وبهذا اصبحت الكويت محمية رسمية من محميات بريطانيا على الرغم من ان ابن المبارك هذا طلب من الحكومة البريطانية ان تضمه تحت حمايتها مرتين عام ١٨٩٧ ، و ١٨٩٨ ، فردت طلبه لانها كانت تعتبره تابعا للدولة العثمانية •

وقد استمالت الحكومة البريطانية شيخ المحمرة خزعل ، الذي كان تابعا للحكومة الايرانية ، والذي كان يسيطر سيطرة فعلية على القسم الجنوبي من شط العرب بناحيتيه التركية والايرانية (٨)

تابع (٦) الرسوم على الصادرات يجب ان يخضع لموافقة السلطات البريطانية ، وفي اذار سنة ١٨٩١ عقدت اتفاقية سرية بين السلطان فيصل وحكومة الهند تنص على ان يتعهد السلطان "بان لا يتنازل هو او خلفاؤه من بعده ، او يؤجر ، او يبيع او يرهن مسقط وعمان ، او اية من المقاطعات التابعة لهما ، لاية دولة ما عدا الحكومة البريطانية " • انظر ولياسن ص ٢١٦ حاشية رقم ٢آ

(٧) كان لحكومة الهند حتى عام ١٨٨٢ ، اتفاقية مع كبير شيوخ القطر تشبه الاتفاقية المعقودة مع شيوخ الساحل المهادن • وفي تشرين الثاني ١٩١٦ عقدت الحكومة البريطانية معاهدة رسمية مع الشيخ عبد الله بن جاسم بن ثاني تعهد فيها الشيخ بان لا يدخل بعلاقات مع اية دولة ، او مع وكلاء اية دولة ، بدون موافقة الحكومة البريطانية كما تعهد فيها ايضا بأن لا يؤجر ، او يبيع ، اراضي لاية دولة اخرى ، او لمواطني اية دولة اخرى • انظر المصدر السابق ص ٢١١ — ١٢

(٨) تاسست علاقات مباشرة بين المملكة المتحدة والبحرين سنة ١٨٠٥ • ونظمت هذه العلاقات بمعاهدة سنة ١٨٢٠ • وعقدت بين سنتي ١٨٤٧ و ١٨٦٢

يتبع

يتضح لنا من هذا العرض الموجز مدى اهتمام الحكومة البريطانية بالخليج الفارسي .
ويزيد هذا الامر وضوحا هذه الفقرة التي انقلها عن لورد كرزن ، الذى كرس جهوده بصفته الرسمية والشخصية، خلال اواخر القرن التاسع عشر واوئل القرن العشرين لتوضيح اهمية الخليج الفارسي ، والدعوة المقرونة بالعمل ، الى مد السيطرة البريطانية عليه . قام اللورد كرزن بصفته نائب الملك في الهند ، بزيارة للخليج الفارسي . والقى في ٢١ تشرين الثاني ١٩٠٣ ، خطابا على شيوخ القبائل المجتمعين في الشارجة جاء فيه : "ان امبراطورية الهند العظيمة ، التي اصبح من واجبنا الدفاع عنها ، تقع على ابوابكم تقريبا .... وعلى هذا فاننا لن نتخلى عن هذه الجهود المجيدة المنتصرة التي بذلناها باغلى الاثمان خلال قرن كامل ، ولن نحو اكثر صفحات التاريخ خلوا من الانانية . وعلينا ان نحافظ على السلم في هذه البحار ، وسنبقى محافظين على استقلالكم على ان يبقى نفوذ الحكومة البريطانية هو السائد فيها "(٩) .

يرجع عهد نشوء المصالح البريطانية في العراق الى عام ١٦٤٣ عندما اسست شركة الهند الشرقية محملا لها في البصرة . واقامت شركة الهند الشرقية هذه وكالة لها في البصرة لتشرف على مصالحها في وادى الرافدين ، كان رئيسها يشغل منصب القنصل البريطاني . وكان لهذه القنصلية وكيل عراقي في بغداد حتى السنة التي غزا فيها نابليون مصر ، حيث وضعت الشركة ممثلا لها في بغداد ايضا اعترف به الباب العالي رسميا (١٠) وقد راجت التجارة الانكليزية في العراق منذ ذلك الحين واحتلت انكلترا مقام الصدارة بين الدول المصدرة اليه . يقول الرحالة نيبوهر الذى زار العراق عام ١٧٦٦ / : "للانكليز القسط الاوفر من التجارة بين الشعوب الاوربية . فانهم يجلبون جوخا من اوربا ، وشاسا رقيقا من البنغال ، وكل انواع الاقمشة من سورات .... ويسكن في بغداد احد مستشارى الانكليز مع بعض

تابع (٨) عدة اتفاقيات نالت انكلترا بموجبها بعض السيطرة على علاقات شيخ البحرين الخارجية . وفي سنة ١٨٨٠ عقدت اتفاقية نهائية تعهد الشيخ عيسى بن على الخليفة ان يمتنع عن مفاوضة اوعقد معاهدات مع اية دولة غير الدولة البيرطانية . وقد اعقبت هذه الاتفاقية اتفاقية اخرى في ١٣ اذار ١٨٩٢ تعهد فيها الشيخ بان لا يسمح باقامة ممثل اى دولة اجنبية في بلاده ، كما تعهد بان لا يتنازل اويرهن ، اويملك اى جزء من بلاده لاى احد كان عدا الحكومة البريطانية "انظر المصدر السابق ص ٢١٤ .

(٩) انظر ايرلاند ص ٣٩ — ٤٠ ووليامس ص ٢٠٩

كتبة وتاجر من الشركة الشرقية التي تعود الى هذا الشعب • اما القنصل الفرنسي فانه يقضي حياة رخيصة بقدر ما يتمكن ولكنه بدون تجارة •" (١١) • وقد ازدادت التجارة الانكليزية في العراق نشاطا بعد الثورة الصناعية ، وخاصة بعد فتح قناة السويس• وكان العراق الى جانب كونه سوقا للبضائع الانكليزية ، واسطة لنقلها الى ايران • وقد بلغت قيمة البضائع التي استوردت عن طريق البصرة وبغداد في كل من سنتي ١٩١١ و ١٩١٢ (٣,١٠٠,٠٠٠) ليرة استرلينية • وكانت نسبة كبيرة من هذه البضائع انكليزية وهندية استوردت لتصدر من جديد الى ايران عن طريق كرمنشاه • وبلغت قيمة الاموال المصدرة عن طريق البحر في كل من السنتين المذكورتين ، ٣,٢٤٧,٥٠٠ ليرة استرلينية (١٢) •

وكانت انكلترا تستورد من العراق الحبوب ، والتمور ، والعفص ، والجلود ، والصوف• فقد كان العراق يصدر سنويا الى لندن في اواخر كل القرن التاسع عشر ، رزا تبلغ زنته ١١,٠٠٠ طن ، وتبلغ قيمته ٣٠,٠٠٠ ليرة عثمانية ذهبا • وقد بلغت قيمة المصدر من السمسم الى انكلترا سنة ١٩٠٨ " ١٩,٢٩٠ جنيها • وكانت قيمة ما يصدر من التمور سنويا في اواخر القرن التاسع عشر الى انكلترا والهند ٢٧٧,٠٠٠ ليرة استرلينية • وكانت بريطانيا تستورد من العفص سنويا من ولاية بغداد فقط نحو ٢٨٠ طنا ، ومن الصمغ ١١,٠٠ طن ، وكانت قيمتها تبلغ ١٠٤,٠٠٠ ليرة عثمانية ذهبا • وكانت ولاية الموصل لوحدها تصدر من العفص ومن المواد الاخرى الى بريطانيا ، حوالي السنة ١٩٠٧ ، ما قيمته ١٠٦,٥٠٠ ليرة عثمانية (١٣)

وكانت بغداد مركزا هاما لتجارة الترانسيت مع ايران ، حيث كانت تنقل صادرات وواردات ايران عن طريق خانقين ، فكرمنشاه ، فهمدان ، فطهران محملة على ظهور البغال • كان يدخل بغداد ، ويخرج منها ، كل سنة بين ٢٠,٠٠٠ و ٢٥,٠٠٠ بغل محملة بضائع • وكانت واردات ايران ، التي تنقل اليها عن طريق البصرة وبغداد تشمل مصنوعات مانشستر ، واقمشة اوربية وقطنية وصوفية ، وبضائع هندية ، وعقاقير ومصنوعات معدنية ، وافاويه ، وقهوة ، وشاي ، وسكر ، ونيلة •

---

(٩) نقلها اير لاند ص ٤٣ • وقد نقلت هذه الفقرة عن ترجمة الاستاذ جعفر خياط لكتاب ايرلاند مع بعض التعديل • انظر فيليب ويلارد ايرلاند ، "العراق : دراسة في تطوره السياسي" نقله الى العربية جعفر خياط (بيروت ١٩٤٩) ص ١٩

(١٠) خدوري ، اسباب الاحتلال البريطاني للعراق ص ٥٤ •

(١١) نقلها يوسف غنيمة في كتاب "تجارة العراق قديما وحديثا" ص ٧٥ نقلا عن المصدر السابق ، ص ٥٥ .

وكانت اقيامها تتراوح سنويا ، في الربع الاخير من القرن التاسع عشر ، بين ٣٠٠،٠٠٠ و ٢٧٠،٠٠٠ ليرة عثمانية . واما صادرات ايران ، المعدة للتصدير الى الخارج برا وبحرا ، كالصوف ، والسجاد ، والافيون ، والصمغ ، والفواكه المجففة ، او للاستعمال المحلي في العراق كالتبغ ، والسمن ، والفواكه الطرية والمجففة ، فكانت قيمتها تقدر كذلك بين ٢٧٠،٠٠٠ و ٣٠٠،٠٠٠ ليرة عثمانية . وعلى هذا تتكون قيمة تجارة الترانسيت الايرانية ، التي تمر عبر بغداد ، ٥٤٠،٠٠٠ ليرة عثمانية اى ما يقارب ربع مجموع تجارة بغداد التي تقدر ب ٢،٤٧٥،٠٠٠ ليرة عثمانية ، والتي كانت تدر عليها رسوما كمركية تبلغ ١١٥،٠٠٠ ليرة عثمانية (١٤)

واسست في العراق فروع لعدة بنوك انكليزية "ولتاسيس هذه الفروع قصد مزدوج وهو تسهيل المتاجرة مع بلدانها وراء البحار ، والوصول الى استثمار اموالها بمعدل اوفى مما تستطيع الوصول اليه في بلدانها ...... وبما ان معدل الفائدة في العراق اعلى منه في اوربا فان هذه الوكالات تمكن اصحابها في اوربا من توظيف الجاهز من اموالهم توظيفا اغزر ربحا". (١٥) والبنوك الانكليزية في العراق ثلاثة . البنك العثماني ، ورؤوس امواله انكليزية وفرنسية ، وقد بدأ اعماله في العراق بتاسيس فرع له في بغداد سنة ١٨٩٠ ثم اسس ، بعد هذا التاريخ ، فرعين احدهما في البصرة والثاني في الموصل . والبنك الشرقي وقد افتتح فرعه الاول في بغداد عام ١٩١٢ وبعد ذلك التاريخ افتتح له فروعا اخرى في البصرة والموصل والعمارة وكركوك . والبنك الشاهي الايراني وقد ابتدأ اعماله في العراق سنة ١٩١٨ بتاسيس فرع له في بغداد ثم اسس بعد ذلك التاريخ فرعا اخر في البصرة . (١٦)

---

(١٢) ايرلاند ص ٤٨

(١٣) هذه الارقام ماخوذة عن Cuinet , La Turquie d'asie , vol 3, P. 77 وقد نقلها خدوري ص ٥٨ — ٦٠

(١٤) George N. Curzon " Persia and the Persian Question" Vol. II (London, 1892), P. 575- 8 وساشير اليه ب "كرزن" .

(١٥) حمادة ص ٤٤٤

(١٦) المصدر السابق ٤٤٥ وفي هذه الصفحة يقول الاستاذ حمادة "انه لمن الصعب معرفة مدى الاعمال المختلفة التي تقوم بها هذه المؤسسات الصرافية وذلك لانها لا تذيع بيانات عن اعمالها في العراق على حدة . ولكن يقدرون ان المبالغ التي تستخدمها البنوك الاجنبية في العراق للتسليف التجارى البحت كانت في سنة ١٩٢٦ تفوق مليون دينار عراقي "

ان تقدم الملاحة النهرية في النصف الاول من القرن التاسع عشر اضاف اهمية جديدة الى العراق في نظر الحكومة البريطانية ، والمسوولين عن ادارة التجارة والسياسة في الهند ، الذين كانوا يسعون لتيسير المواصلات بين انكلترا والهند • وعلى هذا وجهت السلطات الانكليزية اهتمامها لاكتشاف امكانية النقل النهري في العراق ، في اوائل القرن التاسع عشر ، موءملة تحقيق عدة امور من وراء ذلك منها : تيسير النقل بين الهند وانكلترا ، وتوسيع التجارة البريطانية في العراق ، وصد تقدم روسيا القيصرية الى الشرق الادنى • وابرز الشخصيات التي اشتغلت بمشروع تاسيس المواصلات مع الهند بواسطة خط للسفن يسير منتظما في الفرات ، ويقوم بنقل البريد والمسافرين والسلع التجارية ، هو الكابتن فرانسيس رودن چزني • ففي سنة ١٨٣٠ ارسلت الحكومة البريطانية چزني ليقوم بمسح الفرات • وفي سنة ١٨٣٥ سمح لبعثة چزني بالعمل • وفي نيسان ١٨٣٦ انزل جزني الى الفرات ، قرب مسكنة ، "دجلة" و "الفرات" وهما باخرتان صنعتا خصيصا لهذا المشروع • وبعد شهر قضى اعصار شديد على دجلة اما الفرات فوصلت الى البصرة سالمة • على ان استقرار الحالة في الشرق الاوسط والادنى نسبيا ، بتاثير شروط "بروتوكول لندن" ١٨٤١ ، الذي اوقفت بموجبه المطامع الروسية والفرنسية والمصرية موقتا ، ادت بالحكومة البريطانية الى اهمال طريق ما بين النهرين ، والالتفات الى الطريق الذي يمر من مصر • (١٧) ولم تتوقف اعمال المسح النهري باهمال مشروع جزني • ففي سنة ١٨٣٩ انزلت في البصرة اربع بواخر مسلحة اخذت تدور في المياه العراقية مدة سنة دون ان تلقى عائقا ، بالرغم من ان الفرمان بالترخيص لها بالتنقل في المياه العراقية لم يصل الا في عام ١٨٤١ • وقد عادت ثلاث من هذه البواخر الى الهند ، وبقيت الرابعة راسية بالقرب من المقيمية البريطانية في بغداد • وقد تقدمت اعمال المسح خلال هذه الفترة من الزمن ، حتى حضرت ادق الخرائط التي ظلت تستعمل حتى سنة ١٩١٤ (١٨) • على ان اهتمام بريطانية العظمى في المواصلات مع الهند لم يكن خلوا من النتائج القيمة لان الحملات التي جرت منذ سنة ١٨٣٤ مصاعدا ، مع وجود البواخر المسلحة في دجلة قد مهدت الطريق لتاسيس خط تجاري بريطاني في دجلة (١٩) وتوسيع شان التجارة هناك بوجه عام • ذلك التوسع الذي تقدم بمراحل عن الايام التي كانت فيها

---

(١٧) انظر ايرلاند ص ٤٤ــ ٤٥ وخدوري ص ٦٦ــ ٧ ، ولونكريك ٢٩٢ ـ ٢٩٣

(١٨) لونكريك ص ٢٩٣ ـ ٤

(١٩) ترك خط الفرات ، باعتباره طريقا لبريد الهند عندما ظهر بان النهر غير صالح للسفرات السريعة •

البصرة مركزا لقسم من تجارة الخليج ، والذى ساعد بمقدار غير قليل في خلق المركز الممتاز الذى كانت تمتع به بريطانيا العظمى في بلاد العراق " (٢٠) وفي سنة ١٨٦١ نال هنرى لينج فرمانا يخوله تسيير باخرة في المياه العراقية . وقد اسست هذه الاسرة منذ ذلك الحين " شركة الملاحة التجارية في دجلة والفرات (٢١) . وقد تمتعت هذه الشركة باحتكار حقيقي لمصلحة النقل النهرى الى ان اسس مدحت باشا مصلحة الملاحة النهرية . على ان هذه الشركة لم تستطع منافسة شركة اللينج ، وكانت شركة لينج تدير باعانة مالية من الحكومة خط بواخر في نهر كارون منذ ان افتتح شاه ايران سنة ١٨٨٨ هذا الخط . يضاف الى كون القسم الاعظم من النقليات النهرية كان بيد شركة لينج ، ان معظم السلع الواردة الى العراق او المصدرة منه كانت تنقل بواسطة بواخر بريطانية ـ هندية (٢٢) .

شعرت الحكومة البريطانية اثناء " العصيان الهندى " بالحاجة الماسة الى اقامة مواصلات تلغرافية بين انكلترا والهند . فقد كان ارسال رسالة بين هذين القطرين وتلقي الجواب عنها يستغرق ثلاثة اشهر في ذلك الحين . وقد قامت الحكومة الانكليزية سنة ١٨٥٩ باول محاولة لوصل الهند بانكلترا تلغرافيا بمد الحبل السلكي (القابلو) في البحر الاحمر ، ووصله بالحبل السلكي الذى يصل بين الاسكندرية ومرسيليا ، والعائد لاحدى الشركات الاهلية . ولكن هذا الخط فشل فشلا تاما ولما يمضي على استخدامه ثلاثة اسابيع ، فوجهت انكلترا اهتمامها لربط الهند بانكلترا عن طريق الخليج الفارسي وايران والعراق . وقد اتفقت الحكومتان التركية والبريطانية سنة ١٨٥٧ على قيام المهندسين البريطانيين بمد خط يصل العراق بالخليج الفارسي على ان يكون المشروع تركيا صرفا . وفي صيف ١٨٦١ تم الاتصال عن طريق البر بين الاستانة وبغداد

تابع (١٩) المنتظمة ، وبعد ان اصاب " دجلة من كارثة ، وبعد وقوع حوادث اخرى ، واصبحت اعمال الحكومة البريطانية بعد سنة ١٨٤٢ منحصرة في امور المسح فقط .

(٢٠) لـ ايرلاند ص ٤٧ ـ ٤٨ من الاصل وص ٢٢ ـ ٤ من الترجمة العربية .

(٢١) لا تزال هذه الشركة قائمة الى الان ، وهي تسيطر على معظم حركة النقل في دجلة بين بغداد والبصرة . " وقد وسعت شركة لينج نطاق اعمالها فاخذت موسساتها التجارية في بغداد قائمة الى اليوم باسم (مسبيرس Mespers) انظر خدوى ص ٦٨

(٢٢) انظر ايرلاند ص ٤٨ .

وبديء العمل في اواخر سنة ١٨٦٣ في ربط بغداد بالخليج وبديء في الوقت نفسه بمد خط بغداد خانقين . وفي عام ١٨٦٤ اصبحت خطوط التلغراف العراقية متصلة بخطوط تركية وايران (في خانقين) وبالخليج الفارسي في الفاو . وكان يشرف على خطوط التلغراف في الفاو موظفون انكليز واتراك . (٢٣)

وقد ادى ازدياد النفوذ الروسي في تركيا وايران وتعاظم خطره المزعوم على سلامة الهند ، الى اهتمام بريطانيا بمد شبكة من خطوط السكك الحديد في العراق . ففي سنة ١٨٤٣ عرض الكسندر كامبل مشروع سكة حديد ((انكلترا — الهند)) يمتد على طريق وادى الفرات وهو مشروع عرض من بعد ذلك على شركة الهند الشرقية . وقد درس تصميم هذا الخط ، ورسمت له الخرائط . وفي سنة ١٨٤٩ عرض جون رايت مشروعا اخر لانشاء خط يمر بوادي الفرات . وبعد ثلاث سنوات جمع و . ب آندور الداعى لانشاء طريق مثل هذه الى الهند ، خلال سنين عديدة ، جماعة من العلماء والمغامرين ، لينج وجزني ومكنيل وغيرهم ، وكونوا شركة لانشاء سكة حديد من البحر الابيض المتوسط الى الخليج . وكانوا يرون ان تمر سكة الحديد هذه بسلوقية وانطاكية وحلب ، وقلعة جعبر ، وهيت وبغداد ، ومن هنالك الى القرنة والبصرة . وقد رضيت هذه الجماعة ان تمد اولا خط سلوقية — حلب فقط (وطوله ثمانون ميلا) ومن هنالك يتصل الخط بطرق البواخر العاملة في نهر الفرات . وكانوا يدللون على اهمية هذا الخط وضرورته بحجج عديدة منها الخوف من تسرب النفوذ الروسي ، الي الشرق " والثروة العظيمة الكامنة في العراق ، واستفادة تركيا والهند منه والتوسع المنتظر في التجارة مع الشرق الاقصى ، وسهولة انجاز المشروع من الوجهة الهندسية ، وتوفر المواد الانشائية في سوريا . وقد حظي المشروع بتاييد الحكومة البريطانية ، لاسباب سياسية (٢٤) فقد وعد بالمرستون بتاييد الحكومة له ، كما ايده المستر ستراتفور وكانينغ هذا بالاضافة الى ان الحكومة التركية كانت على استعداد لقبوله . غير ان اللورد بالمرستون تراجع فجأة وسحب موءازرة الحكومة للمشروع في ١٤ آب ١٨٥٧ فانهار من اساسه .

---

(٢٣) كرزن ج ٢ ص ٦٠٨ و ص ٦٣٦ . وانظر كذلك لونكريك ص ٢٩٦ — ٩٧

(٢٤) ، وكان من جملة الحجج السياسية التي بسطت لتاييد سكة الحديد هذه امكانية ايقاف النفوذ الفرنسي الذى اخذ يتعالى من جديد في سوريا ومصر ، وتحويل الانظار عن مشروع قناة السويس ، وسبق الخطط الروسية في الخليج الفارسي)) ايرلاند ص ٤٦ حاشية ٥

كانت بريطانيا العظمى ،التي عرضت لشيء من مصالحها في العراق ،دائبة على تعزيز مركزها وتنمية امتيازاتها ،وتقوية نفوذها ،ويرجع كثير من نفوذ بريطانيا في العراق الى موسساتها السياسية في البلاد . فقد كانت مقيمية بغداد ،التي حلت محل مقيمية البصرة في سنة ١٨١٠ ، ذات نفوذ واسع في الاوساط التركية الحاكمة في العراق نتيجة للمساعدات التي كانت تقدمها بريطانيا لها ضد الثوار ،وحكرى صفو الامن من العرب والايرانيين . "فقد طلب باشا بغداد في سنة ١٧٦٣ سفن من بومبي للمساعدة ضد بني كعب الذين كانوا يهاجمون السفن والبلدان حول البصرة . فارسلت اليه سنة ١٧٦٦ ستة سفن من بومبي . وبعد ذلك في سنة ١٧٧٤ ، عندما جهزت السفن الى الباشا طلب من البريطانيين ان يستخدموها بحسب ما يرونه مناسبا للمصالح [illegible] التركية . وفي سنة ١٧٧٨ ساعد البريطانيون الاتراك في استرجاع البصرة من الايرانيين . وفي سنة ١٧٩٨ دعي مقيم بوشهر ليسوى الحقوق والادعاءات بين سلطان عمان وباشا بغداد . وعندما توقع الاتراك فيما بين ١٨٣٥ و ١٨٣٩ ،بان يتقدم جيش محمد علي باشا المصري من راس الخليج فيهاجم بغداد ، ذكر بان الحكومة التركية طلبت تدخل الحكومة البريطانية"(٢٥) . وكانت مقيمية بغداد ، التي كانت تحرسها قوة من الجنود الهنود وزورق مسلح ،ذات هيبة وسلطان ،وعلى الاخص لدى القبائل العربية . "على ان الوسائل التي استمرت بريطانيا على ادامة نفوذها وتعزيز مكانتها بواسطتها بقيت متمثلة في حماية التجار الهنود والموجودين في البصرة وبغداد ،ورعاية زوار العتبات المقدسة الاربع الموجودة في العراق من المسلمين الهنود ،وفي اهتمامها بالاحوال الصحية في البصرة والعتبات المقدسة ،وتوزيع واردات اوقاف اوده (٢٦) ،وادارة دوائر البريد الهندية الموسسة في بغداد والبصرة منذ

---

(٢٥) ايرلاند ص ٤٤ حاشية ٣ من الاصل وص ٢٠ حاشية ٣ من الترجمة العربية

"Review of the Civil Administration of Mesopotamia" (London, 1920) p.

(٢٦) تقول مس جيرترود لوتيان بيل في كتابها " الذي نقله الى العربية الاستاذ جعفر خياط بعنوان "فصول من تاريخ العراق القريب " (بيروت ١٩٤٩) ص ٢٨ :"وقد بدأت علاقاتنا بمجتهدي كربلاء والنجف قبل الحرب بمدة طويلة . حيث ان الحكومة الهندية في ١٨٤٩ كانت لها علاقة بهاتين المدينتين فيما يختص بوقف اوده . لان غازي الدين حيدر ،ملك اوده ،اوقف مبلغ قدره ١٢١٠٠٠ روبية في السنة لتصرف صدقات الى مستحقيها في المدينتين المقدستين فوجدت حكومة الهند التي ورثت مسووليات شركة الهند الشرقية نفسها في موقف الناظر على هذا الوقف .

يتبع

سنة ١٨٦٨ ومشاريع الري التي وضعها السير وليام ويلكوكس في سنة ١٩١١ وقامت بانشائها شركات بريطانية . وفوق كلما تقدم فقد ظل تشجيع التجارة والملاحة النهرية وحمايتها الاسلوب الذى كانت بريطانيا تتبعه لادامة نفوذها وتوسيعه ودعم مركزها في البلاد ." (٢٧) .

ان موقع العراق السوقي الممتاز ، الذى يسيطر على الخليج الفارسي ، وهذا النفوذ البريطاني القوى فيه وهذه السيطرة البريطانية التي كادت ان تكون تامة على تجارته مما جعل الساسة البريطانيين يعتبرونه امتدادا جغرافيا وسياسيا وتجاريا للخليج الفارسي . فقد قال كرزن في عام ١٨٩٢ بعد ان ذكر اهمية بغداد التجارية واحصى تجارتها مع ايران التي ذكرت عنها شيئا فيما تقدم : «والخلاصة ان بغداد تقع في ضمن موانيء الخليج ويجب ان تدخل في ضمن السيادة البريطانية التي لا نزاع فيها .» (٢٨) . وقد اكد كرزن رايه هذا بوضوح في البيان الذى القاه في مجلس اللوردات عام ١٩١١ والذى يقول فيه : "من الخطأ ان نفترض بان مصالحنا السياسية تنحصر في نطاق الخليج الفارسي وحده . ان مصالحنا هذه لا تنحصر في نطاق الخليج ، كما انها ليست منحصرة في المنطقة الواقعة بين البصرة وبغداد ، وانما تمتد شمالا الى بغداد نفسها " (٢٩) وقد بلغ من شدة تمسك الحكومة البريطانية بامتيازاتها في العراق واعتبار القسم الجنوبي من العراق على الاقل، منطقة نفوذ لها انها كانت تعتبر اى اجراء دفاعي تقوم به الحكومة التركية في تلك المنطقة عملا عدوانيا فقد احتجت الحكومة البريطانية احتجاجات متوالية على قيام الحكومة التركية بانشاء قلعة محصنة في الفاو عام ١٨٨٦ واعتبر كرزن هذا العمل "خطرا جسيما ، لا يمكن التسامح تجاهه على مصالح التجارة البريطانية وسفن النقل البريطانية ، التي تعمل في الانهار العراقية» (٣٠) .

تابع ٢٦) وكان توزيع هذا المبلغ في كل سنة منبعا لعدة مشاكل لكنه انتظم في ١٩١٠ بموجب ترتيبات خاصة اجريت فاصبح التوزيع يجرى بواسطة لجنتين خيريتين واحدة في كل مدينة تتألف كل منها من مجتهدين واناس محترمين اخرين بعد ان يحول المقيم البريطاني في بغداد المبلغ لهما .»

(٢٧) ايرلاند ص ٤٧ من الاصل وص ٢٣ من الترجمة العربية .

(٢٨) كرزن ج ٢ ص ٥٧٨

(٢٩) ايرلاند ص ٤٩ من الاصل وص ٢٤ ـ ٢٥ من الترجمة العربية

(٣٠) كرزن ج ٢ ص ٤٢٥ .

في النصف الثاني من القرن التاسع عشر كانت بريطانيا تواجه الخطر الروسي الذى يحاول الامتداد على الخليج الفارسي ، وفي مطلع القرن العشرين كان عليها ان تواجه ، بصعوبة اشد ، الخطر الالماني • وقد تجلى الخطر الالماني على الخليج الفارسي والعراق في سكة حديد برلين — بيزنطية — بغداد • وقد رحبت بريطانيا بهذا المشروع عندما وافق عليه السلطان عبد الحميد ، سنة ١٨٩٩ ، واعتبرته وسيلة لايقاف اطماع فرنسا وروسيا في هذه المناطق ، وما كانت بريطانيا لتخشى المانيا ، الدولة الناشئة في التجارة ، المبتدئة في الاستعمار • ولكن عندما اشتد حول المانيا التجاري ، وعندما نما اسطولها التجاري والحربي نموا عظيما وعندما اخذت بضائعها تزاحم البضائع الانكليزية في الاسواق التي كانت انكلترا تحتكر التجارة فيها ، احسست بريطانيا بالخطر المداهم • ورات ان تحد من توسع المانيا في العراق بواسطة المساهمة في انشاء سكة الحديد هذه • ولكن اقتراح رئيس الوزارة البريطانية ~~على استثمار رؤوس الاموال~~ المستر ارثر بلفور في ٧ و ٨ نيسان ١٩٠٣ ، بوجوب موافقة الحكومة البريطانية على استثمار رؤوس الاموال البريطانية في المشروع عند دعوة الممولين الالمان بشرط ان يكون هذا الاشتراك على اساس المساواة مع اية دولة اخرى لم يرض البرلمان ، وهاجمته الصحافة واحتجت عليه شركات النقل المتصلة بالتجارة الهندية ، وشركة الملاحة التجارية العاملة في دجلة والفرات ، واصحاب سكة الحديد البريطانية في اسيا الصغرى • هذه المعارضة القوية اضطرت المستر بلفور على ان يتراجع عن اقتراحه ، ويعلن في مجلس العموم في ٢٣ نيسان ١٩٠٣ بان الحكومة البريطانية لن تؤيد الاشتراك المالي في المشروع • (٣١) •

وبعد ان فشلت بريطانيا في ايقاف التوسع الالماني في العراق ، عن طريق المساهمة المالية بالمشروع الالماني اتجهت وجهة التكتلات الدولية ، والمفاوضات الدبلوماسية ، فاسست الحلف الودى مع فرنسا عام ١٩٠٤ ، وعقدت اتفاقا مع روسيا في ٣١ اب ١٩٠٧ ، قسمت بموجبه ايران ، من دون علمها او موافقتها ، الى مناطق نفوذ بين الدولتين • وشرعت تفاوض الحكومتين التركية والالمانية بخصوص سكة حديد بغداد • ابتدات المفاوضات مع تركيا سنة ١٩٠٩ ولكن الطرفين لم يتوصلا الى اتفاق الا في سنة ١٩١٣ • وقد ضمنت بريطانيا بالاتفاقات الموقعة في ٢٩ تموز ١٩١٣ الاعتراف بمركزها الخاص في الخليج الفارسي •

---

(٣١) انظر ايرلاند ص ٥١ — ٥٢

وبشرعية المعاهدات التي عقدتها مع الكويت والبحرين ، وبان تكون البصرة نهاية سكة حديد بغداد ، وعدم جواز تمديد الخط فيما وراء ذلك الا بموافقة الحكومة البريطانية واتفق على تعيين اثنين من الرعايا البريطانيين في مجلس ادارة سكة الحديد ، وعلى ان تعامل جميع الامم معاملة واحدة ، وان يتقاضى منها رسوم واجور واحدة . وقد عهد امر اصلاح ميناء البصرة وتحسينه والاهتمام بمستقبله بصورة جزئية ، الى ايد بريطانية . وحصلت الحكومة البريطانية ، حقوقا مطلقة في الملاحة لشركة ملاحة تاسست في تلك الاونة من قبل اللورد انجكيب وشركة لينج التي كانت موجودة سابقا والتي وسعت امتيازاتها . واعترفت تركيا بحق بريطانيا العظمى في حراسة شط العرب والخليج الفارسي ، واضاءتها ووضع العوامات فيهما لارساء السفن . (٣٢)

واخذت الحكومة البريطانية تفاوض الحكومة الالمانية . وقد توصل الفريقان في ١٥ حزيران ١٩١٤ ، الى اتفاق وقعه المتفاوضون البريطانيون والالمان بالحروف الاولى من اسمائهم . وقد تركت المانيا ، بموجب هذه الاتفاقية ، جميع آمالها في انشاء ميناء باسمها على الخليج الفارسي ، الا انها ضمنت زوال العراقيل التي كانت تقف في طريق انشاء سكة حديد بغداد ، والاعتراف بمناطق نفوذها الخاصة في الاناضول وفي شمالي سوريا وشمالي العراق في مقابل الاعتراف بسيادة بريطانيا العظمى في جنوب العراق والخليج الفارسي . واكدت هذه الاتفاقية الامتيازات التي نالتها بريطانيا من الحكومة التركية بموجب اتفاقها معها في سنة ١٩١٣ الذى تقدم البحث عنه . وكتمهيد اساسي للمفاوضات المزمع اجراؤها حول انتقال حقول النفط التركية الى الشركة التي تسيطر عليها بريطانيا اجبرت الحكومة الالمانية في اذار ١٩١٤ على الاعتراف بكون بلاد ما بين النهرين الجنوبية واواسط ايران وجنوبها المجال الذي تتمتع فيه شركة النفط الانكليزية الفارسية بالحق المطلق في القيام بعملياتها ، واجبرت الحكومة الالمانية بالاضافة على ما تقدم ، على الاتفاق حول مد خط حديدى من كوت الامارة الى مندلي من اجل تسهيل نقل البترول . (٣٣)

---

(٣٢) انظر ايرلاند ص٥٦

(٣٣) انظر المصدر السابق ص٥٨ — ٥٩

ان مصالح بريطانيا في العراق واهتمامها المتزايد به يمكن اجمالها على ضوء ما تقدم من البحث في موقعه السوقي المهم المشرف على رأس الخليج الفارسي والذى كان يعتبر بابا للهند وفي كونه جزءا من احد طرق الهند المهمة وسوقا للبضائع ورؤوس الاموال الانكليزية ومصدرا يجهزها بالمواد الخام ومحطة تعبر منها البضائع الانكليزية الى ايران وتركيا وارضا بكرا وتحويها طنها المعادن الثمينة واخصها البترول عصب الصناعة الالية ودعامة الحرب. وقد جهدت بريطانيا العظمى في تقوية نفوذها في العراق خلال ثلاثة قرون للمحافظة على مصالحها هذه حتى اوشكت عشية الحرب العالمية الاولى ان تسيطر على العراق الجنوبي سيطرة تامة وتدخله في حمايتها بالطرق السلمية كما ادخلت محمياتها العربيات في الخليج الفارسي . ولكن الحوادث الدولية تطورت تطورا مفاجئا عام ١٩١٤ واصبحت الحرب بين بريطانيا وحليفاتها وبين دول الوسط امرا وشيك الوقوع . وقد تيقنت بريطانيا العظمى في اب ١٩١٤ بان تركيا ستنظم الى دول الوسط في حالة قيام الحرب. ومعنى هذا ان مصالح بريطانيا في الخليج الفارسي وفي العراق اصبحت مهددة بالخطر من قبل الحكومة التركية وشريكتها الدولة العسكرية الكبرى المانيا . يقول الجنرال بارو انه في حالة اعلان الحرب "ستزول المصالح البريطانية في بغداد والبصرة من الوجود وسيتهدد مركز حليفينا شيخي المحمرة والكويت وقد يهاجمان او يخربان وفي تلك الحالة يتبدد جميع نفوذنا واتعابنا التي بذلت على مر السنين في الهواء وكما ان مكانتنا في الخليج نفسها ستصبح متقلقلة»(٣٤) .

وعلى هذا فقد اعدت الحكومة الهندية حملة عسكرية لاحتلال القسم الجنوبي من العراق . وكانت الحجة الظاهرة التي تذرعت بها بريطانيا لاحتلال العراق هي حماية شركة النفط الانكليزية الفارسية في المحمرة وتهديد الحكومة التركية لشيخي المحمرة والكويت واعتداء الحكومة التركية على الرعايا البريطانيين في البصرة ولكن الدوافع الحقيقية للاحتلال العراق هي المحافظة على المصالح البريطانية في العراق والخليج الفارسي وانتهاز فرصة الحرب لقلب امتيازاتها في بلاد العراق الى حقوق دائمة يثبتها الفتح الحربي . في اليوم السادس من تشرين الثاني سنة ١٩١٤ احتلت القوات البريطانية الفاو. وفي اليوم الثاني والعشرين من هذا الشهر احتلت البصرة . وفي ١١ اذار ١٩١٧ احتلت بغداد . وعندما انهت هدنة مدروز في ٣٠ تشرين الاول ١٩١٨ الحرب بين بريطانيا وتركيا كانت القوات البريطانية على بعد اربعة عشر ميلا الى الجنوب من الموصل ولكنها لم تتقيد بنصوص الهدنة ولم توقف القتال بل تابعت تقدمها فدخلت الموصل واكملت احتلال القسم الشمالي من العراق باجمعه

(٣٤) ايرلاند ص ٢٦ من الاصل وص ٦ من الترجمة العربية

وقد انفقت بريطانيا على احتلال العراق مائتي مليون ليرة استرلينية ، وتكبدت قواتها المحاربة حوالي مائة الف اصابة . (٣٥)

وبعد ان احتلت بريطانيا العراق ، وسيطرت سيطرة فعلية على مقدراته ، عملت على تدعيم مصالحها ، التي تكلمت عنها فيما تقدم ، وانشأت لها مصالح جديدة لم تكن لها من قبل . ويمكننا اجمال المصالح البريطانية في العراق ، منذ ان تم لها احتلاله حتى الوقت الحاضر ، بالنقاط التالية :

اولا النفط ، وقد تكلمت عن هذا الموضوع بما فيه الكفاية في الفصل الرابع من القسم الثاني .

ثانيا : المصالح التجارية . عملت بريطانيا على تنمية تجارتها مع العراق ، بحيث اصبحت الاولى بين الدول المصدرة اليه والمستوردة منه ، كما قامت الشركات الانكليزية وبخاصة شركة اندرو واير ، باحتكار تجارة اهم صادرات العراق وهي التمور ، والسيطرة على تجارة الحبوب . يضاف الى هذا ان معظم صادرات العراق تنقل بواسطة شركات النقل البحرى الانكليزية ، كما تسيطر شركتان انكليزيتان على حركة النقل النهرى في دجلة . وقد احتكرت المصارف البريطانية السيطرة التامة على مالية البلاد ، وعلى الرغم من انشاء مصرف الرافدين ، والمصرف الوطني ، وبعض المصارف الاهلية الاخرى فما زالت سيطرة هذه المصارف البريطانية على الناحية المالية في البلاد قوية . وقد استغلت بريطانيا مركزها ، كمحتلة للعراق ، ومنتدبة عليه ، ومتحالفة معه ، في تمكين سيطرتها الاقتصادية فيه . فكانت الحكومة العراقية ، في عهد الانتداب والاستقلال مضطرة على شراء لوازمها من المملكة المتحدة ، وعلى الاخص اللوازم العسكرية ، على الرغم من مبدأ الباب المفتوح الذى نصت عليه لائحة الانتداب ، واعترفت به معاهدة الانتداب الاولى . والتجار العراقيون مجبرون ، في اكثر الاحيان ، على استيراد سلعهم من المملكة المتحدة بحكم نفوذ الحكومة البريطانية المباشر وغير المباشر في دوائر الحكومة العراقية ، المسيطرة على حركة الاستيراد والتصدير . ومما يقوى هذه السيطرة البريطانية على تجارة العراق ، ارتباط العملة العراقية بالكتلة الاسترلينية ، والقيود التي تفرضها الحكومة البريطانية ، منذ الحرب العالمية الثانية ، على التصرف بالعملات النادرة ، بوساطة سيطرتها على حصة العراق من هذه العملات ، وتحكمها في عملية التحويل الخارجي . (٣٦)

---

(٣٥) انظر ايرلاند ص ٦٠

(٣٦) انظر الفصل الخامس من القسم الثاني (اعلاه)

ثالثا : موقع العراق السوقي . وصفت في مفتتح هذا الفصل اهمية موقع العراق السوقي بحكم كونه جزءا مهما من الطريق الموصل الى الهند والى المستعمرات البريطانية في الشرقين الاوسط والاقصى ، والنقطة المسيطرة على رأس الخليج الفارسي . وقد ازداد موقع العراق السوقي هذا خطورة ، منذ الحرب العالمية الاولى ، لعوامل عديدة اهمها تقدم فن الطيران ، وتيسر استخدامه في نقل المسافرين ، والبضائع ، والجنود والعتاد الحربي . وقد اهتمت الحكومة البريطانية بانشاء قواعد جوية هامة في العراق وحرصت على المحافظة عليها ، بعد تخليها عن انتدابها على العراق ، وقد ثبتت امتيازها هذا في المعاهدة العراقية الانكليزية الرابعة (١٩٣٠) والتي لا زالت نافذة المفعول ، كما انها اصرت على الاحتفاظ بهذا الامتياز في معاهدة بورتسموث (١٩٤٨) التي رفضها الشعب العراقي . وقد اضاف تقدم النقل بواسطة السيارات عبر الصحراء في اهمية العراق السوقية . فانشيء طريق معبد يصل بغداد بساحل المتوسط مارا بدمشق . وانشأت الحكومة البريطانية طريقا اخر يصل بغداد بالمتوسط مارا بشرق الاردن وفلسطين ليكون تحت سيطرتها التامة . كما مد خط تليفوني يصل فلسطين بالعراق عبر هذا الطريق . وقد بلط هذا الطريق بالزفت خلال الحرب العالمية الثانية ، ومد الى طهران ، وخدم الحلفاء اجل خدمة حتى لقد اطلقوا عليه "جسر النصر" . وقد اتصلت السكة الحديد العراقية بالسكة الحديد السورية والتركية التي تتصل بدورها بالخطوط الحديدية الاوربية . ومما يزيد في اهمية هذا الطريق وبالتالي في اهمية العراق ، في نظر الحكومة البريطانية ، مطالبة الشعب المصري بتاميم قناة السويس ، وجلاء القوات البريطانية عنها . فاذا ما جلت قواتها عن هذه القناة ضعفت سيطرتها على طريق البحر الاحمر وهذا مما يتهدد مصالحها في الشرق . اضف الى كل ما تقدم ان السيطرة البريطانية على العراق مهمة غاية الاهمية للمحافظة على مصالحها البترولية في جنوبي ايران ، وتيسير نقل منتجات النفط منها . واليوم وقد انقسم العالم الى معسكرين مختلفين في السياسة ، والعقائد ، والاهداف ، وقد اصبح خطر نشوب حرب عالمية حقيقة واقعة ، واصبح السلم العالمي معلقا بخيط من حرير ، يزداد اهتمام بريطانيا بالعراق ، بموارده النفطية والزراعية وموقعه السوقي ، وتسعى جاهدة لتجعل منه حلقة متينة في هذا الطوق الذى تريد ضربه حول الاتحاد السوفيتي .

الفصل الثانـــــي

تطور العلاقات العراقية ـ البريطانيـة

ان الغاية التي استهدفناها من كتابة هذا القسم السياسي هي وصف الجهاز الاداري الذى يسير امور البلاد ، والانظمة التي تعين اتجاه هذا الجهاز الاداري ، حتى نعرف مقدار مسؤوليته في هذا التأخر الذى تعانيه البلاد ، ومدى امكانياته ، بوضعه الحاضر ، على تحقيق الاصلاحات الضرورية . وقد تكلمت في الفصل الاول ، من القسم الثالث ، عن مصالح بريطانيا في العراق حتى ندرس على ضوئها تطور علاقات بريطانيا بالعراق ، ومدى تاثير هذه العلاقات بمصالح بريطانيا الاساسية ، وتاثيرها فيها . وسادرس في هذا الفصل علاقات بريطانيا بالعراق لان دراسة هذه العلاقات ضرورية لفهم تطور الجهاز الاداري في العراق ، ونشوء الانظمة والقوانين التي تتحكم في سير هذه الادارة . فقد كان كل تغير رسمي في علاقات الدولتين يستتبع، كما يقول "التقرير الخاص" الذى رفعته بريطانيا الى عصبة الامم عن العراق سنة ١٩٣١ (١) ، بعض التعديل والتحوير في جهاز الادارة ، بما في ذلك زيادة مسؤولية العراقيين في ادارة البلاد كما كان قيام الوزراء والموظفين العراقيين باعباء مسؤولياتهم المتزايدة على الوجه المطلوب يستوجب تعديل العلاقات الخارجية بين الدولتين .

اكملت الحكومة البريطانية احتلال العراق عام ١٩١٨ . واقامت خلال احتلالها للعراق ادارة مدنية على غرار الادارة في الهند . وكان الشعب العراقي ، خلال الحرب ، ينتظر بهدوء انتهاء الحرب ليحقق حلمه في الاستقلال ، والسيادة الوطنية التي وعده بها البريطانيون . على ان سياسة بريطانيا ، منذ انتهاء الحرب لم ترض العراقيين . فقد كان فريق من الشبان المثقفين ، والساسة العراقيين ، يعملون لاستقلال العراق ، وتحرره من السيطرة العثمانية ، منذ اوائل القرن العشرين . وقد زادت تصريحات الحلفاء زمن الحرب ، ووعودهم للعرب ، من يقظة العراقيين السياسية ، واشعلت آمالهم في قرب يوم التحرر المطلق ، وبناء الحكومة العراقية المستقلة . فقد اذاع الجنرال مود ، فاتح بغداد ، بيانا في ١٩ آذار ١٩١٧ ، اعلن فيه ان الجيوش الانكليزية جاءت الى العراق محررة لا فاتحة . (٢) واعلن التصريح الانكليزي ـ الفرنسي ، الصادر في لندن وباريس ونيويورك والقاهرة بتاريخ ٨ تشرين الثاني ١٩١٨ ، ثم في بغداد في ١٥ منه ، وهو اهم وعد تقدم به الحلفاء الى الشعوب العربية

منذ انتهاء الحرب ، ما يلي : "أن الغاية التي ترمي اليها كل من فرنسا وبريطانيا العظمى في خوض غمار الحرب في الشرق من جراء اطماع المانيا ، هي تحرير الشعوب التي طالما رزحت تحت اعباء استعباد الاتراك تحريرا تاما نهائيا ، وتأسيس حكومات وادارات وطنية تستمد سلطتها من رغبة نفس السكان الوطنيين ومحض اختيارهم .
ولتنفيذ هذه الغايات قد اتفقت كل من فرنسة وبريطانيا العظمى على تشجيع ومساعدة انشاء حكومات وادارات وطنية في كل من سورية والعراق ...." (٣) وجاء في النقطة الثانية عشرة من تصريح الرئيس ويلسن المشهور في ٨ كانون الثاني ١٩١٨ ، : "ان الاقسام التركية من الامبراطورية العثمانية الحالية يجب ان تضمن لها سيادتها لكن الاقوام الاخرى التي تخضع الان للحكم التركي يجب ان تضمن لها حياة آمنة لا تشوبها شائبة ، وفرصة لا تمس قطعيا للحكم الذاتي ....." (٤)

وقد قوى قيام دولة عربية في سوريا ايمان العراقيين في التحرر ، ونشطهم في المطالبة بالاستقلال وكانت حكومة سوريا العربية على اتصال بالحركة الوطنية في العراق تشجعها ، وتغذيها بالمال وتشترك في توجيهها . (٥) وكان قسم كبير من الشيوخ والاقطاعيين قد برموا بالضرائب الثقيلة التي فرضتها عليهم السلطات البريطانية ، وكرهوا الطريقة التي كانت تتبعها في جمع الضرائب منهم . وكان فريق من الاقطاعيين ومن ابناء العشائر ، حانقين على البريطانيين الذين مكنوا النفر من الشيوخ المقربين ، فسلطوهم عليهم ، ومنحوهم السلطات الواسعة ، واعفوهم من الضرائب ، ووسعوا في اراضيهم . (٦) يضاف الى كل ما تقدم ان تعنت ت.ئي . ويلسون ، نائب الحاكم المدني العام ، واقامته نظاما دكتاتوريا في العراق ، وسعيه لتحويل العراق الى مستعمرة بريطانية بحتة ، خلافا لوعود الحلفاء ، دفع العراقيين الى توحيد صفوفهم وحشد قواهم ، لاخذ حقوقهم بالقوة . (٧)

---

(١) تقرير خاص ص ١١

(٢) انظر نص البيان الانكليزي في "ايرلاند" ملحق ١ ص ٤٥٧ — ٥٨ وانظر الترجمة العربية في عبد الرزاق الحسني ، "تاريخ الثورة العراقية" (صيدا ، ١٩٣٥)، ص ١٧ — ١٨ .

(٣) انظر نص التصريح الانكليزي في ايرلاند ملحق ٤ ص ٤٥٩ — ٦٠ ، وانظر الترجمة العربية في الحسني ، "تاريخ الثورة العراقية" ص ٢١ .

(٤) انظر ايرلاند ص ٤٥٩ من الاصل وص ٣٦٢ من الترجمة العربية .

وقد لعب رجال الدين ، وخاصة في النجف وكربلاء والكاظمية ، دورا فعالا في الحض على التخلص من المستعمرين الاجانب ، والدعوة الى اقامة حكومة وطنية مستقلة . كانت كل عوامل اليقظة الوطنية هذه ، وعوامل الاستياء من الحكم البريطاني المباشر ، تتراكم وتزداد حدة . فلما اعلن انتداب بريطانيا العظمى رسميا على العراق ، في ١٣ ايار ١٩٢٠ تحقق العراقيون من نكث بريطانيا بوعودها لهم ، فقاموا بثورة دموية ، ابتدات في الرميثة ، وامتدت الى معظم مناطق القسم الاوسط والجنوبي من البلاد واستمرت من اواخر ربيع ١٩٢٠ الى اوائل تشرين الثاني من السنة نفسها ، وكلفت الحكومة البريطانية نحو ٢٢٦٩ إصابة بين قتيل وجريح من الضباط والجنود ، وما يزيد عن الثلاثة ملايين ليرة استرلينية ، وكلفت الثوار بحسب تقدير الجنرال هولدين في كتابه "العصيان في العراق" نحو ٨٤٥٠ إصابة بين قتيل وجريح . (٨)

ومهما يكن من امر هذه الثورة العراقية فقد وحدت كلمة العراقيين ، والفت بين طوائفهم ، واثبتت لهم عمليا قيمة اتحادهم ، وتاثير هذا الاتحاد في صراعهم مع السلطات المحتلة كما اثبتت للحكومة البريطانية صعوبة حكم العراق حكما مباشرا ، وقوت نظرية ذلك القسم من الساسة الانكليز القائلين بوجوب اقامة حكومة وطنية في البلاد ، تشرف عليها الحكومة البريطانية ، وتوجه سياستها . وقد قررت الحكومة البريطانية الغاء الحكم العسكرى للبلاد وتاسيس ادارة مدنية . فاقالت ولسون من وظيفته ، وعينت السير برسي كوكس معتمدا ساميا . واذاعت في بغداد ، في ٢٠ حزيران ١٩٢١ ، البلاغ التالي : (٩) "حيث ان حكومة جلالة ملك بريطانيا العظمى قد تقررت وكالتها في خصوص العراق فتتوقع ان سيكون من الشروط المزبورة اولا جعل العراق حكومة مستقلة تضمن استقلالها جمعية عصبة الامم وتوكل بريطانيا العظمى وكالة بها . ثانيا تكليف الحكومة البريطانية بالمسؤولية عن حفظ السلم الداخلي والامن الخارجي وثالثا الزامها بتشكيل قانون اساسي وبان تستشير اهالي العراق في مسألة تشكيله مع ملاحظة حقوق الاجناس المختلفة الموجودة في بلاد العراق ورغائبها ومنافعها فتحتوى الوكالة المذكورة على شروط لتمهيد مسالك الرقي للعراق بصفة حكومة مستقلة الى ان تتمكن من الوقوف على نفسها فحينئذ تنتهي مدة الوكالة .

---

(٥) انظر J. B. Philby, "Arabian Days" (London, 1948), P. 184-5

(٦) انظر ايرلاند ص ٢٤٨ — ٩

(٧) انظر فيلبي ص ١٨٤ — ٥ وفي هذا الصدد يقول الكولونيل لورنس ، في رسالة نشرها في جريدة "لندن تايمس" ، بتاريخ ٢٣ آب ١٩٢٠ :

تقررت حكومة جلالة الملك تكليف السير بورسي كوكس بتنفيذ هذه المهمة وعليه سيرجع سعادته الى بغداد في موسم الخريف ويتقلد وظيفة الممثل الاعلى للحكومة البريطانية في العراق بعد انقضاء الادارة العسكرية الموجودة الان وستعطى السلطة للسر بورسي كوكس لتنظيم موقت ، اولا — مجلس شورى تحت راسة عربي وثانيا — مؤتمر عراقي ممثل جميع اهالي العراق ينتخب اعضاؤه باختيارهم فيكون مما يجب عليه تجهيز القانون الاساسي الطار ذكره باستشارة المؤتمر العراقي .*

وصل السر بورسي كوكس الى العراق في ١١ تشرين الاول ١٩٢٠ ، فاخذ يعمل على تاليف حكومة موقتة . وفي ١١ تشرين الثاني اعلن رسميا عن قيام مجلس دولة عراقية براسة السيد عبد الرحمن الرقيب ، يتالف من ٩ وزراء (للداخلية ، والمالية ، والعدلية ، والدفاع ، والاشغال العامة ، والمعارف والصحة ، والتجارة والاوقاف) ، ومن ٩ وزراء بلا وزارة . وكانت هذه الوزارة مسؤولة عن ادارة البلاد تحت اشراف المعتمد السامي فيما عدا الشؤون الخارجية والعسكرية التي بقيت تحت سيطرة المعتمد السامي ، المباشرة .

وكان امام الحكومة الموقتة مهمات عديدة منها تهدئة البلاد ، واعلان العفو العام ، وسن قانون للانتخاب ، وانتخاب جمعية تاسيسية تضع دستورا للبلاد وتنتخب رئيسا للحكومة ، وتشكيل جيش عراقي ، وتنظيم الادارة في جميع انحاء البلاد على اسس جديدة تلائم الاوضاع المستجدة ، على ان تكون خاضعة للادارة البريطانية .

---

* لقد ثار العرب على الاتراك ، خلال الحرب ، لا لان الاتراك كانوا اشرارا عريقين في الشر ، ولكن لانهم كانوا يريدون الاستقلال . ان العرب لم يتعرضوا للموت في المعارك الحربية في سبيل ان يغيروا اسيادهم فيصبحون رعايا بريطانيين او مواطنين فرنسيين ، ولكن ليقيموا لهم نظاما للحكم خاصا بهم ..... لا عجب ان عيل صبرهم بعد عامين من انتهاء الحرب . ان الحكومة التي اقمناها في العراق حكومة انكليزية الاسلوب واللغة . وهي تضم ٤٥٠ موظفا بريطانيا ، ولا يوجد فيها موظف عراقي واحد مسؤول ، على حين كان سبعين بالمائة من الموظفين في العهد التركي عراقيين . ان ثمانين الفا من جنودنا يقومون بوظيفة الشرطة ، وليس بحماية الحدود ، انهم موجودون في البلاد لاخضاع الشعب والسيطرة عليه .

وقد وضع بونهام كارتر ، مستشار العدلية ، قانونا للانتخاب ، وافقت عليه الوزارة وارسلته الى المندوب السامي ليصادق عليه . ولكنه لم يصادق عليه ابدا فقد استجدت ظروف استدعت العدول عن فكرة عقد جمعية تاسيسية . اراد المستر تشرشل عندما تولى ادارة شؤون الشرقين الادنى والاوسط ان يحقق رغبة الجمهور البريطاني الملحة في اجراء تخفيض جوهري في المصاريف ، وضرورة المحافظة على الممتلكات التي حصل عليها والنقاط الستراتيجية التي غنمت في الشرق نتيجة للتضحيات البريطانية الجسيمة التي بذلت في الاموال والارواح . ولاجل تحقيق هاتين الغايتين عقد مؤتمرا في القاهرة في ١٢ آذار ١٩٢١ ضم جميع الموظفين البارزين والقادة العسكريين في البلاد التي سينظر في شؤونها .وكانت اهم القضايا التي نظر فيها المؤتمر فيما يختص بالعراق هي : التخفيض العاجل في المصروفات البريطانية مع ما يترتب على ذلك من اعادة النظر في السياسة المختصة بما يلي : اولا : مستقبل العلاقات بين الدولة الجديدة وبريطانيا العظمى ، ثانيا : شخص العاهل المنتظر لدولة العراق ، ثالثا : طبيعة وتشكيلات القوات الدفاعية للدولة الجديدة التي يفترض فيها ان تضطلع بحصة كبيرة من الدفاع عن نفسها . وقد تقرر في هذا المؤتمر ترشيح الامير فيصل بن الحسين لتولي عرش العراق ، كما تقرر تاييد الحكومة البريطانية لهذا الترشيح ، بعد ان قبل الامير بعقد معاهدة مع الحكومة البريطانية ، تحدد وضع بريطانيا في العراق ، وتحدد وضع العراق بالنسبة لهذه الدول ولعصبة الامم . (١٠) وقد مهدت الحكومة العراقية الموقته بارشاد السر برسي كوكس ، السبيل لنجاح الامير فيصل . وقد ابعد المعتمد السامي السيد طالب النقيب ، وزير الداخلية في الحكومة الموقته ، وكان اقوى منافس للامير فيصل . (١١)

وكانت الفرقتان التركيتان ، في العهد التركي ، تضمان ستين بالمائة من الضباط العرب وخمسا وتسعين بالمائة من العرب من مختلف الاصناف العسكرية الاخرى . ان هذه الحالة مما يثير نقمة المثقفين العرب ، ويستفز ضغائنهم ...." نقلا عن
Henry A. Foster, "The Making of Modern Iraq" (Norman University of Oklahoma Press, 1935), P. 84

(٨) انظر الحسني ، "تاريخ الثورة العراقية" ص ١٣١ — ٣٢

(٩) عبد الرزاق الحسني ، "العراق في دوري الاحتلال والانتداب" ج١ (صيدا ، ١٩٣٥) ص ٩١ وانظر النص الانكليزي في ايرلاند ص ٢٢٠ — ٢٢١

ورات الحكومة البريطانية ان انتخاب الامير فيصل من طريق جمعية تاسيسة معرض للخطر ، ولهذا فعدلت عن الفكرة ، واكتفت باخذ موافقة العراقيين بواسطة استفتاء عام . في ٢٣ حزيران وصل الامير فيصل الى البصرة قادما من جدة على ظهر بارجة بريطانية وفي ١١ تموز ١٩٢١ قرر مجلس الوزراء بالاجماع المناداة "بسمو الامير فيصل ملكا على العراق ، ويشترط ان تكون حكومة سموه دستورية نيابية ، ديمقراطية مقيدة بالقانون ....." "وقد سر المندوب السامي وفيصل معا بما قام به مجلس الوزراء في هذا الصدد ، لكنهما كانا متفقين بان الحاجة ما زالت تدعوا لاجراء استفتا عام لاجل ان يثبت للعالم بان الشعب قد اعطى رأيه حقيقة لفيصل . وعند ما جاء دور المندوب السامي في استعمال حقه بالمصادقة على قرارات مجلس الوزراء اعلن بان قرار يوم ١١ تموز يجب ان يقترن بموافقة الشعب ، التي يمكن التاكد منها بالاستفتاء العام ، قبل ان يضع مصادقته عليه." (١٢) وجرى الاستفتاء حسب الخطة التي وضعتها وزارة الداخلية وكانت النتيجة ان ٩٦ ٪ من المستفتين ايدوا بيعة الامير فيصل ملكا على العراق .

في ٢٣ آب ١٩٢١ توج الامير فيصل ملكا على العراق باحتفال رسمي . وقد القى الملك في هذه الحفلة خطبة تاريخية جاء في ختامها : "الا وان اول عمل اقوم به هو مباشرة الانتخابات ، وجمع المجلس التاسيسي . ولتعلم الامة ان مجلسها هذا هو الذى سيضع بمشاورتي دستور استقلالها على قواعد الحكومات السياسية الديمقراطية ويعين اسس حياتها السياسية والاجتماعية ، ويصادق نهائيا على المعاهدة التي ساودعها له فيها يتعلق بالصلات بين حكومتنا والحكومة البريطانية العظمى ويقرر حرية الاديان والعبادات بشرط الا تخل بالامن العام والاخلاق العمومية .

---

(١٠) ايرلايد ص ٣١١ — ٣١٨ .

(١١) راجع تفاصيل المؤامرة التي دبرها السر برسي كوكس لاختطاف السيد طالب النقيب ونفيه الى جزيرة سيلان في "فيلبي" ص ١٩٧ — ١٩٩

(١٢) ايرلاند ص ٣٣١ — ٢ من الاصل وص ٢٦٠ من الترجمة العربية

(١٣) انظر النص الكامل لخطاب الملك فيصل الاول في الحسني ، "العراق بين احتلالين" ، ج ١ ص ٢١٩ — ٢٢٠ .

ويسن قوانين عدلية تضمن منافع الاجانب ومصالحها وتمنع كل تعرض بالدين والجنس واللغة وتكفل التساوى في المعاملات التجارية مع كافة البلاد الاجنبية واني لواثق بان بالاستشارة مع فخامة المندوب السامي جناب السر برسي كوكس الذى برهن على صداقة للعرب خلدت له الذكر الجميل سنصل الى غايتنا هذه باسرع وقت ان شاء الله." (١٣)

— المعاهدة العراقية الانكليزية الاولى — (١٩٢٢)

في ١٠ ايلول ١٩٢١ صدرت الادارة الملكية بتاليف اول وزارة عراقية ، بعد تتويج الملك ، استلمت الحكم من مجلس الدولة او الحكومة الموقته . وكان من اول اعمال الوزارة العراقية عقد معاهدة مع بريطانيا العظمى . واستمرت المفاوضات بين الوزارة العراقية ودار المعتمد السامي حوالي العام . وقد صادق مجلس الوزراء ، في ١٠ تشرين الاول ١٩٢٢ ، على المعاهدة العراقية — الانكليزية ، مشترطاً وجوب ابرامها نهائيا من قبل المجلس التاسيسي .

لقد وضع العراق تحت انتداب الحكومة البريطانية . ولكن الحكومة البريطانية وجدت نفسها غير قادرة على حكم العراق حكما مباشرا ، كما وجدت ان تطبيق نظام الانتداب بشكله الصريح سيلاقي مصاعب جمة ، ويخلق لها متاعب عظيمة ، فقد فهم العراقيون من هذا النظام انه لا يختلف عن الاستعمار الصرف الا بالتسمية حسب وقد كان اعلان الانتداب احد العوامل التي ادت الى الثورة العراقية عام ١٩٢٠ كما تقدم معنا . ولهذا قررت الحكومة البريطانية ، بعد تاسيس الحكومة العراقية وتتويج الامير فيصل ملكا على العراق ، ان تضع لائحة الانتداب بشكل معاهدة .

كانت الحكومة البريطانية تريد ، من عقد هذه المعاهدة ، المحافظة على مصالحها في العراق ، وتبديل شكل الانتداب مع المحافظة على جوهره ، بحيث يكون حكمها امتن اساسا وارخص كلفة ، واقل استثارة لشعور العراقيين الوطني . فقد صرح هـ. ا. ل. فيشر تصريحا رسميا ، في ١٧ تشرين الثاني ١٩٢١ ، امام عصبة الامم "بان المعاهدة ستوضع لتؤمن اولا سيطرة حكومة صاحب الجلالة على علاقات العراق الخارجية ، وثانيا ماينتظر من تحقيقه من المسؤوليات الدولية الواقعة على عاتق حكومة صاحب الجلالة بالمعاهدة او الانتداب او الاتفاقية ، وثالثا تدبير السيطرة المالية كما تدعو اليها الحاجة." (١٤)

---

(١٤) انظر ايرلاند ص ٣٣٨ حاشية ٣ من الاصل وص ٢٦٥ حاشية ٣ من الترجمة العربية.

ولم تقصد الحكومة البريطانية ان تكون هذه المعاهدة بديلا عن الانتداب كما يستفاد من تصريح نشر المتقدم الذكر ، ومن هذه الجملة التي تكمله : "وسيكون مفهوما بان المعاهدة المقترحة ستقوم فقط بتنظيم العلاقات بين حكومة صاحب الجلالة كدولة منتدبة، وحكومة العراق العربية . ولا يقصد بها ان تكون بديلا عن الانتداب الذى سيبقى وثيقة عمل تعين الالتزامات التي اضطلعت باعبائها حكومة صاحب الجلالة عن عصبة الامم . " (١٥) اما العراقيون فقد كانوا يؤملون ان تلغي هذه المعاهدة الانتداب ، وتقيم العلاقات على اساس المساواة بين الدولتين، كما هو المفروض في المعاهدات التي تعقد بين الدول المستقلة ، ذات السيادة ، المتساوية في الحقوق . وكانت هاتان النظرتان المتباينتان في المعاهدة مبعث التوتر الذى ساد العلاقات العراقية ـ الانكليزية طوال فترة الانتداب . وعندما اعلنت نصوص المعاهدة ، واطلع العراقيون على مضمونها ، وتحققوا من مطابقتها ، في الجوهر ، لصك الانتداب ، اعلنوا معارضتهم لها . ولما صدرت الارادة الملكية ، في ١٩ تشرين الاول ١٩٢٢ باجراء انتخاب اعضاء المجلس التاسيسي ، الذى سيكون ابرام المعاهدة من اول مهماته في ٢٤ تشرين الاول ، اتحد السياسيون الوطنيون وعلماء الشيعة (الدين) لاحباط ابرام المعاهدة عن طريق عرقلة اجتماع المجلس التاسيسي . وقد اصدر علماء النجف والكاظمية الفتاوي ، في اوائل تشرين الثاني ، بتحريم الاشتراك في الانتخاب وأعيد اصدار مثل هذه الفتاوى في حزيران ١٩٢٣ . ولم تستطع الحكومة اجراء الانتخابات الا بعد ان قمعت مظاهرات المعارضة بالقوة ، ونفت عددا من علماء الشيعة (الدين) بينهم الشيخ مهدى الخالصي ، الى ايران . في ٢٥ شباط تمت الانتخابات الثانوية، وكان عدد المندوبين ١٠٠ مندوب . وفي ١٧ آذار ١٩٢٤ افتتح الملك المجلس وكان عدد الحاضرين ٨٤ مندوبا . واستمرت مناقشة المجلس للمعاهدة مدة طويلة ولم يجرؤ المندوبون على المصادقة عليها خوفا من نقمة الراى العام . ولم تتساهل الحكومة البريطانية باجراء اى تعديل فيها . وفي ٢٦ ايار اخطر المعتمد السامي الملك بان المجلس اذا لم يوافق على المعاهدة قبل يوم ١١ حزيران " فان حكومة صاحب الجلالة البريطانية تفكر في ان تعرض على مجلس العصبة اجراء ترتيبات اخرى يعامل العراق بموجبها . " (١٦)

---

(١٥) المصدر السابق ص ٣٤٠ من الاصل وص ٢٦٧ من الترجمة

واجتمع المجلس في صباح ١٠ حزيران ولكنه لم يصادق على المعاهدة . فاخطر المعتمد السامي الملك بوجوب حل المجلس اذ لم يصادق على المعاهدة قبل الساعة السابعة من صباح ١١ حزيران . وقد تمكن رئيس الوزراء من ان يجمع في الساعة العاشرة والنصف من مساء يوم ١٠ حزيران ٦٩ مندوبا . فتم التصديق على المعاهدة والبروتوكول والاتفاقيات الملحقة بها بان صوت بالموافقة عليها ٣٧ ، وصوت ضدها ٢٤ ، وامتنع ٨ عن التصويت . وقدمت الحكومة البريطانية المعاهدة والبروتوكول والاتفاقيات الملحقة بها الى مجلس عصبة الامم في ٢٧ ايلول سنة ١٩٢٤ . فوافق عليها المجلس ، واصبحت نافذة المفعول في ١٩ كانون الاول ١٩٢٤ .

ولهذه المعاهدة اهمية خاصة في تاريخ العراق السياسي ، فقد حددت العلاقات بين الحكومتين العراقية والبريطانية منذ ان اصبحت نافذة المفعول الى دخول العراق في عصبة الامم سنة ١٩٣٢ ، على الرغم من التعديلات التي ادخلت عليها في فترات مختلفة خلال هذه المدة ، لان تلك التعديلات لم تمس جوهرها .

جاءت هذه المعاهدة متضمنة لجوهر لائحة الانتداب البريطاني على العراق "(١٧) فقد جعلت الحكومة العراقية خاضعة لمشورة الحكومة البريطانية . (١٨) وقد ضمنت الحكومة البريطانية تحقق اتباع الحكومة العراقية لهذه المشورة ، وتقيدها بتعليماتها بان جعلت "ملك العراق يوافق على ان يستدل بما يقدمه جلالة ملك بريطانيا من المشورة بواسطة المعتمد السامي — في جميع الشؤون المهمة التي تمس بتعهدات ومصالح جلالة ملك بريطانيا الدولية والمالية وذلك طول مدة هذه المعاهدة . ويستشير جلالة ملك العراق المعتمد السامي في الاستشارة التامة في ما يؤدي الى سياسة مالية ونقدية سليمة ، ويوثق ثبات وحسن نظام مالية حكومة العراق ما دامت تلك الحكومة مديونة لحكومة جلالة ملك بريطانيا" (م ٤) .

---

(١٦) المصدر السابق ص ٣٩٩ من الاصل وص ٣١٣ من الترجمة العربية

(١٧) قابل المواد ٣ ، ٥ ، ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١١ ، ١٦ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٧ من لائحة هذه المعاهدة بالمواد ١ ، ٨ ، ٣ ، ٤ ، ٥ ، ١١ ، ١٠ ، ١٣ ، ١٤ ، ١٥ ، ١٩ من لائحة الانتداب على التعاقب . وتجد نص لائحة الانتداب منشورا في "العراق في دوري الاحتلال والانتداب" ج ١ ص ١٩١ — ١٩٤ .

ولاجل ان تضمن الحكومة البريطانية دوام هذه السياسة ، سياسة خضوع الحكومة العراقية للسياسة البريطانية ، وسحت سلطات الملك في الدستور ، ووضعت عددا كبيرا من الموظفين البريطانيين في المراكز الرئيسية في الجهاز الاداري . فقد جاء في المادة الاولى من الاتفاقية الخاصة بالموظفين البريطانيين الملحقة بهذه المعاهدة : " توافق الحكومة العراقية على ان تعين كلما وعندما يطلب اليها ذلك موظفا بريطانيا ينال موافقة المعتمد السامي في اية من الوظائف المبينة في الجدول الاول الملحق بهذه الاتفاقية" وهي مستشار وزارات الداخلية والمالية والعدلية والدفاع والاشغال والمواصلات . والمدراء او المفتشون العامون للري والاشغال والزراعة والطابو والمساحة والبيطرة . والمفتشون العامون للبرق والبريد والشرطةوالصحة والمعارف والكمرك . ومدير مراجعة الحسابات او مساعده . ورئيس محكمة الاستئناف . (راجع الجدول الاول الملحق باتفاقية الموظفين البريطانيين) . واشترطت المادة الثانية من المعاهدة ان لا تعين الحكومة العراقية اى موظف غيرعراقي في وظائف تقتضي ارادة ملكية ، الا بموافقة الحكومة البريطانية . ويعتبر هؤلاء الموظفون البريطانيون موظفين لدى الحكومة العراقية ، مسؤولين امامها وليس امام المعتمد السامي . (م ٦ من ملحق الموظفين)

ولكن هؤلاء الموظفين كانوا في الواقع مسؤولين امام المعتمد السامي عن ادارة الحكومة العراقية ، وتنفيذ السياسة البريطانية في العراق ، كما سنبين في الفصل القادم .

و لاجل ان تضمن الحكومةالبريطانية دوام مصالحها في العراق ، وسلامة طرق مواصلاتها الامبراطورية ، ولاجل ان تتخلص من تكاليف حماية هذه المصالح التي كانت الصحافة البريطانية والبرلمان البريطاني تلح في وجوب تخفيضها اوحتى في التخلي عن العراق في سبيل تخفيف عبء دافع الضرائب البريطاني ، وضعت مسؤولية حفظ النظام في العراق ، والدفاع عنه ضد اى تعد خارجي على عاتق الحكومة العراقية . (م ١ من الاتفاقية العسكرية) وعلى هذا فقد تعهدت الحكومة العراقية بان تخصص ما لا يقل عن ٢٥ ٪ من ايرادات العراق السنوية لاجل القيام باعباء الجيش النظامي والقوات الحلية الاخرى . (الاتفاقية العسكرية م ٤)

---

(١٨) " المعاهدة العراقية ــ الانكليزية مع الاتفاقيات الملحقة بها " (مطبعة الحكومة بغداد ، ١٩٢٤) المادة الاولى . وتحتوى هذه الطبعة على النصين العربي والانكليزي .

ويكون الجيش العراقي تحت قيادة ملك العراق — على ان يكون هذا الجيش خاضعا لتفتيش قائد القوات البريطانية في العراق ، الذى يقدم اقتراحاته الى جلالة الملك بواسطة المعتمد السامي ، بشان ما يراه ضروريا من الاجراءات لاجل تحسين حالة الجيش والقوات المسلحة الاخرى . وتكون حركات الجيش العراقي ، وتوزيعه ، خاضعة لرغائب المعتمد السامي (الاتفاقية العسكرية م ٧) . ولا يستخدم هذا الجيش الا في مصلحة العراق . و "توافق الحكومتان على ان لا تقوم واحدة منهما باعمال عسكرية لحفظ النظام الداخلي او الدفاع عن العراق ضد تجاوز خارجي بدون استشارة الحكومة الاخرى والاتفاق معها مقدما" (الملحق العسكرى م ٨) . وحين القيام باعمال عسكرية ، مما ينوى ان تشترك فيها قوات تقوم باعبائها او تتولى امرها حكومة صاحب الجلالة البريطانية ، يجب ان يعهد بقيادة القوات المشتركة الى قائد عسكرى بريطاني (م ٩) . ويجب على ملك العراق ، في حالة قيام هذه القوات البريطانية باعمال عسكرية لاجل مساعدة الحكومة العراقية على رد اى اعتداء خارجي او قمع هياج اهلي ان يعلن الاحكام العرفية ، لدى طلب المعتمد السامي ، في جميع جهات العراق التي يتناولها هذا التعدى الخارجي او الهياج الاهلي ، وعلى ان يعهد بادارة هذه الاحكام العرفية الى قائد القوات الجوية البريطانية او من يعينه هذا القائد من الضباط . (م ١٢) . وتتلخص مساعدة الحكومة البريطانية للحكومة العراقية ، بان تبقي في العراق حامية من الجنود الامبراطورية ، او من الجنود المحليين ، تقوم باعبائهم الحكومة البريطانية ، وان تثقف الضباط العراقيين بالعلوم العسكرية وفن الطيران في المملكة البريطانية ، وان تجهز الجيش العراقي بكميات وافية من الاسلحة والذخائر والمعدات والطيارات . (على حساب الحكومة العراقية) (م ٢) .
وتقدم الحكومة العراقية جميع التسهيلات لاجل تحريك القوات الامبراطورية بما في ذلك استعمال البرق واللاسلكي وخطوط البرق والتلفون البرية . ولاجل نقل وخزن الوقود والعتاد اللازم لهذه القوات على طرق العراق وسككه الحديدية وطرقه المائية ، وموانئه . (م ١٣) .

اما الاتفاقية العدلية فقد حفظت للاجانب حقوقا خاصة ، "واعادت النظام القضائي الخاص الذى كان موجودا على عهد الامتيازات الاجنبية بشكل محور على الرغم من ان الامتيازات كانت قد الغيت" . (١٩)

---

(١٩) ايرلاند ص ٣٤٧ من الاصل وص ٢٧٢ من الترجمة العربية .

فقد اعطت للاجانب الحق في ان يطلبوا لمن يحاكموا امام محاكم بريطانيين . ولاجل ان تضمن الحكومة البريطانية مراعاة الاجانب في القضاء العراقي اشترکت المادة الثالثة من الاتفاقية العدلية "ان يتعهد صاحب الجلالة ملك العراق ان تعرض كل لائحة قانونية تتعلق باختصاص المحاكم وتشكيلها او اصول المرافعة فيها او تعيين الحكام وعزلهم على المعتمد السامي قبل عرضها على السلطة التشريعية ليبين اراءه ومشورته فيما له مساس بمصالح الاجانب (٢٠).

وقد عينت الاتفاقية المالية التزامات العراق المالية قِبَلَ الحكومة البريطانية . فقد نصت المادة الخامسة على ان تقبل الحكومة العراقية نقل ملكية المرافق العمومية اليها بالثمن المبين ادناه .

الری	٦٫٢١٢٫٠٤٠	روبية
الطرق	٣٢٠٫٠٠٠	روبية
الجسور	١٫١١٧٫٥٠٠	=
البرق والبريد والتلفون	١٫٧٦٠٫٠٠٠	= =
المجموع	٩٫٤٠٩٫٥٤٠	= =

ويجب ان يكون هذا المبلغ دينا يقتضي تسديده باقساط سنوية في خلال مدة معينة ويعين مقدار هذه الاقساط على وجه يضمن دفع المبلغ الاصلي مع فائدة سنوية قدرها ٥ بالمائة في خلال عشرين سنة من تاريخ عقد هذه الاتفاقية (الملحق المالي م ٧) وتنقل مباشرة وادارة السكة الحديد في العراق ،التي ستظل ملكا للحكومة البريطانية، الى حكومة العراق وذلك من اول نيسان سنة ١٩٢٣ ولمدة لا تزيد عن اربع سنوات من تاريخ ابرام معاهدة التحالف . ويجب ان تحفظ جميع واردات السكة الحديد العراقية بمعزل عن واردات العراق العمومية ما دامت مباشرة وادارة السكة الحديد بيد الحكومة العراقية ولا تستعمل الا لتسديد المصروفات العمومية ،وتكاليف الاعمال الرئيسية التي تقام بموافقة المعتمد السامي . وتوافق كل من الحكومتين على وجوب انتقال ملكية السكة الحديد الى حكومة العراق على اثر انتهاء الاربع سنوات من تاريخ ابرام معاهدة التحالف هذه

---

(٢٠) عينت المادة الاولى من الاتفاقية العدلية معنى لفظة اجنبي بقولها : انها تطلق على رعايا الدول الاوربية والاميركية التي كانت تستفيد من احكام الامتيازات في تركيا سابقا والتي لم تتنازل عن تلك الامتيازات بموجب اتفاق موقع قبل تاريخ ٢٤ تموز ١٩٢٣ والدول الاسيوية التي لها

في الحال . (الملحق المالي ٨٣) .

ويسلم ميناء البصرة الى شركة تديره بالامانة (تدعى امانة الميناء) على شرط ان تفصل ايرادات الميناء ومصروفاته عن حسابات العراق العمومية وتقام لاجل ادارة شؤون الميناء امانة ميناء بامر الحكومة العراقية على ان توافق الحكومة البريطانية على ذلك . ويعتبر الثمن المقدر البالغ ٠٠٠و١١٩و٧ روبية دينا على امانة الميناء لذمة الحكومة البريطانية ،كما يشترط ان توافق الحكومة البريطانية على الشروط التي بموجبها تقوم امانة الميناء باعمالها ـ (الملحق المالي م ١٠)

ونصت المادة الثالثة عشرة من الملحق المالي على ان تدفع الحكومة العراقية نصف مرتبات ومصاريف المعتمد السامي وحاشيته ،ونصت المادة الرابعة على اعفاء المواد الاتية من الرسوم الكمركية على الواردات والصادرات :

(ا) جميع المواد العائدة الى المعتمد السامي [illegible] استعماله الخاص .

(ب) جميع اللوازم الرسمية العائدة الى المعتمد السامي وحاشيته والقوات او المصالح الامبراطورية وغير الامبراطورية المقامة في العراق على نفقة حكومة جلالة ملك بريطانيا وجميع المستوردات العائدة الى الحوانيت والمطاعم العائدة الى هذه القوات ، او المعنونة باسم اي فرد من افراد القوات البريطانية . كما نصت المادة الخامسة عشرة على ان لا تتقاضى الحكومة العراقية رسما ما من القوات البريطانية او مصالح جلالة ملك بريطانيا عن الدوائر او الاراضي او العقارات التي تشغلها هذه القوات او المصالح لمقاصد رسمية .

المعاهدة العراقية ـ الانكليزية الثانية (١٩٢٦)

نص البروتوكول الملحق بالمعاهدة الاولى والموقع في ٣٠ نيسان ١٩٢٣ على انه "يجب ان تنتهي المعاهدة الحالية عند صيرورة العراق عضوا في جمعية الامم وعلى كل حال يجب الا يتاخر انتهاؤها عن اربع سنوات من تاريخ ابرام الصلح مع تركيا "على ان حكومة مصطفى كمال استطاعت ان تلغي معاهدة سيفر ،التي تنازلت بموجبها تركيا عن العراق وبضمنها ولاية الموصل . وقد نصت المادة الثالثة من معاهدة لوزان التي حلت محل معاهدة سيفر على ان تحل الحكومتان البريطانية والتركية مشكلة الحدود بين العراق وتركيا بمفاوضات ودية خلال تسعة اشهر . وعند عدم التوصل الى اتفاق تحال القضية الى

تابع (٢٠) التي لها الان ممثل دائمي في مجلس عصبة الامم . وتشمل الاشخاص الحكمية القائمة بموجب قوانين تلك الدول والهيئات والمؤسسات الدينية او الخيرية المؤلفة من اشخاص كلهم او اكثرهم من رعايا الدول المذكورة .

الى مجلس عصبة الامم . وقد فشلت المفاوضات التي جرت في الاستانة سنة ١٩٢٤ . وعرضت القضية على عصبة الامم فاوفدت لجنة الى العراق لدرس الموضوع . وقد اوصت اللجنة بابقاء الموصل ضمن العراق مشترطة بقاء الانتداب البريطاني على العراق مدة ٢٥ سنة .
وقد اخذ مجلس العصبة بهذا الراى في ١٦ كانون الاول ١٩٢٥ وطلب من بريطانيا تقديم معاهدة جديدة تضمن دوام العلاقات العراقية الانكليزية كما حددت في معاهدة سنة ١٩٢٢ ، وفي الاتفاقات الملحقة بها لمدة ٢٥ سنة الا اذا قبل العراق عضوا في عصبة الامم . وتم عقد هذه المعاهدة الجديدة في ١٣ كانون الثاني ١٩٢٦ . وقدمت في ٢ اذار ١٩٢٦ الى مجلس عصبة الامم فصدقها هذا المجلس في ١١ اذار ١٩٢٦ وقد اصبحت نافذة المفعول في ١٣ اذار ١٩٢٦ .

المعاهدة العراقية ـ الانكليزية الثالثة (١٩٢٧)

على ان تمديد اجل انتهاء الانتداب وفداحة اعباء الاتفاقيتين المالية والعسكرية ، قوبل بالسخط العام في العراق . وعلى هذا فمنذ ابدى المجلس العراقي الذى احيلت اليه لائحة المعاهدة في ٢٨ كانون الاول ، رغبة شديدة في وضع جمل تشترط اجراء تعديلات عاجلة في الاتفاقيتين المالية والعسكرية واعادة النظر بصورة دورية في امكانية دخل العراق عضوا في عصبة الامم ، وافقت وزارة المستعمرات البريطانية . وابتدات المفاوضات من اجل عقد معاهدة جديدة في بغداد ثم نقلت الى لندن . وانتهت هذه المفاوضات الى عقد معاهدة وقعت في لندن في ١٤ كانون الاول ١٩٢٧ . واقرتها الوزارة العراقية في جلستها المنعقدة في ١٨ كانون الاول سنة ١٩٢٧ . ولكن هذه المعاهدة التي لا تختلف عن سابقتيها اختلافا جوهريا ، لاقت معارضة شديدة ، واستقالت الوزارة بسببها . واهم ما جاء فيها المادة التي تنص "بشرط الاحتفاظ بمعدل التقدم الحاضر في العراق وسير الامور سيرا حسنا خلال هذه الفترة يعضد صاحب الجلالة البريطانية ترشيح العراق للدخول في عصبة الامم في عام ١٩٣٢ . "واستمرت المفاوضات من اجل تعديل الاتفاقيتين المالية والعسكرية ، ولم يتوصل الفريقان الى اتفاق . وعلى هذا قررت الحكومة العراقية انهاء المفاوضات ، وانهاء حكم المعاهدة بدخول العراق في عصبة الامم . وقد ساعد مجيئ العمال الى الحكم في بريطانيا في ٥ حزيران ١٩٢٩ حل القضايا المعلقة بين البلدين . فقررت بريطانيا التخلي عن هذه المعاهدة وتمشية العلاقات وفقا للمعاهدات

والاتفاقيات القديمة المؤرخة في ١٩٢٢ ، ١٩٢٤ ، و ١٩٢٦ ، ووافقت على ترشيح العراق الى عضوية عصبة الامم في سنة ١٩٣٢ دون اشتراط تقدم العراق في هذه الفترة • وفي ١٤ ايلول ١٩٢٩ اعلم وكيل المعتمد السامي الملك فيصل بالقرارات التالية التي اتخذتها الحكومة البريطانية :

ا ـ ان الحكومة البريطانية مستعدة لمعاضدة ترشيح العراق للدخول في عصبة الامم في عام ١٩٣٢ •

ب ـ ان الحكومة البريطانية ستخبر مجلس عصبة الامم في اجتماعه المقبل انها قررت عدم الشروع بمعاهدة سنة ١٩٢٧

ج ـ ان الحكومة البريطانية ستخبر مجلس عصبة الامم في اجتماعه المقبل انها قررت وفقا للفقرة (١) من المادة الثالثة العراقية ـ البريطانية لسنة ١٩٢٦ ، التوصية بدخول العراق في عصبة الامم عام ١٩٣٢ •

وقد اضاف وكيل المعتمد السامي الى المقررات السابقة ما يلي : "ان الحكومة البريطانية تامل عقد معاهدة مع الحكومة العراقية قبل عام ١٩٣٢ قائمة على الاغلب على اساس المقترحات الاخيرة لمشروع المعاهدة البريطانية ـ العراقية وذلك لاجل تنظيم علاقات بريطانية بالعراق بعد دخول العراق الى عصبة الامم (٢١)

المعاهدة العراقية ـ الانكليزية الرابعة (١٩٣٠)

وعلى هذا ابتدات المفاوضات من اجل عقد هذه المعاهدة الجديدة في ٢٨ نيسان ١٩٣٠ • وتمت المعاهدة ووقع عليها في بغداد في ـ٣ حزيران من السنة نفسها ، المعتمد السامي هـ • ف • همفريز ووزير خارجية العراق السيد نوري السعيد وحل البرلمان وجيء ببرلمان جديد لاقرار المعاهدة فصدقها في ١٦ تشرين الثاني ١٩٣٠ • وتبودلت وثائق ابرامها في ٢ كانون الثاني ١٩٣١ على ان تكون نافذة المفعول من تاريخ قبول العراق عضوا في عصبة الامم • وقد تقدمت الحكومة البريطانية بترشيح العراق الى عصبة الامم • فوافق مجلس العصبة في ٢٨ كانون الثاني ١٩٣٢ على دخول العراق في العصبة بشرط ان يعطي تصريحا بضمان حقوق الاقليات والحكم بالعدل ومراعاة القانون الدولي

---

(٢١) انظر الحسني "تاريخ العراق السياسي الحديث" ج٢ ص ١٦٢ ـ ٣

وغير ذلك من التحفظات. وفي ٣٠ ايار وقع العراق على هذا التصريح المطلوب . وفي ٣ تشرين الاول ١٩٣٢ تبوأ العراق مقعده في مجلس عصبة الامم .

تبدأ المعاهدة (٢٢) بتحديد علاقة الحكومتين العراقية والبريطانية في الشؤون الخارجية فتقول المادة الاولى :" ..... وتجرى بينهما مشاورة تامة وصريحة في جميع شؤون السياسة الخارجية مما قد يكون له مساس بمصالحهما المشتركة . ويتعهد كل من الفريقين الساميين بان لا يقف في البلاد الاجنبية موقفا لا يتفق وهذا التحالف او قد يخلق مصاعب للفريق الاخر ." وقد جاء في المادة الاولى من المذكرة الايضاحية لهذه المعاهد (٢٣) ان المقصود من هذه المادة ، وبخاصة معنى الشؤون الخاجية "منحصر في الشؤون الواقعة ضمن السياسة الخارجية اما الشؤون التجارية والاقتصادية البحتة فانها خارجة عن نطاق هذه المادة "وتقول المدة الثالثة : " اذا ادى اي نزاع بين العراق وبين دولة ثالثة الى حالة يترتب عليها خطر قطع العلاقات بتلك الدولة يوحد الفريقان الساميان المتعاقدان مساعيهما لتسوية ذلك النزاع بالوسائل السلمية وفقا لاحكام ميثاق عصبة الامم . ووفقا لاى تعهدات دولية اخرى يمكن تطبيقها على تلك الحالة ." وتقول المادة الرابعة "اذا اشتبك احد الفريقين الساميين المتعاقدين في حرب رغم احكام المادة الثالثة ، يبادر حينئذ الفريق السامي المتعاقد الاخر فورا الى معونته بصفته كونه حليفا وذلك دائما وفق احكام المادة التاسعة .... ان معونة صاحب الجلالة ملك العراق في حالة حرب او خطر حرب محدق تنحصر في ان يقدم الى صاحب الجلالة البريطانية في الاراضي العراقية جميع ما في وسعه ان يقدمه من التسهيلات والمساعدات ، ومن ذلك استخدام السكك الحديدية والانهر والموانئ والمطارات ووسائل المواصلات." وتعنى المادة الخامسة بذكر اهمية طرق المواصلات الامبراطورية لكلا الفريقين ووجوب المحافظة عليها وكيفية القيام بهذه المحافظة . والحق ان هذه القضية هي اهم نقطة في المعاهدة والمحور الذى تدور حوله المعاهدة باسرها . فقد جاء في البيان الذى تقدمت به الوزارة الى البرلمان عن الاسباب الموجبة لعقد هذه المعاهدة (٢٤) .

---

(٢٢) اعتمدنا في تحليل المعاهدة والاتفاقيات الملحقة بها على النص المنشور في الحسني . تاريخ العراق السياسي الحديث ج ٢ ص ١٩٧ — ٢١٥

(٢٣) انظر نص هذه المذكرة الايضاحية في المصدر السابق ج ، ص ٢١٢ — ٢١٤

(٢٤) انظر نص هذه البيانات في المصدر السابق ج ٢ ص ١٩٠ — ١٩٧

"اما مبدأ الاعتراف بحفظ وحماية المواصلات الجوية لصاحب الجلالة البريطانية فليس ببدعة جديدة ابتدعناها . فقد سبق لمصر ان اقرته قبلنا في مشروعها الذى هو اساس مشروعنا . واننا لنعترف بانه حجر الزاوية في جميع صلاتنا مع بريطانيا العظمى . ولا يخفى ان العالم البريطاني يهتم لهذه القضية اهتماما ما بعده اهتمام . ولعلنا لا نكون مبالغين اذا قلنا ان كل ماتنتظره منا بريطانيا من مساعدة في الحاضر والمستقبل هو تامين هذا الخط الجوى ولاامالها وثقتها بان نقوم لها بهذه المساعدة لما اهتمت بمحالفتنا والغاء انتدابها ومساعدتنا على نيل امانينا وتقوية مركزنا بين الامم . ولم لا نصارح اعضاء المجلس الكرام فالصراحة خير وسيلة لادراك الحقيقة واقناع الضمير — ان اعترافنا بهذا المبدأ وما يتبعه من مساعدات قد يكون ثقيلا ولكننا لم نقدم على قبوله الا بعد ان تحققنا من ان اهماله ليس من الممكنات . وان كل تشبث في هذا الصدد يستوجب اهمال كل شيء وفي النتيجة بقاءنا في غموض سياسي مستمر ...." وهذا نص المادة الخامسة :"من المفهوم بين الفريقين الساميين المتعاقدين ان مسؤولية حفظ الامن الداخلي في العراق ، وايضا بشرط مراعاة احكام المادة الرابعة اعلاه، مسؤولية الدفاع عن العراق ازاء الاعتداء الخارجي تنحصر ان في صاحب الجلالة ملك العراق مع ذلك يعترف جلالة ملك العراق بان حفظ وحماية مواصلات صاحب الجلالة البريطانية الاساسية بصورة دائمة في جميع الاحوال ، هما من صالح الفريقين الساميين المتعاقدين المشترك . فمن اجل ذلك وتسهيلا للقيام بتعهدات صاحب الجلالة البريطانية وفقا للمادة الرابعة اعلاه يتعهد جلالة ملك العراق بان يمنح صاحب الجلالة البريطانية طيلة مدة التحالف موقعين لقاعدتين جويتين ينتقيهما صاحب الجلالة البريطانية في البصرة او في جوارها ، وموقعا واحدا لقاعدة جوية ينتقيها صاحب الجلالة البريطانية في غرب نهر الفرات . وكذلك يأذن جلالة ملك العراق لصاحب الجلالة البريطانية في ان يقيم قوات في الاراضي العراقية ، في الاماكن الانفة الذكر ، وفقا لاحكام ملحق هذه المعاهدة . على ان يكون مفهوما ان وجود هذه القوات لن يعتبر بوجه ما من الوجوه ~~الايضاحية "ان المواصلات الاساسية لصاحب الجلالة البريطانية~~ ولن يمس على الاطلاق حقوق سيادة العراق" وجاء في الفقرة الثانية من المذكرة الايضاحية "

"ان المواصلات الاساسية لصاحب الجلالة البريطانية المنصوص عليها في الفقرة الثانية من المادة الخامسة هي المواصلات الجوية فوق العراق والمواصلات البحرية والجوية في راس الخليج الفارسي ." ويعين ملك بريطانيا من حين لاخر مقدار القوات التي يقيمها جلالته في العراق وفقا لاحكام المادة الخامسة المتقدمة ، وذلك بعد مشاورة ملك العراق . (الملحق العسكري م٢)

وتعهد ملك العراق/ بناء على طلب ملك بريطانيا وعلى نفقته بان يقدم حرسا خاصا من القوات العراقية لحماية القواعد الجوية . (الملحق العسكري م ٩) وتحتم على الحكومة العراقية ان تقوم بجميع التسهيلات الممكنة لمرور القوات البريطانية من جميع الصنوف العسكرية عبر العراق ، ولنقل وخزن جميع المؤن والتجهيزات ، التي قد تحتاج اليها هذه القوات ، في اثناء مرورها في العراق وتتناول هذه التسهيلات استخدام طرق العراق ، وسكك الحديد ، وطرقه المائية ، وموانئه ، ومطاراته . ويؤذن للسفن البريطانية اذنا عاما في زيارة شط العرب. (الملحق العسكري م ٧) . كما يتحتم على الحكومة العراقية ان تقوم بجميع التسهيلات لتنقل القوات البريطانية المقيمة في العراق ، وتدريبها ، واعالتها ، (الملحق العسكري م ٣) ويجب ان تظل الحصانات والامتيازات في شؤون القضاء والعائدات الاميرية (وفي ذلك الاعفاء من الضرائب) التي تتمتع بها القوات البريطانية في العراق شاملة القوات البريطانية المقيمة في العراق والقوات البريطانية من جميع الصنوف التي يحتمل وجودها في العراق عملا باحكام هذه المعاهدة . (الملحق العسكري م ٢) .

اما مساعدة الحكومة البريطانية للعراق فهي :

١ — تعليم الضباط العراقيين الفنون البحرية ، والعسكرية ، والجوية في المملكة المتحدة .

٢ — تقديم الاسلحة ، والعتاد والتجهيزات والسفن والطيارات من احدث طراز متيسر الى القوات العراقية .

٣ — تقيم ضباط بريطانيين بحريين ، وعسكريين ، وجويين ، للخدمة بصفة استشارية في القوات العراقية (الملحق العسكري م ٥) . وتشترط المادة السادسة من الملحق العسكري هذه الشروط التالية :

(١) يتعهد جلالة ملك العراق بانه اذا راى ضرورة الالتجاء الى مدربين عسكريين اجانب فانهم يختارون من الرعايا البريطانيين .

(٢) وان الاشخاص التابعين للقوات العراقية الذين يرسلون للخارج للتدريب العسكري يجب ان يرسلوا الى مدارس وكليات ودورات تدريب عسكرية في بلاد جلالته البريطانية .

(٣) وان التجهيزات الاساسية للقوات العراقية ، واسلحتها ، يجب ان لا تختلف في نوعها عن اسلحة القوات البريطانية وتجهيزاتها .

اما الاتفاقية العدلية فقد الغت النظام القضائي الخاص الذي اسس حسب المعاهدة الاولى لمصلحة الاجانب واشترطت تطبيق نظام قضائي موحد على جميع العراقيين والاجانب على حد سواء (الاتفاقية العدلية م ١) . ولكن الغاء النظام القديم لم يكن كاملا . فقد اشترطت المادة الثانية من الاتفاقية العدلية ضرورة الاستمرار على استخدام عدد محدود

من الخبراء القانونيين البريطانيين في وزارة العدلية وفي محاكم العراق ينتخبهم صاحب الجلالة ملك العراق بموافقة صاحب الجلالة البريطانية على ان يخول هؤلاء الخبراء سلطات قضائية وفقا لقوانين العراق • وعليه يتعهد صاحب الجلالة ملك العراق بان يستخدم تسعة خبراء قانونيين بشروط لا تقل ملائمة عن الشروط الموضحة في اتفاقية الموظفين البريطانيين المؤرخة في ٢٥ مارس ١٩٢٤ ويعقود مدتها عشر سنوات من تاريخ دخول هذه الاتفاقية في حيز التنفيذ • ويتعهد جلالته بان تشغل عادة الوظائف الاتية بموظفين بريطانيين من الخبراء القانونيين السالفي الذكر : (١) مستشار قضائي بريطاني (٢) رئيس بريطاني لمحكمة الاستئناف والتمييز (٣) رؤساء بريطانيون لمحاكم البداءة والكبرى في بغداد والبصرة والموصل وفي الاماكن التي يتفق عليها فيما بعد • وقد حفظت هذه الاتفاقية للاجانب حقوقهم الشخصية كاملة •

واما الاتفاقية المالية فقد بحثت في شروط نقل الملكية المطارات والمعسكرات الموجودة في الهنيدي والموصل الى الحكومة العراقية وقد نصت على ان الحكومة العراقية لا تستوفي بدلات ايجار عن مواقع القواعد الجوية التي توجر من الحكومة العراقية اذا كانت الاراضي أميرية خالية (الاتفاقية المالية م ١) • ثم تناولت قضية السكك الحديد • فنصت المادة الرابعة على نقل ملكية السكك الى الحكومة العراقية على ان تكون بشكل نقابة ذات شخصية حكمية يتالف راسمالها من اسهم بريطانية وعراقية وعلى ان يتالف مجلس ادارتها من خمسة مديرين تعين اثنين منهم الحكومة العراقية واثنين منهم الحكومة البريطانية واما الخامس الذي يكون رئيس الادارة فيتم تعيينه باتفاق كلتا الحكومتين ويكون اول رئيس لمجلس الادارة مدير السكك الحديد العراقية الحالي • وتكون النقابة مسوءلة باجمعها من ادارة السكك الحديد العراقية وتدبير شوءنها جميعها • ويحق للحكومة العراقية ان تشترى متى شاءت الاسهم المخصصة للحكومة البريطانية بقيمتها الاصلية (٢٥) •

وبحث المادة الخامسة من الاتفاقية المالية في ملكية وادارة ميناء البصرة فتقول :"ان الملك الكائن في ميناء البصرة الموجود الان في حيازة المملكة المتحدة ينتقل الى الحكومة العراقية

---

(٢٥) انتقلت حقوق الحكومة البريطانية في السكة الحديد بموجب اتفاق امضي في بغداد في ٢١ اذار ١٩٣٦ الى الحكومة العراقية بعد ان دفعت الحكومة العراقية اربعمائة الف ليرة استرلينية • وقد انيطت ادارة السكة الحديد العراقية هذه لمدة عشرين سنة بمجلس مديرين يتالف من احد الوزراء رئيسا للمجلس والمدير العام للسكك الحديد وثلاثة اعضاء اخرين يكون احدهم من الرعايا البريطانيين وتعينه الحكومة العراقية وقد خول مجلس المديرين الصلاحيات الكافية لادارة السكك • وقد نصت الاتفاقية على ان تظل ميزانية السكك لمدة

وتقوم بادارة الميناء هياءة تدعى مجلس امناء الميناء • ولهذه الغاية يسن العراق تشريعا بنصوص يتفق عليها مع المملكة المتحدة لتاليف مجلس امناء ميناء له شخصية قانونية • على ان لا يعدل هذا التشريع الا بموافقة حكومة المملكة المتحدة ما دام لحكومة المملكة المتحدة اي جزء كان من الدين المتعلق بالميناء • وعند سن التشريع المذكور وتاليف مجلس امناء للميناء ينتقل الملك الكائن في الميناء الى الحكومة العراقية • ويسجل باسمها • وفي عين الوقت الذي يتم فيه هذا الانتقال يمنح مجلس امناء الميناء حق الانتفاع التام على سبيل الايجار او الامتياز او بواسطة اخرى مناسبة على ان توافق حكومة المملكة المتحدة على الشروط وذلك للمدة التي يكون فيها الميناء مدينا لحكومة المملكة المتحدة باي جزء كان من الدين • (٢٦)

تابع (٢٥) لمدة عشرين سنة منفصلة عن الميزانية العامة للحكومة • ويتقلد خلال هذه المدة المناصب التالية رعايا بريطانيون: المدير العام، مفتش النقليات العام، رئيس المهندسين، معاون رئيس المهندسين، رئيس المهندسين الميكانيكيين، معاون رئيس المهندسين المكانيكيين.
(انظر حمادة ص ٣١٩) لقد ضمنت الحكومة البريطانية مصالحها الحيوية في السكة الحديد بواسطة هؤلاء الموظفين البريطانيين الذين يحتلون المراكز الرئيسية في ادارتها • وتقوم ادارة السكك بتحقيق كل المشاريع التي تحتاجها القوات البريطانية في تنقلاتها او التي قد تحتاجها في المستقبل • وقد اخبرني موظف عراقي مسوءل في السكك ان ادارة السكك لا تقوم باي مشروع مهما كانت البلاد بحاجة ماسة اليه، اذا لم يكن للانكليز نفع فيه • فبينما تفتقر جهات كثيرة من العراق الى السكة الحديد تقوم مديرية السكك، التي يراسها الجنرال سميث البريطاني، ببناء جسر ثابت للقطار على دجلة كلف حوالى اربعة ملايين دينار حتي تسهل سرعة اتصال قطارات كركوك بقاطارات الموصل والبصرة فتوءمن بذلك سرعة الاتصال بكركوك والحدود الايرانية بواسطة خط بغداد كركوك وبغداد بعقوبة خانقين • اضف الى هذا ان ادارة السكك تتبع سياسة التبذير حتى لا تدع وفراقد يستعمل في المشاريع النافعة • ففي الوقت الذى تحتاج البلاد فيه الى خطوط حديدية تقوم ادارة السكك ببناء محطة عالمية في بغداد، وتنشئ الفنادق الضخمة في المدن والمصايف والتي لا تدر الا اقل الربح ان لم تخسر • وقد انشات خطا جويا تستاجر له الطيارات في الوقت الذى تستطيع ان تشترى بهذا المبلغ الذى تدفعه ايجارا عدة طيارات تصبح ملكا لها • والمقدر ان هذا المشروع الطيران المدني يخسر سنويا ما لا يقل عن ٢٠٠٠٠٠ دينار •

حاشية (٢٦) : ظل ميناء البصرة هذا يدار ، بحسب هذه المادة وبحسب ما جاء في الملحق المالي للمعاهدة العراقية ـ الانكليزية الاولى ، من قبل مجلس خاص ، وبقيت ايراداته ومصروفاته منفصلة عن حسابات الحكومة العراقية ، لان الميناء لا يزال مدينا للحكومة البريطانية بمبلغ سبعين الف دينار من اصل ثمنه البالغ ٠٠٠ ،٢١٩ ،٧٤ روبية اى ما يعادل ٥٥٥ ،٣٠٧ دنانير تقريبا . وقد يعجب المرء كيف ان الميناء والحكومة العراقية باسرها ، لم تستطع ايفاء هذا الدين الضئيل خلال مدة تزيد عن ربع القرن ، مع العلم ان ايرادات الميناء ضخمة فهي تتألف من رسوم الميناء ، ورسوم قيادة السفن ، ورسوم صحية ، ورسوم تفريغ ، وما يربحه الميناء من مشروعي اسالة الماء والكهرباء اللذين يمتلكهما في مدينة البصرة ؟؟ ولكن هذا العجب يزول اذا علمنا ان ميناء البصرة قد وسع خلال المدة المذكورة ، وشيدت عليه الارصفة الحديثة ، وجهز باحدث الالات وعمق مستوى شط العرب ، وازيلت ما في مصبه من رواسب ترابية ، بحيث اصبح ملائما لرسو اضخم البوارج الحربية ، واكبر السفن التجارية . وقد استفادت الحكومة البريطانية منه اتم الاستفادة خلال الحرب العالمية الثانية اذا اتخذته قاعدة لايصال المعدات الحربية والذخائر الى الاتحاد السوفييتي . وبريطانيا العظمى ، الحريصة على حماية مصالحها البترولية في عبادان وما جاورها وحفظ مواصلاتها في الخليج الفارسي ، تريد ان تدوم سيطرتها على هذا الميناء البحرى العظيم الذى يسيطر على راس الخليج الفارسي سيطرة تامة ، ولذلك فهي تابى ان تستلم بقية دينها على الميناء ليصبح لها الحق في الاشراف عليه بحسب ما جاء في المادة الخامسة اعلاه . وقد اثار نواب المعارضة في المجلس النيابي السابق قضية الميناء ، وابانوا ما يجرى فيه من تبذير ، واختلاسات ادت الى عزل احد كبار الموظفين البريطانيين من وظيفته ، وطالبوا بنقل ملكية الميناء التامة الى الحكومة العراقية . وبعد مرور بضعة اشهر على هذا الحدث صرح وزير الاشغال الى مندوب جريدة الزمان ، بتاريخ ٣١ كانون الثاني ١٩٥٠ ، "بانه يتوقف نقل ملكية الميناء على دفع الدين البالغ اكثر من سبعين الف دينار الى الجهة البريطانية وان الحكومة مستعدة للدفع ".

وقد صرح وزير الاشغال التالي الى مندوب الجريدة المذكورة بتاريخ ١٦ آذار ١٩٥٠ فقال : " .... لقد فاتحنا الحكومة البريطانية بان العراق مستعد لتسليم ما عليه من بقايا الدين حتى تنتهي قضية الميناء والى الان لم نجب " . (راجع مقالة "في سبيل تحررنا من الامتيازات الاجنبية" جريدة صدى الاهالي ، عدد ٣٠١ ، الصادر في ٢٠ ايلول ١٩٥٠)

(تابع حاشية ٢٦) وقد مضى على تصريح ~~XXXX~~ الوزير هذا اكثر من عام ولم تجب الحكومة البريطانية ، او اجابت بالنفي لا ادرى ، واغلب الظن ان الحكومة البريطانية لن توافق على تسديد هذا الدين حتى تنتهي مصالحها في الميناء ، او حتى تتخذ طريقة شرعية اخرى تسيطر بواسطتها عليه • والحق ان ميناء البصرة الذى يحتل جميع المراكز المهمة فيه موظفون وضباط بريطانيون ، هو ، في واقع الحال ، عبارة عن مؤسسة بريطانية تقوم على ارض عراقية •

ما زالت هذه المعاهدة الرابعة تعين علاقات العراق ببريطانيا حتى وقتنا هذا الحاضر. وفي الحق انها جاءت خطوة تقدمية عن المعاهدات التي سبقتها والتي كانت انتدابا مستورا الذى كان بدوره استعمارا مقنعا بقناع شفاف — فقد خلصت خزينة الدولة العراقية من رواتب قسم كبير من ذلك الحشد الجرار من الموظفين والمستشارين والخبراء البريطانيين ، ومن نفقات المعتمد السامي وحاشيته ؛ وارخت قبضة الانكليز على دوائر الحكومة ؛ والغت بعض امتيازات الاجانب العدلية ؛ واطلقت يد الحكومة العراقية في التمثيل الخارجي ، واتاحت له ان يتمتع بمظهر الدولة المستقلة. ولكنها حافظت على السيطرة البريطانية على مقدرات العراق بشكل جديد مستور. فقد اعطت لبريطانيا قواعد جوية في ارض العراق ، وضمنت لها استخدام اراضي العراق وطرق مواصلاته ، عند اشتباكها في حرب فعلية او في حالة توقع خطر حرب وبذلك نالت حق التمتع بكل ما في موقع العراق من ميزات سوقية. وحافظت على طرق مواصلاتها الامبراطورية ، وهذا هو اهم ما تبتغيه من احتلال العراق. وسمحت بنقل القوات البريطانية عبر العراق ، وبقيت القوات البريطانية المقيمة في العراق والمارة فيه متمتعة بالحصانات العدلية والامتيازات المالية نفسها ، التي كانت تتمتع بها في عهد الانتداب ، بما في ذلك الاعفاء من الضرائب والرسوم الكمركية. وبكلمة واحدة ان هذه المعاهدة تبيح للحكومة البريطانية احتلال العراق بأكمله ، في حالة الحرب او في حالة توقع خطر حرب ، يعني في اى وقت تشاء في هذه الايام التي اصبح فيها خطر الحرب حقيقة واقعة. لقد سحبت بريطانيا جيوشها البرية من العراق لانها كانت تكلفها نفقات باهضة ، ولان وجودها كان يثير شعور العراقيين العدائي نحوها ، اما السيطرة الجوية ، التي تقرر ان تحل محل القوات الحربية الاخرى الموجودة في العراق في مؤتمر القاهرة ١٩٢١ (٢٧) ، فهي اشد فعالية ، واسرع عملا ، واقل كلفة ، سواء كان ذلك من حيث المال او الرجال ، واعظم قدرة على التغلغل في الاماكن النائية الحصينة ، وهي ، الى كل ما تقدم ، اقل تعرضا للخطر من القوات البرية.

وقد ضمنت هذه المعاهدة لبريطانيا ان تتمشى سياسة العراق الخارجية مع المصالح البريطانية. وزيادة على كل ذلك فقد قيدت ملكية العراق للسكك الحديد

---

(٢٧) انظر مين ص ١١٣

والميناء بحيث اصبح بامكانها ان تكيف سياسة وادارة هذين المرفقين الهامين من مرافق العراق لخدمة مصالحها العسكرية والتجارية. اما سيطرتها على الجيش العراقي فلم تنته ، فالضباط العراقيون المرسلون للتدريب في الخارج يجب ان يدربوا في المدارس البريطانية ، والاسلحة يجب ان تستورد من بريطانيا وحدها وكذلك بقيت البعثة العسكرية الاستشارية ، محتفظة بالامتيازات التي كانت تتمتع بها في عهد الانتداب. (٢٨)

كان العراق خلال هذه المدة وفيا في تطبيق نصوص هذه المعاهدة او قل كان مرغما على الوفاء ، ولكن الحكومة البريطانية لم تتقيد بها. مثال ذلك ان الفقرة التاسعة من المذكرة الايضاحية تقول: "ايضاحا لعبارة (مرور القوات عبر العراق) المشار اليها في الفقرة السابعة من الملحق فان اتجاه هذا المرور قد حدد من غربي الفرات الى الخليج الفارسي او بالعكس". ومع ذلك فقد اخترقت بريطانيا حياد ايران بجيش مر من حدود العراق الشرقية الى الاراضي الايرانية في صيف ١٩٤١ واتخذت بغداد قاعدة لتموين هذا الجيش واسناده. (٢٩) وتقول الفقرة الثالثة من المذكرة الايضاحية: "ان التسهيلات والمساعدات التي يقدمها العراق وفق احكام المادة الرابعة من المعاهدة ، تكون على نفقة الحكومة البريطانية ولن يتكلف العراق بشيء من ذلك." ويقول السيد الحسني جوابا على هذا الايضاح (٣٠) "لما احتل الانكليز العراق الاحتلال الثاني بعد حوادث نيسان ومايس سنة ١٩٤١ ، اتخذوه قاعدة لتموين الجيش الروسي حليفهم ، ولاحتلال ايران. وقد جاء في تقرير وضعه الملحق العسكري للمفوضية العراقية في واشنطن من "نصيب العراق في مجهود الحلفاء الحربي" ان الحكومة العراقية تحملت (جميع التكاليف التي نشأت من جراء وجود هذه المؤسسات)". وقد خالفت الحكومة البريطانية نص المادة الاولى من المعاهدة ، وروحها في موقفها من قضية فلسطين ، اهم قضية تخص العراق ، سواء كان ذلك من ناحية الاخوة التي تربطه بفلسطين ام من ناحية سلامته الخاصة ومساعدتها في انشاء دولة اسرائيل من العدم التي اصبحت خطرا يهدد امن وسلامة البلاد العربية ، وبضمنها العراق ، تهديدا مباشرا ماحقا.

---

(٢٨) انظر مذكرة السيد نوري السعيد الى المعتمد السامي بشان البعثة العسكرية ، الحسني "تاريخ العراق السياسي الحديث" ج ٢ ص ٢٠٨. انتهى امر البعثة عام ١٩٤٨.

(٢٩) انظر المصدر السابق ج ٢ ص ٢١٣ حاشية ٢

ان المادة الاولى من المعاهدة ، التي تنص على ان لا يقف العراق في البلاد الاجنبية موقفا قد يخلق مصاعب للفريق الاخر ، تحول دون كل محاولة للتقارب الجدي الصحيح بين العراق وبين الاقطار العربية الشقيقة . فالبلاد العربية تعتبر ، في العرف الدولي ، اجنبية عن العراق ، ومعنى هذا ان يقف العراق مكتوف اليدين من مطامح الشعوب العربية المناضلة في سبيل التخلص من السيطرة البريطانية ، كمصر مثلا ، لان اى عون للبلاد العربية ضد بريطانيا يعتبر خرقا لنص هذه المادة الاولى . واخيرا اين هي مصلحة العراق "في حفظ وحماية مواصلات صاحب الجلالة الامبراطورية الاساسية بصورة دائمية في جميع الاحوال" ؟ الحق انه ليس من مصلحة العراق في شيء ابدا المحافظة على طرق المواصلات الامبراطورية هذه ، التي تستخدم للدفاع عن امتيازات بريطانيا في الجارة ايران ، وتشديد قبضة بريطانيا الحديدية على المحميات العربيات في الخليج الفارسي ، وتهديد استقلال الدول العربية الاخرى ، ودوام نير الاستعمار البريطاني معلقا في اعناق الشعوب الاسيوية المناضلة في الشرق الاوسط والاقصى .

منذ ان اعلن نص هذه المعاهدة استنكرها الشعب ، وعارضها كثير من الساسة وطالبوا بالغائها او تعديلها تعديلا يضمن حق العراق ، ويحفظ سيادته الوطنية وقد كانت مقاومة الشعب للمعاهدة تتخذ اشكالا مختلفة . ففي بداية الحرب العالمية الثانية كان الجيش مسيطرا على السياسة في البلاد . وقد تمكن الجيش من تنصيب السيد رشيد عالي الكيلاني رئيسا للوزارة . واراد بعض قادة الجيش بالتعاون مع قسم من السياسيين ، وبتحريض من المانيا النازية ، ايقاف تطبيق بنود المعاهدة ، والتمسك بحرفيتها تمسكا يضيق من امتيازات الحكومة البريطانية فاستغلت الحكومة البريطانية حركة رشيد عالي الكيلاني العدائية لها في ايار سنة ١٩٤١ ، والتي ايدها الشعب العراقي تاييدا قويا دون ان تفهم اغلبيته دوافعها الخفية لكرهه للانكليز ورغبته في التخلص منهم ومن نفوذهم باية وسيلة ممكنة ، وبلاهة هؤلاء القادة العسكريين ، وضعف الجيش العراقي الذى ربته هي خلال ربع قرن من الزمن ، واعلنت الحرب على العراق وسيّرت جيوشها عليه فاحتلته بكامله ، ليصبح حكمها له مباشرا فعالا .

وقد افسحت الحكومة خلال الحرب ، المجال لنمو الافكار الديمقراطية لمكافحة الافكار والدعوات النازية التي كانت قد تغلغلت في بعض اوساط الشبان قبل الحرب فنما الوعي القومي ، وزاده نموا ما اذاع الحلفاء من وعود لنصرة الشعوب المضطهدة ، واعطائها حرياتها ، وتحقيق استقلالها ، واقامة العدالة الاجتماعية وما اليها .

فلما وضعت الحرب اوزارها اخذ الشعب العراقي يطالب بتعديل المعاهدة العراقية الانكليزية تعديلا اساسيا يضمن حقوق العراق كدولة مستقلة فعلا ذات سيادة حقيقية . نتيجة هذه المطالبة الشعبية بالغاء المعاهدة او تعديلها تعديلا اساسيا ونتيجة للسياسة الانكليزية التي تكشفت منذ انتهاء الحرب عن اقامة طوق محكم من الحلقات من الدول الحليفة والتابعة تحيط به الاتحاد السوفيتي ولقرب موعد انتهاء المعاهدة في سنة ١٩٥٢ ارادت ان تعدل المعاهدة وتتخذ التعديل الجديد نموذجا لمعاهدات اخرى تعقدها مع الاقطار العربية . وقد وقع السيد صالح جبر رئيس الوزراء في شتاء ١٩٤٨ في بورتسموت معاهدة عراقية ـ انكليزية جديدة وعندما نشرت مسودة هذه المعاهدة تبين انها استبقت جوهر المعاهدة القديمة واضافت اليها امتيازات جديدة لم تكن تتمتع بها بريطانيا من قبل وخاصة في الناحية العسكرية حيث جاءت بلجنة مشتركة للدفاع واشارت الى مشاركة العراق في مصاريف القوات البريطانية في العراق ولمحت الى استخدام القوات العراقية خارج الوطن (٣١) وعندما راى الشعب ان الوزارة مصرة على ابرام المعاهدة وان مجلس الاعيان مؤيد لها وان مجلس النواب ما عدا الثلاثة عشر معارضا الذين يكونون الجبهة الدستورية موافق عليها مسبقا لم يجد بدا لاحباط توقيع هذه المعاهدة واجبار الوزارة على الغائها من ان ينزل الى الشارع ويفرض ارادته على الحاكمين فرضا . وقد تظاهر الشعب في جميع انحاء العراق واصطدم مع قوات الشرطة وخاصة في بغداد فسقط من المتظاهرين اكثر من مئة قتيل وجريح . وكادت الحركة تتطور الى ثورة شعبية دامية تزعزع بنيان الدولة من اساسه ، لولا ان ادرك الامر بحكمة سمو الامير عبد الله الوصي على العرش فاعلن ان الحكومة لن توافق على المعاهدة ثم اقال الوزارة واسند تاليف الوزارة الجديدة الى السيد محمد الصدر فاعلن هذا الغاء معاهدة بورتسموت رسميا . وعادت العلاقات العراقية الانكليزية تسير بحسب معاهدة ١٩٣٠ وما زالت .

---

(٣١) انظر نص المعاهدة في كتاب صدر الدين شرف الدين "سحابة بورتسموت" ص ١٠٦ — ١١٣

الفصل الثالث

نشوء وتطور الحكومة العراقية

كانت السلطة العليا وطوال فترة الاحتلال العسكري ١٩١٤ ــ ١٩٢٠ بيد القائد البريطاني العام . ولكن الضرورة دعت الى اقامة سلطة مدنية لادارة الاقسام المحتلة من البلاد ، وتوطيد دعائم الامن فيها ، وتيسير التعاون بين الشعب وحكومة الاحتلال . وعلى هذا فقد عهدت ادارة البلاد الى حاكم ملكي تحت امرة القائد العسكري العام . وقسمت البلاد الى خمسة عشر قسما يدير كل قسم منها حاكم سياسي وقسمت هذه المناطق الخمسة عشر الى نواحيٍ منطقة يدير كل منطقة منها مساعد حاكم سياسي بريطاني وفي حالات قليلة وكيل مساعد حاكم سياسي عراقي او هندي او ايراني . وفي نهاية سنة ١٩٢٠ كان في العراق ٩٦ حاكما ومساعد حاكم سياسي بريطاني (١) وكان هؤلاء الحكام السياسيون الذين كان معظمهم ضباطا استعيرت خدماتهم من الجيش مسؤولين عن تنفيذ القوانين التي يصدرها القائد العام ورئيس الحكام السياسيين ، وتوطيد دعائم الامن والادارة العامة في البلاد ، وجباية الضرائب والواردات العائدة للحكومة وعن تاسيس العلاقات الودية مع القبائل . كما كانوا مسؤولين عن جمع العمال للقيام بالاعمال التي يحتاجها الجيش وتزويد الجيش بما يحتاجه من المواد المحلية وعن حماية المواصلات .

في هذه الفترة وضعت اسس الادارة المدنية في البلاد واسس الاصلاحات الاجتماعية . وعلى هذا فدراسة نظام الادارة في هذه الفترة مهمة جدا . لان النظام الاداري الذي انشئ في عهد الانتداب على رغم ما اعتور مظهره من تغيير كتنصيب ملك على العرش وسن دستور للبلاد ، واقامة مجلس للنواب وتحديد العلاقات بين بريطانيا والعراق بمعاهدة ــ انما كان تطورا لهذا النظام الذي اقيم على غرار الانظمة الادارية المتبعة في المستعمرات البريطانية . ولان نظام الادارة وجهاز الدولة باسره في عهد الاستقلال انما كان امتدادا لما كان متبعا في عهد الانتداب (٢) .
لقد انشئت في هذه الفترة نواة الحكومة العراقية فاسست مديريات للمعارف وفتح عدد من المدارس الابتدائية والثانوية وانشئت الشرطة المدنية واقيمت دوائر للواردات والري كما اقيمت المحاكم المدنية في معظم اقسام البلاد .

---

(١) انظر " تقرير خاص " ص ٤٨

(٢) انظر " فوستر " ص ٢٠٣

اتبعت الادارة المدنية في العراق على غرار الادارة المدنية في الهند . وقد دعا الى ذلك عوامل عديدة اهمها : ان الحكومة الهندية كانت تامل في ان تجعل العراق ، وعلى الاخص القسم الجنوبي منه منطقة تابعة للهند فعملت على ادخال اساليب الادارة الهندية في البلاد ليتسنى لها بذلك هضم المناطق المحتلة . يضاف الى هذا ان معظم الموظفين الاتراك المسؤولين عن الادارة انسحبوا من البلاد مع الجيش التركي وان معظم الضباط البريطانيين الذي عهد اليهم القيام بادارة البلاد ، وكانوا يجهلون اصول الادارة التركية جهلا تاما . وقد استعان الحكام السياسيون بعدد من الموظفين العرب الذين كانوا يشغلون الوظائف الادارية في العهد التركي ، كما دربوا عددا من الشبان العراقيين على اصول الادارة والحقوهم بالوظائف الحكومية .

ولما كانت الحكومة البريطانية ، خلال معظم هذه الفترة تخوض حربا طاحنة مع الدولة التركية ، ولما كان معظم المناطق المحتلة من البلاد مناطق عشائرية فقد حرصت السلطات البريطانية كل الحرص على استمالة العشائر الى جانبها ومنعهم من اسداء اية معونة الى القوات التركية وجعلهم يلتزمون الحياد ويحافظون على السكينة والهدوء كي تتفرغ لهدفها الرئيسي . وقد رات السلطات البريطانية ان الوسيلة الوحيدة لاستمالة العشائر الى جانبها هي استمالة شيوخ هذه العشائر وتقوية نفوذهم وتوسيع سلطاتهم على ابناء عشائرهم . "على اساس ان اتجاه كل قبيلة وما تفعله متوقف بالكلية تقريبا على اكثر شيوخها نفوذاً"(٣) وقد اتبعت الحكومة البريطانية في هذا الشان خطة السر روبرت ساندمان التي طبقها في الهند فاقامت نظام حكم عشائرى قائم على التقاليد والعرف القبلي ويحتل فيه الشيوخ المركز الممتاز . وقام السر برسي كوكس رئيس الحكام السياسيين ومعاونوه بالتساهل بجمع الضرائب من شيوخ العشائر والوجهاء المحليين واقاموا العلاقات الشخصية معهم واغدقوا عليهم العطايا والهبات . كما اقطعوا الواردات في بعض المناطق ، كمنطقة العمارة مثلا ، بالالتزام للملاكين والاقطاعيين الكبار بشروط سهلة جعلتهم ميالين للحكومة البريطانية المحتلة (٤) وعملت السلطات البريطانية على حصر السلطة في كل قبيلة بيد شيخ كبير واحد يشرف عليه ويوجه اعماله حاكم سياسي ليسهل على السلطة المحتلة ان تدير القبيلة باسرها وتوجه اعمالها وتضمن دوام الامن والاستقرار فيها باقل كلفة واكثر سرعة .

---

(٣) ايرلاند ص ٩٤

(٤) انظر المصدر السابق ص ٧٦ ــ ٧٧ ، و ٨٨

" وجعل كل شيخ ينتخب على هذا الاساس مسؤلا عن الامن والاستقرار بين عشيرته وعن اكتشاف العابثين وحماية خطوط المواصلات والاموال البريطانية ومنع وصول التجهيزات والمساعدات الى الترك ومن جمع الضرائب التي كانت مقررة حينذاك ٠ وكان يحصل مقابل ذلك على تاييد الموظفين البريطانيين، والسلطة اللازمة، وعلى السلاح اذا اقتضى الامر ذلك٠ ثم صودق على تملكه للارض وحددت حدود العشائرية بادق ما يمكن كما عززت اهميته في المجلس العشائري بواسطة التدابير الموضوعة في نظام دعاوى العشائر هذا بالاضافة الى سياسة بذل العطايا والهبات الجسيمة، وعدم دفع الضرائب"(٥)٠

والحق ان نظام الادارة في هذه الفترة كان موجها نحو حفظ مصالح بريطانيا الاساسية واقرار الامن في البلاد واعدادها لتكون ولاية تابعة للهند ٠ ولم يكن القصد منه انشاء حكومة عصرية تحقق تقدم البلاد ، وتساعد على تطورها ٠ فقد وطد اعتماد السلطات البريطانية على شيوخ القبائل مركز هؤلاء الشيوخ المتزعزع وقوى نفوذهم المؤشك على الانهيار وخلق منهم طبقة اقطاعية اثرت تاثيرا سيئا في حياة البلاد المقبلة ٠

في تشرين الاول من سنة ١٩٢٠ اقامت الحكومة البريطانية حكومة موقتة في العراق على الصورة التي تكلمت عنها في الفصل السابق٠ وفي ٢ تشرين الثاني عقد اول اجتماع لمجلس الوزراء ٠ وقد نوقشت في هذا الاجتماع علاقة الوزراء العراقيين بالمستشارين البريطانيين ، كما نوقشت قضية منصب المندوب السامي ٠ وقدم المستر فيلبي مذكرة بهاتين القضيتين فقبلت في الاجتماع الثالث لمجلس الوزراء في ١٣ تشرين الثاني وهو اول اجتماع رسمي يعقده هذا المجلس٠ وقد اصبحت مذكرة المستر فيلبي هذه التي صدرت بشكل تعليمات لمجلس الوزراء، اول دستور للعراق ٠ يعتبر كل وزير بحسب هذه التعليمات رئيسا لدائرة من دوائر الدولة ويكون مسوولا عن ادارتها بشرط ان يكون خاضعا الى (١) اشراف مجلس الوزراء (٢) مشورة الضابط البريطاني الذي يختاره المندوب السامي لتقديم الاستشارة اليه (٣) سلطة المندوب السامي العليا ٠ وكانت اعمال الوزارات تجرى على هذه الصورة : ترفع جميع المسائل التي تعود الى اختصاص الوزير بواسطة مستشاره ويقوم الوزير باجراء ما يلزم بعد مشاورة المستشار ٠ واذا اراد احد الوزراء اتخاذ اجراءات جديدة فيما يتعلق باختصاص وزارته

---

(٥) المصدر السابق ص ٩٤ ـ ٩٥ من الاصل وص ٦١ من الترجمة

تعليه اما ان يستشير المستشار اولا او ان يرسل اوامره الى الدوائر المقصودة بواسطته ليتمكن المستشار من ابداء رأيه قبل ان يأخذ الامر صورته النهائية • واذا حصل خلاف بين المستشار والوزير يرفع الخلاف الى مجلس الوزراء • فيدرسه ولا يتخذ قرارا فيه الا بعد مشاورة المندوب السامي • وتعتبر قرارات مجلس الوزراء قاطعة بشرط موافقة المندوب السامي عليها ، بصفته رئيس الحكومة ومندوبا ساميا • وللمندوب السامي الحق في رد او تعديل اى قرار من قرارات مجلس الوزراء • (٦)

واعيد تنظيم الادارة في البلاد ، بعد ممارسة الحكومة الموقتة صلاحياتها ، تدريجيا • فحل في كل لواء متصرف عراقي محل الحاكم السياسي البريطاني الذى اصبح مشاورا للواء من دون ان تكون له صلاحية تنفيذية • واصبح معاونوا الحكام السياسيين مشاورين مساعدين • واستعين بالموظفين العراقيين في اشغال الوظائف الحكومية ، على ان الوظائف الرئيسية كانت تدار مباشرة من قبل موظفين بريطانيين • وقد اخبر ضباط الادارة البريطانيون بالتغييرات التي حصلت وصدرت التعليمات اليهم من المندوب السامي في ٣٠ تشرين الثاني عن مكانتهم في الادارة • جاء في هذه التعليمات ما يلي "ان الضباط والدوائر الذين كانوا يكونون جزءا من الادارة البريطانية الملكية في العراق سيكونون من الان فصاعدا في خدمة مجلس الوزراء ، وان اعادة تنظيم الماكنة الادارية سوف تسير باشرافه ، على ان تكون خاضعة لاشراف المندوب السامي العام باسرع ما يمكن • وعلى الحكام السياسيين ومعاونيهم في المناطق المختلفة ورؤساء الدوائر في المركز وغيره ان يتصلوا بعد الان بالوزارات المختلفة ويتلقوا الاوامر منها • " (٧)

كان الوزراء العراقيون متشبعين بروح الحكم التركي ، فقد تثقفوا كلهم في المدارس التركية وكان معظمهم موظفين وضباطا في الدولة العثمانية • ولهذا السبب ادخلوا اساليب الدولة العثمانية في الحكم ، وطرائقها في ادارة البلاد ، وروحيتها في معاملة الشعب ، بقدر ما كانت تسمح لهم بذلك المصالح البريطانية وسلطة المندوب السامي ومستشاريه • وقد قوى هذا الاتجاه كون معظم الموظفين العراقيين الذين اخذوا يشغلون وظائف الحكومة الجديدة ، من الموظفين السابقين في الدولة العثمانية ، وكون الشعب العراقي قد الف هذه الاساليب واعتاد عليها •

---

(٦) راجع "لائحة التعليمات للهيئة الادارية العراقية" في : عبد الرزاق الحسني "تاريخ الوزارات العراقية" ج ١ (صيدا ، ١٩٣٣) ص ١١ — ١٤ • وتجد النص الانكليزي للائحة في الملحق السادس

لقد ولدت الحكومة العراقية الفتية تحمل جرثومة التأخر والفساد من الرحم ، واقيمت على اسس قديمة ، وشيدت بلبنات عتيقة التكوين . ولقد تركت هذه البداية اثرا سيئا في مستقبل الدولة العراقية ، لان هذه الاساليب التركية في الحكم مضافا اليها ما ادخله الانكليز من اساليب الادارة الهندية نمت وتطورت في عهدى الاحتلال والانتداب ، وبلغت اشدها في عهد الاستقلال ، ولقد امتد ظل اولئك الموظفين والوزراء العراقيين المشبعين بروح الحكم التركي المدربين على اساليب الادارة الاستعمارية في الهند ، الى وقتنا هذا ، اذا اصبحوا على توالي الايام موظفين كبارا في الدولة ، وزراء ومتصرفين ومدراء عاملين ونوابا واعيانا . يسيرون مقدرات البلاد بروحيتهم تلك العتيقة . واصبح لزاما على الاجيال الفتية من العراقيين المثقفين بالثقافة العصرية ان تقاوم طغيان هؤلاء الموظفين على الادارة وروحية النظام البالي ، لتفرض وجهة نظرها في اصلاح جهاز الدولة وكثيرا ما تستسلم هذه الاجيال المثقفة الى طغيان النظام العتيق ، وتنجرف بتياره القوى الذى لا يصمد له الا ذوو العقائد . وفي هذا الصدد يقول فيليب ايرلند (٨) :

"ان مقتضيات الادارة العملية العاجلة ربما كانت تتطلب من البريطانيين المشرفين على الحكومة الجديدة ان يسلموا بهذا الاتجاه الى درجة كبيرة . ومع ذلك فان فشل مجلس الوزراء المؤقت في الاستفادة من ثمرات ما كانت الادارة الملكية قد انتجته ، وفي التفرغ التام الى واجب خلق دولة جديدة على منوال احسن الامثلة الموجودة امامه ، اقول ان فشله في ذلك كله حصر نظام الحكم الجديد بالنظم والاساليب البالية في نفس الوقت الذى كان فيه ورثاء الامبراطورية العثمانية (الاتراك) ينبذون تلك النظم البالية باعتبارها لا تتلاءم مع وضع الدولة التركية الجديدة . وكان ذلك يدل على ميل العراق ليصبح الوريث لبقية التركة التي خلفتها الامبراطورية الغابرة فيكون دستوره وقوانينه الانتخابية ونظامه القضائي ونظامه المالي وموقفه بالنسبة للاقليات وحتى روحيته مقاربا لما كان موجودا في العهد البائد ."

ونظمت الحكومة في عهد الانتداب على غرار الادارة المتبعة في عهد الحكومة الموقته ، مع بعض التعديل في الشكل . فقد اصبح الملك هو المرجع الاعلى في الدولة بدلا من المعتمد السامي .

(تابع "٦") السادس من "ايرلاند" ص ٤٦١ — ٤٦٥ .

(٧) ايرلاند ص ٢٩٣ — ٤ من الاصل وص ٢٢٨ — ٢٢٩ من الترجمة .

(٨) ص ٢٩٥ — ٦ من الاصل وص ٢٣٠ من الترجمة .

وبقي المستشارون والموظفون البريطانيون في الدوائر يعتنون بحفظ المصالح البريطانية ويوجهون شؤون الدولة بشكل يتفق وهذه المصالح . وقد عينت المعاهدة العراقية الانكليزية الاولى حقوق هؤلاء الموظفين البريطانيين وواجباتهم كما تقدم في الفصل السابق . وكانت قرارات مجلس الوزراء في عهد الحكومة الموقتة تحتاج الى مصادقة المعتمد السامي لتصبح نافذة المفعول . وفي عهد الانتداب كانت قرارات هذا المجلس اذا اقترنت بمصادقة الملك عليها ، تصدر بشكل ارادات ملكية مذيلة بتواقيع الملك ورئيس الوزراء والوزير المختص . ولاجل ان لا تتخذ الحكومة العراقية اجراءات تخالف مصالح بريطانيا وتخل بتعهداتها لعصبة الامم ، كانت ترسل صورة من جميع المقررات التي يتخذها مجلس الوزراء الى المعتمد السامي . وكان من المعتاد ان لا يصادق الملك عليها حتى يكون المندوب السامي قد وافق عليها ، ولم يبد تجاهها اعتراضا . وكان موقف المستشارين البريطانيين في ادارة الوزارات المختلفة يشبه موقف المعتمد السامي . فكل قرار يجب ان يمر على المستشار ليبدي رايه فيه قبل ان يقترن نهائيا بتوقيع الوزير . اما اذا اتخذ الوزير قرارا مهما ما يؤثر في مصالح الحكومة البريطانية دون موافقة المستشار فكان المعتمد السامي يتخذ الاجراءات اللازمة الكفيلة برجوع الوزير المختص عن قراره ، فان اصر الوزير وقدم القرار الى مجلس الوزراء فكان المعتمد السامي يشير على الملك بان هذا القرار غير مقبول لديه . وكان الملك يبحث القضية مع الوزير لارجاعه عن رايه . وان كان مجلس الوزراء قد ابرم القرار فان المعتمد السامي يطلب من الملك عدم التوقيع عليه . وكان وضع المفتشين الاداريين في الالوية ، الذين كانوا في عهد الاحتلال حكاما سياسيين ، بالنسبة للمتصرفين يشبه ما تقدم . فكان المتصرف لا يتخذ قرارا دون موافقة المفتش الاداري عليه . وقد خول « قانون المفتشين الاداريين » الذي صادق عليه مجلس الوزراء في ٢٣ كانون الثاني ١٩٢٣ ، هؤلاء المفتشين الاداريين اوسع الصلاحيات في تفتيش جميع جزئيات الادارة الداخلية ، وجباية الواردات وشؤون البلديات والشرطة والامن العام .

لقد استطاعت الحكومة البريطانية ان توجد في العراق ادارة بريطانية ذات واجهة عراقية . فقد كانت السلطة الحقيقية بيد المعتمد السامي ومستشاريه — بينما كان الوزراء والموظفون العراقيون يتحملون مسؤولية التنفيذ ، ويعاونون ملامة

الرأي العام العراقي وسخطه • وكانت هذه المسؤولية المزدوجة التي جعلت في البلاد حكومتين ــ حكومة ظاهرة هي الحكومة العراقية بكامل اجهزتها الادارية ومجالسها التشريعية وموظفيها العراقيين وحكومة مستورة هي حكومة الموظفين والمستشارين البريطانيين ــ تعرقل سير الادارة وتضيع المسؤولية بين الموظفين والمستشارين وتعيق تقدم البلاد • وكانت الى ذلك تثقل كاهل الخزينة العراقية برواتب الموظفين والمستشارين البريطانيين • فقد بلغ عدد الموظفين البريطانيين في الحكومة العراقية عام ١٩٢٣ ، ٥٦٩ موظفا كلهم من ذوى الرواتب الضخمة وقد دعي هذا الوضع بحق "بالوضع الشاذ" وكان من اهم الاسباب لنقمة الشعب على الانتداب ومحاربته له حتى تمكن من التخلص من بعض شروره عام ١٩٣٢ •

على ان هذا النظام الذى اقيم في العراق كان لا بد له ان يتخذ طابعا دستوريا ليصبح شرعيا في نظر الشعب العراقي وفي نظر الدول الاوربية التي وضعت العراق تحت انتداب بريطانيا • وقد تحتم ان يكون هذا النظام ديمقراطيا لان النظام الديمقراطي هو شكل الحكم التقدمي في نظر العالم المتمدن انذاك ولان هذا النظام يوافق رغبات الشعب العراقي ويحقق اماله ويهيئ وسائل تقدمه • وقد ورد شكل نظام الحكم الديمقراطي هذا في البيان الذى اذاعه مجلس الوزراء بتاريخ ١١ تموز ١٩٢١ عندما نادى بالامير فيصل ملكا على العراق • حيث جاء فيه : " • • • • • • • ويشترط ان تكون حكومة سموه حكومة دستورية نيابية ديمقراطية مقيدة بالقانون • " واكدت المادة الاولى من صك الانتداب على هذا الشكل من الحكم • اما المادة الثالثة من المعاهدة العراقية الانكليزية الاولى فقد عينت الخطوط الرئيسية للدستور حيث تقول : «يوافق جلالة ملك العراق على ان ينظم قانوناً اساسياً ليعرض على المجلس التاسيسي ويكفل تنفيذ هذا القانون الذى يجب ان لا يحتوى على ما يخالف نصوص هذه المعاهدة وان ياخذ بعين الاعتبار حقوق ورغائب ومصالح جميع السكان القاطنين في العراق ويكفل للجميع حرية الوجدان التامة وحرية ممارسة جميع اشكال العبادة بشرط ان لا تكون مخلة بالاداب والنظام العموميين وكذلك يكفل ان لا يكون ادنى تمييز بين سكان العراق بسبب قومية او دين او لغة ويؤمن لجميع الطوائف عدم نكران او مساس حقها بالاحتفاظ بمدارسها لتعليم اعضائها بلغاتها الخاصة على ان يكون ذلك موافقا لمقتضيات التعليم العامة التي تفرضها حكومة العراق • ويجب ان يعين هذا القانون الاساسي الاصول الدستورية تشريعية كانت او تنفيذية التي ستتبع في اتخاذ القرارات في

جميع الشؤون المهمة بما فيها الشؤون المرتبطة بمسائل الخطط المالية والنقدية والعسكرية ."

تالفت في اوائل خريف ١٩٢١ لجنة خاصة لوضع لائحة القانون الاساسي قوامها الميجر يونك الموظف في دار الاعتماد، والمستر دراور مستشار وزارة العدلية والمعتمد السامي نفسه باشراف المستر ابرسون المشاور الحقوقي للحكومة البريطانية . وضعت هذه اللجنة لائحة للدستور مستمدة اصولها من دساتير استراليا ونيوزيلندا وبعض دساتير الممالك الصغرى . وعرضت اللائحة على الملك فقبلها مبدئيا واحالها على لجنة عراقية مولفة من ناجي السويدي وزير العدلية ، وساسون حسقيل وزير المالية ورستم حيدر سكرتير الملك الخاص فاعترضت اللجنة على اللائحة لانها منحت الملك سلطات تشريعية واسعة . واعدت هذه اللجنة بدورها لائحة جديدة اقتبست نصوصها من الدستور العثماني . وقد اختيرت من هاتين اللائحتين لائحة جديدة ارسلت الى وزارة المستعمرات عدة مرات كانت في كل مرة تنقح فيها وتعدل في موادها حتى اقرتها اخيرا .

وعرضت هذه اللائحة النهائية للدستور على المجلس التاسيسي فقرر تاليف لجنة خاصة لدراستها في ٧ نيسان ١٩٢٤ . ولكن اعضاء هذه اللجنة شغلوا بمناقشة المعاهدة فلم يستطيعوا ان يتفرغوا لدراسة الدستور دراسة نقدية . ولم يستطيعوا ان يعقدوا غير ثماني جلسات درسوا خلالها ٨٠ مادة دراسة اولية . اما مناقشة المجلس للقانون الاساسي فاستغرقت اقل من شهر واحد من ١٤ حزيران الى ١٠ تموز ١٩٢٤ . يقول الدكتور مجيد خدوري (٩)

«اما مناقشة المجلس لمواد القانون الاساسي فكانت تجري بسرعة حيث انه اقر مواد كثيرة بمجرد قراءتها مرة واحدة دون مناقشتها . وكانت كلما توشك المذاكرة في بعض المواد ان تطول يقترح بعض اعضاء المجلس انهاء المذاكرة والتصويت على المادة كما جاء ذلك في لائحة القانون الاساسي فيقبل الاقتراح وهكذا يكتفي بالمذاكرة». وكان النص الوارد في المادة الثالثة من المعاهدة الذي يشترط ان لا يحتوي الدستور ما يخالف نصوص المعاهدة عائقا امام كثير من المحاولات التي قام بها المجلس لتنقيح وتعديل مواد لائحة الدستور . فقد عدل المجلس مثلا المادة الرابعة والاربعين باكثرية الاراء . وكان التعديل يخص اعطاء النواب صلاحية

---

(٩) مجيد خدوري "نظام الحكم في العراق" (بغداد ١٩٤٦)، ص ٣٤

اقتراح اللوائح القانونية المتعلقة بالامور المالية • ولكن الحكومة وجدت ان هذا التعديل يعارض المادة الرابعة من المعاهدة فاضطر المجلس ان يقر المادة الاصلية كما وردت في اللائحة •

وقد فرغ المجلس من قبول لائحة القانون الاساسي بعد موافقته على المعاهدة مباشرة • ثم تقدمت الحكومة العراقية باللائحة الى الحكومة البريطانية لتستحصل موافقة مجلس عصبة الامم عليها وفقا للمادة الاولى من صك الانتداب ، فارسلتها الحكومة البريطانية الى عصبة الامم مع مذكرة اوضحت فيها بان لائحة القانون الاساسي العراقي جاءت مطابقة للائحة الانتداب • وصدقها مجلس العصبة واعدها لنشرها والعمل بمقتضاها • ولما كانت المادة ٩٣ من الدستور تنص على ما يلي : " لا يعطى انحصار او امتياز لاستثمار مورد من موارد البلاد الطبيعية او لاستعماله في مصلحة من المصالح العامة ولا تعطى الواردات الاميرية بالالتزام الا بموجب القانون • على ان ما يتجاوز منها ثلاث سنوات يجب ان يقترن بالاوه بقانون خاص لكل قضية " • فقد اشارت الحكومة البريطانية على الحكومة العراقية بتاجيل نشر الدستور حتى يتم منح امتياز شركة النفط التركية من قبل المجلس الوزارى لانها كانت تخشى ان يلقى معارضة من قبل المجلس النيابي • وبعد ان وقع على الامتياز المذكور في ١٤ اذار قرر مجلس الوزراء في جلسته المنعقدة في ١٧ اذار نشر الدستور في ٢١ اذار ١٩٢٥ (١٠) •

يتكون القانون الاساسي من مقدمة وعشرة ابواب • تحدد المقدمة معنى القانون الاساسي وعاصمة البلاد وشكل العلم العراقي وتعين المادة الثانية منها شكل الحكم في البلاد فهي تنص على ان " العراق دولة ذات سيادة وهي مستقلة حرة ملكها لا يتجزأ ولا يتنازل عن شيء منه وحكومتة ملكية وراثية وشكلها نيابي "

ويبحث الباب الاول في حقوق الشعب فينص على صيانة الحقوق الفردية والعامة للعراقيين جميعا • الا انه قيد كثيرا من هذه الحقوق باحكام القوانين دون ان ينص على الضمانات التي تصونها لاصحابها • فقد نصت المادة السابعة على ان " الحرية الشخصية مصونة لجميع سكان العراق من التعرض والتدخل ولا يجوز القبض على احدهم او توقيفه او معاقبته او اجباره على تبديل مسكنه او تعريضه

---

(١٠) انظر الحسني " تاريخ العراق السياسي الحديث " ج ١ ص ١٩٦ ـ

لقيود او اجباره على الخدمة في القوات المسلحة الا بمقتضى القانون • اما التعذيب ونفي العراقيين الى خارج المملكة فممنوع بتاتا • "وتنص المادة الثامنة على ان "للعراقيين حرية ابداء الرأي والنشر والاجتماع وتاليف الجمعيات والانضمام اليها ضمن حدود القانون "• وقد اكدت المادة التاسعة على احترام وصيانة حقوق الملكية الفردية •

اخذ واضعو الدستور بمبدا تقسيم السلطات الى تشريعية وتنفيذية وقضائية وتكون السلطة التشريعية منوطة بمجلس الامة مع الملك • ويتالف مجلس الامة من مجلسي الاعيان والنواب (م ٢٨) وتعتبر سيادة المملكة العراقية الدستورية للامة • وهذه السيادة هي وديعة الشعب للملك فيصل بن الحسين ثم لورثته من بعده (م ١٩) والملك مصون وغير مسؤول (م ٢٥) والمقصود بعدم المسؤولية السياسية هذه ان الملك لا يُسأل سياسيا بل ولا يسال جنائيا امام المحاكم لان ذلك يتنافى مع طبيعة مركزه السامي (١١) وهو رأس الدولة الاعلى • فهو الذى يصدق القوانين ويامر بنشرها ويراقب تنفيذها وبأمره توضع الانظمة لاجل تطبيق احكام القوانين • والملك يصدر الاوامر باجراء الانتخاب العام لمجلس النواب وباجتماع مجلس الامة ويفتح هذا المجلس ويعطله ويفضه ويحل مجلس النواب • ويحق للملك ان يصدر اثناء عطلة المجلس المراسيم بموافقة هيئة الوزراء يكون لها قوة القوانين • ويجب ان تعرض هذه المراسيم على مجلس الامة في اول اجتماع عدا ما صدر منها لاجل القيام بواجبات المعاهدات المصدقة من قبل مجلس الامة او المجلس التاسيسي فان لم يصدقها المجلس تصبح ملغاة • والملك يعقد المعاهدات بشرط الا يصدقها الا بموافقة مجلس الامة عليها •

والملك يختار رئيس الوزراء وعلى ترشيح الرئيس يعين الوزراء. وللملك عند الضرورة التي تقتضيها المصلحة العامة ان يقيل رئيس الوزراء (١٢) والملك يعين اعضاء مجلس الاعيان ويقبل استقالتهم من مناصبهم • والملك بناء على اقتراح الوزير المسؤول يعين ويعزل جميع الممثلين السياسيين والموظفين الملكيين والقضاة والحكام ويمنح الرتب العسكرية ويعين قواد الفرق فما فوقهم ما لم يفوض ذلك الى سلطة اخرى بقانون • وللملك القيادة العامة لجميع القوات المسلحة • وهو يعلن الحرب بموافقة مجلس الوزراء • وله ان يعقد معاهدات الصلح بشرط ان لا يصدقها نهائيا

---

(١١) انظر خدوري، نظام الحكم في العراق، ص ٤٥

الا بعد موافقة مجلس الامة . وله ان يعلن الاحكام العرفية او حالة الطوارئ ولا ينفذ حكم الاعدام الا بتصديق الملك وللملك ان يخفف العقوبة او يرفعها بعفو خاص وله ان يعلن العفو العام بموافقة المجلسين (م ٢٦) . ويستعمل الملك سلطته بارادات ملكية تصدر بناء على اقتراح الوزير او الوزراء المسؤولين وبموافقة رئيس الوزراء ويوقع عليه من قبلهم . (م ٢٧) .

ويتالف مجلس الاعيان من عدد لا يتجاوز ربع مجموع النواب (١٣) يعينهم الملك (م ٣١) ومدة العضوية في مجلس الاعيان ثماني سنوات اعتبارا من تاريخ التعيين ويجوز اعادة تعيين العضو السابق (م ٣٢) وفي جملة ما يشترط في العين ان لا يقل عمره عن اربعين سنة (م ٢٧)

اما مجلس النواب فيتالف بالانتخاب بنسبة نائب واحد عن كل عشرين الف نسمة من الذكور . (م ٣٦) ويجب ان ترفع جميع اللوائح القانونية الى احد المجلسين فاذا قبلها ترفع الى الثاني ولا تكون قانونا ما لم يوافق عليها المجلسان ويصدقها الملك (م ٦٢ فقرة ١) ولكل عضو من اعضاء المجلس النيابي ان يقترح وضع لائحة قانونية عدا ما يتعلق بالامور المالية على شرط ان يؤيده فيه عشرة من زملائه . واذا قبل المجلس الاقتراح يودعه مجلس الوزراء لسن اللائحة القانونية . وكل اقتراح يرفضه المجلس لا يجوز تقديمه ثانية في الاجتماع نفسه (م ٤٥) وقد قرر قانون الانتخاب الصادر في ٢٢ تشرين الاول ١٩٢٤ ان يكون الانتخاب غير مباشر والتصويت سريا . ويعتبر كل المواطنين الذين تتوفر فيهم شروط معينة منها كونهم عراقيين اكملوا سن العشرين وغير محكومين بالسجن لجريمة تخل بالشرف "منتخبين اولين" ويستطيعون ان يصوتوا للمنتخبين الثانويين . وينتخب كل ٢٥٠ منتخبا اوليا منتخبا ثانويا واحدا . ووظيفة المنتخبين الثانويين هي انتخاب النواب . وهم يستمرون في مناصبهم هذه طوال حياة الدورة البرلمانية وذلك لانتخاب نائب جديد او املاء الشواغر في المجلس كلما دعت الحاجة الى ذلك . وقد كان عدد النواب في المجلس النيابي حتى سنة ١٩٣٥ ثمانية وثمانين نائبا بينهم اربعة

---

(١٢) اضيفت هذه الفقرة الى الدستور عام ١٩٤٣

(١٣) كان عدد الاعيان قبل تعديل الدستور سنة ١٩٤٣ عشرين عينا فقط

نواب من المسيحيين واربعة نواب من الموسويين وزاد هذا العدد بعد سنة ١٩٣٥ فاصبح ١٠٨ . وفي سنة ١٩٤٣ بلغ عددهم ١١٨ نائبا بالنظر لزيادة سكان العراق (١٤) وقد اصبح عدد النواب الان ١٣٨ نائبا .

ولا يقل عدد الوزراء عن السبعة بضمنهم رئيس الوزراء . ولا يكون وزيرا من كانت فيه موانع تحول دون انتخابه نائبا . والوزير الذي لا يكون عضوا في احد المجلسين لا يبقى في منصبه اكثر من ستة اشهر مالم يعين عضوا في مجلس الاعيان او ينتخب نائبا قبل ختام المدة المذكورة (م ٦٤) ان مجلس الوزراء هو القائم بادارة شوون الدولة . ويعقد برئاسة رئيس الوزراء ليقرر ما يجب اتخاذه من الاجراءات في القضايا المتعلقة باكثر من وزارة واحدة وفي جميع الامور العامة التي تقوم بها الوزارات ويعرض رئيس الوزراء ما يقره المجلس على الملك للمصادقة عليه (م ٦٥) ويكون الوزراء مسوءلون بالتضامن امام مجلس النواب عن الشوءون المتعلقة بوزارة كل منهم وما يتبعها من الدوائر . فاذا قرر مجلس النواب عدم الثقة بالوزارة باكثرية الاعضاء الحاضرين فعليها ان تستقيل واذا كان القرار المذكور يمس احد الوزراء فقط فعلى ذلك الوزير ان يستقيل . وعلى المجلس ان يوءجل التصويت بعدم الثقة مرة واحدة الى مدة لا تتجاوز ثمانية ايام اذا طلب ذلك رئيس الوزراء او الوزير المختص ولا يحل المجلس في هذه المدة (م ٦٦) ويبحث الباب الخامس من الدستور في السلطة القضائية فيبين تعيين الحكام وانواع المحاكم ووظائفها . وقد جاء فيه ان " المحاكم مصونة من التدخل في شوءونها " (م ٧١)

هذه صورة سريعة لنظام الحكم كما حدده الدستور . وهو نظام ديمقراطي قائم على ارادة الشعب مصروف الى خدمة الصالح العام . على ان هذا النظام الديمقراطي النيابي بقي حبرا ميتا وصورة مزوقة الظاهر خالية من جوهر الديمقراطية في الواقع . فقد كانت سلطة الحكومة العراقية (في عهد الانتداب) تابعة لاشراف المستشارين البريطانيين وكانت كلمة المعتمد السامي في الواقع هي العليا ابدا كما تبين لنا مما تقدم . ولاجل ان تضمن الحكومة البريطانية سلامة مصالحها في العراق ولاجل ان تستبعد مجيء مجلس نواب معارض يعرقل مشاريعها ويسن القوانين

التي لا توافق مصالحها عمد واضعوا الدستور الى تركيز معظم السلطات بيد الملك بحيث اصبحت القوانين لا تكون شرعية نافذة المفعول الا بعد موافقته عليها، لان المفروض في الملك كما تنص على ذلك بنود المعاهدة الا يضع موافقته على اي قانون او نظام الا بعد استشارة المعتمد السامي واخذ موافقته مسبقا .

وكان الملك فيصل الاول «اذا شخصية قوية، وارادة نافذة ود راية بفن الحكم، وخبرة عميقة في معاملة الرجال . وكان ينزع الى التمتع باقصى حدود السلطات المخولة له بل لقد كان يتجاوز نطاق سلطته احيانا . وقد استطاع ان يسيطر على الوزارات المختلفة سيطرة تامة في اغلب الاحيان ويوجهها الوجهة التي يراها . وعلى هذا فقد كان الوزراء في عهد الملك فيصل الاول مقيدين بمستشاريهم الانكليز من جهة، وتابعين لاوامر الملك من جهة اخرى . هذا طبعا في الامور الخطيرة اما في القضايا الاخرى التي لا تؤثر في المصالح البريطانية فكانوا مطلقي الارادة يفعلون ما يشاوون «وكانت سيطرة الملك فيصل على زمام الامور في الدولة اكثر وضوحا في مجال تشكيل الوزارات وسقوطها منه في اي مجال اخر في الدولة . فعلى الرغم من ان المادة ٦٦ من القانون الاساسي جعلت الوزراء مسوولين بالتضامن ومسؤولية فردية امام البرلمان الا انه لم يحدث ان سقطت اية وزارة من الوزارات الخمس عشرة التي اتت الى الحكم في عهده (١٩٢١ ـ ١٩٣٣) بسبب تصويت البرلمان بعدم الثقة فيها . باستثناء سقوط الوزارة السعدونية الثانية سنة ١٩٢٦ التي كان سببها المعارضة الشديدة التي لاقتها في البرلمان عند افتتاحه .... وكان السبب في سقوط كل وزارة في عهد فيصل الاول يرجع اما الى رغبته المباشرة في انسحاب الوزارة من الحكم او الى عدم استمرار ثقته فيها»(١٥) وعندما توفي الملك فيصل الاول وخلفه الملك غازي، وكان صغير السن قليل الخبرة بفن الحكم، وعندما ارتخت قبضة الانكليز على ادارة شوون الحكومة العراقية انطلق الوزراء يحكمون لمصالحهم في حرية ويستبدون بالامر في افراط ويتنازعون فيما بينهم على التمتع بسلطان الدولة، مما جر الى فوضى الجهاز الاداري والى ثورات العشائر والانقلابات العسكرية التي اعاقت تقدم البلاد، مما سنبينه بعد قليل .

وقد اتخذت كل الاجراءات في عهد الانتداب والاستقلال واتبعت شتى الطرق لتكون الانتخابات النيابية تحت سيطرة السلطة التنفيذية حتى يضمن الوزراء ايصال نواب

---

(١٥) خدوري، نظام الحكم في العراق، ص ٧٥

الى المجلس يوافقون على ما يصدرون من مراسيم وقوانين ويوافقون على ما قطعوا على انفسهم من تعهدات قبل الدولة المنتدبة • وعلى هذا فقد كانت المجالس خاضعة خضوعا مطلقا للقوة التنفيذية تسيرها كما تشاء • ومن ادلة ذلك ان البرلمان لم يسقط وزارة ما بحجب الثقة عنها بل على العكس من ذلك نجد الوزارات المختلفة تحل المجالس القائمة كلما شعرت بوجود معارضة تناوئها وتحاول عرقلة مشاريعها • وقد كانت حجة الحكومة في حل المجلس النيابي عدم وجود توازن بين السلطتين التنفيذية والتشريعية ومعنى هذا ان يكون المجلس مسايراً لخطة الوزارة القائمة بدلا من ان تكون الوزارة خاضعة للبرلمان تستقيل اذا ما خالفت اراء الاكثرية فيه كما يحتم ذلك الحكم الديمقراطي السليم • وكان النواب يأتون الى المجلس مستقلين في اكثر الاحيان، لا يحملون فكرة معينة في الاصلاح، ولا ينتمون الى حزب لهذا كانت المجالس النيابية تساير كل وزارة قائمة ما لم تصطدم مصالح الوزراء واهدافهم بمصالح النواب ومن امثلة ذلك الدورة الانتخابية التاسعة التي استطاعت ان تكمل مدتها القانونية فعاشت ثماني وزارات متباينة الاتجاهات وهي الوزارة السعيدية الرابعة والخامسة والوزارة الكيلانية الثالثة ووزارة طه الهاشمي والوزارة الكيلانية الرابعة والوزارة المدفعية الخامسة والوزارة السعيدية السادسة والسابعة (١٦)

ويرجع ضعف المجالس النيابية وخضوع النواب امام مشيئة الوزراء الى عوامل عديدة اهمها: تدخل السلطة التنفيذية في الانتخابات وفرضها على الامة نوابا لا يمثلون مصالحها الحقيقية ولا يعنون بخيرها وتقدمها • ومما يساعد الحكومة على التدخل في الانتخابات النيابية وتزييف نتائجها كون الانتخابات في العراق على درجتين • وقد كانت طريقة الانتخاب الغير المباشرة هذه متبعة في العهد العثماني فثبتها الانكليز في عهد الانتداب • وجاراهم الوزراء العراقيون المتاثرون بالعقلية التركية في الحكم فحافظوا عليها في عهد الاستقلال مع مخالفتها لروح الديمقراطية • وبهذه الطريقة تستطيع الوزارة ان توثر على المنتخبين الثانويين بحكم قلة عددهم وتضطرهم على انتخاب من تريد من النواب بالاغراء تارة وبالتخويف والتهديد والتنكيل تارات اخرى • والعادة المتبعة منذ تاسيس الحكومة العراقية حتى الوقت الحاضر ان تعد الوزارة قائمة باسماء النواب توزعها على متصرفي الالوية فيقوم هؤلاء باخراج منتخبين ثانويين، وكثير منهم من موظفي الدولة، يحققون لهم

---

(١٦) المصدر السابق ص ٩٥

انجاح قوائم الحكومة وقد يقال : ولكن هذه الطريقة غير المباشرة في الانتخاب على ما فيها من نقائص وعلى مخالفتها هذه الصريحة للديمقراطية الحقة قد تمكن الشعب من انتخاب منتخبين ثانويين لا يصدهم عن انتخاب نواب يمثلون ارادة الامة تمثيلا صحيحا تهديد متصرف ولا توعد مدير شرطة ولا جميع ما تلوح به الحكومة من وعود ومغريات • هذه حجة قوية ولكنها لا تصدق على الانتخابات في العراق • فتدخل الحكومة في الانتخاب لا يقتصر على انتخاب النواب من قبل المنتخبين الثانويين فحسب بل انه ليمتد الى الانتخابات الاولية • وامر التزوير في الانتخابات الاولية ميسور في العراق للحكومة لعوامل عديدة اهمها : ان اغلبية الشعب أمية جاهلة لا تدرك مصالحها السياسية إدراكا صحيحا • ولا تهتم بممارسة حقوقها الاساسية التي كفلها الدستور وليس لها حظ من الوعي السياسي يدفعها للنضال في سبيل حقوقها المسلوبة عن طريق البرلمان ، وان الموظفين خاضعين لرؤسائهم في العاصمة خضوعا تاما ، لا يستطيعون ان يعارضوا اوامرهم وان خالفت العدالة والقانون ، وان الحكومة كثيرا ما تضيق على الحريات وتشيع جوا من الارهاب ايام الانتخاب وبكلمة واحدة ان الرأي العام المستنير الذي يراقب السلطة التنفيذية ويوجه الانتخابات لصالح الامة معدوم او كالمعدوم في العراق • فاذا علم ان اكثرية هذا الشعب من ابناء العشائر الذين يخضعون لرؤسائهم وشيوخهم خضوعا تقليديا وان هؤلاء الرؤساء والشيوخ كثيرا ما يكونون هم المرشحين للنيابة او يتعهدون بانجاح نواب الحكومة على اقل تقدير سهل على المرء ان يفهم كيف يحتل شيوخ العشائر والاقطاعيون اكثر من عشرين بالمئة من مقاعد المجلس وكيف يحتل الموالون للحكومة القائمة المقاعد الباقية (١٧)

---

(١٧) ان الامثلة على تدخل الحكومة في الانتخابات النيابية وتزويرها اكثر من ان تحصى فلم يسلم منه انتخاب • ويمكن الاطلاع على ذلك في كتاب " محاكمة كامل الجادرجي في صيف ١٩٤٩ " (بغداد ١٩٤٩) الذي يحتوي على نصوص صريحة ووثائق دامغة تثبت تدخل الحكومة في انتخابات عامي ١٩٤٦ و ١٩٤٨ ، وما اشاعت من البلاد في ايام الانتخابات من ارهاب واضطهاد ، وكتاب الحسني "اسرار الانقلاب" (صيدا ١٩٣٧) ص ٩-٢١ ، وفي اماكن مختلفة من كتاب الحسني "تاريخ الوزارات العراقية" اربعة اجزاء (صيدا ١٩٣٣ ، ١٩٣٤ ، ١٩٣٦ ، ١٩٤٠) وايرلاند ص ٤٢٣ — ٢٤

ان قوام الراى العام المستنير، الذى لا يكون للحياة النيابية الديمقراطية معنى ولا وجود بدونه هو الاحزاب السياسية والنقابات العمالية التي تمارس اعمالها بحرية والصحافة المستنيرة والمدارس والجامعات التي تقدم حقائق العلم الى الطلاب في حرية • وقد قامت الحكومة في عهد الانتداب بعرقلة نمو الحياة الحزبية والقضاء على الاحزاب المنظمة والوطنية المطالبة بحقوق البلاد والداعية الى التحرر والاستقلال ومن امثلة ذلك ما لاقاه الحزب الوطني وحزب النهضة من اضطهاد الحكومة حتى حلها المعتمد السامي عام ١٩٢٢ ونفى زعماءها الى جزيرة هنجام وعطل جريدتيهما المفيد والرافدين وقد اصبحت مقاومة الاحزاب السياسية والمعارضة وذات الاهداف الاصلاحية بخاصة سنة سارت عليها الحكومات المتعاقبة منذ عهد الانتداب حتى يومنا هذا • وكانت الاحزاب العراقية في عهد الانتداب واوائل عهد الاستقلال ضعيفة التكوين غامضة الغايات محدودة المجال ولا تستند الى قاعدة واسعة من الجماهير • وكان اكثرها قائما على الرابطة الشخصية بين الاعضاء ولذلك كانت سرعان ما تنهار لاشتداد ارهاب الحكومة ضد اعضائها ، او لحصول اقل خلاف بينهم او لانحياز بعضهم الى جانب الحكومة • وبكلمة واحدة ان معظم احزاب تلك الفترة لم تكن احزابا عقائدية ذات مناهج سياسية واقتصادية واجتماعية واضحة • واهداف بعيدة الى الاصلاح • ومهما يكن من شيء فقد كان وجود هذه الاحزاب يحرك الحياة السياسية ويستحث تفكير الشباب ويمنح الناس املا في تحسن الاحوال العامة • على ان هذه الاحزاب الغيت عام ١٩٣٥ وظلت البلاد دون احزاب حتى عام ١٩٤٥ حيث سمحت الحكومة بتاسيس خمسة احزاب علنية هي "الاستقلال" و "الاحرار" و"الوطني الديمقراطي" و "الاتحاد الوطني" و "الشعب" (١٨) ولم تعط اجازة لحزب التحرر الوطني وبقي الحزب الشيوعي خارجا على القانون يمارس نشاطه سرا • ولكن هذه الاحزاب لم تجد المجال الحر لنشاطها فلم يسمح لاكثرها بانشاء فروع لها خارج بغداد وبقيت اجتماعاتها محدودة النطاق وحريتها مقيدة • ولم يمض على انشائها عامين حتى الغت الحكومة اجازة اثنين منها وعطلتها وهما "الاتحاد الوطني" و "الشعب" وضيقت الخناق على الباقية فكان اعضاؤها يطاردون من قبل الشرطة ويز--ون

---

(١٨) لم يكتب تاريخ الحياة الحزبية في العراق • وقد اعتمدت في كتابة هذه الملاحظات عن الاحزاب العراقية في فترة الانتداب واوائل عهد الاستقلال على الحسني تاريخ العراق السياسي ج ٣ ص ٢٢٦ — ٢٥١ وخدوري نظام الحكم في العراق ، ص ٩٦ - ١١٣

في المواقف والسجون بمختلف التهم ، وكانت جرائدها تعطل ، وتقدم للمحاكمة فلما كانت الحرب الفلسطينية ، واعلنت الاحكام العرفية في البلاد ، نشطت الحركة في مطاردة الاعضاء الحزبيين وخاصة اعضاء احزاب التحرر الوطني ، والوطني الديمقراطي ، والشعب ، والشيوعي ، حتى لقد اضطر حزبا الاحرار والوطني الديمقراطي عام ١٩٤٩ على ايقاف نشاطهما الحزبي ، معلنين ان قيام الاحزاب في البلاد دون السماح لها بممارسة نشاطها بحرية تفريط باعضائها الامنين ، وشهادة زور على وجود الحياة الديمقراطية في البلاد ، وخديعة وتحذير للشعب . وقد سبق وان بينت طرفا من مكافحة الحكومة لنقابات العمال ، ومطاردتها للنشيطين من اعضائها ، بما فيه الكفاية .

اما الصحافة فمقيدة الحرية . وقد ظلت خاضعة " لقانون المطبوعات العثماني الوقت المؤرخ في عام ١٩١٤ " حتى سنة ١٩٣١ . ووضع هذا القانون قيودا على الصحافة فاستوجب ان يكون لكل جريدة او مجلة دورية ، مدير مسؤول ، واخذ بمبدأ التامين النقدى والتعطيل الادارى . و(لما) الغي هذا القانون بـ " قانون المطبوعات رقم ٨٢ لسنة ١٩٣١ " . ابقى هذا القانون على قيود الصحافة . فاوجب على كل شخص يروم اصدار مطبوع دورى ان يحصل على اجازة من وزير الداخلية . واعطى للوزير سلطة مطلقة في منح الاجازة او رفضها ، واوجب ان يكون للمطبوع مدير مسؤول تتوافر فيه الشروط التالية : ان يكون :

(١) عراقيا ،

(٢) مكملا سن الـ ٢٥ من العمر ،

(٣) غير محكوم عليه بجناية او جنحة مخلة بالشرف ،

(٤) مأذونا من مدرسة ثانوية كاملة او ما يعادلها ، ومن ذوى الخبرة والسمعة الحسنة وللمطبوعات الدينية ان يكون مجازا بالدرس .

(٥) غير موظف او عضو في احد مجلسي الامة .

وقد خول هذا القانون الحكومة حق تعطيل المطبوع ، والغاء اجازته ، ومصادرته . وعدلت بعض مواد هذا القانون بـ " قانون تعديل قانون المطبوعات رقم ٨٢ لسنة ١٩٣١ رقم ٥٦ لسنة ١٩٣٢ " . على ان هذا التعديل اضاف قيودا جديدة على الصحافة . فقد اشترط ان يكون طالب الاجازة مأذونا من مدرسة ثانوية او ما يعادلها ، وان لا يقل عمره عن ٢٥ سنة ، وان يكون معروفا بحسن السمعة ، وغير محكوم عليه بجنحة مخلة بالشرف او بجناية . على حين لم يشترط قانون ١٩٣١ هذه الشروط . وقد شدد الشروط التي يجب توافرها في المدير المسؤول فاوجب ان يكون عمره ٣٠ سنة بدلا من ٢٥ ، وان يكون مأذونا من مدرسة عاليه .

وجعل الغاء المطبوع اكثر سهولة من ذى قبل ، ورفع مدد التعطيل الوقت التي يستطيع ان يوقعها وزير الداخلية او مجلس الوزراء . والغي قانون المطبوعات رقم ٨٢ وتعديله بـ "قانون المطبوعات رقم ٥٧ لسنة ١٩٣٣ " وهو القانون الذى لا يزال مطبقا حتى الوقت الحاضر مع بعض التغييرات التي ادخلت عليه بـ " قانون التعديل قانون المطبوعات رقم ٥٧ لسنة ١٩٣٣ رقم ٣٣ لسنة ١٩٣٤ "

وقد احتوى قانون المطبوعات لسنة ١٩٣٣ على كل القيود الواردة في القوانين السابقة . فقد اوجب ان يكون للمطبوع مدير مسؤول (م ٢٠) واشترط استحصال اجازة من وزارة الداخلية (م ٣) واشترط ايداع تامين نقدى (م ٤٠) واعطي لوزير الداخلية سلطة انذار صاحب المطبوع وتعطيله (م ١٢٠ و ١٣) واعطاه سلطة مصادرة المطبوع مصادرة ادارية (م ٣٢٠) . والتغيير المهم الذى ادخله قانون عام ١٩٤٤ هو نصه على انه (ليس للحكومة ان تعطل صحيفه حزبية معلنا فيها انها لسان حزب سياسي مجاز قانونا الا بحكم من المحكمة .) على ان عدم استقلال القضاء ، في الواقع يجعل تحرر الصحافة الحزبية من السلطة التنفيذية امرا شكليا . (١٩)

يضاف الى هذه القيود الثقيلة التي فرضها قانون المطبوعات على الصحافة ، خضوع الصحافة لنظام المراقبة على المطبوعات . وذلك وفقا للمادة الرابعة عشرة من مرسوم الادارة العرفية رقم ١٨ لسنة ١٩٣٥ ، التي تنص الفقرة الثالثة منها على انه يجوز "لقائد القوات العسكرية في المناطق المعلن فيها الاحكام العرفية " ان يفرض الرقابه على الصحف والنشرات الدورية وايقاف نشرها من غير اخطار سابق ." وقد خضعت الصحافة العراقية لنظام الرقابة الصارم منذ ابتداء الحرب العالمية الثانية الى الوقت الحاضر باستثناء فترات قصيرة . كما انها كانت خاضعة قبل ذلك التاريخ للرقابة في الاماكن المعلن فيها الاحكام العسكرية . وقد كثر اعلان الاحكام العرفية بسبب الفتن والثورات العشائرية والانقلابات العسكرية التي حدثت في العقد الثالث من هذا القرن . ولم تقتصر القيود على المطبوعات وحدها بل تعدتها الى المطابع نفسها . فالمطابع في العراق تخضع لقانون المطابع العثماني الصادر عام ١٩٠٩ .

---

(١٩) للاطلاع على موقف القضاء العراقي من الجرائد الحزبية راجع على سبيل المثال "محاكمة جريدة لواء الاستقلال" ، منشورات حزب الاستقلال (بغداد ، ١٩٤٧) و "محاكمة كامل الجادرجي" مطبوعات الحزب الوطني الديمقراطي (بغداد ١٩٤٦)

وهذا القانون يحضر على الطابعين طبع الكتب والرسائل غير المتعلقة بالعلوم والفنون والاداب والصنائع بدون الحصول على اجازة • وقد اضافت المادة ٨٨ من قانون المطبوعات البغدادى الصادر في ٣١ شباط ١٩١٨ قيودا على قيود هذا القانون العثماني • فنصت المادة المذكورة اعلاه على ان "كل من انشأ او شغل مطبعة وطبع كتبا او مطبوعات اخرى بلا اجازة من الحكومة يعاقب بغرامة لا تزيد على خمسين دينارا او تغلق المطبعة»

والحق ان الصحافة العراقية المقيدة بهذه القيود الثقيلة تعاني ضغطا شديدا من السلطة التنفيذية • وهي على الغالب خاضعة خضوعا تاما للحكومة القائمة تتكلم باسمها ، وتدعو لها وتبرر اعمالها • اما الصحف الحرة فقليلة العدد وهي تجاهد اقصى جهادها لكتابة ابسط النقد لاعمال الحكومة والدفاع عن حقوق الشعب يقول الدكتور عبد الله اسماعيل البستاني : "ان الصحافة العراقية تخضع في الوقت الحاضر لنظام الوقائي في اشد انواعه تعسفا • واذا اضفنا الى ذلك ان السلطة المختصة بالنظر في جرائم الصحافة في العراق هي المحاكم العادية التي لا تعرف نظام المحلفين وان المشرع العراقي قد اخذ بجرائم الرى الى حد كبير كما سنرى/ فيما بعد ذلك امكننا القول بدون تردد بان الصحافة المذكورة لا تعرف معنى الحرية بل انها على العكس من ذلك صحافة مقيدة بقيود ثقيلة تجعلها في قبضة الادارة تماما حكمها في ذلك حكم الصحافة الانكليزية قبل عام ١٦٩٥ والصحافة الفرنسية قبل الثورة وفي العهود الديكتاتورية التي تلتها كعهدى نابليون الاول والثالث»[٥٠]

وقد نتج عن تدخل الادارة في الانتخابات النيابية في وسيطرتها على مجلس الامة وتقييد حرية الصحافة والحد من نشاط الاحزاب والنقابات والجمعيات في القيام بالرقابة على الحكومة ونشر اهدافها وتنوير الراى العام، نتائج خطيرة اهمها ان جهاز الادارة في الدولة تحرر من رقابة الامة واصبح يخدم مصالح المتنفذين في المدن والريف وصالح / الذين تخرج معظم الوزراء والنواب وكبار الموظفين معظمهم في المدارس العثمانية وعملوا موظفين في دوائرها وتربوا على اساليب الادارة في عهدى الاحتلال والانتداب وربطوا [illegible] مصالحهم الذاتية المتشابكة على الايام بمصالح بريطانيا الوطيدة • وقد كان من نتائج فقدان رقابة الرأي العام الفعالة على الحكومة ان شاعت الرشوة في دوائر الحكومة

وانعدم مقاييس الكفاءة في تعيين الموظفين وحل محله النفوذ الشخصي، والمحسوبية والوساطة، والرشوة، والطائفية، والتقرب من الانكليز وخلفائهم واعوانهم .

ومما زاد في فوضى جهاز الادارة وانعدام الكفاءات فيه هذه القوانين التي تتحكم في مصائر الموظفين واهمها المرسوم الذى صدر سنة ١٩٣٩ لتعديل قانون الانضباط والذيول التي سبقته وهي ذيول قانون الانضباط لسنة ١٩٣١ وذيل قانون التقاعد المدني لسنة ١٩٣٥ . فقد خولت هذه الذيول الوزير بعد استحصاله قرارا من مجلس الوزراء صلاحية فصل الموظف متى تبين ان بقاء ذلك الموظف في وظيفته اصبح مضرا بالمصلحة العامة وذلك لمدة معينة وهي ستة اشهر. على ان المرسوم المتقدم الذكر قد جعل هذه المدة دائمية (٢١) وهكذا اصبح الموظفون، ولا استثني منهم الحكام والقضاة، في خوف من السلطات العليا مشلولي الابتكار عليهم ان ينفذوا الاوامر التي تصدر لهم من فوق مهما كانت منافية للمصلحة العامة خشية الفصل والعزل والتحويل وتاخر الترفيع. وقد يتحرر الموظفون من كل خوف ويتابعون هواهم في جر المغانم من وظائفهم اذا ما كانوا حسني الصلة بالسلطات العليا او تدعمهم الشخصيات المتميزة بمالها او جاهها او نفوذها . فاذا علمنا ان للاغنياء المدن والاقطاعيين وشيوخ العشائر والانكليز نفوذا في الدوائر الدولة العليا سهل علينا ان نتصور عجز جهاز الادارة هذا عن رعاية المصلحة العامة وخدمة البلاد وتنفيذ الاصلاحات الضرورية لتقدم الشعب . ومما زاد في فوضى جهاز الادارة وابعاده عن خدمة الكافة تحكم الحكومة البريطانية في توجيهه اثناء الاحتلال الاول وعهد الانتداب وقد تعاظم توجيه بريطانيا للادارة بعد احتلالها الثاني للعراق سنة ١٩٤١ . فقد عاد كثير من المستشارين الانكليز الى الوزارات العراقية واخص بالذكر منها المعارف والداخلية

---

(٢٠) عبدالله اسماعيل البستاني، حرية الصحافة : دراسة مقارنة (القاهرة، ١٩٥٠)، ص ١٣٢ اعتمدت في كتابة هذه الفقرات عن الصحافة العراقية على هذا الكتاب ص ١٠٢ — ١١٣

٢١ راجع خدوري نظام الحكم في العراق ص ٦٧ — ٦٨ وفي «قانون المطبوعات رقم ٥٧ لسنة ١٩٣٣»، (بغداد، ١٩٣٣)

والعدلية والمالية . واقامت الحكومة البريطانية موظفين في اهم المدن العراقية المسيطرة على مناطق العشائر اسمتهم ضباط ارتباط وظيفتهم الاتصال بشيوخ العشائر والمتنفذين من سكان المدن لتمتين اواصر الصلة بينهم وبين الانكليز وذلك عن طريق التدخل في الادارة لصالحهم . وكثيرا ما يقوم ضباط الارتباط هؤلاء بحل مشاكل شيوخ العشائر والاقطاعيين والتوفيق بينهم او باثارة الخلافات بينهم حسب مقتضى الاحوال . والموظف الذى لا ينفذ طلبات ضباط الارتباط عليه ان يواجه حسابا عسيرا من رؤسائه الذين هم بدورهم معرضون للمناقشة والحساب اذا لم يلبوا مطالب الانكليز من السلطة العليا في الحكومة .

وقد نتج عن تسلط الوزارة على المجالس التشريعية ، وخنق حرية الراى العام وافساد جوّ المدارس العلمي ، وعدم رعاية جهاز الادارة للمصلحة العامة، نتائج خطيرة اهمها + ما اشرنا اليه من بطوء في تقدم البلاد ، واصلاح الحالة الشعبية وبقاء عوامل التاخر «التي ذكرتها بتفصيل على حالها» وهذا ما ولد استياء اغلبية السكان من الحكومة ، وقاد الشبان الى اعتناق المذاهب القائمة على العنف في الاصلاح ، وجعل كثيرا من السياسيين يكفرون بالديمقراطية ، وييأسون منها ، ويعتقدون انها نبتة لا تصلح لها تربة العراق، ولا يلائمها مناخه . فجربوا وسائل اخرى منها هذه الثورات العشائرية التي قامت في الفرات الاوسط بين عامي ١٩٣٤ و ١٩٣٦ ، والتي اثارها وحرض عليها بعض الموتورين من الوزراء الاقدمين والساسة الطامحين الى الحكم، بقصد اسقاط الوزارات القائمة والحلول محلها ، والتي ايدها رؤساء العشائر مدفوعين بالجهالة طورا ، والمصلحة الشخصية طورا اخر ، والرغبة في اصلاح الاحوال الفاسدة احيانا (٢١) . فلما فشلت هذه الاساليب التي ادت الى اراقة دماء عراقية بريئة من ابناء العشائر ومن افراد القوات المسلحة الحكومية ، عمد الساسة الى الانقلابات العسكرية ، فابتدأ اولها الفريق بكر صدقي عام ١٩٣٦ ، وتبعته ستة انقلابات اخرى كان اخرها الانقلاب العسكري الذى رفع رشيد عالي الكيلاني الى الحكم عام ١٩٤١ (٢٢) . وقد عالجت الحكومة هذه المشكلة العميقة الخطيرة معالجة سطحية مغلوطة ، منافية لروح الديمقراطية . فعدلت الدستور عام ١٩٤٣ ، ووضعت فيه مادة تخول الملك حق اقالة الوزارة، بدلا من ان تعالجها معالجة صحيحة وذلك بافساح المجال لنشاط الاحزاب ، ورفع القيود عن حرية الصحافة ، وتنوير الراى العام، وجعل الانتخاب مباشرا حرا،

والحد من الاقطاعية، والعمل على اصلاح ما في البلاد من تاخر وفساد وفوضى ٠
وهكذا تركزت اعظم السلطات بيد الملك، حتى لقد كاد الحكم في العراق ان يصبح دكتاتوريا في الواقع ٠ وقد عبر عن هذه الحقيقة احد السياسيين بقوله: ان نظام الحكم في العراق دكتاتوري بلا دكتاتور ظاهر السلطان، وديمقراطي بلا صحافة مستنيرة حرة، ولا احزاب حرة النشاط ٠

وكان من نتائج فقدان الديمقراطية في الحكم، وفشل الحياة النيابية وتراكم الشرور في البلاد ان عمد العراقيون الى تغيير الاوضاع عن طريق القوة والعنف تغييرا مباشرا ، كما حدث في وثبة الشعب في شباط ١٩٤٨ ضد معاهدة بورتسموث والتي جعلت شعارها احباط التوقيع على هذه المعاهدة ، وان كان مبعثها الحقيقي فساد الاحوال وانعدام العدالة وسوء تصرف الطبقة الحاكمة في البلاد ٠

خاتمة

تبين لنا مما تقدم ان اغلبية الشعب العراقي أمية، مريضة ، فقيرة ، بعيدة عن التمتع بالحضارة التي حددت مفهومها في فاتحة هذه الرسالة . وتبين لنا ان العوامل التي تعيق تقدم البلاد ، وتعرقل تحضر الشعب ، متعددة منها هذا الفقر المزري الذى تعانيه اغلبية السكان والمسبب عن انخفاض مستوى الانتاج (الفردي والعام، والانتاج الزراعي بخاصة، وسوء توزيع ثمرات هذا الانتاج) ، وضعف الصناعة واستغلال الانكليز لاهم مصادر الثروة في البلاد وهو النفط وسيطرتهم على اهم صادراتها كالتمور والحبوب، وتحكمهم في أهم مرافقها الاقتصادية كالميناء والسكة الحديد . ومنها هذه الامراض العديدة المبتلاة بها اغلبية الشعب والمسببة عن انخفاض مستوى المعيشة، وسوء التغذية والجهل ، وانعدام الوسط الصحي . ومنها هذا الجهل الذى يعيش في ظلامه اكثر من تسعين بالمائة من السكان ، والذى يجعل الشعب يتمسك بالخرافات، وينقاد الى العنعنات الطائفية ويستسلم لما هو فية من تأخر وعبودية .

وتبين لنا ان الحكومة العراقية ، بجهاز ادارتها الحاضر وقوانينها النافذة ، واخص بالذكر منها قانون دعاوى العشائر وقانون حقوق وواجبات الزراع، وقانون المطبوعات وقانون الجمعيات وقانون انضباط الموظفين، تخدم مصالح الاقطاعيين والمتنفذين ، وتعين على قيام اجيال جديدة منهم ، وتخدم مصالح بريطانيا المتنامية ابدا في البلاد وتمكن لهذه المصالح بوانها تقيد الحرية ، وتشل نشاط المصلحين .

وقد تبين لنا ان هذه العوامل وحدة متماسكة الاصول والفروع ، لا يمكن علاج احدها علاجا اساسيا ناجحا الا اذا عولجت جميعها . فلا يمكن محو الامية ، وتثقيف الشعب وتخليصه من الامراض الا اذا ارتفع مستواه الاقتصادى، ولا يمكن ان يرتفع مستواه الاقتصادى الا اذا تعلم، وفهم اسباب تأخره ، وكافح في سبيل حياة افضل . وليس بامكان شخص خير ، أو مجموعة اشخاص خيرين ، ان يغيروا هذه الاوضاع طفرة او تدرجا ، وانما يحتاج ذلك الى حكومة رشيدة تفهم الداء وتسعى مخلصة الى علاجه . ولن تقوم هذه الحكومة الرشيدة المصلحة الا اذا وجد في البلاد رأى عام مثقف مستنير حر منظم في احزاب شعبية عقائدية، يراقب الحكومة ويراجع اعمالها